الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة

في عصري المرابطين والموحدين

من ٤٨٤ إلى ٦٢٠ هـ (من ١٠٩٢ إلى ١٢٢٣ م)

دكتورة

سامية مصطفى محمد مسعد

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الحياة الاقتصادية والاجتماعية

في إقليم غرناطة

في عصري المرابطين والموحدين

الحياة الاقتصادية والاجتماعية
في إقليم غرناطة
في عصري المرابطين والموحدين

من ٤٨٤ إلى ٦٢٠ هـ (من ١٠٩٢ إلى ١٢٢٣ م)

دكتورة سامية مصطفى محمد مسعد
أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي والحضارة
كلية الآداب - جامعة الزقازيق

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

رقم الايداع	١٨٥٧٦ / ٢٠٠٢
I.S.B.N الترقيم الدولي	977 - 341 - 088 - 9



الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر

ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس: ٥٩٣٦٢٧٧

ص.ب ٢١ توزيع الظاهر - القاهرة

إهداء

إلى روح والدى وأستاذى

الأستاذ الدكتور/

مصطفى محمد مسعد

الذى علمنى الأحرف الأولى فى الحضارة

الإنسانية وتقاليد المهنة وآدابها

ابنتك

سامية

تمهيد

إن التاريخ السياسى إذا خلا من المضامين الاقتصادية والاجتماعية، تحول إلى أحداث جافية لا يمكن ردها إلى منطقها القويم، لهـذا اتجهت الدراسات الحديثة الجادة إلى العناية بالتطورات الاقتصادية والاجتماعية التى جرت تحت لواء الإسلام.

لهذا اتجهت هذا الاتجاه من العناية بالحياة الاقتصادية والاجتماعية ودأبت على ذلك منذ دراستى لدرجة الماجستير ومضيت فى هذا الطريق فآثرت أن أعرض لمباحث فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية فاخترت بلاد الأندلس على وجه خاص لاستكناه الأحداث التى جرت فيه على وجهها الصحيح، ثم تخيرت فترة بذاتها لكى أعرف كنهها الصحيح وأثرها فى تطوير التاريخ السياسى، فاخترت ثورة البربر المندفعين إلى الأندلس إلى الجهاد لتخليص المجتمع مما ألم به من عدوان الفرنجة وتآمرات ملوك الطوائف وتردى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، فاخترت عصرى المرابطين والموحدين بصفة عامة، كما اخترت إقليمًا بعينه من الجزيرة الأندلسية وهو إقليم غرناطة «الأندلس الصغرى» فتعرضت للتطورات الاقتصادية والاجتماعية فى عصر سيادة البربر المرابطين والموحدين لأكتشف ما أصاب المجتمع من أدواء عديدة أودت به آخر الأمر وأدت إلى سقوط غرناطة وضياع ملك المسلمين فى الأندلس.

ولكى أخدم هذه الدراسة خدمة علمية حقة قسمت الموضوع إلى ثلاثة أبواب، أفردت الباب الأول لدراسة الموقع الجغرافى لإقليم غرناطة فحددت حدوده الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية وما يقع فيه من أنهار وجداول وجبال ومرتفعات، ثم تحدثت عن مدن وقرى الإقليم مستندةً فى ذلك إلى المصادر الجغرافية والتاريخية، التى جمعت منها مادة علمية طيبة وسيجىء الحديث عنها فى نقد المصادر.

ثم تحدثت عن غرناطة وخططها وأرباضها وبدأت الحديث عن نشأة غرناطة إلى أن دخلها المرابطون ثم الموحدون وأهم العمال والقواد الذين أنابوا عن دولتهم فى حكم

الإقليم وأنهيت تلك الدراسة بالحديث عن خطط غرناطة وما فيها من أرباض وما يحيط بها من أسوار وأبواب وما بداخلها من قصنور ودور.

كما تحدثت عن عدة منشآت أخرى أهمها المتنزهات والمساجد والحمامات ثم المقابر والقناطر لما لهذه المنشآت من أثر في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للإقليم.

والباب الثانى أفردته لدراسة الحياة الاقتصادية لإقليم غرناطة فعرضت للعوامل المؤثرة فى الحياة الاقتصادية، فبعض هذه العوامل طبيعية تتعلق بإقليم غرناطة وما تميز به من خصوبة وكثرة أنهاره التى ساعدت على قيام زراعة ناجحة فى قرى ومدن الإقليم، بالإضافة إلى وفرة المادة الخام فقامت الصناعات وازدهرت، وسيتضح ذلك من خلال قراءة هذا البحث، هذا إلى جانب شبكة الطرق البرية والبحرية التى ربطت قرى إقليم غرناطة ومدنه بعضها ببعض كما ربطت الإقليم بباقى أقاليم الأندلس إلى جانب الطرق التى ربطت بين إقليم غرناطة والعالم الخارجى ثم بينت أثر العوامل الطبيعية فى إنعاش الاقتصاد وتقدمه أو تأخره فى بعض الأحوال.

أما العوامل السياسية فقد لعبت هى الأخرى دوراً هاماً فى ازدهار الاقتصاد فى بلاد المغرب والأندلس عامة وإقليم غرناطة بصفة خاصة، فبينت أثر المرابطين والموحدين فى ازدهار النشاط الاقتصادى سواء فى الزراعة أو الصناعة أو التجارة وما قاموا به لرفع مستوى الإنتاج فى البلاد سواء فى المغرب أو الأندلس مع التركيز على إقليم غرناطة موضوع البحث، فتحدثت عن الأمن وأهميته بالنسبة لمناطق الاستقرار الزراعية وسياسة المرابطين والموحدين لتوفير الأمن والطمأنينة للسكان مع اضطرارهم للدخول فى حروب مستمرة مع نصارى أسبانيا حماية للسكان، مع تأمين طرق التجارة الداخلية والخارجية البرية والبحرية وحماية التجارة من هجمات القراصنة.

كذلك بينت اهتمام دولتى المرابطين والموحدين بالغراسة وبناء الخزانات وتشجيعهم للمزارعين على استغلال الأرض وتشجيع الصناعة والتجارة واهتمامهم بالصناع والتجار ورفع الضرائب والمكوس التى ترهق كاهلهم ثم بينت أثر فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين وقيام بعض الفتن والثورات فى هبوط مستوى النشاط الاقتصادى سواء فى الزراعة أو الصناعة أو التجارة وسيتضح ذلك عند قراءة هذا البحث، ثم أفردت جزءاً كبيراً

من هذا البـاب لدراسة الزراعة فى إقليم غرناطة من خلال نظـام الملكية العـقارية للأرض الزراعية واسـتخلاص نظام الزراعة سـواء طرق الرى أو الزراعة للأرض وفلاحتـها وكل ما يتعلق بالزراعـة وأخيرًا تعرضت للمـحاصيل الزراعـية فى إقليم غرناطة وكيف مـيزت تلك المحاصيل الإقليم عن غيره من الأقاليم.

وفى الصناعة تحدثت عن أثر وفـرة المادة الخام سواء الزراعية أو المعدنية فى ازدهار الصناعة وكيف أثرت الصناعة على أوضـاع الصناع وأرباب الحرف مع اهتمام ولاة الأمر من المرابطين والموحدين بالصناع ثم تحدثت عن الإنتاج الصناعى ومناطقه داخل إقليم غرناطة وقسمت تلك الصناعات إلى صناعـات زراعية وصناعات معدنية وغير مـعدنية أى الصناعات التقليدية، ثم بحـثت فى التجارة وبينت كيف أن الإنتاج الـزراعى والصناعى أسهم فى نمو وازدهار التجارة حيث وجد هذا الإنتاج سوقًا له لتـصريف تلك المنتجات فازدهرت التجارة وشجع ذلك التجار على المجىء إلى البلاد، ثم تحدثت عن التجارة الداخلية وأهم مسالكها وكـيف توفرت لإقلـيم غرناطة شـبكة من الطرق الداخليـة سـهلت ربط المـدن والمراكـز التجارية مما كان له أكبر الأثر فى انتعاش التجارة داخل إقليم غرناطة والبلاد الأندلسية، ثم تحـدثت عن الأسـواق وأهـم أسـواق إقليم غـرناطة والرقـابـة على تلك الأسـواق ودور المحتسب فى ضبط الأسواق وأسعار السلع.

ثم تحدثت عن الفنادق وأهمـيتها فى خدمة التـجار الأجانب وتشجيـعهم على المجىء إلى البلاد وكيف جهزت هذه الفنادق لخدمة التجار الغرباء.

أما التجارة الخارجية فقد تحدثت عن عوامل ازدهارها ومحاولة المرابطين والموحدين تشجيع التجارة الخارجية وعقد اتفاقيات مع الدول الأخرى لتنشيط التجارة الخارجية وكيف أن التجـارة كما كانـت تتعرض لبعض الـهزات وذلك بسبب الحـروب التى كانت دائرة بين المرابطين ثم المـوحدين، من ناحـية، وبين نصارى أسـبانيا ومن يعـضدهم من الدويلات المسيحـية من ناحية أخرى، ثم أفردت مبـحثًا خاصًا للحديث عن الصـادرات مثل المعادن والفاكهـة والمصنوعات الذهبيـة والجلدية والمنسوجات الحريرية والكتـانية والواردات مثل القمح والتمر والزيت وجلود النمر وبعض المنسوجات الصوفية.

ثم ختـمت هذا الباب بدراسـة النظام المالى الذى قـام بدور بارز فى استـقرار الحـياة

الاقتصادية ورفع مستوى الإنتاج فى إقليم غرناطة، فتحدثت عن سياسة المرابطين والموحدين المالية ثم مصادر دخل الدولة من الزكاة والجزية والغنيمة والمصادرات ثم تحدثت عن نفقات الدولة مثل نفقات الجيش والأرزاق بالإضافة إلى نفقات البناء والتعمير والنفقات المتنوعة، ثم تحدثت عن الإدارة المالية والمشرفين الماليين والعملة باعتبارها وسيلة من وسائل التعامل التجارى إلى جانب السفاتج والصكوك، هذا بالإضافة إلى الموازين والمكاييل التى استعملها المغاربة والأندلسيون على حد سواء فى معاملتهم التجارية.

ولارتباط الحياة الاقتصادية بالحياة الاجتماعية أفردت الباب الثالث والأخير لدراسة الحياة الاجتماعية فتحدثت عن العوامل المؤثرة فى الحياة الاجتماعية وذلك بدخول البلاد الأندلسية تحت حكم الدولة المرابطية ثم الموحدية، وما نتج عن ذلك من تأثير على الحياة الاجتماعية وهو ما سيتضح من خلال الدراسة، ثم تحدثت عن السكان فخصصت جزءاً من هذه الدراسة للحديث عن عناصر السكان ومناطق انتشارهم والمهن التى عملوا بها وكيف أن هذه العناصر تنوعت بشكل جعلت هذا المجتمع مجتمعًا متنافرًا، ثم تحدثت عن فئات المجتمع الغرناطى فى عصر المرابطين والموحدين فتحدثت عن الفقهاء ومنزلتهم الرفيعة فى ظل دولة المرابطين وطبقة الطلبة فى عصر الموحدين إلى جانب الكتاب والعلماء والشعراء، ثم تحدثت عن كبار رجال الدولة من القادة والأمراء المرابطين والموحدين الذين اندمجوا فى الحياة الاجتماعية فى الأندلس فاضطروا أن يعيشوا كما كان الناس يعيشون فى الأندلس فكانوا يحيون حياة لا تختلف عن الحياة التى كان ملوك الطوائف يحيونها.

أما المرأة الغرناطية فقد نالت جزءًا من هذه الدراسة فتحدثت عن مكانة المرأة فى المجتمع الغرناطى فى عصر المرابطين والموحدين وعن مشاركتها الواضحة فى المجتمع وتعرضت بالدراسة أيضا للمرأة المرابطية ثم الموحدية ومدى تمتعها بالحرية فى ظل دولة المرابطين ومكانتها العلمية فى ظل الدولة الموحدية، ثم تحدثت عن الحياة الخاصة لطبقة المترفين والأغنياء معتمدة فى ذلك على كتب الأدب، فأدب هذه الطبقة كان يصور حياتهم الاجتماعية المترفة تصويرًا دقيقًا، فهم يقضون أوقات سهرهم فى لهو وفى مجالس الأنس

وشرب الخمر والخروج إلى الصيد، وقد صورت الرسائل الأدبية وخاصة المراسلات الإخوانية جانبًا مهمًا من العلاقات الاجتماعية التى كانت تربط هؤلاء الخاصة بعضهم ببعض، ثم تحدثت بعد ذلك عن الحياة الاجتماعية لطبقة العامة من أهل غرناطة، فتحدثت عن عاداتهم وتقاليدهم وموقف المحتسبين من بعض العادات السيئة التى انتشرت فى المجتمع الغرناطى هذا ولكى تكون تلك الدراسة مكتملة عرضت للحياة الاجتماعية الخاصة فى غرناطة فتحدثت عن حياة طبقة الخاصة والعامة معًا وهى الزواج وحياة الأسرة الغرناطية ثم تحدثت عن المجتمع الغرناطى، ولم أكتف بذلك فقط بل تحدثت عن أزياء الطوائف الأخرى التى عاشت مع أهل غرناطة فى مجتمع واحد وأقصد أهل الذمة من اليهود والنصارى، ثم أزياء البربر من المرابطين والموحدين ثم ملابس الجنود، ثم تحدثت عن أزياء النساء وما اتصفت به من أناقة ونفاسة وإسراف، وإلى جانب الملابس وأشكالها وأنواعها تحدثت عن الطعام والشراب فى إقليم غرناطة فعرضت لأنواع الطعام المختلفة سواء ما يتناوله الأمراء والسادة والأغنياء أو طعام العامة من الناس مع أنواع التوابل المختلفة، التى استخدمها الناس فى طعامهم وما صاحب هذه الأطعمة من الترف والإسراف، ثم ذكرت أنواع بعض الأطعمة الخاصة بعناصر المجتمع فهناك أطعمة خاصة باليهود وأخرى خاصة بالبربر.

وتحدثت عن عادات الناس فى طريقة تناولهم للطعام وتقاليد تلك الأطعمة فى التقديم، أما الشراب فقد كان الناس يتناولون أنواعًا عدة من المشروبات أهمها الخمر التى انتشرت بين أفراد المجتمع تناولها الغنى والفقير على حد سواء، أما المواسم والأعياد فقد أفردت لها جزءًا كبيرًا من هذه الدراسة فتعرضت للأعياد الدينية مثل عيد الفطر وعيد الأضحى مع احتفال المسلمين ببعض المناسبات الدينية مثل حلول شهر رمضان وليلة المولد النبوى ويوم عاشوراء ومشاركة المسلمين لإخوانهم النصارى فى الاحتفال بأعيادهم ثم الأعياد الخاصة بأهل غرناطة مثل عيد العصير الذى كان يقام عند جنى محصول العنب وعصيره، كذلك تحدثت عن وسائل اللهو والطرب، فقد جرت العادة أن يحتفل الغرناطيون بأعيادهم بوسائل مختلفة أهمها الاحتفالات الدينية وألعاب الفروسية ومصارعة الوحوش وحفلات الغناء والموسيقى والرقص.

نقد المصادر

ومن أهم المصادر التى اعتمدت عليها فى بحثى عن إقليم غرناطة مؤلفات لسان الدين ابن الخطيب ومن أهمها كتابه: الإحاطة فى أخبار غرناطة.

وابن الخطيب فى هذا الكتاب اتبع طريقة الأندلسيين فى التقديم للتاريخ بالجغرافية فقد أورد فى مقدمة الإحاطة وصفًا دقيقًا شاملاً لمنطقة مملكة غرناطة، وهذه المقدمة الجغرافية تعتبر عنصراً فريدًا فى الكتابة التاريخية الجغرافية فللمرة الأولى نجد وصفًا جغرافيًا دقيقًا لإقليم صغير هو إقليم غرناطة وهو يشبه ما اتبعه بعض المشارقة مثل وصف مكة للأزرقى والمدينة للسمهودى وخطط بغداد لأبى الطاهر طيفور، وقد سبق ابن الخطيب فى ذلك من الأندلسيين أبو جعفر ابن خاتمة وهو معاصر لابن الخطيب فى كتابه وصف المرية المسمى مزية المرية.

فلقد تحدث ابن الخطيب فى مقدمته عن العرب ودخولهم غرناطة وعن حملة ابن رزمير وموقف النصارى المعاهدين من المسلمين وهى كلها مواصفات على غاية من الأهمية التاريخية والجغرافية معًا.

وفى مقدمة الإحاطة أيضًا يبدأ ابن الخطيب بتحقيق ودراسة لفظ اسم غرناطة فيتحدث عن البيرة وهى أصل غرناطة ويتحدث عن مجدها الغابر ثم يشير إلى تاريخ المدينة الذى جمعه من شتى أنواع المراجع بالإضافة إلى خبرته العلمية عن غرناطة فقد نشأ بها ودرس فيها وتقلب فى وظائفها الإدارية حتى ملك زمام الوزارتين.

فمقدمته تلك غنية بمادة وفيرة عن جغرافية غرناطة بدأها بالحديث عن أصل غرناطة والبيرة، ثم مكان الأندلس من الأقاليم، فطالع غرناطة وموقعها بالنسبة لخطوط الطول والعرض، كما تحدث عن تحديد المسافات بين غرناطة وقرطبة، وموقع غرناطة من جبال سيرانيفادا ثم تحدث عن أثر هذا الموقع الفريد لغرناطة على النشاط الاقتصادى للإقليم فتحدث عن وفرة المياه والمزروعات وكثرة النباتات الطبية فى جبل شلير التى تشرف عليه غرناطة ثم تحدث عن المعادن فى غرناطة مثل الذهب والفضة والحديد والرصاص والتوتيا

والمرقشيتا واللازورد، ثم هو يتحدث عما يحيط بغرناطة من الجنات والمدارج والغابات وما يقع خارج أسوار مدينة غرناطةِ من قرى وضياع ويختم الحديث فى تلك الفقرة بما يرتفع إلى خزانة الدولة من ضرائب هذه الأراضى الزراعية ثم يختم ابن الخطيب هذه المقدمة الجغرافية بالحديث عن السكان وهو شديد الإعجاب بأهل بلده غرناطة، فتحدث عن ملامحهم وهيأتهم وعن عاداتهم وتقاليدهم وعن طعامهم وعن النقود المستعملة لديهم ويخصص فقرة رائعة للحديث عن المرأة الغرناطية وهو بذلك يعطى للدارس فى الحياة الاجتماعية لأهل غرناطة مادة رائعة تصور الحياة الاجتماعية فى ذلك القطر الأندلسى ولا يؤخذ على ابن الخطيب فى هذه الفقرة سوى أنه شديد الإعجاب بأهل وطنه غرناطة فأغفل الحديث عن عيوبهم وما لهم وما عليهم.

ويعتبر كتاب اللمحة البدرية فى الدولة النصرية لابن الخطيب من أكثر الكتب إفادة فعلى الرغم من أنه ألف فى تاريخ أسرة بنى نصر حكام غرناطة إلا أنه ينفرد فى مقدمته بمعلومات جغرافية هامة فهو من أحسن ما كتب فى أوصاف المدن وخاصة وصف المواضع الصغيرة وعلى سبيل المثال فحص غرناطة الذى كان يعرف بالبقاع ويستعمل ابن الخطيب هذا الوصف الدقيق لغرناطة بتقسيماتها الإدراية، هذا بالإضافة إلى ما كتبه لسان الدين بن الخطيب فى كتاب نشرته جامعة الإسكندرية، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى باسم «مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس» وهو عنوان أطلقه المحقق على مجموعة من رسائل ابن الخطيب وهى:

١- خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف.

٢- مفاخرات مالقة وسلا.

٣- معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار.

٤- رحلة ابن الخطيب فى بلاد المغرب من كتاب نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب.

وقد أفادنى هذا الكتاب فى تحديد مواقع مدن إقليم غرناطة وأهم مميزاتها، فى جمع مادة جغرافية عظيمة لإقليم غرناطة أخذت منها فى هذا البحث ولا يفوتنى أن أذكر كتاب نزهة المشتاق للإدريسى فقد كان خير معين لى فى توضيح معلومات على غاية الأهمية فى

كتابه تاريخ الحياة الاقتصادية لإقليم غرناطة فقد تعرض فى كتابه للزراعة والصناعة والتجارة وطرق التجارة خاصة بعد قيام دولة المـرابطين والموحدين وامتداد سلطانهم السياسى على البلاد الأندلسية.

وإتمامًا لهـذه القائمة من المصادر الجـغرافية كان لا بد من الرجـوع إلى كتاب الروض المعطار لـعبد المنعم الحـميـرى «توفى فى القرن الثـامن» وكتاب الجـغرافيـة لابن سعـيد بالإضافة إلى كـتاب الجغرافيـة المنسوب إلى أبى عبد الله محـمد الزهرى «توفى فى حدود سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م» وقد جمعت من هذه المصادر مادة جغـرافية طيبة أفادتنى فى إكمال كتابة هذا البحث أما ابن فضل الله العمرى فقـد أفدت من كتابه مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار وما زالت أجزاء كثيرة منه مخطوطة.

وكان اعتمادى الأكبر فى الـمعلومات التى وردت فى الجزء الخاص بالأندلس الذى قام بنشره حـسن حسنى عـبد الوهاب إذ يورد المؤلـف معلومات كـثيرة عن غـرناطة العاصـمة ووصف أرباضها وأبوابها وأسوارها وأسواقها بالإضافة إلى مسجدها الجامع ووصف جوامع مدن المرية ومـالقة مع ذكر معلومات عـما تتميز به هذه المـساجد عن غيرها من المـساجد الأخرى كما يورد معلومات هامة عن الدولة الموحدية وعن الصناع.

أما المقـرى فى نفحه فقـد أورد معلومات كثـيرة عن الزراعة والصناعة والـتجارة إلى جانب معلومات متناثرة هنا وهناك أفادتنى فى التعرف على بعض العادات والتقاليد التى تفيد فى بحث الحياة الاجتماعية إلى جانب مـا أورده من شعر ومراسلات أدبية فى ذكره لشعراء وأدباء الأندلس ساعدنى على توضيح بعض ملامح الحياة الاجتماعية لطبقة الخاصة.

ومن المصادر التى أفدت منها فى دراسة فترة حكم المرابطين والموحدين وأثرهم على الحياة الاقـتصادية والاجتمـاعية فى الأندلس، كتاب التـبيان للأمير عـبد الله بن زيرى آخر ملوك بنى زيرى فـى غـرناطة سنة ٤٨٣هـ والذخـيـرة لابن بسـام الشـنتـرينى ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م.

ومن أهم المصادر التى أرخت لتاريخ الدولتين المرابطية والموحدية كتاب الاكتفاء فى أخبار الخلفاء لابن الكردبوس وفى هذا الكتـاب يركز المؤرخ على الأحداث التى جرت فى

البلاد الأندلسية إلى أن يصل إلى أيام المرابطين متعرضًا للحروب التى جرت بين المسلمين ونصارى أسبانيا.

أما ابن القطان المتوفى فى سنة ٦٥٨هـ وكتابه نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان فهو موسوعة كبرى فى تاريخ المغرب من بدء الفتح الإسلامى حتى قبيل سقوط الدولة الموحدية ٦٦٧هـ.

والجزء الذى وصل إلينا هو السفر الثالث عشر من الكتاب وقد اشتراه معهد الدراسات الإسلامية بمدريد وقام بتحقيقه الأستاذ الدكتور محمود على مكى، وهذا الجزء على صغره يضم أحداثًا كثيرة خاصة أخبار المهدى بن تومرت وعبد المؤمن بن على وهو أيضًا يحتوى على رسائل هامة أوردها الخلفاء الموحدين تلقى الضوء على نظم الحكم عند الموحدين ويعاب على هذا الكتاب شدة التعصب للخلفاء الموحدين وإغفال حق الدولة المرابطية.

أما كتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة «توفى أواخر القرن السادس الهجرى» فقد قام بتحقيق السفر الثانى من الكتاب الأستاذ عبد الهادى التازى أما السفر الأول والثالث فلم يصل إلينا حتى الآن.

والسفر الثانى من الكتاب يبدأ بأحداث ٥٥٤هـ وينتهى بحوادث ٥٦٨هـ، وهى فترة قصيرة من الناحية الزمنية ولكنها حافلة بالأحداث، وهى أحداث كان ابن صاحب الصلاة قد شاهدها بنفسه بالإضافة إلى معلومات هامة عن الآثار المعمارية والحضارية فيتحدث عن أجهزة الدولة المختلفة وعن نظمها كنظام ولاية العهد ووصف التشريفات الخاصة بالأعياد وتنصيب العمال والحفلات وخروج الخليفة للغزو، كما أنه يورد معلومات كثيرة عن الزراعة والإدارة المالية والرواتب والأسعار بالإضافة إلى الرسائل الرسمية التى أورد منها قدراً كبيراً.

وتجدر الإشارة هنا إلى عدة مصادر أخرى على جانب من الأهمية فى تاريخ المرابطين والموحدين ومن أهمها المعجب لعبد الواحد المراكشى والحلل الموشية لمؤلف مجهول وروض القرطاس لابن أبى زرع الفاسى، والبيان المغرب لابن عذارى وهذه المصادر تتناول كما ذكرت عصر المرابطين والموحدين وهى لمؤلفين عاشوا فى عصر الموحدين أو قريبًا

منه وقد أفدت من هذه المصادر خاصة ما أورده ابن أبى زرع (توفى ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) من معلومات عن تاريخ الدولتين المرابطية والموحدية وما ذكره عن المعمار المرابطى والموحدى والأسعار وأخبار عن السكان.

أما البيان المغرب لابن عذارى المراكشى فقد أرخ لبلاد المغرب والأندلس من الفتح الإسلامى إلى سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م وقد نقل هذا المؤرخ من ابن صاحب الصلاة فقرات.

أما عبد الواحد المراكشى فقد أورد فى معجبه معلومات وفيرة عن الدولتين المرابطية والموحدية وجاءت معلوماته عن الإدارة المالية والخراج والطرق التجارية والمعادن فى بلاد المغرب والأندلس فى غاية الأهمية لمن يؤرخ لهذه الفترة من تاريخ المغرب والأندلس.

وإلى جانب هذه المصادر اعتمدت أيضًا على ابن خلدون (توفى ٨٠٨هـ/ ١٤٠١م) فقد أورد معلومات كثيرة عن القبائل المغربية بإشارات أفادتنى فى كتابة الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

ثم كتب التراجم والحسبة والنوازل الفقهية التى كانت خير معين لى على استكمال الدراسة فقد عالجت تلك الكتب بعض التباينات الاجتماعية للطبقات وخاصة طبقة الفقهاء والعلماء.

كما أفدت من الكتب الفقهية فى دراسة ملكية الأراضى الزراعية، وكانت المشاكل الاقتصادية التى أثارتها تلك الكتب خير معين لى فى استنباط بعض المعلومات عن الحياة الاقتصادية لبلاد المغرب والأندلس.

أما كتب الحسبة فقد أفدت منها كثيرًا خاصة رسالة ابن عبدون والسقطى وغيرهم.

أما الكتب التى صنفت فى موضوع صناعة معينة فقد أفادتنى فى إتمام هذا البحث وإخراجه على تلك الصورة، ومن هذه المصادر كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس لمؤلف مجهول، والفلاحة لابن بصال (توفى أول القرن السادس) الذى اعتمدت عليه فى طريقة الزراعة أما الدوحة المشتبكة فقد أفادنى فى معلومات عن عملة المرابطين والموحدين.

الباب الأول

غرناطة وخططها فى عصر المرابطين والموحدين

التحديد الجغرافى لإقليم غرناطة

يقع إقليم غـرناطة فى الجزء الجنـوبى الشرقـى من شـبه الجزيرة الأيبيـرية فى واد عميق يمتد من المنحـدر الشمالى الغـربى لجبـال سيرانيـفادا[١] «المعروفـة باسم جبل شلير»[٢] وهى فى معمور الإقليم الخامس[٣]، تحيط بها المرتفـعات من الجنوب والشرق، ويحد إقليم غـرناطة من جهة الجـنوب نهر شنيل[٤]، وهو أحد فـروع الوادى الكبير، كـما يحدها شمالاً ولايات جيان وقرطبة وأشبيلية[٥]، ومن الشرق ولاية المرية ومن الغرب ولاية

(١) ابن فضل الله العمرى: مـسالك الأبصار (وصف إفريقية والمغـرب والأندلس أواسط القرن الثامن للهجرة) نشر حسن حسنى عبد الوهاب: تونس ص ٣٤: ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة جـ ١ ص ٩٦، ص ٩٨ حققه ووضع حواشيه ومقدمته محمد عبد الله عنان: الطبعة الثانية، الناشر مكتبة الخانكى ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م، ابن الخطيب: اللمحـة البدرية فى أخبار الدولة النصرية ص ٢٢.

(٢) «ويسمى جـبل الثلج» وعن وصف جبل شلير، انظر، الإدريسى: محـمد بن عبد العـزيز الشريف الفاورى الإدريسى «وصف المـغرب والأندلس»: من كـتاب نزهة المشـتاق: فى اختـراق الآفاق، تحقيق دوزى، ودى خويه ليدن ١٨٦٦م ص ٢٠٣، ابن سعيد: كتـاب الجغرافية تحقيق إسماعيل بيروت ص، ص، طبـعة الجزائر سنة ١٩٨٢، ص ١٦٧، الطـبعة الثانـية، ابن الكردبوس: (أبى مروان عبد الملك) تحـقيق أحمد مختار العبـادى، صحيفة معهد الدراسات الإسـلامية مدريد سنة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦م مجلد ١٣ ص ١٤٥، القاهرة طبعة سنة ١٩٦٣، القلقـشندى: (أبو العباس أحمد بن على) صبح الأعـشى: جـ ٥ ص ٢١٤، الحمـيرى: الروض المعطار فى خـبر الأقطار تحـقيق ليفى بروفنسال ص ٢٣، ص ١١٢ سنة ١٩٦٣م.

(٣) انظر تحديد الإقليم الخامس فى معجم البلدان (لياقوت) الحموى جـ ٥ مادة غرناطة.

(٤) شنيل وهو النهر الـذى تقع عليه مدينة غـرناطة وهو أحد فروع نهـر الوادى الكبير وقـد كان أيام الدولة الإسلامـية غاصـا بالحدائق، انظر ابن الخطيب: الإحـاطة جـ ١ ص ١١٨ هامش رقم ١، اللمحة البدرية فى الدولة النصرية ص ٢٣، عن نهر شنيل انظر أيضا ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب تحقيق شوقى ضيف ١٩٥٥ جـ ١ ص ١٠٣، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٣، محمد عبـد الله عنان: الآثار الأندلسية البـاقية ص ١٦١، لنفس المـؤلف: نهاية الأندلس: ص ٥٥ انظر أيضًا عن شنيل العمرى: مسالك الأبصار (وصف إفريقية) ص ٣٥.

(٥) «تبعد غـرناطة عن قرطبة تسعين مـيلاً، والميل عند العرب ثلاثة آلاف ذراع والمسـافة بين غرناطة وقرطبة وفق التقدير الحديث نحو مائة وخمسين كيلو مترا، انظر ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٤ هامش رقم ٥، محمد عبد الله عنان نهاية الأندلس ص ٥٥.

قادس وأرض الفرنتيرة أو إنتقيرة[١] وكانت غرناطة تشتمل على ثلاث ولايات كبيرة هى: غرناطة[٢] العاصمة وهى فى وسط الإقليم وأهم مدنها فى العصر الذى نحن بصدد دراسته، المنكب[٣]: تقع على بعد أربعين ميلاً من غرناطة[٤]، وادى آش[٥]: وتقع تلك المدينة بالقرب من غرناطة، بسطة[٦]: وتقع فى شمال شرق غرناطة بالقرب من وادى

(١) الفرنتيرة أو (أنتقيرة وبالأسبانية Antaquera) مدينة أندلسية حصينة تقع شمال غرب مالقة، انظر ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٣٨٥ هامش رقم (٦) انظر عنها أيضًا ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب: تحقيق أحمد مختار العبادى طبعة سنة ١٩٨٣.

(٢) يذكر المؤرخ الغرناطى الأندلسى ابن الخطيب: فى كتابه الإحاطة «غرناطة» أو «أغرناطة» وكلاهما أعجمى، وقد اختلفت آراء الباحثين فى أصل هذه التسمية، فيرى البعض أن اسم غرناطة يرجع إلى عهد الرومان وأنه مشتق من الكلمة اللاتينية «Granata» ومعناها الرمانة وسميت كذلك لجمالها وكثرة حدائق الرمان بها: انظر كلمة غرناطة " Ency , of Islam "Granada وهذا ما يقرره الجغرافيون العرب إذ يقولون إن معنى غرناطة «الرمانة» بلسان عجم الأندلس، سمى البلد بذلك لحسنه، راجع ياقوت معجم البلدان جـ ٥ مادة غرناطة، ابن الخطيب، الإحاطة جـ ١ ص ٩١، ويروى المستشرق الأسبانى Simonet فى ذلك رأيًا آخر، إذ يقول المرجع إن الاسم يعود إلى عهد القوط وأنه مزيج من كلمة «ناطة» وهو اسم قرية قديمة تقع على مقربة من البيرة «وغار» وهو المقطع الذى أضافه المسلمون، فصارت غرناطة، أو سماها البربر كذلك عند نزولهم بها وهو اسم لإحدى قبائلهم. Descripcion del Reino del Granada

(٣) «ويبدو أنه اسم عربى بمعنى «الحصن» المرتفع وهو مرفأ ساحلى مرتفع فى جنوب شرق الأندلس بمقاطعة غرناطة «ابن الخطيب» مشاهدات ص ٧٩ هامش رقم ٢، عن المنكب، انظر العمرى (وصف إفريقية) ص ٤٧، ابن الخطيب، اللمحة البدرية ص ٢٩، الإدريسى: نزهة المشتاق: (ط د) ص ١٩٩ ليدن سنة ١٨٩٤، البغدادى: مراصد الاطلاع جـ ٣ ص ١٦٤ القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٨، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٦، ياقوت، معجم البلدان جـ ٥ ص ٢١٦.

(٤) الحميرى: المصدر السابق ص ١٨٦ ياقوت، المصدر السابق جـ ٥ ص ٢١٦.

(٥) «مدينة وادى آش أو وادى إيش وتقع هذه المدينة على نهر فردوس عظيم على مسافة ٥٣ كيلو مترًا شمال شرق غرناطة، راجع الإدريسى: المصدر السابق ص ٢٠٢، العمرى (وصف إفريقية) ص ٣٧ القلقشندى: نفس المصدر جـ ٥ ص ٢٢١، ابن الخطيب: اللمحة البدرية ص ٢٩، الحميرى: الروض المعطار ص ١٩٢، المقرى: نفح الطيب: عن غصن الأندلس الرطيب جـ ١ ص ١٤٢ نشر محيى الدين عبد الحميد طبعة سنة ١٩٤٩. Seybold: Ency of Islam, 11. p, 189.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٠٩ «وبسطة وهى مدينة قديمة تعرف اليوم باسم Baza وتقع =

آش[١]، حصن اللور ولوشة[٢] : وتقع على نهر شنيل وتبعد عن مدينة غرناطة بنحو خمسين كيلو مترًا من ناحية الجنوب الغربى[٣]

شلوبانية :

وهى من الثغور الصغيرة الواقعة جنوبى ولاية غرناطة على البحر المتوسط، كما أنها تقع شرقى المنكب[٤] وتحيط بها الجبال من الشمال والغرب[٥]

آشكر :

وتقع فى إقليم غرناطة شمالى بسطة[٦]

مدينة مالقة :

وتقع على الساحل الجنوبى الشرقى لبلاد الأندلس فى شرق غرناطة وهى من أشهر مراسى البحر المتوسط[٧] وأهم مدن ثغر مالقة، مدينة بليش مالقة وتقع شرقى

= فى شمال غرناطة بنحو ١٢٣ كيلو مترًا ويروى صاحب الروض المعطار أن هذه المدينة كانت مشهورة بمنتجاتها الزراعية ولا سيما الزيتون وبمنسوجاتها الحريرية، وينسب إليها الوطاء البسطى من الديباج الذى لا يعلم له نظير انظر الحميرى: المصدر السابق: ص ٤٤ ـ ص ٤٥، ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب: ص ٣٦ هامش رقم ٩ عن بسطة، انظر الإدريسى: نزهة المشتاق ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات المصدر السابق، نفس الصفحة، الحميرى: المصدر السابق ص ٤٤ ـ ص ٤٥.

(١) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٠٩، الحميرى: المصدر السابق ص ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) يشير ابن الخطيب: إلى أن هذه البلدة موطنه وعاش والد ابن الخطيب بها، انظر ابن الخطيب: مشاهدات ص ٩٣ هامش رقم ٦

(٣) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: جـ ٢ ص ١٥٧، ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٩ ابن الخطيب مشاهدات: ص ٩٣.

(٤) ابن الخطيب: المصدر السابق ص ٨٠ هامش رقم ٥.

(٥) ابن الخطيب: نفس المصدر ٨٠، عن شلوبانية: العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية) ص ٤٦، ابن سعيد: المغرب، جـ ٢ ص ١٢٩ الحميرى: الروض المعطار ص ١١١، عنان: الآثار الأندلسية الباقية ص ٢٦٢

(٦) «بلدة فى ولاية غرناطة وتقع فى شمال بسطة» ابن الخطيب: مشاهدات ص ٨٧ هامش رقم ٣
Simonet: Op Cit, 63.

(٧) «مالقة مدينة ساحلية معروفة فى جنوب شرقى الأندلس أسسها الفينيقيون عام ١٢ ق م =

مدينة مالقة[١]: على بعد ثلاثين كيلو متراً منها، كما تبعد عن البحر حوالى خمسة كيلو مترات[٢].

مربلة:

أو ماربلة وهى ثغر أندلسي صغير يقع على شاطئ البحر المتوسط جنوب غربى مالقة[٣] على بعد ستين كيلو مترا منها[٤].

قمارش:

وتقع بالقرب من مدينة غرناطة[٥].

= وأعطوها اسم «Malaca» ومعناه المملح وذلك نسبة إلى مستودعات الأسماك المملحة التى كانت تعمل وتحفظ فيها واشتهرت مالقة إلى جانب ذلك بزراعة الفواكه الممتازة ولا سيما التين المالقى والرمان، كما اشتهرت بصناعة الفخار «ابن الخطيب: مشاهدات ص ٧٦، ص ٧٧ هامش رقم ٢ عن مالقة انظر Ency Of Islam: art malaga الإدريسى: نزهة المشتاق ص ٢٠٠ ـ ص ٢٠٤، ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٤٣٢ والاصطخرى: (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرخى» ابن حزم: الرد على ابن النغريلة: ص ١٧٥، ص ١٧٧، المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص ٤٢٢، ٢٤٣، ابن بطوطة: (أبو عبد الله محمد الطنجى اللواتى) تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، نشر وترجمة Defremery et sanguine (باريس ١٩٢٢) ص ١٨٧ جـ ٢، ابن الخطيب: مشاهدات، ص ٧٨ هامش رقم ٦، العمرى: وصف أفريقية ص ٤٧ هامش رقم ٢، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٧٧، ص ١٧٨، ابن سعيد: الجغرافيا تحقيق إسماعيل العربى ص ١٤٠، المقرى: نفح الطيب جـ ٣ ط بيروت تحقيق إحسان عباس سنة ١٩٦٧، ص ٢١٩، ازدهار الرياض فى أخبار القاضى عياض جـ ٥ ص ٤١، عنان الآثار الأندلسية، ص ٢٥٤ Scott: Hist Of The Moorish Empire V III الاصطخرى: المسالك والممالك نشر دى خوية لبدن سنة ١٨٦٧.

(١) ابن سعيد: المصدر السابق جـ ١ ص ٤٤٢، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٧٨ حاشية ٦، ابن بطوطة: الرحلة، جـ ٢ ص ١٨٧ Simonet: Descripcion del reno se Granada p.p 93 - 111.

(٢) انظر ابن الخطيب: المصدر السابق ص ٧٨ حاشية، ابن سعيد: المصدر السابق جـ ١ ص ٤٤٢، ابن بطوطة: المصدر السابق: جـ ٢ نفس الصفحة.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٩٧، هامش رقم ٤، مشاهدات ص ٧٥ هامش رقم ٤، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٠.

(٤) ابن الخطيب: مشاهدات نفس الصفحة، العمرى: وصف أفريقية ص ٤٩.

(٥) «وهى وافرة الماء والزرع من كروم وزيت، وحبوب» ابن الخطيب: مشاهدات، ص ٧٩ حاشية ١، حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ص ٥٨٣ ص عدد سنة ١٩٦٧م.

رُندة:

وتقع غربى مالقة(١).

أنتقيرة:

وتبعد عن مالقة ٥٩ كيلو متراً(٢).

أرشذونة:

من أعمال مالقة(٣) أيضا وتـقع فى بطن واد عمـيق سحيق تـحيط به الجبـال من كل ناحية(٤).

المرية(٥):

وتقع على الساحـل الشرقى للأندلس(٦) بين إمارتى مـالقة ومرية(٧)، ومن أهم مـدن مدينة المرية أندرش(٨) وهى من أعمالها.

(١) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: جـ ١ ص ٣٣٤، ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ٢ ص ٣٠، مـشاهدات ث ٥٩ هامش رقـم ٤ ص ٩٦، القلقشندى: صـبح الأعـشى: جـ ٥، ص ٢٢٠، ابن بطوطة، الرحلة جـ ٢ ص ١٨٥، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ٣٧.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٣٨٥، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٩٤ حاشية ٦.

(٣) ابن الخطيب: الإحـاطة جـ ١ ص ٢٨٦ هامش ٦، مـشاهدات ص ٩٤ هامش ٤، ياقـوت معـجم البلدان جـ ١ ص ١٩٢.

(٤) العمرى: مسالك الأبصار، (وصف أفريقية) ص ٤٩ Simonet: op cit, p 83, Ency of Islam Art Archidana.

(٥) الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٣ ـ ص ١٨٤، الإدريسى: نزهة المـشتاق: (وصف المغرب) ط د ص ١٩٧، القلقشندى: صـبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٧، ابن الخطيب: اللمحـة البدرية ص ٢٩.

(1) Ency of Islam I.P.317, R.B. Sarent: Islamic textiles material for a history up. to the Mongol conquest. p. 169.

(٦) الإدريسى: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٧) القلقشندى: نفس المصدر: جـ ٥ نفس الصفحة: العمرى: مسالك الأبصار: (وصف أفريقية) ص ٤٠.

(٨) «أندرش: بلد من أعمال المرية غيـر موجودة الآن ولكن لا يزال اسم أندرش يطلق على نهر هناك ينبع من جبل شلير وينحدر شرقا وجنوبا ثم يصب مياهه فى البحر المتوسط عند المرية» انظر ابن الخطيب: مشاهدات ص ٨٨ هامش رقم ١ عن أندرش انظر الحميرى: الروض المعطار ص ٣١.

برشانة:

وهى بلد صغيرة تقع شمال المرية فى واد آش[١]، على بعد ثمانية عشر ميلاً من المرية[٢].

برجة:

وهى من أعمال المرية أيضًا وتقع غربى ثغر المرية[٣]

دلاية:

قرية فى الأندلس من أعمال المرية[٤] تقع على بعد ٩ كيلو مترات فى جنوب شرق برجة[٥]

شنس:

وهو حصن على مرحلة من المرية[٦].

دوجر: وهى من أعمال المرية أيضًا وتقع على واديها المسمى بوادى المرية وبينها وبين المرية إثنتا عشرة مرحلة وهى فى الغرب منها[٧].

بيرة:

وهى بلدة حصينة تشرف على ساحل البحر المتوسط فى شمال شرق غرناطة[٨].

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٩ هامش ٥، اللمحة البدرية ص ٢٩، الإحاطة مؤنس: الجغرافية والجغرافيون ص ٥٦٧.

(٢) ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ٢٢٣، عن برشانة انظر ابن الخطيب: مشاهدات ص ٣٦.

(٣) ابن سعيد: المصدر السابق جـ ١ ص ٢٢٨، ابن الخطيب الإحاطة جـ ١ ١٤٥ هامش ٦، مشاهدات ص ٨١ هامش رقم ٢.

(٤) ابن الخطيب: المصدر السابق: ص ٨١ هامش رقم ٢، الإحاطة جـ ١ ص ٩٨.

(٥) ابن الخطيب: اللمحة البدرية: ص ٢٩، الحميرى: الروض المعطار: ص ٧٧، حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون: ص ٥٦٧، ص ٥٨٤.

(٦) ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ٢٢٥

(٧) ابن سعيد: المصدر السابق، جـ ٢ ص ٢٢٧

(٨) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٠٩ هامش رقم ٥.

الحامة:

وتقع الحامة بالقرب من مدينة بجانة[١] وهى من أعمال المرية.

المنصورة:

وتقع شمال شرق المرية[٢].

نشأة غرناطة:

كانت غرناطة - حين افتتح العرب بلاد الأندلس - مدينة صغيرة من أعمال ولاية البيرة قاعدة الولاية[٣]، التى تبعد عن غرناطة حوالى ستة أميال[٤]، وقد سقطت غرناطة فى أيدى العرب عقب انتصارهم على القوط بقيادة طارق بن زياد[٥] فى موقعة شريش فى رمضان سنة ٩٢هـ/ يوليو ٧١١م[٦].

(١) «وهى بلد صغيرة على قمة جبل بالقرب من مدينة بجانة من أعمال المرية وقد أطلق العرب عليها اسم الحمة نسبة إلى العين الحارة التى تفجرت بها، ويروى الكتاب المسلمون أن مياه هذه العين كانت كبريتية ويقصدها أهل الأسقام والعاهات من جميع النواحى، فلا يكاد يخطئهم نفعها» انظر الحميرى: الروض المعطار ص ٣٩.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٠٩ هامش ٥.

(٣) ابن غالب: (محمد بن أيوب الأندلسى) قطعة من كتاب فرحة الأنفس، تحقيق لطفى عبد البديع: مجلة معهد المخطوطات العربية مجلة ١ جـ ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٥ ص ٢٨٣، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب جـ ٢ ص ٩٠، ابن الخطيب: أعمال الأعلام جـ ١ ص ٩١، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٩، الحميرى: المصدر السابق ص ٢٣.

(٥) اختلف مؤرخو العرب فى أصله فيذهب بعضهم إلى أنه كان فارسيا همدانيا (انظر مجهول: أخبار مجموعة فى الأندلس، نشر دون لافونتى Lafunote مدريد سنة ١٨٦٧ ص ٦، المقرى: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: نشر وتحقيق محيى الدين عبد الحميد: القاهرة سنة ١٩٤٩م جـ ١ ص ٢٣٨) والبعض يذكر أنه كان بربريا من نغزة انظر ابن عذارى: البيان جـ ١ ص ٧، الحميرى: الروض المعطار ص ٩ والبعض الآخر يذكر أنه عربيا من صدف انظر، مجهول: المصدر السابق ص ٢٦، الحميرى: الروض المعطار ص ٩ المقرى: المصدر السابق جـ ١ ص ٢٣٨.

(٦) اختلفت الآراء حول تاريخ افتتاح غرناطة، يذكر ابن الخطيب: فى كتابه الإحاطة جـ ١ ص ٩٠، اللمحة البدرية ص ٢٩ أن افتتاح غرناطة كان عام ٩٣ هـ وكذلك النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٤٨، بينما يذهب ابن عذارى إلى أن افتتاح غرناطة ومالقا وما والاها كان عام ٩٢ هـ.

ويذهب الدكتور حسين مؤنس إلى أن المسلمين لم يفتحوا غرناطة ومالقة وتدمير إلا فى ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة ٩٣هـ[١]/ ٧١٢م ولا يستبعد أن يكون طارق ابن زياد قد بعث سرايا صغيرة إلى تلك المدينة وغيرها لمجرد الاستطلاع[٢]، وحين اشتد الخلاف بين القبائل واشتد التنافس على الإمارة بين الشاميين من ناحية والعرب من ناحية أخرى[٣] رأى أمير الأندلس[٤] أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبى[٥] أن يعمل على تهدئة الفتنة بتمزيق عصبية الشاميين ففرقهم فى أنحاء الأندلس، فأنزل أهل دمشق البيرة وأهل الأردن رية وأهل فلسطين شذونة وأهل حمص أشبيلية وأهل قنسرين جيان وأهل مصر باجة وبعضهم بتدمير[٦].

(١) النويرى: نهاية الأرب: نفس الجزء والصفحة، ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٠١، حسين مؤنس فجر الأندلس ص ٧٧.

(٢) النويرى: المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة، ابن الخطيب: نفس الجزء والصفحة.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٢ ص ٣٣: مجهول: أخبار مجموعة فى فتح الأندلس طبعة مجريط ١٨٦٧. ص ٥٩، ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ٢٩٥، ص ٢٩٦، ص ٢٩٧، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس: ص ١٤٠، ص ١٤١، ١٩٠٦، الضبى: (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة) بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ص ١٠، ضمن المكتبة الأندلسية مصر سنة ١٩٦٧، الحميرى: (أبو عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله الأزدى) جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، ضمن المكتبة الأندلسية ص ٥ سنة ١٩٦٦.

(٤) كانت الأندلس عقب الفتح تعتبر ولاية تابعة لإفريقية من الناحية الإدارية وكان والى إفريقية هو الذى يختار حاكمها واستمر ذلك معظم عصر الولاية، انظر ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ هامش رقم ٥.

(٥) «عندما نشبت الفتنة بين الشاميين والعرب (البلديين) واقترب أهل الأندلس، أمر الخليفة هشام بن عبد الملك ـ (توفى فى ربيع سنة ١٢٥ هـ) واليه على إفريقية حنظلة بن صفوان بأن يوالى أبا الخطار ليضع حدًا للفتنة القائمة، فقدم إلى الأندلس ١٢٥ هـ ـ ٧١٣م مكث فى الولاية سنتين وتسعة أشهر ثم قتل سنة ١٢٨ هـ» انظر ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٢ ص ٣٦ ـ ص ٣٧ عن أبى الخطار انظر الحميرى: الجذوة ص ٥، الضبى: البغية ص ١٠.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٣، اللمحة البدرية هـ ١ ص ٢٦، ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٣» تدمير هى إحدى ولايات الأندلس الشرقية سميت باسم أميرها والمدافع عنها تيودمير ثم غدت بعد ذلك ولاية مرية، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠١ هامش رقم ٦.

وقد ازدهرت مدينة البيرة فى عهد الخلافة الأموية وأصبحت عاصمة الولاية[١]، واستمرت كذلك حتى أواخر القرن الرابع حينما انهارت الخلافة الأموية وظاهر البربر سليمان بن عبد الرحمن الناصر وخربوا مدينة قرطبة سنة ٤٠٣هـ (١٠١١م) واستولى زعماؤهم على معظم قواعد الأندلس الجنوبية، حينئذ خربوا مدينة البيرة ولجأوا إلى مدينة غرناطة التى نمت شيئًا فشيئًا حتى غدت قاعدة الولاية[٢] بأسرها، واتخذها بنوزيرى عاصمة لهم وذلك لتوسطها وحصانتها[٣]، وبدأ منذ ذلك الحين اسم غرناطة يغلب ويختفى اسم البيرة رويدًا رويدًا، كقاعدة من قواعد الأندلس ويحل محله اسم غرناطة[٤].

ثم حدث بعد ذلك أن تدهورت الأحوال السياسية منذ عهد ملوك الطوائف[٥] وبدأت الجبهة النصرانية توجه الصراع ضد المسلمين فى دور جديد وعجز ملوك الطوائف عن صد عدوان النصارى فسقطت طليطلة إحدى قواعد الأندلس الكبيرة فى يد ألفونسو السادس وذلك فى شهر صفر (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)[٦] وبدأت مرحلة جديدة فى تاريخ المسلمين فى

(١) الحميرى: الروض المعطار ص ٢٣، ص ٢٩.

(٢) الأمير عبد الله بن بلقين: (آخر ملوك بنى زيرى فى غرناطة) مذكرات الأمير عبد الله (التبيان) ص ٢٢ نشر وتحقيق ليفى بروفنسال دار المعارف، ابن غالب: فرحة الأنفس: ص ٢٨٣.

(٣) عبد الله بن بلقين: المصدر السابق، نفس الصفحة، ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٣، اللمحة البدرية ص ٣١، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ٢٩.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٣، اللمحة البدرية ص ٣١، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٣، ص ٢٤.

(٥) «طوائف الأندلس، هم زعماء الطوائف الذين اقتسموا ولايات الأندلس وقواعدها عقب انهيار الخلافة وثورة البربر وأسسوا لأنفسهم فى ولايات الأندلس وقواعدها إمارات وممالك صغيرة وعرف أولئك الزعماء بملوك الطوائف، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٤٠ هامش رقم ٣.

(٦) مجهول: الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ص ٢٥ تحقيق عبد القادر زمامة، عن سقوط طليطلة انظر، ابن بسام (أبو الحسن على بن بسام) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، المجلد الأول قسم ٤، ص ١٦٢ ص ١٦٣، وما بعدها، المقرى: نفح الطيب جـ ٤ ص ٢٦، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ٥٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٨٦، ابن عذارى: البيان جـ ٣ ص ٢٨٢ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص٢٥٤، عنان: دولة الإسلام فى الأندلس (عصر الطوائف) ص١١٠، الحجى التاريخ الأندلسى ص ٣٣٧ جـ ١ سنة ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ pidal (M) the cid and spain London 1934 p. 207 (4) ومنذ ذلك الحين سما قدر الفونسو فى نظر معاصريه مما جعله يتخذ لقب امبراطور، انظر pidal (M) op. cit

هذه البلاد وكـان للنكبة التى حلت بطليطلة أثر كـبير علـى المسلمين فى الأندلس، وشـعر ملوك الطوائف وعلى رأسـهم المـعتـمد بن عـباد بخطـورة الوضع فلجأوا إلى الاسـتعـانة بالمـرابطين وذلك منذ سنة (٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م)(١) فاستجاب يوسف بن تـاشفين أمير دولة المرابطين وعـبر إلى الأندلس ثم ما لبث أن انتـصر على جيـوش النصارى الأسبان بقـيادة ألفونسو فى معركة الزلاقة فى شهر رجب سنة ٤٧٩هـ(٢) (١٠٨٦م) ومنذ ذلك الوقت بدأ

---

(١) ابن الأبار: (أبو عبـد الله محمد بن عـبد الله بن أبى بكر القضاعى) الحلة السـيراء جـ ٢ ص ٥٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس وتاريخ مدينة فاس ج١ أوبسالة، طبعة دار المنصور ص ١٤٢، يذكر صاحب كـتاب الحلل الموشية أنه «وفد على مراكش جماعة من أهل الأندلس شـارحين ليوسف بن تاشفين أحوال الأندلس طالبـين منه التدخل لنجدة الإسلام والمسلمـين فوعدهم بتحقيق مطالبـهم» مجهول: الحلل الموشيـة: ص ٣٣: عن استدعاء ملوك الطوائف وعلى رأسـهم المعتـمد بن عبـاد، انظر ابن الكردبوس: الاكـتفاء بأخبـار الخلفاء «مخطوط» نشر أحمد مختار العبـادى: معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٧١ ص ٨٩ ـ ص ٩٠، ابن خلكان: وفـيـات الأعيـان جـ ٧ ص ١١٣، ص ١١٥ النويرى: نهـاية الأرب فى فنون الأدب جـ ٢٤ تحقـيق حسين نصـار ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣، الحميـرى: الروض المعطار: ص ٨٦ ص ٢٦٧ ابن الأثيـر: الكامل فى التاريخ جـ ١٠ طبـعة صـادر بيروت ص ١٥١، ص ١٥٢ القـاضى عياض: (أبو الفضل عـياض بن موسى) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، لمعـرفة علماء مذهب مالك تحقيق أحمد بكير محمود منشورات دار الحياة بيروت جـ ٣ ـ ٤ ص ٨٠٨.

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب جـ ١ أوبسـالة جـ ٢ ص ٥٢، طبعة دار الـمنصور ص ١٤٩، ابن بسام: الذخـيرة: قسم ٢ مـجلد رقم ١ ص ٢٤١ تحقيق إحـسان عبـاس: ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ١ دار صادر بيروت سنة ١٩٦٧ جـ ١ ص ١٥٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٧ ص ١١٧، مجـهـول: الحـلل المـوشيـة ص ٥٩، مـذكـرات الأمـير عبـد الله (التـبيان) ص ١٠٤، المراكـشى: المعجب ص ١٣٢ القاهرة سنة ١٩٤٩ ابـن الخطيب: أعمال الأعلام: القـسم الثالث ص ٢٤٢ ـ ص ٢٤٣ ابن أبى دينار القـيروانى: المـؤنس فى أخـبار أفـريقيـا وتونس ص ١٠٨، المكتبة العتيقة تونس طبعة ٣ سنة ١٩٦٧، «يختلف ابن خلدون: والمراكشى: وابن أبى دينار فى تحديد مـعركة الزلاقـة فيجـعلونها سنة ٤٨١ هـ انظر ابن خلدون: العـبر: جـ ٦ ص ١٨٦ جـ ١ بيروت سنة ١٩٧١، ابن الكردبوس: الاكتفاء ص ٩٥ عن الزلاقة أيضا انظر يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحديـن، ترجمة عبد الله عنان القاهرة سنة ١٩٥٨ ص ٨٠ ـ ص ٨٣ راجع تفصـيلات الزلاقة فى كتـاب حسن أحمد مـحمود قيـام دولة المرابطين ص ٢٧٣ ـ ص ٢٨٨.

(1) Huici Minanda: "Ambrios" La invasion de los Almoravidesy la batalla de Zallaca, (Hesperis 1953) , T. XI, P. 40

المرابطون يتطلعون للاستيلاء على الأندلس خاصة بعد أن وقفوا على أحواله وعلى مدى ضعف ملوك الطوائف وتفككهم، فاستبدت بيوسف بن تاشفين فكرة الاستيلاء على البلاد الأندلسية ووضع حد لأطماع النصارى هناك ويذكر الأمير عبد الله بن بلقين[١] آخر ملوك غرناطة فى مذكراته كيف اكتشف يوسف بن تاشفين حجم الخلافات بين ملوك الطوائف فى أعقاب معركة الزلاقة حيث يقول: «وأخذ أمير المسلمين فى الانصراف إلى بلاده وقد أطلع عيانا وسماعًا من اختلاف كلمتنا ما لم يروجها لبقائنا فى الجزيرة»[٢].

ومما ساعد يوسف بن تاشفين على الاستيلاء على الأندلس أن أغلب أهل الأندلس كان يتشوق للخلاص من حكم ملوك الطوائف بعد أن أثقلت المغارم والضرائب كاهلهم[٣]، وكذلك شجع فقهاء المغرب والأندلس[٤] والمشرق أيضًا يوسف بن تاشفين على خلع ملوك الطوائف، يقول الحميرى «وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تفد عليه وفود ثغور الأندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين الله والإسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته، فيستمع، إليهم ويصغى لقولهم وترق نفسه لهم»[٥] فخرج يوسف بن

---

(١) هو عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيرى الملك الثالث والأمير لمملكة غرناطة (٤٤٧ هـ / ١٠٥٦م) ثم اعتلى عرش غرناطة سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٧ وكان عهد الأمير عبد الله: سلسلة من المنازعات والاضطرابات الداخلية والنزاع المسلح مع جيرانه المسلمين والمتواطئين مع الفونسو السادس ملك قشتالة وانتهت مملكته سنة ٤٨٣ هـ وهى التى عزله فيها المرابطون ونفوه إلى أغمات وفيها كتب مذكراته هذه، انظر بروفنسال مقدمة الأمير عبد الله ص ٧.

(٢) مذكرات الأمير عبد الله (التبيان) ص ١٠٧.

(٣) المصدر السابق: ص ١٢٠، ابن حزم: الرد على ابن النغرية ص ١٧٦.

(٤) ابن خلدون: العبر: جـ ٦ ص ١٨٨ طبعة بيروت ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ١٥١ ص ١٥٢.

(٥) الحميرى: الروض المعطار: ص ٨٦ عن استدعاء الأندلسيين ليوسف بن تاشفين انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٧ ص ١١٣ ـ ص ١١٦، ابن الأبار: الحلة السيراء جـ ٢ ص ٩٨، ص ٩٩ تحقيق حسين مؤنس: جزءان القاهرة سنة ١٩٦٣م، ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ١١٢ ـ ١١٥، المقرى: نفح الطيب جـ ٤ ص ٣٥٩، ص ٣٦٠ طبعة ١٩٦٨م / ١٣٣٨ هـ تحقيق إحسان عباس، محمد بن محمد بن عبد الله: مجموعة اليواقيت العصرية طبع مصر ١٣٤٩ هـ، الحميرى ص ٨٦.

تاشفين غازيا لبلادهم وتمكن من الاستيلاء على مالقة وغرناطة ثم على باقى البلاد الأندلسية[١]، وعزل جميع ملوك الطوائف ما عدا بنى هود[٢].

ومنذ ذلك الحين أصبحت غرناطة شأنها شأن الولايات الأندلسية تابعة للحكومة المركزية فى مراكش وازداد تدفق البربر على إقليمها خاصة كما يذكر الدكتور حسين مؤنس لأنها أقرب إلى بر العدوة وأوفق لهم من ناحية ولأن معظم أهلها من بربر أفريقية[٣] من ناحية أخرى، ويؤكد ابن الخطيب أهمية غرناطة بالنسبة للمرابطين حيث يقول «وهى دار منعة وكرسى ملك ومقام حصانة، وكان ابن غانية[٤] يقول للمرابطين فى مرض موته، وقد عول عليها للامتثال بدعوتهم: الأندلس درقة وغرناطة قبضتها فإذا أجشمتم يا معشر المرابطين القبضة، لم تخرج الدرقة من أيديكم»[٥].

ولقد أمضى المرابطون أغلب فترة حكمهم للأندلس فى جهاد مستمر ضد القوى النصرانية ولكن لما بدأ الضعف يسرى فى جسم الدولة المرابطية وظهر الموحدون فى المغرب وتنكر الأندلسيون لهم واشتد ضغط النصارى على الأندلس منتهزين فرصة انشغال

---

(١) ابن أبى زرع: روض القرطاس ص ١٥٢، ص ١٥٣ ـ ص ١٥٥ الرباط سنة ١٩٧٢، النويرى: نهاية الأرب: جـ ٤ ص ٢٦٧ مخطوط جـ ٢٢ ورقة ١٨٣ عن استيلاء المرابطين على غرناطة انظر مذكرات الأمير عبد الله: التبيان ص ١٠٧ ـ ص ١٢٢، مجهول: الحلل الموشية ص ٧١ ـ ص ٧٣، مجهول: نبذة تاريخية جامعة فى أخبار البربر فى القرون الوسطى، ألف سنة ٧١٢ هـ نشرها ليفى برفنسال: الرباط سنة ١٩٣٤.

(٢) مجهول: الحلل الموشية، ص ٧٣.

(٣) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين والموحدين، مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) مجلد ١١ جـ ٢ ص ٩٧ سنة ١٩٤٩ م.

(٤) هو أبو زكريا يحيى بن غانية كبير قواد المرابطين فى الأندلس حين اضطرب سلطانهم فيها، وخرج عليهم معظم الزعماء الأندلسيين فى نفس الوقت الذى عبر فيه خصومهم الموحدون البحر إلى الأندلس يريدون افتتاحها (٥٤٠ هـ) وبذل ابن غانية جهدا كبيراً فى الدفاع عن سلطان المرابطين، ولكن القواعد الأندلسية خرجت من قبضته تباعًا واضطر فى النهاية أن يمتنع بغرناطة التى طوقها الموحدون وسقط ابن غانية قتيلا فى الموقعة التى تلت بين المرابطين والموحدين ودفنه بغرناطة سنة ٥٤٣ هـ انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٧٩ هامش رقم ٢.

(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق: نفس المصدر: الجزء والصفحة.

الدولة بالاضطرابات الداخلية[١]، فقامت بهجمات متتالية على ممتلكات المسلمين، وتوالت على الجيوش المرابطية الهزائم المتتالية[٢]، فقدوا ثقة الناس وتحرج موقفهم وكانت هزائمهم فى الأندلس ممهدة فعلاً لأمر الموحدين بالمغرب[٣] الذين كانوا سببًا مباشرًا فى سقوط دولة المرابطين.

(١) عن سقوط دولة المرابطين: وأسبابها انظر الثورات فى الأندلس ضد الحكم المرابطى، مجهول: الحلل الموشية ص ٨٦، ص ٨٧، ابن الخطيب أعمال الأعلام «تاريخ أسبانيا الإسلامية» بيروت دار الكشوف الطبعة الثانية سنة ١٩٥٦ تحقيق ليفى بروفنسال، ص ٢٤٩، ص ٢٥٠، ص ٢٥١، ص ٢٥٢، ص ٢٥٣، ص ٢٥٤، ص ٢٥٥، ص ٢٥٦، ص ٢٥٧، ص ٢٥٨، ابن الأثير الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ٢٥٨، طبعة دار صادر بيروت، ابن الأبار، الحلة السيراء جـ ٢ ص ٢١١، ص ٢١٣، ص ٢١٤، ٢١٨ وعن أثر الفقهاء فى القضاء على الدولة المرابطية، انظر المراكشى: (عبد الواحد) ص ٢٣٥ طبعة سنة ١٩٦٣ م - ١٣٨٣ هـ تحقيق محمد سعيد العريان ونفس المصدر والمحقق: ١٩٤٩، ص ١٧٠، ص ١٧٧، الفتح بن خاقان قلائد، العقيان فى محاسن الأعيان ص ٣٤٣، مصورة من طبعة باريس نشر المكتبة العتيقة تونس، محمد عبد الله دولة الإسلام فى الأندلس، عصر المرابطين ص ٣٠٥، ص ٣١٨ عبد الله علام: الدعوة الموحدية بالمغرب، القاهرة سنة ١٩٦٤ ص ١٧، ص ١٨، رابح نونار: المغرب العربى تاريخه وثقافته ص ٢٤٠، الجزائر سنة ١٩٦٨ م.

(٢) عن ضعف جيوش المرابطين وأثرها فى انهيار دولة المرابطين انظر ابن القاض: جذوة الاقتباس (أحمد بن القاضى: المكناسى) فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، القسم الثانى ص ١٧١ دار المنصور للطباعة والوراقة سنة ١٩٧٤ م «حيث يذكر هذا المؤلف مدى ضعف جيش المرابطين فى المعركة التى دارت بين تاشفين وعبد المؤمن بن على والتى هزم فيها المرابطون واستولى الموحدون على وهران سنة ٥٣٩ هـ ١١٤٤ م انظر المصدر والصفحة.

(٣) ابن القطان: (أبو على حسين بن على بن القطان) جزء من كتاب نظم الجمان، تحقيق محمود على مكى تطوان، المغرب، المطبعة المهدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط ص ١١١، عن ظهور الموحدين وقيام دولتهم فى المغرب وامتدادها إلى الأندلس انظر المراكشى: (عبد الواحد) المعجب: ص ٢٤٦، ص ٢٥٥، ص ٢٥٩، ابن تومرت: (محمد بن عبد الله) أعز ما يطلب، مشتمل على تعاليق الإمام محمد بن تومرت مما أملاه أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على، ص ٢٥٨ - ص ٢٦٦ الجزائر سنة ١٩٠٣ م / ١٣٣١ هـ البيذق. (أبو بكر بن على الصنهاجى) أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين ص ٣٥، مجهول. الحلل الموشية ص ١١٠، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس ص ١٨٧، ص ١٩١ (أحمد خالد الناصر السلاوى أبو العباس) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى تحقيق جعفر الناصرى، ومحمد الناصرى، دار الكتاب الدار البيضاء، المغرب سنة ١٩٥٤، ١٣٧٣ الجزء الثانى ص ٩٧، ص ٩٨، ص ١٠٤، ص ١٠٥، ص ١٠٦.

وقد كانت هذه الحركة على قدر كبير من الإحكام والتنظيم مما كفل لها الاستمرار إلى أن سقطت الدولة المرابطيـة وقامت على أنقاضها، وأول شيء فعلتـه هذه الحركة هو رفع لواء الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهذه هى المرحلـة الأولى للدعوة الموحدية، فقد قامت هذه الدعـوة على يد ابن تومرت[١] الذى قام بالدعوة ضد المـرابطين الذين وصفهم بالكفر ودعا إلى قتالهم[٢]، وأخذ فى بداية الأمـر بتدريس العلم من غير أن يظـهر أى أمر سياسى فألف فى العـقيدة بلسان المصامـدة، أهل السوس كما بدأ باستمـالة رؤساء القبائل وأكثر من الحديـث عن المهدى المنتظر وتشويق الناس إليه، وأخيـرًا ادعى أنه هو المهدى المنتظر[٣]، وقال بعصمته فبايعه الناس على ذلك[٤] ومن هنا بدأ فى تنظيم صفـوفه بعد أن أعلن غايته وأهدافه المتمثلة فى إسقاط دولة المرابطين.

ولقد دخل مـحمد بن تومـرت فى صراع مع الدولة المرابطيـة، يبدو فيـه إصرار ابن تومرت على تحـقيق هدفه وإحـساسه بقـرب نهاية الدولة المرابـطة وشن ابن تومرت تسع حملات عـسكرية ضد المرابطين والقبائل المـجاورة ولم ينهزم إلا فى موقعة البـحيرة التى توفى فى أعقابها[٥].

(١) هو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المنعوت بالمهدى: المؤسس الأول للدولة الموحدية فى المغرب وهو من جبل السوس الأقصى ببلاد المغرب: حيث نشأ هناك ثم رحل إلى المشرق طالبا للعلم فزار هناك العراق كـما حج بيت الله الحرام وأقام بمكة وقتا من الزمن ودرس فـيها الحديث وأصول الفقة والدين، بدأ دعوته بالأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر فى مكة ثم رحل عنها إلى مصر فطرد منـها وتوجه إلى المهدية فـوصلها سنة ٥٠٥ هـ ومن المهدية انتـقل إلى بجابة وهناك التقى بعبد المؤمن بن على، ومنها خرج مع بعض أصحابه إلى مراكش وفى مراكش جرت له مع فقهائها مناظرات فقهية لم تسـفر عن شيء سوى هروب ابن تومرت من مراكش إلى أغمات ومنها إلى تينمل من بلاد السوس ومن هذه البلدة بدأت حركتـه تأخذ طابعا عسكريا، ومن هذا البلد نزل بعساكره محاصرا مـراكش وتوفى سنة ٥٢٤ هـ ودفن فى تينمل: ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٥، ص ٤٥٦ وما بعدها.

(٢) ابن تومرت: أعز ما يطلب «مشتمل على جميع تعاليق الإمام محمد بن تومرت مما أملاه على أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على ص ٢٥٨.

(٣) المراكشى: المعجب ص ١٧٨ وما بعدها طبعة سنة ١٩٤٩.

(٤) المراكشى: المصدر السابق: ص ٢٥٥ طبعة سنة ١٩٦٣ م انظر: النوبرى نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٢٧٧، ص ٢٨٦ حسين نصار، Budget: the Moorish Empire, P. 165.

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر، البيذق، أخبار المهدى ابن تومرت الرباط سنة ١٩٧١ ص ٣٥ وطبعة =

خلف ابن تومرت عبد المؤمن بن على[١]، فواصل تضييق الخناق على الدولة المرابطية، وتمكن من فتح وهران وتلمسان عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م وسقطت مدينة فاس فى أيدى الموحدين[٢] عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م وبعد سقوط فاس أخذت القبائل تتوافد عليه كما أن عدداً من المدن بعثت إليه بولاتها كمدينة سبتة[٣] بعد ذلك ضيق الموحدون الحصار على مراكش الذى استمر تسعة أشهر وكان أمير المرابطين المعاصر لهذه الأحداث هو إسحاق بن على بن يوسف بن تاشفين، ولما أرهقهم الحصار برزوا لمدافعة الموحدين فانهزم المرابطون فتبعهم الموحدون واقتحموا عليهم المدينة واعتصم إسحاق وأعيان قومه فى القصبة ونزلوا على حكم الموحدين الذين حكموا على إسحاق بالموت[٤] وبذا

= ليفى برفنسال ١٩٢٨ وباديس ص ٧٤، ص ٨٣، ابن القطان: نظم الجمان: ص ١١٨، ص ١١٩، ص ١٢٠، ص ١٢٢، ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٨٦ تحقيق إحسان عباس، النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص٢٨٧، ص ٢٨٨، المراكشى: المعجب ص ١٩٢، ص ١٩٣، ص ١٩٤، طبعة سنة ١٩٤٩، ابن الخطيب: أعمال الأعلام القسم الثالث ص٢٧٠، مجهول: الحلل الموشية: ص ١١٠ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس: عصر المرابطين والموحدين، القسم الأول ص ١٩٠ طبعة سنة ١٩٦٤، السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص ٧٩، عبد الله علام: الدعوة الموحدية: ص ٢٠٤.

(١) هو الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على الكومى (٥٢٤ هـ ـ ٥٥٨ هـ) والكومى نسبه إلى كومية أو كومة قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان، وأمه حرة كومية أيضا، وكان والد عبد المؤمن صانعا فى عمل الطين يعمل منه الأوانى والجرار فيبيعها، وذلك كل مرتزقة، ثم كان من أمر ابنه عبد المؤمن ما كان، انظر المركشى المعجب: ص ٢٦٥، ص ٢٦٩، هامش (١) هامش (٢) لمزيد من التفاصيل: انظر البيذق أخبار المهدى ص ٢١، ص ٢٢ ط ٢، ١٩٢٨ باريس، المراكشى المعجب ط ١ سنة ١٩٤٩، ص ١٩٦، ١٩٧ النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٢ مخطوط مجلد ٢ ص ٨٤، المنشور جـ ٢٤ ـ ص ٢٨٩، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس: ص ١٨٧ وما بعدها طبعة دار المنصور.

(٢) ابن أبى زرع: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) الناصرى (السلاوى): الاستقصا فى أخبار دول المغرب الأقصى جـ ٢ ص ٩٧ الدار البيضاء، سنة ١٩٥٤ سنة ١٣٧٤.

(٤) السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ٩٧، ص ٩٨، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤، ص ١٠٨، ابن دحية: عمر بن الشيخ الإمام أبى على (٦٢٣ هـ) المطرب فى أشعار أهل المغرب ط ١ الخرطوم سنة ١٩٥٤ ص ٣١ يذكر النويرى أن الحصار دام أحد عشر شهرا، النويرى: المصدر السابق جـ ٢٤ ص ٢٩٦، البيذق: أخبار المهدى: ص ٨٤ وما بعدها.

تكون دولة المرابطين قد سقطت نهائيًا فى المغرب ولكنها ظلت باقية بعض الوقت فى الأندلس.

فعلى الرغم من أن أرض المغرب قد زلزلت تحت أقدامهم إلا أنها لم تسقط بصورة حاسمة، فيحيى بن غانية عامل الأندلس من قبل المرابطين حاول استرجاع المغرب رغم اشتعال الأندلس بالثورات التى كان عليه مواجهتها[١].

وكان السبب الظاهرى لدخول الموحدين الأندلس هو مساعدة ابن قسى[٢] الثائر على المرابطين، ولكنهم فى الحقيقة كانت لهم أهداف أخرى وهى القضاء على الكيان المرابطى المتمثل فى يحيى بن غانية حيث كان يشكل خطرًا على الموحدين فى المغرب، وذلك لتأييده للثورات التى أخذت تنشب ضد الموحدين هناك[٣]، هذا بالإضافة إلى أن نصارى أسبانيا أخذوا يوجهون ضرباتهم نحو المدن الأندلسية ويستولون عليها تباعًا، يقول النويرى «وورد عليه ـ أى عبد المؤمن بن على ـ جماعة من أعيان الأندلس منهم أبو جعفر ابن أحمد محمد بن حمدين[٤] ومعهم مكتوب يتضمن بيعة أهل الأندلس لعبد المؤمن ودخولهم

(١) عنان: دولة الإسلام فى الأندلس: ص ٢٧٣.

(٢) «وهى ثانى ثورة اشتعلت فى الأندلس ضد المرابطين بعد ثورة قرطبة سنة ٥١٥ هـ وكان يتزعمها شيخ من كبار الصوفية لذا تسمى أحيانا «ثورة المريدين» وزعيم هذه الثورة يدعى أبا القاسم أحمد ابن الحسن بن قسى، وكان ابن قسى هذا يحظى بمكانة مرموقة بين الصوفية وكثر أتباعه بغرب الأندلس والذين عرضوا بالمرية وله مؤلفات منها كتاب «خلع النعلين» وكثر أتباعه بمنطقة غرب الأندلس لا سيما شلب ولبلة ومرتلة، وكانوا يعقدون الحلقات يتدارسون فيها كتب: التصوف وموضوعات الغلاة من الباطنية، كما كلفوا برسائل أخوان الصفا وما شابه ذلك من المباحث» ابن الخطيب: أعمال الأعلام، تاريخ أسبانيا الإسلامية، بيروت، دار الكشوف، الطبعة الثانية ١٩٥٦، تحقيق بروفنسال: ص ٢٤٩.

(٣) ابن خلدون: العبر جـ ٦ ص ٢٣٣ طبعة بولاق ١٢٨٤ هـ ص ٢٣٣ عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، عصر المرابطين ص ٢٧٣.

(٤) «وهو أحمد بن محمد بن أحمد التغلبى، دخل جدهم الأندلس ونزل باغة، ولى ابن حمدين قضاء قرطبة بعد أخيه سنة ٥٢٩ / ١١٣٤ م وظل يمارس القضاء حتى سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م وفى سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م عصفت فى قرطبة رياح الثورة، إذ ثار العامة ضد الوالى المرابطى أبى عمر اللمتونى، وبايعوا ابن حمدين: أميرًا مستقلاً عليهم وتمت البيعتان الخاصة والعامة بالمسجد الجامع بقرطبة فى الخامس من شهر رمضان ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م أعلن ابن حمدين عن قيام حكومة فى قرطبة مستقلة عن أى سلطة وذلك عندما نزل قصر الخلافة وتلقب أمير المسلمين وناصر الدين» انظر ابن الخطيب: أعمال الأعلام القسم الثالث ص ٢٥٢ ـ ص ٢٥٣.

في زمرة أصحابه الموحـدين والتزامهم لطاعته، وإقامتهم لأمـره في بلادهم وجميع أسماء القوم الذين بايعوه مثبتة في المكتوب، فـقبل عبد المؤمن طاعتهم، وشكر هجرتهم وطيب قلوبهم، فطلبوا منه النصرة على الفرنج فإن ا لفرنج كانوا قد ملكوا بلاد المسلمين»[١] هذا ولم يسارع عـبد المؤمـن بن على إلى إرسال الجيـوش الموحديـة إلى الأندلس فور اندلاع الثورة هناك (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) بل آثر تصـفية حكم المـرابطين نهائيًا في المغـرب، وكان وهو يراقب الثـورات الأندلسيـة يتأهب للتـدخل في الأندلس ومن بين اسـتعـداداته لذلك الاستيلاء على سبتة وطنجة[٢]، لفتح الطريق أمام جيوشه إلى الأندلس، فجهز عبد المؤمن جيشا كثيفًا وجعل على مقدمته أبا عمر صالح من أية الخمسين[٣].

وقبيل تدفق الجـيوش الموحدية على الأندلس، انضم إلى الجـيش الموحدى أسطول المرابطين بقيادة «على بن عيسى بن ميمون»[٤] فعبروا إلى الأندلس ودخل الأسطول مدينة أشبيلية عن طريق البحر وحاصروها[٥] ولم يطل أمد الحصار إذ سقطت المدينة وفر من بها من المرابطين إلى قرمونة وذلك في شعبان سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م[٦].

(١) النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٠٠.

(٢) عبـد الله علام: الدعوة الموحـدية بالمغرب، القـاهرة سنة ١٩٦٨ نشر دار المعارف بمـصر، «عن استسلام سبتة وطنجة لعبـد المؤمن بن على» انظر البيذق: أخبار المهدى ابن تومرت: ص ١٠٧، ص ١٠٨، نشر بروفنسال سنة ١٩٢٨ م ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: طبع أوبسالة ١٩٤٣ م.

(٣) النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٠٠ «امـتاز نظام الموحدين منذ ظهور المـهدى، بارتكازه على (وحدات) معينة، تأخذ كل منها ترتيبًـا خاصًا، والظاهر أن هذه الطبقات تزايدت وتنوعت بحسب الحاجة والزمن، وقـد تعرضت جل مصادر التـاريخ الموحدى لهذه الأصناف بمـا في ذلك كتاب البيذق، المعجب للمراكشي والقرطاس ونظم الجمان، وكتاب العبر والحلل الموشية ورقم المحلل إلى آخر، إلا أن هذه المصادر تختلف قليلاً حول الترتيب المعروف لهذه الفئات وعددها ونوعها: فالبيذق مثـلاً يكتفى بذكر (أهل الدار): دار المهدى، وأهل الخمسين الذيـن هم في عداد صحابته الأولين من أهل القبائل التى سارعت إلى الاستجابة لدعوته هرغة وتنيمل وهنتاتة، كما يذكر عبيد المخزن والحفاظ وأهل الحرب، بينما تولى المراكشي: الحديث عن (العشرة) الذين يسمون بأهل الجمـاعة ثم طبقـة أهل الخمسيـن الذين يسميهـم ابن خلدون ايت الخمسـين، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمـامة على المستضـعفين بأن جعلهم الله أئمـة وجعلهم الوارثين، تحقـيق عبد الهادى التازى: طبعة سنة ١٩٧٩ م الجمهورية العراقية ص ١١٢ ـ ص ١١٣ هامش رقم ٥.

(٤) النويرى: المصدر السابق: جـ ٢٤ نفس الصفحة.

(٥) النويرى: نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٦) السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ١٠٥، النويرى نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٠١.

هذا ويلاحظ أنه لم يحدث حتى ذلك الوقت صدام عسكرى مباشر بين الموحدين وقوات المرابطين، فقد تمكن الموحدون من التوسع فى غرب الأندلس بينما انسحب يحيى ابن غانية من الميدان الغربى بعد وصول الموحدين إلى أشبيلية واندلاع ثورة ابن حمدين فى قرطبة[1] فرحل إلى قرطبة لاستعادتها من ابن حمدين، ودخل فى صراع مرير مع الثائر ابن حمدين انتهى بانتصار ابن غانية واستيلائه على قرطبة وذلك بعد أن تخلى النصارى عن مؤازرة ابن حمدين، وذلك لأنهم لما رأوا تقدم الجيوش الموحدية فى غرب الأندلس بدءوا بملاطفة يحيى بن غانية ومهادنته ليكون حاجزا بينهم وبين الموحدين، واستمر ابن غانية يصانع النصارى، ولكن ملك قشتالة اشتط فى مطالبه، فلم يكتف بتنازل ابن غانية عن بياسة وآبذة، بل طالبه بالتخلى عن جيان، أو مضاعفة الجزية، وقد شعر ابن غانية بالمهانة من ضغوط النصارى فعقد العزم على تسليم قرطبة وقرمونة للموحدين، واتصل براز بن محمد المسوفى وعرض عليه تسليم قرطبة وقرمونة فقبل ذلك وجاءه كتاب الأمان من عبد المؤمن بن على ثم رحل ابن غانية إلى غرناطة (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م)[2].

ورحل يحيى بن غانية إلى غرناطة وهى آخر ما بقى للمرابطين من القواعد فى الأندلس وكان واليها هو ميمون بن بدر اللمتونى وقد قصده جماعة من قادة المرابطين، ويذكر ابن أبى زرع أن يحيى بن غانية بعد أن سلم قرطبة وقرمونة للموحدين كان يرمى إلى

(١) «هو أحمد بن محمد بن أحمد التغلبى» دخل جدهم الأندلس ونزل باغة ولى أحمد بن حمدين قضاء قرطبة بعد أخيه سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م وظل يمارس القضاء وحتى سنة ٥٣٢ / ١١٣٧ م عصفت فى قرطبة رياح الثورة إذ ثار العامة ضد الوالى المرابطى ابى عمر اللمتونى، وبايعوا ابن حمدين أميراً مستقلاً عليهم وتمت البيعتان، الخاصة والعامة بالمسجد الجامع بقرطبة فى الخامس من شهر رمضان سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م وأعلن ابن حمدين عن قيام حكومة فى قرطبة مستقلة عن أى سلطة وذلك عندما نزل قصر الخلافة وتلقب أمير المسلمين وناصر الدين «انظر ابن الخطيب: أعمال الأعلام: قسم ٣ ص ٢٥٢ ـ ص ٢٥٤، عن ثورة ابن حمدين بقرطبة وصراعه مع ابن غانية انظر ابن الخطيب: الإحاطة فى ترجمة لابن غانية (مخطوط الاسكوريال لوحة ١٣٩٢، ابن الخطيب: أعمال ص ٢٥٤، الضبى: بغية الملتمس ص ٢٦١ ,F. Codera
Decadenciay Disparicion de los Aimoravides P. 61,

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٩١ الرباط سنة ١٩٧٢، الناصرى السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ـ ١٠٥، ص ١٠٦.

تسليم غرناطة أيضاً[١]، ومعنى ذلك أنه دخل فى طاعة الموحدين وانضوى تحت لوائهم، وهذا ابن الخطيب يؤكد ثبات يحيى بن غانية على ولائه للمرابطين بل ونصحه قومه بالمحافظة على غرناطة، ويضيف أن يحيى بن غانية كان يقول فى مرض موته «الأندلس درقة وغرناطة قبضتها، فإذا جشمتم يا معشر المرابطين القبضة لم تخرج الدرقة من أيديكم»[٢] وعلى كل سواء أبقى يحيى بن غانية على ولائه للمرابطين أم أنه أعلن ولاءه للموحدين، فقد مات بعد شهرين من دخوله غرناطة، وذلك فى الرابع والعشرين من شعبان سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م[٣]، ولم يبق للمرابطين سوى غرناطة وقد ظل قائد المرابطين يدافع عنها نحو سبع سنوات، لكن لما رأى الاستمرار فى حكم المدينة وجموع الموحدين تحيط به من كل ناحية وأن عناده قد يعرض المرابطين بها للفناء بعث إلى عبد المؤمن بن على يعرض عليه تسليم المدينة مقابل الأمان لنفسه وقومه[٤]، فاستجاب عبد المؤمن بن على وبعث ابنه أبا سعيد حاكم سبتة والجزيرة الخضراء لتسليم المدينة[٥]، يقول النويرى «وفى سنة اثنين وخمسين وخمسمائة، كاتب ميمون بن بدر صاحب غرناطة أبا سعيد بن عبد المؤمن صاحب مالقة والجزيرة الخضراء وسبتة أن يسلم إليه غرناطة، فتسلمها منه وسار إلى مالقة بأهله وولده، فسيره أبو سعيد إلى مراكش، فأقبل عليه عبد المؤمن وأكرمه[٦].

وتلا استيلاء الموحدين على غرناطة، استيلاؤهم على المرية[٧]، وكان النصارى قد

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٩١، ابن خلدون: جـ ٦ ص ١٩٠، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٣٤٦.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ٩٧.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: مخطوط الاسكوريال لوحة ٣٩٢.

(٤) النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٠٩.

(٥) عنان: دولة الإسلام: فى الأندلس (عصر المرابطين القسم الأول) ص ٣٤٥.

(٦) النويرى: نهاية الأرب: جـ ٢٤ ص ٣٠٩.

(٧) منذ الزلاقة كانت المرية: مركز التجارة الأساسى فى الأندلس وبلغت فنادقها أيام المرابطين ٩٧٠ فندقًا وقد ساعد على هذا الازدهار التجارى أنها كانت مركزاً للأسطول المرابطى، ومنذ خربها الروم فى فترة الانتقال قلت أهميتها فى أوائل العصر الموحدى عن تجارتها وازدهارها انظر الإدريسى: نزهة المشتاق: (ط٠د) ص ١٩٨، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٤، المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٦٣، جـ٣ ص ٢٢٠، ص ٥٧١ طبعة بيروت، وعن تخريب الروم =

انتهـزوا فرصة الاضطراب الـشامل الذى ساد الأندلس، عـقب انهيار سلطـان المرابطين، وجهزوا حمـلة صليبية برية وبحرية، اشتـركت فيها ممالك أسـبانيا النصرانية قشـتالة ونافار (نبرة) وأراجون وقطلونية، ومعهـا مطوعة من جنوة وبيزة وبعض حشود من وراء البرانس للاستيلاء على ثغر المرية، وحاصروا المرية بـرًا وبحرًا نحو ثلاثة أشهر، استولوا عليها فى شهر أكتوبر سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م[١] وكان الموحدون قد عبروا إلى الأندلس واستقروا فى قرطبـة يتوقون إلى اسـترداد هذا الثغـر الإسلامى العظيم، لأن وجـود النصارى فيـه يهدد مواصـلاتهم البحرية شرق بحـر الزقاق[٢]، فلمـا تم استـيلاؤهم على غـرناطة شعـروا بأن الفرصـة قد سنحت لتحقـيق هذا المشروع، يقـول النويرى «ولما ملك أبو سعيـد أغرناطة جمع الجيوش وسلم إليه مدينة المرية وهى بـيد الفرنج، وكانوا قد أخذوها فى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ـ فنازلها وحاصـرها برًا وبحرًا ونزل عسكره على الجبل المشرف عليها، وبنى سورها على الجبل إلى البحر وعمل عليها خندقًا، فصارت المدينة والحصن الذى فيه الفرنج مـحصورين بهـذا السور والجـبل لا يمكن أن يصل إليها من يجـندها، وجمع ملك الفـرنج بالأندلس الجيـوش وجـاء إليهـا فلم يتمكن مـنها ورجع ومـات قبل وصـوله إلى طليطلة، وتمـادى الحصار على المـرية ثلاثة أشهر، فـقلت الأقوات عن الفـرنج، فطلبوا الأمان، فأمنهم أبو سعيد وتسلم الحصن ورحلوا فى البحر عائدين إلى بلادهم.

وكانت مدة ملكهم المـرية عشر سنين[٣] وباستيلاء المـرابطين ومن بعدهم الموحدين

= لهـا انظر، ابـن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ١١ ص ٢٢٣ طبعة دار صادر بيروت، المراكشى: المعجب: ص ٢١٠، ص ٢١١ طبعة سنة ١٩٤٩ م ابن خلكان وفيات الأعيان: جـ ٣ ص ١٠٧، تحقيق إحسان عباس بيروت دار الثـقافة سنة ١٩٧٠، سنة ١٩٧٢، المقرى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٤٦١ طبعة بيروت، وابن عذارى: البيان المـغرب: جـ ٢ (القسم الموحدى) تحقيق هويتى ميران، ومـحمد بن تاويت، إبراهيم الكتـانى، معهد مـولاى الحسن ١٩٦٠ ص ٣٣، الإدريسى: المصدر السابق: ص ١٩٨.

(١) ابن الأثير: الكامل جـ ١١ ص ٢٢٣، المراكـشى: المعجب، ص ٢١٠، ص ٢١١، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٣، ص ١٠٧، ابن عذارى: البيان المغرب: قسم ٣ ص ٣٣، ص ٣٤.

(٢) عنان: دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين، ص ٣٤٦.

(٣) النويرى: نهاية الأرب ص ٣٠٩ ـ ص ٣١٠ «تذكـر الرواية النصرانية أنه نشـبت خلال ذلك بين الموحدين والنصارى موقعة عنيفة، فقد فيها الموحدون كثيرًا من جندهم» انظر.

La Fuente: Historia genenal de Espana (E.d. 1891).

على بلاد الأندلس كما سبق أن ذكرنا أصبحت بلاد الأندلس ولاية مرابطية ثم موحدية تتبع حكومة المرابطين ومن بعدهم الموحـدين فى بلاد المغرب، إذ بادر المرابطون وخلفاؤهم بإرسال نائب عنهم بها كـما أرسلوا عمالاً لأقاليم الأندلس المختـلفة، ومن ثم شهدت بلاد الأندلس تقسيما إداريًا مختلفًا استمر طوال حكم المرابطين ثم الموحدين من بعدهم، فكان ينوب عن أمير المسلمين فى حكم الأندلس أمير من الأسرة الحاكمة أو من لمتونة عامة[١]، ومن هؤلاء النواب على بن يوسف وتاشفين بن على وإبراهيم بن تاشفين وسير بن أبى بكر وأبو الطاهر تميم بن يوسف وعبد الله ابن فاطمة وعبد الله بن مزدلى[٢].

ويبدو أن الوظيفة الأساسية للنائب العام فى الأندلس هى قيادة الجيوش الإسلامية لأننا رأينا سيـر ابن أبى بكر الذى أنابه يوسف بن تاشفين هـو الذى استنزل ملوك الطوائف[٣]، وكذلك بالنسبة لتميم بن يوسف الذى كان قائدًا للجيوش الإسلامية من سنة ٥١٥هـ- ٥٢١ ـ (١١٢١م ـ ١١٢٦م) الذى انتصـر فى معـركة أقليش وكانت غـرناطة قاعـدة لغزواته[٤]، وكذلك تاشفـين بن على الذى تولى حكم الأندلس من سنة ٥٢٠هـ ـ ٥٣٢[٥] (١١٢٦م ـ ١١٣٧م) لم تكد تمر عليـه سنة من غير شن غزوة أو رد غـارة فهو فى جهـاد متواصل مع الممالك النصرانية[٦].

أما عن علاقة النائب العام بعمال الأقاليم فلا تذكر المصادر التاريخية شيئًا يكفى لمعرفة طبيعة هذه العلاقـة، ويبدو أن عمال الإقليم كانوا يتصلون بأمير المسلميـن مباشرة فى أكثر الأحيان، فإذا كانت هناك غـزوة مهمة أوكل أمير المسلمين أمـرها إلى أحد هؤلاء العمال، فيصبح بـمثابة نائب عام أو قائدًا للجيش ثم يتـصل أمير المسلمين بعمـال الأقاليم ويأمرهم

---

(١) يذكر ابن خلدون أن يوسف بن تاشفين قسم المغـرب على بنيه وقومه وذويه « ابن خلدون: العبر جـ ٦ ص ١٨٥، ص ١٨٦ عن ذلك انظر أيضًا مجهول: الحلل الموشية: ص ٣٣.

(٢) عن هؤلاء النواب انظر ابن عـذارى: البيان المـغرب: ص ٥٥، ص ٥٧، ص ٥٨، ص ٥٩، ص ٦١، ص ٦٤، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٦٢.

(٣) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٥٤ الرباط سنة ١٩٧٢ م.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤، ص ٤٩، ص ٥٠.

(٥) ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ١٦٤.

(٦) السلاوى: الاستقصا: جـ٢ ص ٦١.

بالانضواء تحت لواء قـائد الجيش[١] إلا أن هناك فـتـرات ذكرت بعض المـصـادر أنه ولى الأندلس نائب عام عن أمـير المسلمـين، فهذه الفـترة الممـتدة من ٥١٥هـ ـ ٥٢٠هـ تولى تمـيم بن يوسف، والفـتـرة من سنة ٥٢٠هـ ـ سنة ٥٣٢هـ[٢] تولى فيهـا تاشفين بن على وكانت سلطة النائب العام سياسية عسكرية تكاد تكون مطلقة، تتضح هذه السلطة من وثيقة عبارة عن رسالة من أمير المسلمين على بن يـوسف إلى رعيته الأندلسيين، فهى تلقى مزيدًا من الضوء على نظام الحكم فى الأندلس فى عهد المرابطين وتشـير إلى أنه يميل كثيرًا إلى اللامركزية، فـأمير المسلميـن يقول عن واليه «وهو النائب عنا فى تدبيركم وإقـامة أموركم وسياسة صـغيركم وكبيركم، ليس لأحد معـه فى شىء من ذلك يد. . . قد فوضنا فى ذلك كله. . . وهو بلساننا متكلم وعمـا فى ضميرنا مترجم وفى قالب رأينا مـفرغ. . . ما أمضاه أمضيناه وما وقفه وقفناه[٣]. . . ورسالة أخـرى بعث بها على بن يوسف إلـى بعض رعاياه الأندلسيـين فيها وصـايا للشعب، وتعطى صورة واضـحة للسلطات الممنوحـة للنائب العام وعباراتها قريبـة من الرسالة السابقة: «وهو النائب عنا فى تدبيركم وإقامـة أموركم وسياسة صغيركم وكبيركم، وليس لأحد معـه فى ذلك يد ولا مصدر ولا مورد ولا مقام ولا مقعد، قـد فـوضنا فى ذلك كلـه وأفـردناه النظر، فـى دقـة وجلة وكـثـرة وقلة وحكـمناه فى جـميـعكم. . . ولا نرى فى أحـد منكم إلا مـا يراه، ولا نتولاه ـ كـائنا من كـان ـ إلا أن يتولاه»[٤].

وهكذا نرى أن المـرابطين قد منحـوا نائبهـم على الأندلس سلطة واسعـة ليست لـها حدود، وقد قارب الحقـيقة حسن أحمد محمود حـين قال: لقد درج المرابطون على نوع

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٦٣.

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٦٤.

(٣) محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة فى عصر المرابطين، صـحيفة معهد الدراسات الإسلامية مـدريد، المجلـد السابع، العـدد: ١ ـ٢، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م ص ١٩٧٥، انظر نص الرسـالة بالكامل فى قسم الملاحق، لم تحدد هذه الوثيقة ـ السنة التـى كتب فيها ولا الوالى المذكور ولكن يمكن تحـديد تاريخ الوثيـقة حـيث تولى على بن يوسف وبين تاريخ وفـاة كاتب الرسـالة، ابن القصيرة ٥٠٥ هـ ـ ٥٠٨ هـ.

(٤) مـحمـود على مكى: وثائق تاريخـيـة جديدة ص ١٧٦، انظـر نص الوثيقـة بالكامل فى مـلاحق الرسالة.

من الحكم الإقطاعى حيث يتـولى أمير من الأمراء على إقليم يكون له مطلق التصـرف فيه على أن لا ينازع صاحب السيـادة حقه وأن يلتزم بالخضـوع والتبعية للحكومـة المركزية فى المغرب[١].

وكان النائب العـام يتخذ من قـرطبة أو أشبـيلية أو غرناطة مـقرّا له[٢] ويعلل الدكتور حسين مؤنس ذلك بقوله «بالـنسبة لقرطبة فإنها كانت عاصـمة الأندلس وواسطة عقد البلاد أما غرناطة فهى أوفق للمرابطين لأن معظم أهلهـا من بربر أفريقية، ثم أنها أقرب إلى شرق الأندلس وإلى أفريقية مركز الإمداد والتموين[٣].

وكـانت الأندلس أيام المرابطين تـضم ست مقـاطعات: هى أشـبيليـة[٤] وغرناطة[٥] وقرطبة[٦] وبلنسية[٧] وسرقسطة[٨] ومرسية[٩] وقد تولى على قرطبة أبو عـبد الله محمد بن الحاج إلى سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م وأبو عبـد الله محمد بن أبى زنفى، وأبو محمـد تاشفين ابن سليمان وأبو محمد مزدلى بن سلكان، من سنة ٥٠٥هـ (١١١١م) إلى ٥٠٨ (١١١٤) ومحـمد بن مزدلى ٥٠٨هـ (١١١٤م) إلى ٥٠٩هـ (١١١٥م) وأبو عـبد الله بن نونان وأبو زكريا يحيى بن تاشفين من سنة ٥٠٩هـ/ (١١١٥م) وأبو عبد الله المعروف بابن عواد وأبو محمد عبد الله بن جنونة[١٠].

---

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٢٨٧.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤، ص ٤٨، ص ٤٩، وما بعدها.

(٣) حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلس فى عصر الـمرابطين مجلة كلية الآداب ـ جامعة فؤاد الاول (جامعة القاهرة) مجلد ١١ جـ ٢ سنة ١٩٤٩ م ص ٣٥١.

(٤) ابن عذارى: البيـان المغرب: جـ ٤ ص ٤٨، ص ٦١، ص ٨١، ص ١٠٥، ابن القطان: نظم الجمان ص ٨، ص ٩، ص ١٢، ص ٢٢، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٦٠، ص ١٦٣، امبروسيو هويسى ميراندا: على بن يوسف وأعماله فى الأندلس ص ١٦٧.

(٥) مجهول: نبذه تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى منتخبة من كتاب مفاخر البربر تحقيق ليـفى بروفنسال المطبـعة الـجديدة رباط الفـتح سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م ص ٨١، ص ٢٨ ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤، ص ٤٨ وما بعدها، مجهول: المصدر السابق: ص ٨١.

(٦) مجهول: نفس المصدر: ص ٨٢.

(٧) مجهول نفس المصدر ص ٨٢.

(٨) مجهول: نفس المصدر والصفحة: ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٦٢.

(٩) مجهول: نفس المصدر: ص ٨٢.

(١٠) مجهول: نبذة تاريخية (مفاخر البربر) ص ٨١.

أما غرناطة فقد تولى عليها أبو محمد عبد العزيز بن يليمان ويحيى بن واسينو والأمير مزدلى بن سلنكان من ٥٠٥هـ[١] (١١١١م) إلى ٥٠٨هـ (١١١٤م)[٢] وأبو بكر على بن يوسف، وتاشفين بن على بن يوسف[٣] والزبير بن عمر وسيرين الحاج[٤]، أما المرية، فقد تولاها أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين، وإبراهيم بن عائشة وأبو بكر بن تيفوليت وأبو عبد الله بن ينيتان بن على وأبو عبد الله بدر بن ورقاء وإبراهيم تاعيشت، وأبو زكريا يحيى بن غانية[٥] من (٥١١هـ/ ١١١٧م إلى ٥٣٨هـ ١١٤٣م) أما سرقسطة فقد تولاها أبو عبد الله محمد بن الحاج من (٥٠٢هـ/ ١١٠٨م إلى ٥٠٩هـ ١١١٥م) وأبو بكر بن إبراهيم بن تيفلويت[٦] وعبد الله بن مزدلى[٧] من ٥١١هـ/ ١١١٧م إلى (٥١٢هـ/ ١١١٨م) أما بلنسية فقد تولى عليها مزدلى بن سلنكان إلى (٤٩٧هـ/ ١١٠٣م) وعبد الله ابن فاطمة من (٤٩٧هـ/ ١١٠٣م إلى ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م)[٨] وعبد بن الحاج من (٥٠٣هـ/ ١١٠٩م)[٩] وأبو بكر بن تيفوليت وأبو الطاهر تميم بن يوسف وإبراهيم بن تاعشيت وأبو زكريا يحيى بن تاسورة وبدر بن ورقاء، وأبو يعقوب بن ينتان بن على من (٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) وأبو زكريا يحيى بن على[١٠] من (٥٢٤هـ/ ١١٢٩م/ ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) أما أشبيلية فقد وليها سير بن أبى بكر من (٤٨٤هـ[١١]/ ١١١٣م إلى ٥٠٨هـ/ ١١١٣م)[١٢] ويحيى بن سير بن أبى بكر من (٥٠٧هـ/ ١١٣م إلى ٥٠٨هـ/ ١١١٤م)

(١) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٥٦.

(٢) ابن عذارى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٦٠ «كان أبو محمد مزدلى بن سلنكان من أكابر المرابطين وهو ابن عم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وله جهود كبيرة فى الدور الأول من التاريخ المرابطى» انظر ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤ ص ٦٠ هامش رقم ١.

(٣) ابن عذارى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٧٩.

(٤) مجهول: المصدر السابق: ص ٨٢.

(٥) مجهول: نبذة تاريخية (مفاخر البربر) ص ٨٢.

(٦) مجهول: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٧) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٦٢.

(٨) ابن عذارى: البيان المغرب: ص ٤٢، ص ٥٤.

(٩) ابن عذارى: المصدر السابق ص ٢٨.

(١٠) مجهول: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(١١) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٥٦.

(١٢) مجهول: الحلل الموشية: من ص ٧٣ - ص ٧٥.

وعبد الله ابن فاطمة من (٥٠٩هـ/ ١١١٥م إلى ٥١١هـ/ ١١١٤م) وعبد الله ابن فاطمة من ٥٠٩هـ/ ١١١٥م إلى ٥١١هـ/ ١١١٧م[١] وإبراهيم بن يوسف من (٥١١هـ/ ١١١٧م إلى ٥١٦هـ/ ١١٢٢م) ثم وليها الأمير تميم بن يوسف[٢] من (٥١٦هـ/ ١١٢٢م إلى ٥١٧هـ/ ١١٢٣م) ثم الأمير أبو بكر على بن يوسف (٥١٨هـ/ ١١٢٤م إلى ٥٢٢هـ/ ١٨٢٨م)[٣] ثم وليها على التوالى عمر بن سير من (٥٢٢هـ/ ١١٢٨م) من شعبان إلى ذى الحجة ثم ابن مقوز (٥٢٣هـ/ ١١٢٨م إلى ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م إلى ٥٢٦هـ/ ١١٣١م) ثم وليها عبد الله بن أبى بكر بن تاشفين (٥٢٦هـ/ ١١٣١م إلى ٥٢٧هـ/ ١١٣٢م) ثم ينتان بن على (٥٢٧هـ/ ١١٣٢م إلى ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) ثم أبو زكريا يحيى بن إسحاق (٥٢٩هـ/ ١١٣٤ إلى ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) وأخيرا أبو زكريا بن مزدلى (٥٣٩/ ١١١٤م إلى ٥٤١هـ ١١٤٦م) وهى السنة التى سقطت فيها المدينة فى أيدى الموحدين[٤].

هذا ويلاحظ على ولاة وعمال المرابطين فى الأندلس عدم بقائهم فى مراكزهم فترات طويلة، فقد شملتهم السياسة المرابطية المتبعة لدى أمراء المسلمين، وهى نقل أو عزل الولاة على فترات متقاربة، أما سياسة نقل الوالى من إقليم إلى آخر فهى تلاحظ بكثرة ووضوح فى جميع أقاليم الدولة، ولعل هذه السياسة توحى بخوف أمراء المسلمين من استبداد الولاة بأقاليمهم والانفصال عن الحكومة المركزية فها هو الأمير أبو محمد مزدلى ابن سلنكان ترجون ابن عم يوسف بن تاشفين وأحد كبار قواده يتقلب فى مختلف مناصب القيادة والولاية فى الأندلس مثل ولايات غرناطة وقرطبة والمرية[٥] وكذلك أبو محمد عبد الله ابن فاطمة يتولى ولاية بلنسية سنة ٤٩٧هـ (١١٠٤م) وفى سنة ٥٠٣هـ (١١١٠م) نقل إلى غرناطة ولم يمكث فى غرناطة أكثر من عام نقل بعدها عاملاً على فاس بالمغرب سنة

(١) ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٦.
(٢) ابن عذارى: نفس المصدر جـ ٤ ص ٦٧.
(٣) ابن عذارى: نفس المصدر جـ ٤ ص ٦٧.
(٤) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ١٠٥ «حاولت أن أحدد بداية ونهاية فترة كل والٍ من ولاة الأندلس، ولكن المصادر التاريخية لم تسعفنى إلا بالنذر القليل عثرت عليه فى ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤ ص ٤٢، ص ٤٨، ص ٤٩، ص ٥٤، ص ٥٦، ص ٦٠، ص ٦٢، ص ٦٧، ص ٧٩، ص ١٠٥.
(٥) ابن الكردبوس: الاكتفاء فى أخبار الخلفاء: تحقيق أحمد مختار العبادى ص ١٠٩ تعليق ٤ معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٩٧١ م.

٥٠٤هـ (١١١٠م) ثم عاد إلى الأندلس عاملاً على أشبيلية[١] وذلك فى سنة ٥٠٩ هـ (١١١٥م) واستمر فى حكمها حتى توفى سنة ٥١١هـ (١١١٧م)[٢] أما الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين فقد تولى حكم غرناطة سنة ٥٠٠هـ (١١٠٦م) من بعد ثلاث سنوات (٥٠٣هـ/ ١١٠٩م) نقل إلى تلمسان بالمغرب الأوسط ثم عاد إلى الأندلس واليًا على غرناطة (٥١٥هـ/ ١١١٦م) وفى عام ٥١٦هـ (١٠٢٢م) نقل إلى أشبيلية فاستمر فى حكمها سنة وبضعة أشهر ثم نقل عاملاً على قرطبة وغرناطة[٣]، هذا وقد كانت البلاد الأندلسية تعتبر خلال العصر الموحدى، مثلما كانت عليه فى العهد المرابطى قطرًا من أقطار الدولة الموحدية، وكانت تنقسم إلى عدة ولايات أو عمالات: هى ولاية الغرب (شلبى وأحوازها[٤] بالإضافة إلى شنترين وأشبيلية وأحوازها[٥] وقرطبة وأحوازها[٦] وجيان[٧] وأحوازها وغرناطة وأحوازها وتشتمل على وادى آش وبسطة والمنكب، والمرية وأحوازها[٨] وبلنسية والجزيرة[٩] والجزائر الشرقية قبل أن يستقل بها بنو غانية[١٠] ومرسية وأعمالها[١١].

---

(١) ابن الكردبوس: المصدر السابق ص ١١٢ تعليق ٢.

(٢) ابن القطان: نظم الجمان ص ٨ تعليق ٢.

(٣) ابن الكردبوس: المصدر السابق: ص١١٤ تعليق ١ ابن القطان: نظم الجمان ص ٩ تعليق (١).

(٤) ابن ابى زرع: الأنيس المطرب: طبعة أوبسالة ص ١٩٥، ص ١٩٨، ص ٢١٤، انظر عنان: دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين والموحدين قسم ٢ ص ٦٤١.

(٥) ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة: ص ٣٠١، ص ٣٠٤، تحقيق عبد الهادى التازى الجمهورية العراقية (سلسلة كتب التراث) سنة ١٩٧٩، النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٠١، السلاوى: الاستقصا جـ٢ ص ١٣١ «كان فتح أشبيلية وأحوازها وقرطبة وغرناطة على يد الشيخ أبى حفص عمر من أهل جماعة (الخمسين) انظر المراكشى: المعجب: ص ٢٦٢، ص ٢٨٢، ص ٢٩٣.

(٦) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ص ٣٠٣، ابن ابى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٩١، المراكشى: المعجب: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٧) النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٠٠، تحقيق حسين نصار.

(٨) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ٣٠٤ (عن غرناطة وأعمالها انظر ص ١٤ من الرسالة، الاستقصا جـ ٢ ص ١١١ طبعة سنة ١٩٥٢، المراكشى: المعجب: ص ٢٩٣ ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٩٦.

(٩) النويرى: المصدر السابق ص ٣٠٩ (كانت مالقة أحيانًا تضم إلى الجزيرة الخضراء) انظر المصدر السابق نفس الصفحة.

(١٠) النويرى: المصدر السابق: ص ٣٠٩.

(١١) المراكشى: المصدر السابق: ص ٣٢١، السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ١٣٨.

وقد سار الموحدون على نفس الخط الذى اتبعه أسلافهم المرابطون فى تولية أبناء الخلفاء وأقاربهم فى حكم أقاليم الدولة، غير أن هذا الإجراء سبقه تدبير من جانب الخليفة، فقد استعان الخليفة عبد المؤمن بن على فى بداية الأمر بأشياخ الموحدين من أصحاب المهدى والذين ينتمون إلى طبقات الموحدين فى ولاية أقاليم الدولة[١] وفى ذلك يذكر النويرى «ولقد سلك عبد المؤمن فى استعمالهم (أى أبنائه) من حسن السياسة وجميل التدبير طريقًا عجيبًا يستدل به على جودة رأيه، وتوصله إلى المشهورين من أصحاب المهدى، فكان يتعذر عليه أن يعزلهم»[٢]، فأنشأ مدرسة فى عاصمة مراكش الحق فيها أبناءه وجمع فيها ثلاثة آلاف من قبائل المصامدة وغيرها من القبائل وزودهم بمختلف العلوم مع تعليمهم إدارة شئون البلاد وتدريبهم على فنون الحرب والقتال[٣]، حتى إذا أتم هؤلاء الطلبة الحفَّاظ دراستهم المتنوعة، بدأ عبد المؤمن الخطوة التالية فى إحلال هؤلاء الطلبة فى أماكن شيوخ الموحدين فى تولى السلطة على أقاليم الدولة[٤]، مستندا فى ذلك إلى كفاءة هؤلاء الطلبة فى حمل مسئولية إدارة الأقاليم قائلاً لأشياخ الموحدين «إنى أريد أن تكونوا عندى أستعين بكم على ما أنا بصدده وتكون أولادكم فى أعمالكم»[٥].

وقد قابل أشياخ الموحدين هذا الإجراء بالموافقة وذلك لأن أبناءهم كانوا ضمن هؤلاء الطلبة[٦]، ثم اتخذ بعد ذلك الخطوة التى كان يرمى إليها وهى تولية أبنائه أقاليم الدولية وذلك حين دس بين أشياخ الموحدين من يلومهم على استمرار أبنائهم فى رئاسة ولايات الدولة وبقاء أبناء الخليفة بعيدين عنها، وما فى ذلك من أثر سيئ فى نفس الخليفة[٧]،

(١) النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٢ مجلد ٢ ص ٩٣، مخطوط، النويرى: المصدر السابق ص ٣٠٨.
(٢) النويرى: المصدر السابق جـ ٢٤ ص ٣٠٨.
(٣) النويرى: نفس المصدر: جـ ٢٢ ص ٩٣ مخطوط، النويرى: نفس المصدر جـ ٢٤ ورقة ٣٠٨.
(2) J.F.P. Hopkins: Medieval Muslim, p. 107
انظر أيضا، الجيلالى: تاريخ الجزائر العام جـ ٢ ص ٢٩٥، أشياخ: تاريخ الأندلس جـ ٢ ص ٥١، ص ٥٢.
(٤) النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٠٨، عنان: دولة الإسلام فى الأندلس: (عصر المرابطين والموحدين) القسم الأول: ص ٤٠٣.
(٥) النويرى: المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة.
(٦) النويرى: نفس المصدر: والجزء والصفحة، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ٩ ص ٥١.
(٧) النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٠٨.

«فاستعمل أولادهم ثم وضع عليهم من يعتمد عليه منهم فقال لهم: إنى أرى أمرًا عظيما قد فعلتموه فارقتم فيه الحزم والأدب» فقالوا ما هو؟ قال: أولادكم فى الأعمال وأولاد أمير المسلمين ليس إليهم شيء منها مع ما هم فيه من العلم وحسن السياسة[١]، ومن ثم أسرع الأشياخ وألحوا على عبد المؤمن فى تعيين أبنائه وهو يتظاهر بالرفض، حتى أذعن فى نهاية الأمر لمطالبهم وعين أبناءه مكانهم[٢].

وهكذا استطاع عبد المؤمن بذكائه وحسن تدبيره تولية أبنائه وأقاربه أقاليم دولته المترامية الأطراف فولّى غرناطة وأعمالها ابنه عثمان بن عبد المؤمن ويكنى بأبى سعيد وكان من نبهاء أولاده ونجبائهم[٣] كما ولّى مدينة أشبيلية وأعمالها ابنه يوسف بن عبد المؤمن[٤].

وكانت مدينة أشبيلية مركز الحكومة الموحدية بالأندلس كما كان لكل ولاية أندلسية حكومتها المحلية، تضم إلى جانب الوالى الموحدى الوزير والكاتب وصاحب العمل والمشرف على الجباية هذا بالإضافة إلى المناصب الدينية من القضاء والشورى والخطبة والشرطة والحسبة التى كانت غالبًا تسند إلى أهل الأندلس وكان بعض السادة من أبناء الخليفة أو إخوته يستخدمون فى حكوماتهم المحلية أكابر كتاب الأندلس، فنرى مثلاً السيد أبا سعيد ابن الخليفة عبد المؤمن، حين تولى إقليم غرناطة يستخدم للكتابة الكاتب والشاعر الكبير أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى[٥]، وكان هؤلاء العمال أو الولاة يسيرون وفق السياسة التى يرسمها لهم الخليفة الموحدى ويستدل على ذلك من الرسالة الصادرة من الخليفة عبد المؤمن بن على والموجهة لولاة أقاليم الأندلس لتكون دستورًا لهم ولغيرهم من ولاة الأقاليم وقد صدرت هذه الرسالة من تينمل أثناء زيارة الخليفة الموحدى عبد المؤمن ابن على قبر المهدى فى سنة ٥٤٣هـ (١١٤٨)[٦].

---

(١) النويرى: المصدر السابق نفس الجزء والصفحة، ابن الأثير: الكامل جـ ٩ ص ٥١.

(٢) النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٠٩، ابن الأثير: الكامل: جـ ٩ ص ٥١.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ٢٩٣.

(٤) المراكشى: المصدر السابق، نفس الصفحة «وهو الذى ولى الأمور بعد أبيه» المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٢٢٤ ط ١٩٥٦، ط ١٩٧٣، ص ٢١٧.

(٦) ابن القطان: نظم الجمان، تحقيق محمود على مكى: ص ١٥٠ ـ ص ١٦٧ أنظر نص الرسالة فى ملاحق الرسالة.

وقد تضمنت تلك الرسالة الأسس التي يجب أن يسير عليها ولاة الأقاليم في حكم أقاليمهم وهذه الأسس هي، وجوب التزام الدقة في تطبيق الأحكام الشرعية والكف عن اقتضاء أية مغارم أو مكوس لا تبيحها الشريعة[١] «وقد ذكر لنا في أمر المغارم والمكوس والقبالات وتحجير المراسي وغيرها ما رأيناه أنه أعظم الكبائر جرمًا وإفكًا وأدناها إلى من تولاها دمارًا وهلكًا»[٢] وكان لا يجوز تنفيذ حكم الاعدام قبل الرجوع إلى الخليفة ليصدر هو قراره في هذا الشأن[٣].

وأنه يجب تحريم الخمر ومطاردتها في سائر أنحاء الدولة[٤]، كذلك يجب حماية الأموال وخاصة أموال الدولة وصونها وعدم التصرف فيها[٥].

وقد جرى الخلفاء الموحدون على سنة أسلافهم الأمراء المرابطين من نقل الولاة إما خوفًا من استبداد هؤلاء العمال واستقلالهم بمناطقهم، أو بسبب تغير القيادة العليا في البلاد وذلك بالوفاة وتولي آخر، وهذا ما حدث في الدولة الموحدية، فقد عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن إلى تغيير الولاة في مدن الأندلس فأجرى بعض التعديلات كان بموجبها أن تولى أبناؤه الأربعة أقاليم الأندلس[٦]، يقول ابن عذارى: «وفي يوم الجمعة الحادي والعشرين من شعبان سنة ٥٧٩هـ ولي أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف بنيه الأربعين على قواعد بلاد الأندلس، صرف أبا إسحاق إلى أشبيلية[٧] واليا عليها كما كان أولاً، وولى أبا يحيى قرطبة برغبة أبي الوليد بن رشد وولى أبا الحرضاني غرناطة وولى أبا عبد الله مدينة[٨] مرسية».

وهكذا كانت أقاليم الأندلس خاضعة للحكومة المرابطية ثم الموحدية وفق سياسة

---

(١) ابن القطان: المصدر السابق: ص ١٥٦.
(٢) ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٥٦.
(٣) ابن القطان: المصدر السابق: ص ١٥٩.
(٤) ابن القطان: نفس المصدر: ١٦١.
(٥) نفس المصدر: ١٦٧.
(٦) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٥٥ تطوان القسم الموحدى.
(٧) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٣٠١، ص ٣٠٢، ص ٣٠٣.
(٨) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٥٥ طبعة تطوان.

منظمة، ومنذ عهد المرابطين وخلال عصر الموحدين ازدهر إقليم غرناطة كثيرًا ونما نموًا سريعا ولهذا له أهميه كبيرة بين أقاليم الأندلس وبرزت سماتة الخاصة وسوف يتضح لك فى الصفحات التالية.

المدينة الرئيسية: غرناطة:

الأرباض:

غرناطة مدينة مستديرة الشكل تقع على سفح جبل شلير[١]، وتمتد على ضفتى وادى شنيل ويشقها وادى حدرة وهو فرع من شنيل[٢]، ويذكر المؤرخ توروس بلباس غرناطة بأنها امتارت - شأنها شأن باقى المدن الأسبانية الإسلامية - بشوارعها الضيقة وميادينها القليلة الصغيرة[٣]، واحتوت على أربعة أرباض كبرى هى: ربض الفخارين وربض الأجل[٤] وهو كثير القصور والبساتين[٥] ويقع هذان الربضان على نهر شنيل[٦] وربض الرملة[٧] وهو فى جنوب المدينة وربض البيازين[٨] وهو أكبر أرباض غرناطة ويقع فى شرق

(١) العمرى: مسالك الأبصار: (وصف أفريقية) ص ٣٤ القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٥ ابن الخطيب: اللمحة البدرية: فى الدولة النصرية: ص ٢٣، الإحاطة جـ ١ ص ٩٦ سبق الإشارة إلى جبل شلير.

(٢) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، جـ ٢ ص ١٠٣، ص ١٠٥، العمرى: المصدر السابق نفس الصفحة، القلقشندى: المصدر السابق: جـ ٥، نفس الصفحة، ابن الخطيب: اللمحة البدرية ص ٢٣، الإحاطة جـ ١ ص ٩٦.

(٣) توروس بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية مجلة معهد الدراسات الإسلامية: مدريد، العدد الأول، السنة الأولى ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣، ص ٩٧.

(٤) العمرى: المصدر السابق: ص ٤١، القلقشندى: نفس المصدر: جـ ٥ ص ٢١٤.

(٥) العمرى: نفس المصدر: ص ٤١، القلقشندى: نفس المصدر جـ ٥ ص ٢١٤.

(٦) العمرى (وصف أفريقية) ص ٤١.

(٧) العمرى: المصدر السابق، نفس الصفحة، «ويقع هذا الربض بحوار باب الرملة فى جنوب المدينة: انظر المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٨) العمرى: المصدر السابق، نفس الصفحة، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٤، ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٣٨٧ «كان ربض البياذين أهم أحياء غرناطة الإسلامية وما زال يقوم بها إلى الآن وهو يقع فى شمالها الشرقى فى مواجهة هضبة الحمراء، ابن الخطيب: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة هامش ١.

المدينة وفى هذا الربض ثلاثة أبواب مـا زالت قائمـة إلى الآن وهى: باب البيـازين وباب فحص اللوز وباب الزيادة[١]، وفى ربض البيـازين هذا كان يوجد مـسجد غـرناطة الجامع ومسجد المرابطين وهو من أقدم مسـاجد غرناطة[٢] وتميـز هذا الربض بشوارعه الضيـقة المتقاطعة وكثـرة عمائره إذ يذكر العمرى أن هذا الربض كان كثير العمـارة، مستقل بقضاته وحكامه[٣].

وضمت غرناطة بالإضافة إلى هذه الأرباض أرباضا أخرى أصغر مثل: ربض اليهود[٤]، الذى هو أصل غـرناطة[٥] ويذكـر عنان أن هذا الربض يقع بـجوار الفـخـارين فى شـرق المدينة[٦]، وربض المظفر فى قصبة[٧] غرناطة القديمة، أما ربض باديس وربض المرابطين فيـقعان داخل قصـبة غرناطة الجديدة، كـما يوجد داخل ربض البـيازين ثلاثة أرباض وهى ربض البيضاء، وربض الشارع وربض آسف، أما ربض زناتة فيقع بالقرب من باب سيدة أو الأسدد[٨].

الأسوار والأبواب:

وأول ما تلحظه فى غرنـاطة الأسوار التى كانت تحيط بالمدينـة وقد أشار ابن الخطيب إلى تلك الأسوار فى وصفه لغرناطة بقوله «ويحف بسـور هذه المدينة المعصومة بدفاع الله

---

(١) انظر خريطة المستشـرق: سيكودى لوثينا: عن غرناطة فى ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٥، انظر عنان الآثار الأندلسية الباقية ص ١٦٨.

(٢) ابن الخطيب: الإحـاطة جــ ١ ص ٣٧، ص ١٧٢، ص ٤٦٥، ص ٥٦٦، انظر عنان: المـرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) العمرى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، عنان: الآثار الأندلسية الباقية ص ١٦٨.

(٥) الحميرى: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٦) عنان: الآثار الأندلسـية: ص ١٦٨، انظـر موقع هذه الأرباض فى خـريطة سـيكو دى لوثينا: عن غرناطة الإسلامية ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ٩٥.

(٧) القصبة أى القلعة: وهو أستعمال أندلسى ذائع، وكـانت القصبة الأندلسية تضم فى معظم الأحيان قصرًا للحاكم ومسجدًا للصلاة وثكنات للجند ويوجد حتى اليوم كثير من أطلال القصبات الأندلسية القديمة.

(٨) انظر مواقع هذه الأرباض فى خريطة سيكو دى لوثينا: فى ملاحق الرسالة.

تعالى، البساتين العريضة المستخلصة، والأرواح المتلفة فيصير سورها من خلف ذلك كأنه سيد دون سياج كثيفة. . .»[١].

ومنذ دخلت غرناطة فى طاعة المرابطين ومن بعدهم الموحدين، حرصوا على بناء الأسوار حول المدن الهامة فنالت غرناطة والمرية اهتمامهم فى هذه الناحية، وكذلك بعض المدن الأخرى[٢] وقد شيدت هذه الأسوار بملاط[٣] من مواد شديدة الصلابة، ويذكر مورينو أن أبراج هذه الأسوار قد دعمت بأبراج حصينة مربعة الشكل أو مستديرة الشكل، موزعة على مسافات غير متساوية وكانت قليلة البروز وما زالت محتفظة ببعض شرفاتها ومنافذ السهام[٤].

الأبواب:

وكان للمدينة ثلاثة عشر بابًا[٥] هما باب البيرة وهو أضخم أبواب غرناطة ويقع فى

(١) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١١٥، اللمحة البدرية ص ٢٤.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٧٤ «فرض المرابطون على أهل الأندلس ضريبة سميت بالتعتيب وذلك لبناء أسوار المدن الأندلسية وتجديدها، وكانت غرناطة ضمن المدن التى اهتم المرابطون بتجديد أسوارها حيث» عمد واليها من قبل الأمير على بن يوسف بن تاشفين إلى تعتيب غرناطة وفرض المعتب أتاوة الدار على سائر أهلها واشتد فى تحصيل المال فأصلحت الأسوار فى أقرب وقت انظر ابن عذارى: المصدر السابق، جـ ٤ ص ٧٧، ص ٨٥، كما تولى إصلاح أسوار المرية رجل من أهلها يسمى ابن العجمى: ولكنه استعمل الحزم والرأفة والرفق معًا فأبدى الناس إقبالاً على أداء الأتاوة انظر ابن عذارى: المصدر السابق: جـ ٤ نفس الصفحات، عن اهتمام المرابطين ببناء الأسوار انظر ابن القطان: نظم ابن القطان: نظم الجمان ص ١٩١ سيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور ص ١٣٥.

(٣) «مزيج من الجير والرمل وقطع الحجارة الصغيرة (الدبيسة) وقد ذكر هذا الملاط فى كتاب ابن القوطية تحت اسم الآشة ماشة وهى تسمية لاتينية وورد ذكره فى بعض كتب التاريخ الأندلسى باسم طابية، ويعرف هذا الملاط فى العصر الحديث باسم المونة، انظر شرح الاصطلاح فى الفن الإسلامى فى أسبانيا لمورينو ص ٤٩٠، تميزت أسوار المرابطين بأنها كثيرة الزوايا الداخلية والخارجية حيث يتخذ السور شكلاً متعرجا يساعد المدافعين على الفتك بأعدائهم، سيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور.

(٤) مورينو: الفن الإسلامى فى أسبانيا، ص ٣٠٢، ص ٣٠٥ ترجمة لطفى عبد البديع وعبد العزيز سالم لجنة ـ التأليف والترجمة.

(٥) العمرى: وصف أفريقية: ص ٤٠.

الجهة الشمالية من المدينة[١] وقد بقى هيكله كاملاً ويرتفع هذا الباب نحو اثنى عشر مترًا، وليست عليـه أية كتابة أو نقوش عـربية[٢]، وكان هذا البـاب يخرج إلى مـدينة البيـرة وبها اشتهر[٣] هذا بالإضـافة إلى باب الكحل والـرخاء وباب المـرضى وباب المصـرع[٤] وباب الرملة وهو من أشهر أبواب غرناطة[٥] وباب الدباغين وباب الطوابين[٦] وباب الفخارين[٧] وباب الخندق وباب الدفـاف وباب البنود[٨]، وهو باب ضـخم ذو عقد مـزدوج على شكل حدوة الفرس أحدهما خلف الآخر يتحرك بينهمـا مصراعا البابين الخشبيين[٩]، ويوجد هذا الباب بربض البيازين[١٠] أما الباب الـثالث عشر فهـو باب الأسدر[١١] أو باب البنيـدة[١٢] ويرجع هذا الباب إلى القرن الحادى عشر ويذكر موريمو أن هذا الباب على صغر حجمه كان كبير الأهمية لتعذر دخول العدو منه فى حالة الهجوم على المدينة[١٣].

الدور والقصور:

دور العامة:

امتازت غرناطة ـ شأنها شأن باقى المدن الأندلسية ـ بشـوارعها الضيقة الملتوية وأزقتها

---

(١) العمرى: المصدر السابق: ص ٤٠، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٤.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٠٧ ابن عذارى: البيان المـغرب، جـ ٤ ص ٧٤، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣.

(٣) العمرى: وصف أفريقية: ص ٤٠ هامش رقم ٢.

(٤) العمرى: المصدر السابق: نفس الصفحة، القلقشندى: نفس المصدر، جـ ٥ نفس الصفحة.

(٥) العمرى: المصدر السابق: نفس الصفحة، القلقشندى: نفس المصدر، جـ ٥ نفس الصفحة (ص ٢١٤).

(٦) العمرى: نفس المصدر والصفحة، القلقشندى: نفس المصدر جـ ٥ ص ٢١٤.

(٧) وكان موقعه تجاه القرية المسماه بالفخار وهى من أطراف غرناطة الشمالية وتسمى اليوم Al Facar ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٩٤ هامش رقم ٢.

(٨) العمرى: نفس المصدر والصفحة: القلقشندى: نفس المصدر والصفحة.

(٩) مورينو: الفن الاسلامي فى أسبانيا ص ٣٠٥.

(١٠) العمرى: نفس المصدر والصفحة.

(١١) القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٤.

(١٢) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤١.

(١٣) مورينو: الفن الإسلامى فى أسبانيا ٣٠٥.

المغلقة وميادينها القليلة[١] ولا بد أنها خلت من الأبنية الكبيرة الفخمة[٢] على اختلاف أنواعها بما فى ذلك المساجد الكبيرة والأضرحة الواسعة، ولا بد وأن ارتفاع مبانيها لم يتعد متراً ونصف المتر[٣]، ويعلل المؤرخ توروس بلباس هذه الظاهرة بأنه كان يراعى فى بناء تلك الدور الناحية العملية فقط[٤] ويتفق هذا الرأى مع ما ذكره ابن عبدون فى كتاب الحسبة من أن المنازل ما هى إلا أردية تحمى النفس والروح والجسد وتحفظ المتاع[٥] فمنازل مالقة برغم صغر حجمها كانت منعشة ذات رسوم بديعة[٦]، ولم يكن بجدران المنازل سوى الأبواب والمداخل وكانت هذه الأبواب صغيرة وخالية تماما من الزخرفة، كما كانت نوافذ المنازل قليلة ذات شيش خشبى[٧]، كما كانت أبواب منازل غرناطة تقفل بضلفتين ومزلاج خشبى[٨].

أما عن نظام المنزل وطابعه العام، فإنه لم يختلف عن نظام المنزل الإسلامى ذى الطراز المميز، فقد جرت العادة على أن يؤدى بابه إلى دهليز يتناسب عادة مع حجم المنزل ويفضى هذا الدهليز إلى صحن المنزل الذى تلتف حوله الغرف، وكان صحن المنزل يمثل جزءاً هامًا فى كل منزل باستثناء المنازل التى كانت تقع خارج المدن أو فى أماكن منعزلة

---

(١) توروس بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد، العدد الأول السنة الأولى سنة ١٩٥٣ م / ١٣٧٣ هـ ص ٩٧ ترجمة علية إبراهيم، «تعددت أنواع المنازل بأسبانيا الإسلامية وتنوعت وذلك بحسب الأحوال التى كانت تنفق عليها، وبحسب الأغراض التى بنيت من أجلها، هذا كما أدخلت عليها تعديلات كثيرة خلال القرون الثمانية للحكم الإسلامى «انظر المرجع السابق ص ١٢٢».

(٢) بخلاف القصور التى كانت تبنى للأمراء والحكام فقد نالها الاهتمام أكثر من دور العامة فقد امتازت مبانى المرابطين بالفخامة والقوة والاتساع مع الإقلال من الزخرفة انظر حسين مؤنس: تطور العمارة الإسلامية فى الأندلس ص ٢١٦، جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥٦.

(٣) توروس بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية: ص ٩٧ يذكر بلباس أنه يوجد فى قصبة غرناطة أسس لتسعة منازل وكل واحدة منها لا يشغل أكثر من خمسين متراً انظر المرجع السابق ص ١٢٣.

(٤) بلباس: المرجع السابق: ص ٩٧.

(٥) ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية نشر ليفى بروفنسال سنة ١٩٥٥ ص ٣٤.

(٦) بلباس: نفس المرجع: ص ١٢٣.

(٧) بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية: ص ١٢٤.

(٨) بلباس المرجع السابق: ص ١٢٧.

عنها، وتكمن أهمية هذا الصحن فى أنه المكان الذى تقوم فيه المرأة بأعمالها المنزلية ويقضى فيه سكان المنزل جانبًا كبيرًا من أوقاتهم ويمارسون فيه حياتهم العائلية كما أنه كان مراحًا للأطفال[١]، وبدأ ظهور الصحن فى منازل الأندلس عامة منذ عصر المرابطين حتى غدا طابعًا عامًا فى كل منازل الأندلس، وكان الصحن يتخذ على شكل المستطيل الذى تقع حوله غرف المنزل أى أن هذا الصحن يفضى إلى كل غرف المنزل[٢]، ويتوسط صحن المنزل فى كل البيوت بركة ماء[٣] ـ حتى تلك المنازل قليلة المياه ـ والغرض من هذه البركة هو تلطيف جو المنزل وإضفاء مسحة من الجمال على المنزل كله، فضلاً عن أنها كانت وعاءً كبيرًا لحفظ الماء اللازم للحياة المنزلية[٤]، وكانت المنازل ذات الطابقين تحتوى على سلالم خشبية ضيقة ذات درجات غاية فى الارتفاع، وكان سقف الطابق العلوى منخفضًا بعض الشيء، ويضم هذا الطابق الغرف المخصصة للنساء والحياة الخاصة وينفذ إليها الضوء والهواء عن طريق منافذ تطل على الصحن حيث لا تصل أعين الفضوليين من الجيران[٥]، وكانت السلالم من الخشب وتثبت بمسامير[٦].

ولقد خضعت الدور لرقابة المحتسب طوال فترة بنائها كما خضع العمال والبناءون لرقابة المحتسب[٧] وكانت المواد المستخدمة فى البناء هى كتل الآجر[٨] وكان يجرى الاهتمام بتوفير الأعداد المناسبة فيها بما يتناسب وسمك الحائط المراد بناؤها[٩]، كذلك استخدم الرخام فى بناء الدور حيث توفرت مقاطعه فى غرناطة[١٠]، وقد استخدمه

---

(١) بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية: ص ١٢٧.
(٢) بلباس: المرجع السابق: ص ١٢٨.
(٣) عبد العزيز بن عبد الله: تاريخ المغرب جزءان الدار البيضاء جـ ١ ص ١٣.
(٤) بلباس: المرجع السابق: ص ١٢٧.
(٥) بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية ص ١٢٧.
(٦) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٣٦.
(٧) ابن عبدون: المصدر السابق، ص ٤٤، ص ٣٦.
(٨) «هى قوالب من الطوب كانت تستعمل للبناء ولتسقيف الهيكل المسنم للبناء، مورينو: الفن الإسلامى: فى أسبانيا ص ٤٩٦.
(٩) ابن عبدون: رسالة فى الحبسة ص ٣٤.
(١٠) ابن غالب: فرحة الأنفس ص ٢٨٣.

الغرناطيون فى كثير من أعمالهم التجميلية فى بناء الدور وإن كان قطعه ونقله يكلف الكثير[١].

وتفاوتت تبعًا لذلك أسعار الدور بحسب موقعها وحجمها وطريقة بنائها، فكان كراء الدار فى المرية ثلاثة دنانير شهريًا[٢] ونسبت الدور أحيانًا إلى مالكيها كما هى الحال فى الدار المنسوبة إلى خلف والدار المنسوبة لابن جزى[٣].

القصور: قصور الخاصة:

وإلى جانب الدور والمنازل التى سكنتها العامة كانت توجد القصور الفخمة والعمائر العظيمة التى حفلت بها غرناطة، ومن أهم هذه القصور: قصر بنى زبرى: وهى دارٌ ضخمة بناها بنو زبرى الصنهاجيون عند امتلاك غرناطة أواسط القرن الخامس للهجرة[٤]، (الحادى عشر الميلادى) وتشرف هذه الدار على المنظر العام لسهل غرناطة[٥] وقد بنى فى هذه الدار برج متوج بشكل برونزى على نحو دوارة للهواء تصوِّر ديكًا يمتطيه محارب يحمل رمحه ودرقته ويدور مع الريح[٦] وهو يرمز إلى أن من يحكم البلاد فعليه أن يكون حذرًا كالديك ويقبل بوجهه ولا يوليه ظهره وكان يسمى فى القرن السادس عشر ببيت الديك[٧] أو دار الديك.

وقد شيدت هذه الدار من ملاط شديد الصلابة[٨]، يدل على ذلك بعض القطع الحجرية المتبقية فى القصر.

---

(١) المقرى: نفح الطيب: جـ ٢ ص ٩٢، ط ١ سنة ١٩٤٩ م.
(٢) المقرى: المصدر السابق: جـ ١ ص ٢٠٠، ص ٢٠١، ط دار صادر بيروت سنة ١٩٦٨ م.
(٣) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٢٥.
(٤) العمرى: مسالك الأبصار: (وصف أفريقية) ص٤٠ انظر المقرى: نفح الطيب: جـ١: ص ١٩٦.
(٥) انظر العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية) ص ٤٠ عن وصف القصر انظر مورينو: المرجع السابق: ص ٣٠٦، ص ٣٠٧ «ولم يكتشف باقى القصور إلى الآن وتقام الآن بعض الحفريات للعثور على بقايا القصر» انظر: ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ص ٣١١ هامش رقم ١ تحقيق عبد الهادى التازى العراق سنة ١٩٧٩.
(٦) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٠ هامش رقم ١.
(٧) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٠ هامش رقم ١.
(٨) مورينو: المرجع السابق: ص ٣٠٦، ص ٣٠٧.

قصر شنيل:

ويسمى قصر السيد ويقع خارج غرناطة على الضفة اليسرى لنهر شنيل[١] ويرجع تاريخ بنائه إلى الأمير الموحدى أبى إسحاق ابن الخليفة أبى يعقوب يوسف (٦١٥هـ سنة ١٢١٨م)[٢] وهو عبارة عن بناء يشتمل على باب عربى ذى عقود[٣] رائعة وبكل جانب منه عقدان ويؤدى الباب بالداخل إلى فناء مربع الشكل به أربعة عقود رائعة بكل جانب عقدان وللقصر قبة يبلغ ارتفاعها اثنى عشر مترا[٤] تكسوها المقرنصات[٥] الرائعة، هذا ولم يتبق من القصر الآن سوى البقايا التى بها النقوش والزخارف المذكورة، كما يوجد فى غرناطة قصران آخران من عصر الموحدين، هما قصر نجد والدار البيضاء، وينسب هذا القصران إلى الخليفة أبى مالك عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن[٦].

المتنزهات:

كما انتشرت فى غرناطة وأقاليمها المتنزهات والحدائق والتى اتخذها الناس مكانا للنزهة والترويح عن النفس ومن أشهر متنزهات غرناطة فحصها[٧] المعروف بمرج غرناطة، وهو

---

(١) ما زال هذا القصر باقيا إلى الآن كأحد آثار غرناطة الهامة.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١١٩ هامش ٣، ص ١٢٧، ص ٣١٦، ص ٥٢٣، مجهول: الحلل الموشية ص ١٢٦ تحقيق عبد القادر زمامة طبعة تونس.

(٣) العقود: جمع عقد وهو عبارة عن قوس من البناء مؤلف من قطع حجرية ملتصقة فيما بينها على أشكال مختلفة، انظر شرح الاصطلاح فى مورينو المرجع السابق (شرح الاصطلاح) ص ٤٨٩.

(٤) عن قصر شنيل: انظر محمد كمال شبانة: يوسف الأول سلطان غرناطة ص ١٨٣، ص ١٨٤، جـ ١ سنة ١٩٦٩ م، انظر أيضًا حسين مؤنس: الآثار الإسلامية فى غرناطة ص ٨٢ مجلة ٨٢ مجلة العرب العدد ٨٩ أبريل سنة ١٩٦٢ م، عنان: الآثار الأندلسية: ص ١٧٦.

(٥) المقرنصات: نوع من الزخارف تشبه عش النمل بين جوفاتها الصغيرة دلايات منشورية الشكل انظر مورينو: المرجع السابق: ص ٤٨٨.

(٦) مجهول: الحلل الموشية: ص ١٦٢، تحقيق عبد القادر زمامة.

(٧) قال «يقولون يوجد من أرض الأندلس، مواضع تسمى الفحص وسألت بعض أهل الأندلس ما يعنون به؟ فقال كل موضع يسكن سهلاً كان أو جبلاً بشرط أن يزرع نسميه فحص ثم صار عتما لعدة مواضع» ابن الخطيب: اللمحة البدرية: ص ٢٨، هامش رقم ١.

بساط أخضر تشرف عليه المـدينة من الجنوب الشرقى، وكان من أنضر وأبدع بقاع الأندلس الخـضراء بمـزارعه اليـانعـة وحدائقـه الغناء ولذا صـار متنزها للنـاس لا سيـما فى ليـالى الصيف[١].

عين الدمع:

وهى بقـعة من ضـواحى غرناطة كـانت أيام المسلـمين مـتنزها بديعا تغطيـها الـمروج والحدائق الغناء ويبدو من وصف ابن الخطيـب لها أنها كانت قريبة من سفـح جبل الفخار وكانت تسمى عندئذ بعين الدمعة، ويشـغل موقعها سطح تلال البيازين[٢]، كذلك كان من بين متنزهات غرناطة المشهورة حوز مؤمل[٣] واللشتة والزاوية والمشايخ[٤].

متنزهات نهر شنيل:

وهو النهر الذى تقع عليه غـرناطة ويسمى أيضا عند الأندلسييـن بنهر سنجيل، وشنيل هو أحد فروع نهـر الوادى الكبير وكان لأهل غرناطة شغف وولع بالجلوس عـلى ضفافه، حيث يقضون الأمـسيات فى أنس وسمر وخاصة فى فصل الـربيع والصيف وبلغ من حبهم لهذا أن فضلوه على النيل ولهذا فقد أضافـوا حرف الشين إلى حروف النيل فأصبحت تعنى ألف نيل (شنيل) فكأنهم قدروه بألف نيل[٥].

ولم تكن مدينة غرناطة تضم فقط الحدائق والمتنزهات بل حفلت بعض مدنها وأعمالها أيضا بالمتنزهات البديعة والحدائق الغناء، فكان يوجد بمدينة المرية بعض المتنزهات والمنى الخضراء ومن أجمل هذه الـمتنزهات منى عبدوس، ومنى غسان، والنجـاد وبركة الصفر، وعينو النطية[٦].

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٩ هامش (١)، المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٦٤، سنة ١٩٤٩.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٢١ هامش رقم ٤ انظر

Simonet, Descripcion de p.69.

Gayngos: The History of the Mohammedan dynasties in Spain 1.p. 351Note 86

(٣) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٢١٤، ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١١٧.

(٤) ابن سعيد: المغرب، جـ ٢ ص ١٠٣، عبد الله بن بلقين: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١١٨، ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ١٠٣.

(٦) ابن سعيد المغرب: جـ ٢ ص ١٩٤.

وإلى جانب المتنزهات العامة وجدت أيضًا المتنزهات الخاصة وهى الحدائق والبساتين الخاصة ببعض الأفراد والتى كانت ملجأ ومرتعًا لأصحابها يتنزهون فيها ويمرحون فيها، ومن هذه المتنزهات جنة[١] فدان عصام[٢] والجنة المنسوبة إلى قداح بن سحنون[٣] والجنة المنسوبة لابن المؤذن[٤] والجنة المنسوبة لابن كامل[٥] وجنة ابن عمران[٦].

المساجد:

يعتبر المسجد من أهم العمائر فى المدن الإسلامية عامة، خاصة وأن دولة المرابطين ودولة الموحدين قد قامتا على أساس دعوتين دينيتين، دعوة ابن ياسين ودعوة ابن تومرت، ولهذا فقد أبدوا اهتمامًا كبيرًا ببناء المساجد وتجديدها وتعميرها باعتبارها مراكز الإشعاع الفكرى والدينى للدعوتين المرابطية والموحدية، ولذا فقد أصبح بحكم أهميته الدينية والتعليمية[٧] وإسهامه فى إثراء الحياة الفكرية من أهم المعالم الإسلامية.

وتفاوتت سعته بحسب عدد سكان المنطقة[٨] أو المدينة التى أقيم فيها، فمسجد غرناطة الأكبر كان يحتوى على أحد عشر رواقا شيده بنو زيرى وأبدوا اهتمامًا كبيرًا بعمارته[٩]، أما مسجد البيازين فكان به تسع أروقة كذلك كان مسجد المرية يضم سبعة

---

(١) «الجنة هنا بمعنى الحديقة أو البستان» وهو اصطلاح ذائع فى اللغة الغرناطية انظر هامش الإحاطة جـ ١ ص ١١٦ هامش ٣.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١١٦.

(٣) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ نفس الصفحة.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١١٦.

(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ نفس الصفحة.

(٦) ابن الخطيب: نفس المصدر: جـ ١ نفس الصفحة.

(٧) «كان المسجد فى البلاد الأندلسية يمثل أيضا مركزًا للعلوم والمعارف يتلقى فيه الطلبة دروسهم على أيدى العلماء، إذ لم تكن هناك مدارس مخصصة لتلقى العلم فأصبحت المساجد بمثابة مدارس يتلقى فيها الطلاب الدروس من أساتذتهم، وكان يجرى فيها قراءة العلوم والمعارف على الطلاب نظير أجر معلوم يدفعه الطلاب لأساتذتهم» انظر المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ٢٠٥ ط سنة ١٩٦٧، تحقيق إحسان عباس.

(٨) بلباس: الأبنية الاسبانية ص ٩٩.

(٩) ابن خلدون: العبر جـ ١٨٦.

أروقة وذلك بعد توسيعه وزيادة مساحته، أما مسجد مالقة الجامع فكان يضم خمسة أروقة[١].

ويعتبر مسجد مدينة البيرة من أقدم المساجد فى إقليم غرناطة فقد شيده التابعى حنش ابن عبد الله الصنعانى الذى توفى سنة (١٠٠هـ/ ٧١٨م - ٧١٩م)[٢]، والذى لم يكمل بناؤه نظراً لقلة عدد المسلمين الذين كانت تضمهم المدينة حينئذ[٣]، حتى إذا كانت سنة (٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) أى بعد نحو قرن ونصف من الزمان أتم بناءه الأمير محمد بن عبد الله[٤]، كذلك شيد الفقيه المحدث معاوية بن صالح الحمصى مسجداً فى قصبة مالقة[٥] ثم ما لبث المرابطون أن أدخلوا فى النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى تجديدا هاما فى بناء المساجد الأندلسية وهو استخدام أكتاف من الطوب الأحمر لترتكز عليها العقود بدلاً من الأعمدة الحجرية أو الرخامية التى كانت تستخدم فى ذلك الوقت[٦]، ومع هذا فقد اشتهر الغرناطيون بكثرة استخدام الرخام فى بناء المساجد كما هو واضح فى مسجد البيازين[٧].

ويصف القلقشندى مسجد غرناطة الجامع بقوله «وجامعها من أبدع الجوامع وأحسنها

---

(١) الحميرى: الروض المعطار: ص ١٧٨، بلباس: نفس المرجع ص ١٠٣، عن المساجد الإسلامية فى المغرب والأندلس: انظر: Elie Lambert: les Mosquees de Type andlou en Espagne et en Afrique du Nord (Al Andalus, Xiv 1999 p.p 73 286)

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٢، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٩ «وهو حنش بن عبد الله الصنعانى أحد التابعين الداخلين إلى الأندلس، روى عن على بن أبى طالب وفضالة بن عبيد» انظر المراكشى، المعجب: ص ٣٧.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٢، بلباس: ص ٩٩.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٢ ص ٤٨ «التعبير هنا عن أمير الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم توفى سنة ٢٧٣ هـ وأمه أم ولد اسمها تهتر فاتصلت ولايته إلى أن توفى فى العام المذكور وكان مولده سنة ٢٠٧ هـ» انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٢، المراكشى: المعجب: ص ٤٩ .Levi - Provencal, La Peninsula Iberique au moyen age

(٥) الحميرى: المصدر السابق: ص ١٧٨: كان الأمير عبد الرحمن الأول قد عينه قاضيا ثم توفى بالأندلس سنة ١٥٨ هـ - ٧٧٤ م / ٧٧٥ م انظر ابن عذارى البيان المغرب: جـ ٢ ص ٤٨.

(٦) بلباس: المرجع السابق: ص ١٠١.

(٧) بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية: ص ١١٠.

منظرًا وهو محكم البناء لا يلاصقه بناء، تحف به دكاكين الشهود والعطارين، وقد قام سقفه على أعمدة حسان والماء يجرى داخله»[١].

وانفردت صحون المساجد الأندلسية بمسحة من الجمال فى عمارتها بالجنان وحدائق الفاكهة، فيذكر العمرى فى كتابه مسالك الأبصار: أن صحن المسجد الأكبر بمالقة كانت به أشجار برتقال ونخيل[٢].

كذلك كان مسجد المرية الجامع له حديقة كبيرة مربعة الشكل بها أشجار وأنواع أخرى من الأشجار ورصفت أرضيتها بقطع رخامية وتتوسطها نافورة، كما كان فى وسط صحن مسجد وادى آش حديقة جميلة ونافورة استخدمت للوضوء، وكان مسجد البيازين الأكبر ذا حديقة بديعة بها أشجار لليمون[٣].

ولقد أدرك النصارى دور المسجد وأهميته بالنسبة للمسلمين، فعندما كانت المدن الأندلسية تسقط فى أيديهم كانوا يعمدون إلى الدخول إلى المسجد ويحلون قبلته[٤] ويجعلون مئذنته برجًا لكنيسة، ويذكر بلباس أنه ما زالت بعض المآذن باقية فى أسبانيا بسبب تحويلها إلى أبراج للكنائس[٥].

مثل المئذنة الغرناطية التى صارت برجًا لأجراس كنيسة سان خوسية[٦]، كذلك كانت مئذنة مسجد المرابطين فى حى البيازين[٧] وكان هذا المسجد من أقدم مساجد غرناطة.

أما مسجد غرناطة الجامع فقد تحول هو أيضًا إلى كنيسة سان سلفادور وما زالت بعض

---

(١) القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٤.
(٢) العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية) ص ٤٧، ص ٤٨.
(٣) العمرى: مسالك الأبصار: وصف أفريقية ص ٤٧.
(٤) عنان: الآثار الأندلسية ص ١٦٨.
(٥) بلباس: الأبنية الأسبانية الإسلامية: ص ١٠٥.
(٦) عنان: الآثار الأندلسية ص ١٦٨، بلباس: نفس المرجع: ص ١٠٥ ويذكر بلباس أنه أزاح بنفسه ـ منذ ٢٢ سنة من تأليفه كتابه الأبنية الإسلامية الأسبانية ـ الغطاء الذى كان يغطى جدران المئذنة الحجرية والذى كان يخفى عمارتها الموحدية ولذا بعد مرور قرون عديدة من أن تسترجع طابعها الأول انظر المرجع السابق ص ١٠٦.
(٧) عنان: المرجع السابق: نفس الصفحة.

أسواره باقية وكـذلك عدد من بوائكه وجزء من صحنه[١]، ويقع هذا المسـجد أيضًا بربض البيازين، كذلك حول النصارى مسجدًا آخر يقع فى نفس الربض إلى كنيسة خوان دى لوس رس وهو من العصر الموحدى[٢]، هذا وقد خضعت المساجـد لرقابة المحتسب فكان عليه أن يتفقد أفنية المساجد حـتى يتأكد من طهارتها ونظافتها[٣]، ومن الذين تولوا القـضاء فى مسجد غرناطة الأكبر الفقيه الحافظ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحـاربى من أهل غرناطة، برع فى علوم القرآن والـسنة وتولى القضاء بغـرناطة والمرية، كان مولده سنة ٤١٨هـ وتوفى سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧[٤].

الحمامات:

كان للحمام أهمية كبرى فى الحياة الاجتـماعية فى الأندلس فقد كانت عادة الاستحمام متأصله فى نفـوس الأندلسيين، فكانوا يبالغون فى العناية بنظافـة أبدانهم وثيابهم ويكثرون من الاستحمام، وفيهم من لا يكون عنده قوت يومه، فيطويه صائمًا ويبتاع صابونًا يغسل به ثيابه[٥].

وإن كان المألوف أن يستعـمل الجنسان نفس الحمامات[٦] وفى هذه الحـالة أوصى ابن عبدون بأن لا يجلـس متقبل الحمـام للنساء فإن الحمـام موضع عورة[٧]، ولهـذا يجب أن تكون متقبلة الحمام امرأة وذلك فى المواعيد المخصصة للنساء[٨].

هذا وقد خـضعت الحمامـات لرقابة المحـتسب فيرى ابن عـبدون أنه يجب أن تكون

(١) عنان: المرجع السابق: ص ١٦٨.
(٢) عنان: المرجع السابق: ص ١٦٩.
(٣) الجرسفى: ثلاث رسائل أندلسية ص ١٢١.
(٤) الضـبى: بغيـة الملتـمس: ترجمـة ١١٠٣ المكتـبة الأندلسـيـة، ابن بشكوال الصلة رقم ٨٢٩، المغرب: فى أشعار أهل المغرب، لابن دحية: ص ٩١.
(٥) المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ٢٠٨ ط القاهرة تحقيق محيى الدين عبد الحميد سنة ١٩٤٩ م.
(٦) بلباس: نفس المرجع: ص ١١٥.
(٧) ابن عبدون: رسالة فى أدب الحسبة والمحتسب، ص ٤٨.
(٨) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٤٨.

صهاريج الحمامات مغطاة، منعا للتلوث لأنها لو كانت مكشوفة لم تؤمن نجاستها، فهو موضع طهارة[١].

وحرصًا على نظافة الحمام كان المحتسب يأمر أصحاب الخدمة بالحمامات بأن يبيتوا محاكهم التى يحكون بها أرجل الناس فى الملح والماء كل ليلة لئلا تكتسب الروائح ويغسلون مئازرهم كل عشية بالصابون[٢] كذلك أوصى الجرسفى بالحرص على نظافة الحمام وستر العورة فيه[٣] كما أوصى ابن عبدون بأنه لا يجب أن يحك جسم مسلم نصرانيًا أو يهوديًا[٤]، وأوصى ابن عبدون بألا يمشى الطياب ولا الحكاك ولا الحجام فى الحمام إلا بالتبان والسراويلات[٥]، وكثرت الحمامات فى غرناطة كما سبق أن ذكرنا ومن أشهرها حمام التاج الواقع بالقرب من نهر حدرة وحمام فحص اللوز أو حمام عشار ويسمى أيضا الحمام الصغير وهذا الحمام من الأبنية الهامة فى القرن الحادى عشر الميلادى وهو يقع فى جادة نهر حدرة وهو سليم إلى حد كبير لأنه يتفق مع ذلك النوع من الأبنية التى تقوم على خصائص معمارية خاصة بذلك القرن[٦].

ويتقدم الحمام بهو تتوسطه بركة وبعض الممرات وربما مرحاض فى؟ وبابان عليهما عقد أقل من نصف دائرة، أحدهما للصعود إلى السطوح والآخر يفضى إلى الغرفة الأولى لخلع الملابس والتى كانت تسمى بيت المسلح تتلوها غرفة أخرى يطلق عليها اسم «البارد» وتقابل كلمة (Tepidarium) وفى الحمامات الرومانية وهى مستطيلة وفى طرفيها حاجزان من البناء يؤلفهما عقدان على شكل حدوة الفرس فوق أعمدة لم يحفظ منها شىء يلى ذلك «البيت الأوسط» ويقابل البارد ثلاث ممرات فيها عقود على شكل حدوة الفرس وبهذه الممرات قبوات نصف اسطوانية فيها طاقات تجلب الضوء، وتؤدى هذه الممرات إلى البيت الساخن[٧].

(١) ابن عبدون: المرجع السابق: نفس الصفحة.
(٢) السقطى: فى آداب الحسبة ص ٦٧.
(٣) الجرسفى: رسالة فى الحسبة ص ١٢١.
(٤) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٤٨.
(٥) ابن عبدون: نفس المصدر والصفحة.
(٦) مورينو: الفن الإسلامى فى أسبانيا: ص ٣٠٩.
(٧) مورينو: الفن الإسلامى: فى أسبانيا ص ٣٠٩.

كذلك توجد غرفتان صغيرتان بـهما أحواض الاستحمام المغطس[١]، وهذه الحجرات لها أسقف على هيئة قبو نصف اسطوانى وفيها فتحت فتحات صغيرة ينفذ منها الضوء[٢].

وجدران هذا الحمـام مبنية من ملاط شديد الصـلابة، أما الحواجز والعقـود والقباب فمن الآجر مع ملاط من الجير[٣].

حمام اليهود فى بسطة:

كذلك كانت توجـد حمامات خاصـة بالنصارى واليهود وكانت فـى مدينة بسطة إحدى مدن إقليم غرناطة حمام يشبه الحمام المـوجود فى غرناطة ولكنه أقدم منه عهدًا، ويحتفظ هذا الحمام ببيـوته الثلاثة: بيت الماء البارد وبيت الماء الفاتر وبيت المـاء الساخن، وعقود هذا الحمام على شكل حدوة الفرس[٤]، كما يوجد حمام ثالث فى قصبة المرية وهو مؤلف من خمس غرف فى صف واحـد فى اثنتين منها حواجـز جانبية من البناء وبالغرفـة الأخيرة أنابيب التسخين والمـداخن المعروفة الممتدة فى الجدران، وعـقود هذا الحمام من الآجر أيضًا[٥].

المقابر:

أما المقابر فكانت تقع خارج المدينة بجوار باب البيرة[٦] وتسمى جبانة باب البيرة.

كما وجدت عدة مقابر أخرى فى غرناطة منها مقابر بجوار باب الفخارين[٧] فى أطراف غرناطة الشمالية، وكـذلك مقبرة تسمى مقبرة النخيل وتقع خـارج المدينة ويبدو أنها كانت

---

(١) مورينـو: المرجع الســابق: ص ٣١٠ عن نظام الحمـام انظر زكى محـمد حسن: فـنون الإسلام ١٢٠.

(٢) زكى محمد حسن: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) مورينو: نفس المرجع والصفحة.

(٤) مورينو: الفن الإسلامى فى أسبانيا ص ٣١٦.

(٥) مورينو: المرجع السابق نفس الصفحة.

(٦) ابن الأبار: التكملـة لكتاب الصــلة جـ ١ ص ٩٢، الحمـيـرى: الروض المـعطار: ص ٢٣، ابن الخطيب: الإحاطة.

(٧) ابن الخطيب: المـصدر السابق، جـ ١ ص ١٩٤، بـاب الفخارين أحـد أبواب غرناطة وقـد سبق التعريف به انظر ص.

مخصصة لدفن الفقهاء والعلماء[1] كذلك وجدت بغرناطة مقبرة أخرى تسمى مقبرة السبيكة[2].

أما مدينة المرية فقد حوت أيضًا عددًا من المقابر التى اتخذت خارج أبواب المدينة ومن أشهر هذه المقابر مقبرة باب بجانة[3] كذلك مالقة كان يوجد بها عدد من المقابر منها باب قبالة وهى تقع خارج الباب على مقربة من رابعة بنى عمار[4].

وغلبت البساطة والاعتدال على مآتم الأندلسيين بعد تشييع موتاهم إلى مثواهم الأخير، ولكن ذلك لم يمنع الناس من الحزن على أحبائهم وذويهم خاصة إذا كان المتوفى له مكانة اجتماعية كالعلماء والفقهاء والنابهين، فيروى ابن الخطيب ما أصاب الناس من حزن على الفقيه أحمد بن أبى القاسم بن عبد الرحمن المعروف بابن القباب حين توفى بغرناطة «وكانت جنازته بالغة أقصى آيات الاحتفال ففر لها الناس من كل صوب واحتمل طلبة العلم نعشه على رؤوسهم. . . وتبعه ثناء جميل وجزع كبير»[5].

وجرت العادة على حفر القبر الذى يوارى الميت فيه بحيث يعمق فى الأرض حتى لا تفوح رائحة الموتى ولا تتمكن السباع والكلاب من نبشهم[6]، وكانت المقابر تحفر عادة فى الأماكن المتماسكة من الأرض حتى لا تنهار[7]، وكان الناس يفضلون دفن موتاهم فى مقابر بعيدة عن سكنهم، ولذلك كانت المقابر تقع خارج المدن وفى بعض الأحيان خصصت مقابر لبعض العائلات ونسبت إليها: مثل مقبرة الشيخ الزاهد أبى العباس بن مكنون[8]، كذلك كان بعض الناس يكتبون على مقابرهم اسم المتوفى وتاريخ وفاته مع بعض الآيات القرآنية وتحفر على لوح من الرخام يوضع على المقبرة[9]، وكانت شواهد

(١) ابن الآبار: التكملة جـ ٢ ص ٥١٠.
(٢) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٥٥٤.
(٣) ابن الآبار: نفس المصدر: جـ ١ ص ٨٤.
(٤) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٦٦.
(٥) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٩٢، ص ١٩٣.
(٦) السقطى: فى آداب الحسبة ص ٦٨.
(٧) الطرطوشى: الحوادث والبدع: تحقيق محمد الطالبى، تونس ١٩٥٩ م ص ١٥٧.
(٨) ابن الخطيب: الإحاطة: المصدر السابق: جـ ١ ص ٢٠٣.
(٩) ابن الآبار: التكملة: جـ ١ ص ٨٣، ص ٨٤، ابن بشكوال: الصلة: ص ٥٢٧، ص ٥٢٨.

القبور آثارًا هامة على مــر العصور، وجرى بناء المقابر فى الأندلس من الحــجارة أحيانًا إذ كان بعض الناس يبنون مقــامًا صغيرًا فوق اللحد، وكــانوا يبنون فى بعض الأحيان دورًا فى هذه المــقابر للمــبيت فــيها، ولــذلك يرى ابن عبــدون أن هدم دور المقــبرة أولى الأشياء بالأعتاب[١].

ومن كان يموت بعيدًا عن غرناطة كان جسده يحمل ليدفن بها وذلك لجمع الموتى من الأسرة الواحدة فى مقبرة واحدة، ومن أمثلة ذلك الفقيــه محمد بن عبد الرحيم بن محمد ابن الفرج من أهل غرناطة وتوفى بأشبيلية سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م وحمل جسده إلى غرناطة ليدفن بها[٢].

هذا وقد اشتغل بعض الفقــهاء بتغسيل الموتى[٣] ولم يجدوا غضــاضة فى ذلك، ولقد خــضعت المــقابر أيضًــا لرقــابة المحــتســب، وكانت هناك تقــاليــد وآداب للمقــابر فطالب المحتسبون النــاس بالتزام قواعد وآداب المقابر لما لها من حرمة وقــدسية، فقد حرص ابن عبدون على التشدد فى مراقبة المقابر والطرق المــؤدية إليها ومنع الباعة المتجولين والشبان من التــعرض للنســاء فى الطريق[٤]، وكــذلك كان إخــلاء المقــابر من البــاعة لأنهم كــانوا يكشفون النساء[٥]، ولذا كان يمنع الرجــال من الجلوس فى أفنية المقــابر خشية تعــرضهم للنساء[٦]، ويروى السقطــى: أنه لا يجب أن يكون القارئ على المــوتى شابًا عزبًــا بل تقرأ النساء للنســاء فى المآتم وأن يقرأ عــميان الرجــال على حدة ومن وراء حجــاب والنساء من حيث يسمعن[٧]، ولقد حافظ المحتسبون على نظافة الــقبور فمنعوا بسط الأقذار فى أفنيتها مثل جلود الدباغين والرقاقين[٨].

---

(١) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٢٧، ص ٤٨.
(٢) ابن الأبار: التكملة ترجمة رقم ٧٥٠ ص ٢٢٩.
(٣) ابن أبى زيد: القيــرواني: الرسالة، طبعة الجــزائر سنة ١٩٦٨ م ص ١٠٤ ـ ص ١٠٨، فصل فى غسل الموتى وتكفينهم وتحنيطهم.
(٤) ابن عبدون: ص ٢٧.
(٥) ابن عبدون: نفس المصدر والصفحة.
(٦) ابن عبدون: نفس المصدر والصفحة.
(٧) السقطى: فى أدب الحسبة ص ٦٨.
(٨) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٢٧.

ويدعو السقطى إلى منع نواح النساء على المتوفى «يمنع النوائح أن يكن حاسرات كاشفات الوجوه» كذلك أوصى ابن يحيى بن عمر باتباع السنة النبوية فى امتناع الناس عن البكاء والصراخ العالى على الميت[١]، كما شدد على منع النساء فى الخروج إلى المقابر للترحم على الأزواج والأولاد[٢]، ويتشدد الجرسفى فى منع النساء من اتباع الجنائز وزيارة القبور إلا مع زوج أو ذى محرم[٣]، أما الطرطوشى فقد سمح بخروج النساء للجنائز إن كان الميت زوجًا أو أحد الأبوين[٤] أو الأخوة، كذلك شدد ابن عبد الرءوف فى منع الضحك والتلهى عند الجنائز[٥] ويُكره المبيت فى المقبرة والاجتماع فى الأيام التالية للوفاة وفى مناسبات الشهر والسنة وإن ما يوقد فيها من الشموع والبخور فتبذير وإسراف[٦] ويرى أن لا بأس من إرسال الطعام إلى أهل الميت وقد أمر بذلك النبى ﷺ[٧] كنوع من الألفة بين الناس وبعضهم البعض.

ثم إن عامة أهل الأندلس كانوا يلبسون الملابس البيضاء حدادًا على الميت ومظهرًا من مظاهر الحزن[٨].

القناطر:

أقام أهل غرناطة عدة قناطر على الأنهار الموجودة فى غرناطة مثل نهر شنيل ونهر حدرة وغيرها من الأنهار، ويوجد بغرناطة خمس قناطر، فيذكر العمرى فى كتابه مسالك الأبصار ما نصه «وأما حدرة فينحدر من جبل بناحية وادى آش» شرقى شلير فيمر بين بساتين ومزارع وكرمات إلى أن ينتهى إلى غرناطة، فيدخلها على باب بشرقيها، يشق المدينة

---

(١) يحيى بن عمر: أحكام السوق ص ١٤٣.

(٢) يحيى بن عمر: نفسه ص ١٢٥.

(٣) الجرسفى: ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة ـ ص ١٢١.

(٤) الطرطوشى: الحوادث والبدع ص ١٦٣.

(٥) ابن عبد الرءوف: ثلاث رسائل ص ٧٦.

(٦) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ٢٦٢.

(٧) ابن عبد الرءوف: المصدر السابق: ص ٧٧.

(٨) المقرى: نفح الطيب: ص ٤٠٤ جـ ١ محيى الدين عبد الحميد ١٩٤٩.

نصـفـين، تطحن الأرحـاء بداخلهـا وعليـه بداخلهـا خـمس: قنطرة ابن رشـيق، وقنطرة القاضى، وقنطرة حمام جاش، والقنطرة الجديدة، وقنطرة العود[١].

قنطرة القاضى:

وما زالت بعض آثارها باقـية إلى اليوم وهى تقع على نهـر حدرة أحد فـروع نهر شنيل حيث تجمع بين القصبتين الحمراء[٢] والقديمة[٣]، وقد شيـدت قنطرة القاضى هذه حوالى سنة (٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ـ ١٠٥٦م) وأن القـاض الذى تنسب إلـيه هو عـلى بن ثوبة الذى تولى القضاء لبـاديس بن حبوس والذى على يديه عمل منبر جـامعها[٤] وتسمى أيضا قنطرة القاضى بعقد حدرة وهو ضخم مشيد من الملاط وهو متقن الزخرفة[٥].

قنطرة شنيل:

أما قنطرة شنيل فتقع بالقرب من التقاء نهر شنيل بنهر حدرة وتتألف القنطرة من خمس عقـود نصف دائرية وهذه العقود بواطنهـا من الآجر أما بقيـة أجزائها فـمشيدة من الحـجر الرملى وهذه القنطرة من خصائص الفن الغرناطى وقد بنيت عام (٦٠٧هـ/ ١٢١٠م)[٦].

---

(١) العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقـية) ص ٣٧، ص ٣٨، يذكر القلقشندى: أن عليها سواق ومبان محكمة، القلقشندى: المصدر السابق جـ ٥ ص ٢١٥.

(٢) الحمـراء تقع فى العدوة الشرقيـة من غرناطة يفصلهـا عن القصبة القـديمة نهر حدارة ولا تتـوافر معلومات حول تاريخ قصبة الحمـراء وكل ما يعرف عنها أنه ورد ذكرها فى سنة ٢٧٧ هـ فى عهد عبد الله الأموى، وقد بنيت بعد بناء القصبة القديمة: ابن صاحب الصلاة تاريخ المن بالإمامة ص ١٨٤ هامش رقم ١، ذكرها ابـن الأثير فيـما يتحـدث عن ابن همشك الثائر بغـرناطة: انظر ابن الأثير: الكامل جـ ٩ طبعة ١٣٤٨ هـ ص ٧٨. Dozy: Recherches. Page 385

(٣) وتقع هذه القصـبة فى العدوة الغـربية من غرناطـة، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمـامة ص ١٨٤.

(٤) ابن صاحب الصلاة: نفس المصدر ص ١٨٥ هامش رقم ١، ويذكـر ابن الخطيب: القصبة معناها القلعة وهو استعـمال ذائع وكانت القصبة تضم فى مـعظم الأحيان قصراً للحاكم ومـسجداً للصلاة وثكنات للجند، انظر ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٠١.

(٥) مورينو: الفن الإسلامى فى أسبانيا ص ٣١٠، أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٢٥.

(٦) مورينو: المرجع السابق ص ٣١٢.

البَابُ الثَّانِي

الحياة الاقتصادية فى إقليم غرناطة
فى عصر المرابطين والموحدين

العوامل المؤثرة في الحياة الاقتصادية

تقدمت الحياة الاقتصادية فى إقليم غرناطة خلال عصر المرابطين والموحدين على أثر ما أبداه المرابطون وخلفاؤهم الموحدون من حرص علي النهوض بالمغرب والأندلس فى شتى المجالات، فزاد الإنتاج الصناعى والزراعى والتجارى وتدفقت الأموال وارتفع الدخل العام للبلاد،[١] وقد عبر ابن أبي زرع عن الرخاء الذى تمتعت به البلاد فى ظل المرابطين فقال: «وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن تناها القمح فى أيامهم إلي أن بيع أربعة أوسق بنصف مثقال، والثمار ثمانية أوسق بنصف مثقال»[٢].

وقد أشار المراكشى فى كتابه المعجب إلى مدى الرخاء والازدهار الذى كانت تنعم به البلاد في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بقوله «ولم تزل أيام أبى يعقوب هذا أعياداً وأعراساً ومواسم كثيرة خصب، وانتشار أمن، ودرور أرزاق واتساع معايش، لم ير أهل المغرب أياماً قط مثلها واستمر هذا صدراً من إمارة أبى يوسف»[٣].

كانت بعض هذه العوامل طبيعية تتعلق بإقليم غرناطة[٤] نفسه، والبعض الآخر عوامل

---

(١) ابن الموقت: محمد بن محمد بن عبد الله: السعادة الأبدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية: جزءان ـ طبع حجر ـ مراكش، ١٣٣٥ هـ جـ٣ ص ٨٩، ابن القاضي أحمد بن محمد: جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس: طبعة حجر، سنة ١٢٠٩ هـ، ص ٣٤٨، السلاوى: الاستقصا فى أخبار دول المغرب الأقصى: جـ ٢ ص ٤٨ «يذكر ابن خلدون فى مقدمته «أن بلاد المغرب والأندلس فى عهد الموحدين» كانت متسعة وجباياته موفورة» ابن خلدون: المقدمة، دار القلم، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨١، ص ٣٦٧، النويرى: نهاية الأرب: جـ ٢٢ مخطوط مجلد ٢ ص ١٠٢ S.P Scott, History of Moorish Empire, p. 239

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٦٧.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ٣٣٠، طبعة ١٩٦٣.

(٤) عن طبيعة إقليم غرناطة وثرواته الطبيعية سواء الزراعية أو المعدنية انظر الإدريسى: نزهة المشتاق: طبعة (د) ص ٢٠١، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: ص ١٠٢، ١٠٣، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨، ص ٩٩، وما بعدها، اللمحة البدرية: ص ٢٢، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ٢٩، ص ١١٢، ص ١٩٢، ياقوت: معجم البلدان: جـ ٥ مادة غرناطة، المقرى: نفح الطيب: جـ٣ ص ١٤٨، ص ١٤٩، ص ١٧٧.

سياسية طرأت على الإقليم بدخوله فى حكم المرابطين ومن بعدهم الموحدين[١] بسياستهم الجادة فى تشجيع النشاط الاقتصادى والاهتمام بالزراعة والصناعة والتجارة.

العوامل الطبيعية:

شهد إقليم غرناطة تقدمًا كبيرًا فى النشاط الاقتصادى بسبب طبيعة الإقليم ذاته وما تميز به من خصوبة أراضيه وكثرة أنهاره التى ساعدت على قيام زراعة ناجحة فى قرى ومدن الإقليم، بالإضافة إلى وفرة المادة الخام فقامت صناعات كثيرة وازدهرت، هذا إلى جانب شبكة الطرق البرية والبحرية التى ربطت قرى إقليم غرناطة ومدنه بعضها ببعض كما ربطت الإقليم بسائر أقاليم الأندلس إلى جانب الطرق التى ربطت بين إقليم غرناطة والعالم الخارجى.

ففى مجال الزراعة، تمتع إقليم غرناطة كما سبق أن ذكرت بسطح متميز وتربة خصبة وأنهار متعددة ساعدت على ازدهار الزراعة ويؤيد ذلك وصف الحميرى لإقليم غرناطة إذ قال: «وفحص البيرة[٢] ـ وهى أصل غرناطة ـ أزيد من مسافة يوم فى مثله يصرفون فيه مياه الأنهار كيف شاءوا كل أوان من جميع الأزمان وهو أطيب البقاع وأكرم الأرضين تربة ولا يعدل به مكان غير غوطة دمشق وشارحة الفيوم، لا تعلم شجرة تستعمل وتستغل إلا وهى أنجب شىء فى هذا الفحص»[٣].

ولعل خصوبة إقليم غرناطة ووفرة مزروعاته[٤]، وثراء سكانه كانت من الأسباب التى

---

(١) عن دخول إقليم غرناطة تحت حكم المرابطين ثم الموحدين انظر الباب الأول ص ٢٠، ص ٣٣.

(٢) الفحص هو البسيط الأخضر وقد سبق التعريف به عن فحص غرناطة، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٩ هامش ١، ٢، ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة: ص ١٨٧ هامش ٣، طبعة ١٩٧٩، العراق.

(٣) الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣.

(٤) عن خصوبة إقليم غرناطة انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨، ص ٩٩، اللمحة البدرية، ص ٢٥، المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص ٢٣٥ ليدن سنة ١٩٠٩ م، ابن سعيد، المغرب فى حلى المغرب، جـ ٢ ص ١٠٢، ص ١٠٣، ابن غالب: فرحة الأنفس، ص ٢٨، ياقوت: معجم البلدان: جـ ٥ مادة غرناطة، المقرى: نفح الطيب، جـ ١ ص ١٤٨، ص ١٤٩، ص ١٧٧.

دعت نصارى غرناطة[١] إلى استدعاء ابن رذمير (ألفونس الأول ملك أراغون) لغزو غرناطة وتملكها إذ أطمعوه فيها لما لها من «الفضائل على سائر البلاد وكثرة فوائدها من القمح والشعير والكتان وكثرة المرافق[٢].

كما يضيف ابن الخطيب «ومن كرم أرضنا أنها لا تعدم زريعة بعد زريعة ورعى بعد رعى طوال العام»[٣] ويصفها العمرى فى كتابه مسالك الأبصار بقوله وهى ـ أى غرناطة ـ «كثيرة المطر والأنهار والبساتين والشجر والفواكه ولها نهران شنيل وحدرة»[٤].

وهكذا وُصِف إقليم غرناطة بأنه تربة خصبة وأودية طويلة تخترقها الأنهار وترويها الأمطار وساعد ذلك كله على تعاقب الزراعة فى هذا الإقليم طوال العام، ومن أهم هذه الأنهار نهر شنيل الذى ينبع من جبل شلير ويتدفق عندما تذوب الثلوج فيغذى الأودية[٥] ويروى البقاع، وكان جبل شلير مصدراً هامّا للمياه عندما تذوب الثلوج التى تغطيه طوال العام فيتفرع منه أنهار وجداول صغيرة[٦]، بالإضافة إلى نهرى حدرة[٧] والمنصورة[٨]،

(١) يسميهم ابن الخطيب بالمعاهدة، ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ١٠٩ ـ ص ١٤٤، عن حملة ابن رذمير واستدعاء نصارى غرناطة له، انظر ابن عذارى: البيان المغرب: جـ٤ ص ٦٩، ص ٧٠ وما بعدها، مجهول: الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية: تحقيق عبد القادر زمامة ص ٩١.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ١٠٩، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ٩٨، اللمحة البدرية: ص ٢٢.

(٤) العمرى: مسالك الأبصار: وصف أفريقية والأندلس ص ٣٤، ص ٣٥ عن شنيل وحدرة، انظر: ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٩٠ هامش ٤، ص ١٩١ هامش ٣، شكيب أرسلان: الحلل السندسية: ص ١٢٩.

(٥) محمد بن على الشباط: صلة السمط المعروف باسم تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، استخرج الجزء الخاص بالأندلس أحمد مختار العبادى، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مجلد ١٤ طبعة سنة ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨، ص ١١٣، ص ١١٤، طبعة سنة ١٩٧١ ص ١٤٠، ص ١٤١، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ١ ص ١١٧، ص١١٨ الحميرى: الروض المعطار: ص٢٣، ص١٢٢.

(٦) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص ١٤٠، ص ١٤١، تحقيق إسماعيل العربى، طبعة الجزائر، سنة ١٩٨٢ م، ابن الشباط صلة السمط المعروف باسم الاكتفاء، ص ١٤٥، العمرى: (وصف أفريقية) ص ٣٤، ص ٣٥، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص٢١٤، ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ٩٦، الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٣، الإدريسى: نزهة المشتاق: (ط.د) ص ٢٠٣.

(٧) العمرى: المصدر السابق: ص ٣٧، القلقشندى: نفس المصدر جـ ٥ ص ٢١٥، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٩٠ هامش رقم ٤.

(٨) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب: ص ٣٤، حاشية رقم ٨.

(3) Simonet: Discription del Reino de Granada: P. 111.

وشهد إقليم غرناطة أنهاراً موسمية مثل وادى المرية[١] الذى يفيض شتاءً ووادى مالقة الذى يفيض فى الربيع[٢]، وبالإضافة إلى الأنهار والأودية التى ذكرت وجدت فى إقليم غرناطة العيون أيضا[٣] وأسهمت هذه العيون والأنهار والأودية وكذلك الأمطار فى جعل إقليم غرناطة إقليمًا خصبًا صالحًا للزراعة طوال العام[٤].

وقد توفرت لإقليم غرناطة أيضاً المادة الخام التى ساعدت على ازدهار الصناعة فى عصر المرابطين وخلفائهم الموحدين.

فقامت عدة صناعات أهمها صناعة النسيج[٥] وصناعة السفن[٦] وصناعة بعض الأدوات من النحاس والحديد[٧]، بالإضافة إلي عدة صناعات أخرى سنذكرها فيما بعد.

وقد اشتهر إقليم غرناطة بإنتاجه الوفير من المعادن مثل الذهب والفضة والحديد

---

(١) العمرى: المصدر السابق: ص ٤٦، القلقشندى: نفس المصدر: جـ ٥ ص ٢١٧.

(٢) ابن سعيد: المغرب فى حلي المغرب جـ ١، ص ٤٢٣.

(٣) العمرى: نفس المصدر: ص ٣٥، القلقشندى: نفس المصدر، جـ ٥ ص ٢١٥، الحميرى: نفس المصدر، ص ٢٣، ص ٤٥.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ٩٨، اللمحة البدرية، ص ٢٢.

(٥) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص ٢٨٣، الإدريسى: نزهة المشتاق (ط/د) ص ١٩٧، ياقوت: معجم البلدان، جـ ٥ ص ١٩١، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربى، ص ١٤٠، الطبعة الثانية، الجزائر، سنة ١٩٨٢، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ١ ص ٤٢٤، العمرى: (وصف افريقية)، ص ٤٥، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢١٥، ص ٢١٧، ابن الخطيب: مشاهدات، ص ٣١، ص ٨٢، هامش رقم ٢، ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ٩٨، الحميري: الروض المعطار، ص ٢٤، ص ١٨٤، المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٧٨، ص ١٨٧، جـ ٤ ص ٢٠٦، طبعة سنة ١٩٤٩، جـ ٣، طبعة بيروت ص ٢١٩، ص ٢٢١.

(٦) القلقشندى: المصدر السابق، جـ ٥ ص ٢١٧، ص ٢١٨، العمرى: المصدر السابق ص ٤٥، ص ٤٧، الحميرى: المصدر السابق، ص ١٨٦، ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ص ١٩٦، هامش رقم ٢ طبعة ١٩٧٩ العراق.

(٧) ابن سعيد: الجغرافيا، ص ١٤٠، الإدريسى: نزهة المشتاق، (صفة المغرب) ص ١٩٧، ص ١٠٢، العمرى: وصف أفريقية، ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢١٩، الحميري: الروض المعطار، ص ٢٤، ص ١٨٤.

الرصاص والنحاس[١] بالإضافة إلى معدن المـرقشيتا[٢] واللازورد[٣] والملح[٤] والياقوت الأحمر[٥] وذلك فضلاً عن مقاطع الرخام التى تستخرج من البيرة[٦].

وإلى جانب العوامل الطبيعية السابقة التى تمتع بها إقليم غرناطة وساعدت على ازدهار كل من الزراعـة والصناعة كـان للطرق التـجارية أثر فى إنعـاش حـركة التـجارة الداخليـة والخارجية، فقد تمتع إقليم غـرناطة بشبكة من الطرق البرية ربطت بين مدن الإقليم داخليّا وخارجيّا[٧] بالإضافة إلى الطرق البحرية[٨] وكثرة موانى الإقليم كالمرية والمنكب ومالقة[٩] التى كانت تخـرج منها الأساطيل التـجارية محـملة بالبضائع آتيـة إليها بمـا تحتاجـه البلاد فانتعشت التجارة الداخلية والخارجية.

وهكذا كان للعوامل الطبيعية أكبر الأثر فى إنعاش الاقتصاد وتقدمه فى إقليم غرناطة.

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨، اللمـحة البدرية، ص ٢٢، الحـميرى: المصـدر السابق، ص ٢٤، على بن يوسف الحكيم (أبو الحـسن) الدوحة المشـتبكة فى ضوابـط دار السكة، تحقق حسين مؤنس، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠، ص ٨٥.

(٢) «المرقشيتا أو المرقشيطة: هو حـجر ذو خواص طبية يغلب على الظن أنه البزموت وذكر ابن سينا أنه يوجد على أنواع مختلفة ذهبى وفضى ونحاسى وحديدى كل صنف يشبه الجوهر الذى إليه فى لونه» راجع أبى الحسن على بن يوسف الحكيـم: الدوحة المشتبكة فى ضـوابط دار السكة، مجلة معهـد الدراسات الإسلاميـة بمدريد، ١٩٦٠ م، ص ٢٦، حاشية ٩، حـسين مؤنس: الجغـرافية والجغرافيون: صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، سنة ١٩٦٧، ص ٥٦٠ حاشية رقم ١.

(٣) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص ٢٨٣، ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ٩٨.

(٤) ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٨٢، هامش ١.

(٥) المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٥٨، طبعة سنة ١٩٤٩.

Scott: Hist. of the MoorishEmpie, Vol. 111, P. 628.

(٦) ابن غالب: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٧) عن الطرق البرية (الداخلية والخارجية) انظر ص.

(٨) عن الطرق البحرية انظر ص ١٥١.

(٩) عن موانى إقليم غرناطة انظر الإدريسى: نزهة المشـتاق (صفة المغرب والأندلس) ص ١٩٧، ص ١٩٩، ص ٢٠٠، ابن سـعيـد: كتـاب الجغـرافيـا، ص ١٤٠، ص ١٤١ طبعـة سنة ١٩٨٢ م، العذرى: نصـوص عن الأندلس، ص ٨٦، ابن سعـيد: المـغرب فى حلى المـغرب، جـ ١ ص ٤٢٢، ص ٤٢٣، جـ ٢ ص ١٨٩ ـ ص ١٩٢، ابن الخطيب: اللمحة البـدرية، ص ٢٩، العمرى (وصف أفريقية والأندلس) ص ٤٥ إلى ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢١٧.

العوامل السياسية:

أما العوامل السياسية فقد لعبت هى الأخرى دورًا هامًا فى ازدهار الاقتصاد فى بلاد المغرب والأندلس عامة وإقليم غرناطة خاصة، فقد أثرت سياسة أمراء المرابطين وخلفائهم الموحدين فى ازدهار النشاط الاقتصادى سواء فى الزراعة أو الصناعة أو التجارة، فأسهموا فى رفع مستوى الإنتاج فى البلاد سواء فى المغرب أو الأندلس، فوفروا الأمن والطمأنينة للسكان وقضوا على الفتن والحروب(١) ونقلوا الصراع إلى أرض نصارى أسبانيا، ووفروا لرعاياهم قدرًا كبيرًا من الأمان(٢)، وبالأمن والاستقرار الذى أشاعه المرابطون استطاع السكان استثمار الأرض(٣) ومضاعفة الإنتاج الزراعى، إذ أن شعور المزارع بالأمن والاستقرار دفعه إلى زيادة الإنتاج لشعوره أن ثمرة جهده لن تضيع عبثًا فعمل على تنمية الإنتاج ومضاعفته(٤).

وكان المزارعون هم أكثر الناس تضررًا بالاضطرابات والحروب الداخلية المستمرة قبل عهد المرابطين، فإذا نشبت حرب بين أميرين فإن من الوسائل المتبعة ضد الطرف الآخر

---

(١) كانت الحروب بين مسلمى الأندلس ونصارى أسبانيا منذ أيام المنصور بن أبى عامر قائمة على انتساف الزروع فى مواسمها واشتد ذلك فى أيام ملوك الطوائف، انظر ابن الكردبوس، الاكتفاء فى أخبار الخلفاء، ص ٦٤، ص ٦٥، ص ٧٨، عبد الله بن بلقين: التبيان، ص ١٠١، محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ص ١٣٩، ص ١٤٠ ـ المجلدان السابع والثامن طبعة سنة ١٩٥٩ ـ سنة ١٩٦٠ الحميرى: الروض المعطار، ص ٩٢.

(٢) عن المعارك بين المرابطين ونصارى أسبانيا انظر ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٤٦، ص ١٤٨، ص ١٥٦، ص ١٥٧، ص ١٥٩، ص ١٦٠، ص ١٦١، ص ١٦٤، طبعة دار المنصور، ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، القسم الثالث، المجلد الأول، ص ١٠١، ابن القطان: نظم الجمان، ص ٥، ص ٦، ص ١٠، ص ١٣، ص ١٤، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٤ ص ٥٠، ص ٨٠، ص ٨١، ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص ١١٤، السلاوى: الاستقصا، جـ ٢ ص ٦١، مكى: وثائق تاريخيه، ص ١٥٧.

(٣) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤٠٢، ص ٤٠٤.

(٤) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ٤٠٤.

حرق المزارع وتخريب البساتين التى تقع خارج أسوار المدن[١] وكذلك كان نصارى أسبانيا إذا أغاروا على البلاد الإسلامية لا يترددون فى إحراق البساتين وإتلاف الزروع[٢].

وما حدث للزراعة، حدث للتجارة، فقد استطاعت دولة المرابطين بعد أن نجحت فى التوحيد بين أقاليم المغرب والأندلس أن تقر الأمن والسكينة فى ربوعه كما سبق أن ذكرنا[٣]، ففى العصر المرابطى الأول قبل معركة أقليش[٤] (٥٠١هـ/ ١١٠٨م)[٥] استطاع

---

(١) ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة: القسم الثانى، المجلد الأول، ص ٣٥، تحقيق إحسان عباس، سنة ١٩٧٨.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٨٠، ص ٨١، ص ٨٤ وما بعدها، ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٩٧، ص ٢٠٠، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٦٠، ص ١٦١، ص ١٦٢، ص ١٦٣، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ: جـ ١٠ ص ٥٨٦، عن حملة ابن رذمير على غرناطة وإحراقه الزروع انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٦ ـ ص ١٤، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٧١ وما بعدها، أمبروسى هويش ميراندا: على بن يوسف وأعماله فى الأندلس، مجلة تطوان، منشورات الجامعة المغربية، كلية الآداب، العدد ٣ ـ ٤، ١٩٥٨ م ـ ١٩٥٩ م، ص ١٧٢.

(٣) كانت الأندلس فى عهد ملوك الطوائف يقطعون السبل فى البلاد الأندلسية، عن ذلك انظر عبد الله ابن بلقين: التبيان: ص ٩٥ وما بعدها.

(٤) «مدينة لها حصن فى ثغر الأندلس، وهى قاعدةُ كور شَنْتَبريه، وهى... مربعة منحوتة مستويةُ الأطراف» انظر الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٨.

(٥) يذكر عز الدين موسى فى كتابه النشاط الاقتصادى «أنه يمكن التمييز بين دورين فى تاريخ المرابطين، انتهى الدور الأول فى عصر المرابطين عقب معركة أقليش Ucles ٥٠١ هـ ـ ٥٠٢ هـ، (١١٠٨ ـ ١١٠٩ م) ثم تلاه دور آخر عجز فيه المرابطون عن حماية الزراعة واختل الأمن فعجزوا عن رد غارات نصارى أسبانيا، عز الدين موسى: المرجع السابق: ص ١٥٨، عن معركة أقليش انظر: ابن القطان: نظم الجمان: ص ٥، ص ٦، ص ٧، ص ٨، ص ٩، ص ١٠، انظر نص الرسالة التى وجهها تميم بن يوسف إلى أخيه، انظر عن ذلك حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين وسقوط سرقسطة فى أيدى النصارى سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م مع أربع وثائق جديدة، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد الحادى عشر، الجزء الثانى، ديسمبر سنة ١٩٤٩ م ص ٩١ ـ ص ١٤٣ وهى الموقعة التى نشبت بين المرابطين والنصارى وانتهت بانتصار المرابطين على جيوش ألفونسو السادس ملك قشتالة ومصرع ابنه الأمير شانجة، عن ذلك انظر أيضا أمبرسيو هويثى ميراندا «عن المعارك الكبرى فى حرب الاسترداد المسيحية» =

المـرابطون أن يحـفظوا الأمن وأن يقـروا السكينة فـسـهروا على حـمـاية الطرق وتأمـين مسالكها[١] وضبط الثغور[٢] وذلك بنقل الصراع إلى مناطق نصارى أسـبانيا[٣] وبناء القلاع والحصون والأسوار[٤] حول المدن مثل المرية[٥] وغرناطة[٦] ، وتشييد الرباطات والمحارس الساحلية فى غرناطة وغيرها من المـدن الساحلية سواء فى بلاد المغرب أو الأندلس وذلك لحمايتـها من الغارات البحرية التى كان يقـوم بها الأعداء[٧] ، وكانت هذه الـرباطات مزودة بمنائر عرفت باسم الطلائع[٨] .

= حيث يخص معركـة أقليش ببحث مفصل، وقد ترجم هذا البحث إلى العـربية ونشر تحت عنوان «واقعـة أقليش وم صرع الأمير شـانجة» مجلة تطوان، العـدد الثانى، سنة ١٩٥٧، ص ١١٥، ص ١٣٠، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٥٩، ص ١٦٠، ص ١٦١، طبعة دار المنصور، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس: ص ١١٤، ص ١١٥، طبعة سنة ١٩٧١، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد.

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٠٠، طبـعة أوبسـالة ١٨٤٣ م، وطبعة دار الـمنصور، ص ١٦٧.

(٢) ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ١٥٩، طبعة دار المنصور.
المراكشى: المعجب: ص ٢٢٦، طبعة ١٩٦٣.

(٣) ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٤، محمود على مكى: «وثائق جـديدة» ص ١٥٧، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، سنة ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٤ ص ٥٢، ص ٥٧، ص ٦٢، ص ٦٤.

(٤) ابن عذارى: المصدر السابق، جـ ٤ ص ٧٣، ص ٧٤، ص ٧٥، ص ٧٦.

(٥) ابن عذارى: المصدر السابق: يذكر ابن عذارى ما نصه: وتولى النظر فى أسوار المرية رجل منهم يعرف بابن العجمى، من أصحاب ابن ميمون، فأخذ بالحزم واستكثر بالسياسة والعزم، ولم ينفق شيئًا من المال إلا فى مـوضعه، ولا استعان إلا بمن جد فى نصحـه، ورأى الناس ذلك فتساهلوا فى الأداء وتواصلوا حمل الأعباء، فكمل السور على واجبة من «التـحصين والتحسين» ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٧٤.

(٦) ابن عذارى: المصدر السابق، نفس الصفحة (ص ٧٣، ص ٧٤).

(٧) ففى هذا يقول الصوفى الغرناطى: ابن أبى زمنين «رأيت أهل العلم يستحسبون التكبير فى العساكر والثغور والرباطات عند صلاة العـشاء وصلاة الصبح تكبيراً عالـيًا ثلاث تكبيرات، ولم يزل ذلك من شأن الناس قديمـا» انظر ابن أبى زمنين كتاب قدوى الغـازى، ورقة ٢٩، مخطوط رقم ٥٧٥، المكتبة الوطنية بمدريد.

(٨) Dozy: Suppl. 11, P. 55

فأمن المرابطون بأسطولهم البحرى حركة النقل التجارية فى البحر(١) وألغى المرابطون جميع أنواع الضرائب التى فرضها ملوك الطوائف(٢) من قبل واقتصروا على الزكاة والعشر(٣)، ثم تبدل هذا الوضع تدريجيًا بعد معركة أقليش (٥٠١هـ/ ١١٠٨م) أى فى الفترة الثانية من حكم المرابطين حينما تحول الجيش المرابطى فى الأندلس من الهجوم إلى الدفاع، وبلغت إغارات نصارى أسبانيا مداها بقيام حملة ابن رذمير على غرناطة(٤) وما تلا ذلك من اندلاع الثورة الموحدية(٥) وضعف المرابطين فى مواجهتها فانعدم

(١) عن قوة الأسطول المرابطى انظر: الإدريسى: نزهة المشتاق (ط.د) ص ٥٥، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، سنة ١٩٧١ م، ص ١٢٣، ص١٢٤، ونفس الصفحات طبعة ١٩٦٥، ١٩٦٦ م، ابن خلدون: العبر المقدمة: ص ٢٥٥، طبعة بيروت، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٩٧، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٤٠١، سيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادى: تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس، ص ٢٣٨ وما بعدها، بيروت، سنة ١٩٦٨،

Torres Balbas: Atarazanas Hispano Musulmans, "Al - Andalus", 1946, Vol. XI, Fasc. 1, P 184.

أشباخ: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، ترجمة عبد الله عنان، جـ ٢ ص ٢٣٧.

Aly Mohamed Fahamy: Muslim Sea - Power in the Eastern Mediterranean, P. 128

(٢) كان ملوك الطوائف يفرضون قبالات على كل ما يباع فى الأسواق: ابن النغريلة ص ١٧٦، ص ١٧٧.

(٣) عبد الله بن بلقين: التبيان، ص ١١٩، ص ١٢٠، ص ٣٤٠، ص ٣٤١، المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٠٨، سنة ١٩٤٩ م، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٦٧، طبعة دار المنصور، السلاوى: الاستقصا، جـ ٢ ص ٥٤، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٤٠٣، ص ٤٠٤، ص ٤٠٨، عن الضرائب انظر النظم المالية: ص؟

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ١٠٦ ص ١١٤، مجهول: الحلل الموشية، ص ٩١، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٤ ص ٦٩ وما بعدها، عن ضعف المرابطين أمام الخطر النصرانى انظر ابن القطان: نظم الجمان، ص ١١١ وما بعدها، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٨٧ وما بعدها، السلاوى: الاستقصا، جـ ٢ ص ٩٧، سيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، العصر الإسلامى، ص ٧٤٠.

(٥) عن ظهور الموحدين وأثره على دولة المرابطين انظر المراكشى: المعجب: ص ٢٤٦، ص ٢٥٥، ص ٢٥٩، ابن تومرت: أعز ما يطلب: مشتمل على جميع تعاليق الإمام محمد بن تومرت مما أملاه أمير المؤمنين ابن عبد المؤمن على الجزائر، سنة ١٩٠٣ م ١٣٢١ هـ، ص ٢٥٨ - ص =

الأمن[١] على النفس والمال فى البر والبحر، ولم يستطع الناس حماية مزروعاتهم[٢]، كما كثرت حوادث قطع الطرق على المسافرين من التجار[٣] وعجز الأسطول المرابطى عن حماية السواحل المغربية والأندلسية وأصبحت الموانى الأندلسية عرضة لهجمات أساطيل المدن التى تحالفت مع نصارى أسبانيا، فضُرب مركز التجارة المرابطية البحرى الرئيسى فى المرية سنة ٥٤٢هـ[٤]، يقول صاحب المعجب «وأما أهل المرية فأخرجوا من كان عندهم

= ٢٦٦، البيذق: أخبار المهدى ابن تومرت، الرباط، ١٩٧١، ص ٣٥، مجهول: الحلل الموشية، ص ١١٠، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٨٧ - ص ١٩١، طبعة دار المنصور، السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ٦٦ وما بعدها، ص ٩٧، ص ٩٨، عنان: دولة الإسلام فى الأندلس: عصر المرابطين، ص ٢٧٣، عبد الله علام: الدعوة المغربية بالمغرب، القاهرة ١٩٧٨ نشر دار المعارف ص ١٨٠ ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٧، ص ٣٤٦.

(١) ومما يدل على اختلال الأمن فى العصر الثانى من حكم المرابطين ما يذكره المراكشى فى كتابه المعجب حيث يقول «واختلت حال أمير المؤمنين بعد الخمسمائة، اختلالاً شديداً فظهرت فى بلاده مناكر كثيرة وذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد ودعواهم الاستبداد... واستولى النساء على الأموال وأسندت إليهن الأمور وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور» من هذا النص يتضح أنه كثرت حوادث قطع الطرق بسبب ظهور قطاع الطرق الذين هددوا أمن وسلامة التجار، وهو ما يذكره أيضا ابن عذارى فى البيان، عن ذلك انظر ابن عذارى: البيان جـ ٤ ص ٩١، ويذكر ابن بشكوال فى كتابه الصلة، أن ابن عبد الله الصقلى ويكنى أبا عبد الله دخل غرناطة وسلب فى طريقها، وأخذ الناس عنه وبها توفى سنة ثمان وخمسمائة بغرناطة، انظر ابن بشكوال: المصدر السابق، جـ ٢ ص ٦٠٥، عن ذلك أيضا انظر ابن الخطيب: أعمال الأعلام، طبعة بروفنسال: ص ٢٤٩.

(٢) هويش ميراندا: على بن يوسف وأعماله فى الأندلس: مجلة تطوان، سنة ١٩٥٨، ١٩٥٩.

(٣) البيذق: أخبار المهدى بن تومرت: ص ٧٣، طبعة دار المنصور، الرباط، ١٩٧١، ابن بشكوال: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٦٠٥، ابن عذارى: البيان: جـ ٤ ص ٩١.

(٤) الإدريسى: نزهة المشتاق: طبعة دوزى، ص ١٩٨ - ص ٢٢٠، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٤، المقرى: نفح الطيب، جـ ١ ص ١٦٣، جـ ٣ ص ٢٢٠، ص ٥٧١، جـ ٤ ص ٤٦١، تحقيق إحسان عباس، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ قسم ٣ الموحدى، ص ٣٣، المراكشى: المعجب، ص ٢٧٩، ص ٢٨٠، طبعة سنة ١٩٦٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٣ ص ١٠٧، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، سنة ١٩٧٠ - ١٩٧٢، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ ١١ ص ٢٢٣، طبعة دار صادر، بيروت، سنة ١٩٦٧، النويرى: نهاية الأرب، جـ ٢٤ ص ٣٠٩، ص ٣١٠ سيد عبد العزيز سالم، وأحمد مختار العبادى: تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس، ص ٢٤٩، أشباخ: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، جـ ١ ص ٢٣٤.

أيضًا من المرابطين، واختلفوا فيمن يقدمونه على أنفسهم، فندبوا إليها أبا عبد الله بن ميمون، ولم يكن منهم، وإنما هو من أهل مدينة دانية[١]، فأبى عليهم وقال: إنما أنا رجل منكم، ووظيفتي البحر وبه عرفت، فكل عدو جاءكم من جهته فأنا به، فقدموا على أنفسهم رجلا منهم اسمه عبد الله بن محمد يعرف بابن الرميحى[٢]، فلم يزل عليها إلى أن دخلها عليه النصارى من البر والبحر، فقتلوا أهلها وسبوا نساءهم وبنيهم وانتهبوا أموالهم في خبر يطول ذكره»[٣].

ولما قامت الدولة الموحدية أولى الموحدون النشاط الاقتصادى عناية خاصة وحاولوا توفير الأمن والاستقرار لأهل البلاد فنقلوا الصراع كذلك إلى مناطق نصارى[٤] أسبانيا وبذلوا جهودًا كبيرة في إقامة الحصون حماية «للبسائط»[٥] وإرسال الجيوش حماية

(١) مدينة بشرقى الأندلس «على البحر عامرة حسنة لها ربض عامر وعليها سور حصين... والسفن واردة إليها صادرة عنها، ومنها كان يخرج الأسطول إلى الغزو» الحميرى: المصدر السابق: ص ٧٦.

(٢) يكنى أبا يحيى، وكان أديبًا ظريفًا طيب النفس، وبنو الرميحي سلالة من بنى أمية ملوك الأندلس، ينتسبون إلى رمحة: قرية من أعمال قرطبة وكان يتولى المرية قبله عامل من قبل الموحدين اسمه ابن مخلوف، فخلع أهل المرية طاعة الموحدين وقتلوا عاملهم إذ ذاك وولوا عليها أبا يحيى بن الرميحى دخل النصارى المرية، وفعلوا بها ما فعلوا، فر ابن الرميحى إلى فاس، وعاش بها ضائعًا خاملاً يسكن فى غرفة مفردة ويعيش من نسخ الكتب، انظر المراكشى: المعجب: ص ٢٧٩.

(٣) المراكشى: المصدر السابق: ص ٢٧٩ - ص ٢٨٠.

(٤) عن محاولات الموحدين نقل الصراع إلى مناطق أسبانيا النصرانية ونسف زروعهم انظر ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: طبعة أوبسالة ص ١٣٨، ص ١٤٠، ص ١٤٤، ص ١٥١، وطبعة دار المنصور، ص ٢٠٠، ص ٢٠١، ص ٢٠٢، ص ٢١٠، ص ٢١١، ص ٢١٢، وفى ذلك يذكر ابن أبى زرع «وفى سنة خمس وثمانين وخمسمائة تحرك أبو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن على إلى الأندلس برسم غزو بلاد غربها، وهى أول غزواته للروم، فجاز إليها من قصر المجاز إلى الجزيرة الخضراء وذلك يوم الخميس الثالث من ربيع الأول من سنة خمس وثمانين وخمسمائة المذكورة، فارتحل عن الجزيرة الخضراء حتى نزل شنترين وشن الغارات على مدينة الأشبونة وأنحائها، فقطع الثمار وقتل وسبا وأضرم النيران فى القرى وحرق الزرع وبالغ فى النكاية» ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ٢١٨، المراكشى: المعجب، ص ٣٣١، النويرى: نهاية الأرب، جـ ٢٤ ص ٣٣٤، تحقيق حسين نصار.

(٥) ابن عذارى: البيان: جـ ٣ القسم الموحدى، ص ١٠٣، تحقيق هويش ميراندا ومحمد إبراهيم الكتانى سلسلة معهد مولاى الحسن، سنة ١٩٦٠ م.

لغرناطة، يقول ابن صاحب الصلاة: «إن أبا سعيد وأبا عبد الله خرجوا من أشبيلية بالعسكر الميمون إلى مدينة غرناطة لدفع المحاربين الأشقياء عن جهاتها وحماية صيفيتها فعند خروجهم من قرطبة إلى جهاتها التقوا على غير ميعاد ولا معرفة بعسكر مجتمع معد من عسكر ابن مردنيش بحصن لك[١] فكانت بينهم مدافعات عميمة، وكرات في معركة من الحرب عظيمة، ظهر فيها من إقدام أبي عبد الله بن يوسف ومن أعيان العرب وسائر العسكر ومن صبرهم ودفاعهم وقراعهم ما لم يظهر مثله إلا فى زمان الأبرار المجاهدين الأخيار»[٢].

ومع كل جهود الموحدين هذه فى حماية الأندلس بما فيها إقليم غرناطة ظل نصارى أسبانيا يوجهون اعتداءات مستمرة إلى كل بلاد الأندلس[٣]، ولذلك حرص الموحدون على عقد الصلح مع نصارى أسبانيا رغبة فى تحسين النشاط الاقتصادى[٤]، وتحقيق الأمن للسكان حتى يستطيعوا ممارسة أنشطتهم الاقتصادية المختلفة دون خوف من سلب أو نهب أو حرق لزروع ونسف لبساتين فازدهرت الزراعة فى المناطق الجنوبية مثل غرناطة ومالقة والمرية[٥]

(١) حصن لك يقع جنوب غرناطة على مقربة منها، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٢٧٦، هامش رقم ١.

(٢) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ٢٧٦.

(٣) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٥١٢ ـ ص ٥٢٢، طبعة سنة ١٩٦٤، ص ٣٩٥ ـ ص ٤٠٥ طبعة سنة ١٩٧٩، المراكشي: المعجب: ص ٣٢١، ص ٣٢٤، ص ٣٥٦، السلاوى: الاستقصا، جـ ٢ ص ١٣٢ ـ ص ١٣٦، ص ١٣٨ ـ ص ١٤٠، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٤ القسم الموحدى، ص ١٠٠، ص ١٠٣، ص ١٠٧ ـ ص ١٠٨، ص ١١٠، ص ١١٣، ص ١١٨ ـ ص ١١٩، المقرى: نفح الطيب، جـ ١ ص ٤٤٣، طبعة بيروت.

(٤) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ٢٠٩ ـ ص ٢١١، ص ٢٧٤ ـ ص ٢٩٠.

(٥) عن الزراعة فى غرناطة ومالقة والمرية وازدهارها فى تلك الفترة انظر الإدريسى: نزهة المشتاق، ص ١٩٩، ص ٢٠٠، ص ٢٠٤، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، جـ ٢ ص ٩١، ص ١٤٨، ص ٤٣٢، ابن سعيد: الجغرافية، ص ١٤٠، ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ٩٨، ص ١٢٠، ص ١٣٠، مجهول: الحلل الموشية، ص ٩٠، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢١٧، ص ٢١٨، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ٢٤، ص ٢٩، ص ٤٥، ص ١١١، ص ١١٢، ص ١٤٣، ص ١٩٢، المقرى: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٤٩.

وأشبيلية[١] وجبل طارق فاهتموا بالغراسة[٢] وتسريب الماء وبناء الخزانات[٣]، كما شجعوا المزارعين على استغلال الأرض[٤]، كذلك اهتموا اهتمامًا عظيمًا بالأساطيل، فلقد وجه عبد المؤمن بن على عنايته نحو إنشاء وتعمير المراسى ودور الصناعة المنتشرة على طول السواحل المغربية والأندلسية، فاستطاع أن ينشئ أقوى أسطول فى البحر المتوسط[٥]، يقول ابن أبى زرع «ودخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وفيها أمر أمير المؤمنين عبد المؤمن بإنشاء الأساطيل فى جميع سواحل بلاده وعزم على غزو بلاد الروم فى البر والبحر فأنشأ منها أربعمائة قطعة، منها فى سلا والمعمورة مائة وعشرون قطعة وفى مراسى سبتة وطنجة وبادمس ومراسى الريف مائة قطعة، وفى مراسى وهران هُنين وتونس مائة قطعة، وفى مراسى الأندلس ثمانين قطعة»[٦].

---

(١) الإدريسى: المصدر السابق: ص ٢٠٦، الحميرى: المصدر السابق، ص ١٩، ص ٢٠، ص ١٠٢، ص ١٦٩، ابن الشباط: الاكتفاء، ص ١١٧، ابن سعيد: المغرب، جـ ١ ص ١٩٩، ص ٣٠١.

(٢) يذكر ابن صاحب الصلاة أنهم (أى الموحدون) «جلبوا من أنواع الزيتون المختارة من الألوان نحوًا من عشرة آلاف شجرة، غرست على نسق عام بعد عام» انظر ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ٥٤، هامش رقم ١، طبعة سنة ١٩٧٩، يذكر النوبرى: صاحب كتاب نهاية الأرب مدى اهتمام الخلفاء الموحدين بالغراسة للمحافظة على المزروعات، يقول: «فلما كان فى صفر سنة أربع وخمسين وخمسمائة سار (أى عبد المؤمن بن على) يريد أفريقية ومعه من العساكر مائة ألف مقاتل ومن السوقة والأتباع أمثالهم وبالغ فى حفظ العساكر حتى كانوا يسيرون بين الزروع فلا تتأذى لهم سنبلة واحدة» النوبرى: نهاية الأرب: جـ ٢٢ مخطوط مجلد ٢ ص ٩٤، المطبوع جـ ٢٤ ص ٣١١، (عن اهتمام الموحدين بالزراعة في بلاد المغرب والأندلس انظر ابن أبى زرع: الأنيس المطرب): ص ٢١٧ ـ ص ٢١٨، ص ٢٢٩.

(٣) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، نفس الصفحة، الحميرى: الروض المعطار، ص ٦٧، ص ١٢١ «اهتم الموحدون وخاصة الخليفة المنصور الموحدى بتوفير المياه اللازمة للرى».

Brelvi: Islam in Africa, P. 137.

(4) Julien: Histoire de l'Afriqe, P. 122, Julien, Op. Cit. P. 124.

(٥) يذكر ابن صاحب الصلاة «أن الموحديون كانوا مضطرين للاتصال كل لحظة وحين لربط الصلة بين أفريقية والأندلس ونقل المئات من الجند بين الفترة والأخرى» انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٥٤، السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ١٢٨، ص ١٢٩.

(٦) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ٢٠٠، ص ٢٠١، طبعة دار المنصور.

ويعطينا ابن خلدون وصفًا يدل على مدى القوة والكفاية التى كانت لأسطول الموحدين فى تلك الفترة حيث يقول: «ولما استفحلت دولة الموحدين فى المائة السادسة وملكوا العدوتين أقاموا خطة هذا الأسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد»[١].

هذا ولم تقتصر مهمة الأسطول الموحدى منذ عصر عبد المؤمن على جهاد نصارى أسبانيا، بل أخذ على عاتقه أيضًا مهمة قمع حركة القرصنة التى كانت منتشرة بين المسيحيين والمسلمين على السواء[٢]، يقول عبد العزيز بن عبد الله: إن سياسة الموحدين البحرية كانت تقوم على مبدأ احترام نواميس التجارة الدولية وضمان السلام والطمأنينة فى البحار[٣]، فقد قام الخليفة أبو يوسف بشن غارة بحرية على حصن طبيرة[٤]، وفى ذلك يقول ابن صاحب الصلاة «وفى هذه السنة (٥٦٣هـ) لازم الموحدون أعزهم الله حصن طبيرة بالحصار، وللغادر الثائر فيها عبد الله بن عبيد الله بالضيقة عليها والإسار برًا وبحرًا وسكنوا فى حصن قسطلة[٥] بعسكرهم المؤيد يضربون عليها نهارًا وليلاً، وينالون من أعدائهم كل ساعة نيلاً منهم عليها فى دفع ضرها، ورفع شرها الذى استشرى فيها، من أول عام ستة وأربعين وخمس مائة إلى آخر عام ثلاثة وستين وخمس مائة باجتماع الفسقة فى داخلها من أصناف الدايرين من أهل الترف والسرف بالفسق والعصيان وإذاية المسلمين

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٥٥، أمارى (ميشيل) المكتبة العربية الصقلية، ليبسك، ١٩٧٥ م.

(٢) سيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادى: تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس: ص ٢٦٣، عن ذلك انظر أيضا Ander Julien: Histore de l'Afrique du Nord: P. 123.

(٣) عبد العزيز بن عبد الله: البحرية المغربية والقرصنة ـ مجلة تطوان، العددان ٣ ـ ٤، سنة ١٩٥٨ - ١٩٥٩، عن ذلك أيضا Ander Julien: Historere de l'Afrique du Nord: P. 123

(٤) يقع هذا الحصن على شاطئ البحر المتوسط فى الجنوب الشرقى لمدينة شلب، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٣٨٨، طبعة سنة ١٩٧٩، هامش رقم ١، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٢٣ ـ ص ١٢٧ ـ ص ١٢٨.

(٥) تقع فى غرب الأندلس فى الشمال الشرقى من طبيرة على مقربة منها على شاطئ المحيط الأطلسى، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٣٨٨، هامش ٣، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٦٠، شكيب أرسلان: الحلل السندسية، ص ٨٦، ديوان ابن دراج القسطلى: نشر محمود على مكى ص ٣٠، ص ٣١، ص ٣٢.

فى البر والبحر من كل البلدان، فكانت شجى على أهل العدوة والأندلس فى نهب أموال المسافرين والتجار فى البرارى والبحار»[١].

وإلى جانب إنشاء الأساطيل البحرية التى خدمت التجارة الملاحية، وجه الموحدون اهتمامهم إلى تنشيط التجارة الداخلية والخارجية وذلك بتشجيع التجار على المجىء إلى البلاد[٢]، فأكد الخليفة عبد المؤمن بن على فى «رسالة العدل» على حماية التجار وتأمين طرق التجارة[٣] وذلك بقتل من يخالف هذا الأمر[٤] حيث يقول: «وأما ما ذكرتموه - أكرمكم الله - من أمر أولئك التجار الذين يحملون المرافق إلى مالقة وأمثالها فلتنظروا نظرًا أكيدًا فى قطعهم وردعهم»[٥] . . .

وبعد ضم إقليم غرناطة إلى الدولة الموحدية عام ٥٥٧هـ[٦] قام الخليفة عبد المؤمن ابن على بتنشيط حركة التجارة فى إقليم غرناطة، يقول ابن صاحب الصلاة: «واتصل فى أثر هذا الفتح العظيم نظر الخليفة أمير المؤمنين ﷺ لمدينة غرناطة وقصبتها سنام الأندلس، فملأ مخازنها فى القصبة بها بالقمح والشعير. . . بما أبهت الناظرين، وقصر عن وصف الواصفين، وأوصل أمره العزيز ذلك كله إليها من العدوة فى المراكب فى البحر إلى «حصن المنكب» وانتقل جميع ذلك من المنكب إلى غرناطة وتحصل فى قصبتها مخزونًا، فحيت بعد موتها بهذا النظر الجميل والحزم الموصول والنيل المبذول»[٧] وقد سار خلفاؤه من بعده على نهجه[٨] فى الاهتمام بالنشاط الاقتصادى وضبط الثغور وتأمين الطرق.

---

(١) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٣٨٧، ص ٣٨٨.

(2) Budgett: The Moorish Empire, p. 54

(٣) ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٦٧.

(٤) مجهول: رسائل موحدية: الرسالة الخامسة والسادسة، ص ١٠، ص ١١، ص ١٢، ص ١٣.

(٥) مجهول: المصدر السابق: الرسالة السادسة، ص ١٣.

(٦) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ١٩٣، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٩٦.

(٧) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٩٦.

(٨) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ٢٠٦، ص ٢١١، ص ٢١٧، ص ٢١٨، ص ٢٢٣، «يذكر الحميرى فى كتابه الروض المعطار أن الخليفة الناصر الموحدى قد نهض لإصلاح الطرق وضبط الثغور» انظر الحميرى: المصدر السابق: ص ٦٧، ابن أبى زرع: نفس المصدر: ص ٢٢٣، طبعة دار المنصور.

كذلك قطع الخليفة عبد المؤمن جميع المغارم والقبالات والمكوس التى فرضها المرابطون من قبل[١]، يقول ابن القطان: «وقد ذكر لنا فى أمر المغارم والمكوس والقبالات وتحجير المراسي وغير ما رأينا أنه أعظم الكبائر جرمًا وإفكا»[٢].

وكان بعض الخلفاء يقومون بتنشيط حركة التجارة بمناسبة تولى الخلافة أو تجديد البيعة مثلما فعل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن فى سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٣م يقول ابن صاحب الصلاة: «وأمنهم من المخاوف فيما تقيد عليهم فى الدواوين فزاد الانبساط، والنشاط عند الناس بفضله وصفحه وعدله، وزادت المخازن إثر ذلك وفورًا ونمت الأرزاق وعمرت الأسواق بالبيع والتجارة الرابحة ودرت على الناس الخيرات دورورًا واغتبط العالم به وببيعته، وكثر المال فى الأيدى من توالى سمحه وبركته، ... واتصل فضله على من ذكرته فى جميع العدوة والأندلس»[٣].

وقد توفرت فى العصرين المرابطى والموحدى سبل الإقامة للتجار وذلك بإنشاء الفنادق، وكانت هذه الفنادق تقوم كما يذكر سيد عبد العزيز سالم بمهمة مزدوجة فوظيفتها الأولى خزن المتاجر والسلع لتوزيعها بعد ذلك بالجملة، والثانية إيواء النزلاء من التجار الوافدين، وكلما كانت المدينة عامرة بالمتاجر كلما ازداد عدد فنادقها[٤]، فمدينة المرية كانت مزدحمة الفنادق لكثرة ورود التجار الأجانب[٥] عليها فقد كان بها «ألف فندق إلا ثلاثين فندقًا»[٦] كذلك ازدحمت مدينة مالقة بالفنادق الفخمة والحمامات الحسنة والأسواق الجامعة الكثيرة[٧]، كذلك كانت الدولة الموحدية تساعد التجار وتعوضهم عن خسائرهم فيذكر ابن القطان «ومنها أنه ﷺ (يقصد الخليفة عبد المؤمن بن على) أنه أحس بضعف

---

(١) ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٥٦.

(٢) ابن القطان: المصدر السابق: ص ١٥٦، عن القبالات والمكوس انظر الضرائب: ص ١٦٠ وما بعدها.

(٣) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ٣٦٤.

(٤) سيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية: ص ١٦٩، جـ ١ سنة ١٩٦٩ م، دار النهضة.

(٥) ياقوت: معجم البلدان: جـ ٥ ص ١١٩، انظر: العذرى: من كتاب ترصيع الأخبار ص ٨٦.

(٦) الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٤.

(٧) الحميرى: المصدر السابق: ص ١٨٧.

طلبة أهل مجلسه المكرم من طلبة الحضرة ومنهم أبو محمد المالقى[١] وغيره فقال للأشياخ الموحدين أعزهم الله تعالى: هؤلاء طلبة غرباء والأقلال عليهم ظاهر، فنرى أنه ندفع إليهم مالاً نقارضهم فيه، ويتجرون به ويردون السلف لنا، فقالوا نعم، فأسلفهم من مال المخزن ألف دينار لكل واحد منهم، فاكتسبوا منها، وكانت أصل غناهم، ولم يأخذها منهم أبداً»[٢].

كذلك اهتم الخلفاء الموحدون بالتجار والصناع وأمناء الأسواق فالخليفة الموحدى أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن «كان قد أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر فى كل شهر مرتين، يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم»[٣].

وهكذا تضافرت هذه العوامل مجتمعة على ازدهار الحياة الاقتصادية فى إقليم غرناطة، وزيادة الإنتاج سواء فى الزراعة أو الصناعة أو التجارة، ومن خلال دراسة الحياة الاقتصادية لإقليم غرناطة فى عصر المرابطين والموحدين سيتضح إلى أى مدى أثرت هذه العوامل على النشاط الاقتصادى لسكان الإقليم.

(١) هو أبو عبد الله بن عبد الرحمن المالقى، وهو من مالقة، إحدى مدن غرناطة وهو الذى ولى القضاء لعبد المؤمن بعد وفاة أبى محمد عبد الله بن جبل الوهرانى، وظل على هذا المنصب طوال حكم عبد المؤمن ثم صدر من خلافة ابنه يوسف أبى يعقوب، انظر ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٣٧، هامش ٦.

(٢) ابن القطان: المصدر السابق: ص ١٣٧، ص ١٣٨.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ٣٦٢، طبعة سنة ١٩٦٣.

الزراعة

كان إقليم غرناطة إقليمًا زراعيًا[١] وكان سكانه يعتمدون اعتمادًا كبيرًا على الزراعة[٢]، وسوف أعالج فى هذا الفصل الزراعة من خلال نظام الملكية العقارية للأرض الزراعية، واستخلاص نظام الزراعة سواء طرق الرى أو زراعة الأرض وفلاحتها.

الملكية العقارية:

تأثرت الملكية العقارية فى البلاد الأندلسية تأثرًا شديدًا عقب سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس وقيام فتن البربر وانقسام البلاد إلى ممالك مجزأة وطوائف متعددة[٣]، يقول المراكشى: «وأما حال سائر الأندلس بعد اختلال دعوة بنى أمية فإن أهلها تفرقوا فرقًا وتغلب فى كل جهة منها متغلب وضبط كل متغلب منهم ما تغلب عليه وتقسموا ألقاب الخلافة»[٤].

ثم يضيف فى موضع آخر «فهؤلاء (يقصد ملوك الطوائف) الرؤساء الذين ذكرنا أسماءهم هم الذين ملكوا الأندلس بعد الفتنة وضبطوا نواحيها، واستبد كل رئيس منهم بتدبير ما تغلب عليه من الجهات»[٥] كما يذكر ابن حزم «فاقتسم ملوك الطوائف الأراضى الزراعية فيما بينهم حتى لم يبق منها إلا القليل»[٦].

وقد شهدت الأندلس ثورتين متعاقبتين على مدى نحو نصف قرن من الزمان هما ثورة

---

(١) المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم: ص ٢٣٥، ليدن طبعة بريل سنة ١٩٠٩، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: جـ ٢ ص ١٠٢، ص ١٠٣، ابن غالب: فرحة الأنفس: ص ٢٨٣، العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية): ص ٣٤، ص ٣٥، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ١ ص ٩٨، ص ٩٩، ص ١٢٥، ص ١٣٣، اللمحة البدرية: ص ٢٢، الحميرى: الروض المعطار: ص٢٣، ص٢٩، المقرى: نفح الطيب: جـ١ ص١٤٧ ـ ص١٥٠، ص ١٧٥، ص١٧٧.

(٢) يذكر ابن الخطيب «وفى هذه القرى الجمل الضخمة من الرجال والفحول من الحيوانات الحارث لآثار الأرض وعلاج الفلاحة» انظر ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٢٥، ص ١٢٦.

(٣) ابن الخطيب: نفس المصدر: جـ ١ ص ١٤٠.

(٤) المراكشى: المعجب: ص ١٢٣، طبعة ١٩٦٣.

(٥) المراكشى: المصدر السابق: ص ١٤٦، انظر أيضا السلاوى الاستقصا: جـ ٢ ص ٣٠، ص ٣١.

(٦) ابن حزم: الرد على ابن النغريلة: ص ١٧٦.

لمرابطين وثورة الموحدين وانضوت الأندلس تحت حكم هاتين الدولتين[١] فكان لا بد أن تؤثر هذه الأحداث على نظام تقسيم الأراضى وملكيتها سواء الملكيات العامة أو الملكيات الخاصة.

الملكية العامة[٢]:

اتجه المرابطون منذ بداية حكمهم إلى جعل الدولة تمتلك الكثير من الأراضى سواء فى البلاد المغربية أو الأندلسية، فقد حكم المرابطون على من ناوأهم وامتنع عن الدخول فى طاعتهم بالكفر فوجب قتالهم واعتبر مالهم غنيمة[٣] وفيئًا، فاستولى المرابطون على سجلماسة ودرعة وطبقوا هذا المبدأ، يقول ابن أبى زرع: «فأخذ عبد الله بن ياسين أموالهم ودوابهم وأسلحتهم مع الإبل التى أخذها فى درعة فأخرج منه الخمس جميعه ففرقه فى فقهاء سجلماسة ودرعة وصلحائهم وقسم الباقى على المرابطين»[٤].

(١) عن دخول الأندلس وخاصة إقليم غرناطة فى حكم المرابطين انظر عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله (التبيان): ص ١٠٣ ـ ص ١٠٧، المراكشى: المعجب: ص ١٤٧، طبعة سنة ١٩٦٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان: جـ ٧ تحقيق إحسان عباس، ص ١٢٢ وما بعدها، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥، ص ١٥٦، طبعة دار المنصور، سنة ١٩٧٢، مجهول: الحلل الموشية: ص ٧١ ـ ص ٧٥، تحقيق عبد القادر زمامة، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٤٠، النويرى: نهاية الأرب: جـ ٢٤ ص ٢٦٧ ـ ص ٢٧٠، وعن دخول الأندلس وخاصة غرناطة فى حكم الدولة الموحدية انظر المراكشى: المصدر السابق: ص ٢٨٣، ص ٢٩٣، ص ٣٢١ ـ ص ٣٢٤، ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ١٨٨، ص ١٨٩، ص ١٩١، ص ١٩٣، ص ١٩٤، ص ١٩٥، ١٩٦، ابن الخطيب: الاحاطة: جـ ١ ص ١٤١، النويرى: نهاية الأرب: جـ ٢٤ ص ٣٠٠، ص ٣٠١، ص ٣٠٨، ص ٣٠٩، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: طبعة بغداد، سنة ١٩٧٩، ص ١٣٨ وما بعدها، ص ١٨٧، ص ١٨٨، ص ١٩٦ ـ ص ٢٠٩، السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ١٠٤، ص ١٠٥، ص ١٠٦، ص ١٠٩، وانظر أيضا العمرى: مسالك الأبصار مخطوط رقم ٤٣٧٦، دار الكتب المصرية جـ ١٦ قسم ٢، ٣٢٣، مراجع عقيلة الغنامى: قيام دولة الموحدين، رسالة دكتوارة.

(٢) عن الملكية العامة ونظمها فى عصر المرابطين والموحدين ورأى الفقهاء فيها انظر ابن فرحون: الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب: ص ١٩٩، القاهرة، مطبعة السعادة، سنة ١٣٥١ هـ، الجزنائى: زهرة الآس فى بناء مدينة فاس: ص ٣، تلمسان، سنة ١٩٢٢، الونشريشى (أبى العباس أحمد بن يحيى): المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب: ١٢ جزءًا، مطبعة الشافعة، بدون تاريخ، فاس جـ ٦ ص ٩٦ حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص ٢٧٦ ـ ص ٢٧٨، فجر الأندلس: ص ٦١٤، إحسان عباس: الأدب الأندلسى فى عصر سيادة قرطبة، ص ١٢، ص ١٤.

(٣) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ٧٩، طبعة أوبسالة، ١٨٤٦ م، ص ١٢٨، ص ١٢٩، طبعة دار المنصور.

(٤) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٢٨، طبعة دار المنصور.

أما قبائل المصـامدة، فقد أقرهم المرابطون على أراضيهم مكافأة لهم بسبب تحالفهم معهم أيام الفتح الأول[١].

أما أرض زناتة[٢] وبرغوطة[٣] وغمارة فقد آلت إلى أملاك الدولة المرابطية[٤]، وأصبح هذا المبدأ مطبقًا فى كل حروب المرابطين[٥].

ثم فتحت صفحة جديدة من المعارك فى الأندلس أحرز فيها المرابطون انتصارات عظيمة على الفرنج وعلى رأس تلك المعارك معركة الزلاقة[٦]، ثم بدأ المرابطون فى توجيه

(١) ابن أبى زرع: المصدر السابق: طبعة دار المنصور، ص ١٢٦، ص ١٢٧ «وبعث بمال عظيم مما اجتمع عنده (يقصد عبد الله بن ياسين) من الزكاة والأعشار والأخماس إلى طلبة بلاد المصامدة وقضاتها، واشتهر أمرهم فى جميع بلاد الصحراء... وكان عبد الله بن ياسين يكرمهم ويشرفهم ويقدمهم على قبائل صنهاجة» انظر المصدر السابق، نفس الصفحات.

(٢) يذكر القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى «واستفحل ملك وانودين، واستضاف سجلماسة، بعض أعمال المغرب، ومات، فقام بالأمر من بعده ابنه (مسعود بن وانودين) إلى أن خرج (عبد الله بن ياسين) شيخ المرابطين... ثم ملك سجلماسة... ودخلت فى ملك المرابطين لأول أمرهم وانقرضت دولة بنى خزرون منها» القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ١٦٨، ص ١٨٧، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٣ ص ٢٤٣، ص ٢٦٤، ابن خلدون: العبر: جـ ٦ ص ١٨٤.

(٣) ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ١٣٠، ص ١٣١، طبعة دار المنصور، ابن خلدون: العبر، جـ ٦ ص ١٨٥.

(٤) ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ١٢٦، ص ١٢٧، ص ١٣٠، ص ١٣١.

J.F.P. Hopkins; Medieval Muslim: P. 29.

(٥) يذكر ابن أبى زرع عن استيلاء يوسف بن تاشفين على غرناطة حيث يقول «فلما وصل يوسف إلى غرناطة تحصن منه صاحبها عبد الله بن بلقين وأغلق الأبواب فى وجهه، فحاصره أمير المسلمين شهرين، فلما رآه تمدة بالحصار؟ عليه فبعث إليه يطلب الأمان فأمنه بعد إسلامه، فملك يوسف غرناطة وأحوازها وجميع ما كان بيد عبد الله بن بلقين من الأعمال والبلاد، وبعث بعبد الله بن بلقين صاحب غرناطة وأخيه تميم صاحب مالقة إلى مراكش مع حريمهما وأولادهما، فأقاما بها وأجرى عليهما الأنفاق إلى أن ماتا بها» ابن أبى زرع: نفس المصدر: ص ١٥٤.

(٦) عن الزلاقة انظر ابن أبى دينار القيروانى: المؤنس فى تاريخ أفريقية وتونس، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٧، ص ١٠٨، ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة: قسم ٢ مجلد ١ ص ٢٤١، المراكشى: المعجب: ص ١٩٣، طبعة ١٩٦٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان: جـ ٧ ص ١١٦، ص ١١٧، طبعة دار بيروت، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ ١٠ ص ١٥٤، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٤٦ ـ ص ١٤٩، ابن خلدون: العبر، جـ ٦ ص ١٨٦، مجهول: الحلل الموشية، ص ٤٣، ص ٥٠، ص ٥١، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس: (الاكتفاء) ص ٩٥، الناصرى، السلاوى: الاستقصا، جـ ٢ ص ٣٢، ص ٣٧، العينى، (أبو =

نشاطهم الحربى لضم الأندلس إلى دولة المرابطين والقضاء على ملوك الطوائف[١]، فضم المرابطون أراضى ملوك الطوائف[٢]، ومن ارتبط بهم من شخصيات ذات نفوذ[٣]، فقام يوسف بن تاشفين بمصادرة أملاك مؤمل أحد خدام الدولة البادسية فى غرناطة[٤]، فاتسعت بذلك ملكية الدولة بالإضافة لوراثة الدولة لمن لا وارث له[٥]، ثم بدأت الدولة المرابطية بتوزيع أراضى كثيرة على الجند والفقهاء، فتنازلت عن مساحات كثيرة من الأراضى التى تملكها[٦] ولكنها عادت وحاولت استرجاع أجزاء من الأراضى التى فقدتها، إذ حاول الأمير على بن يوسف زيادة أراضى الدولة بوسائل متعددة منها مصادرة أملاك الأمراء المرابطين المغضوب عليهم[٧] أو العمال الخونة[٨]، كذلك ضم أملاك أحباس الكنائس وبيع أرض المعاهدين الذين فروا إلى أرض العدو أو أجلوا إلى البلاد الغربية وهى أراضى واسعة[٩]، وأكثرها فى إقليم غرناطة[١٠].

= محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد): عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان مخطوط: جـ ١، دار الكتب المصرية رقم ١٥٤٨، ص ٢٥٩، شوقى أبو خليل: الزلاقة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٩، ص ٤٢، محمد عبد الله عنان، مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام، مكتبة الخانجى، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٢ م، ص ٢٨٤ ـ ص ٢٨٦، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٢٧٦ ـ ص ٢٨٩.

(١) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٢٠٩، ص ٢١٠، تحقيق ليفى بروفنسال، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٥٢، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥، المراكشي: المعجب، ص ١٩٦، ابن خلدون: العبر، جـ ٦ ص ١٨٧، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢٣٥، تحقيق ليفى بروفنسال، سنة ١٩٥٦.

(٢) عبد الله بن بلقين: ص ١٤٧ وما بعدها، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥، ص ١٥٦، المراكشي: المصدر السابق، ص ٢٠٠، ص ٢٠١ وما بعدها، المقرى: نفح الطيب، جـ ٤ ص ٢١٦، طبعة بيروت.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١١٧.

(٤) ابن الخطيب: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٥) الونشريشى (أبو العباس أحمد بن يحيى): المعيار المغرب: جـ ٩ ص ١٦٥، جـ ١٠ ص ١٥.

(٦) مجهول: الحلل الموشية: ص ٨٢، المراكشي: المعجب: ص ٢٣٥ ـ ٢٣٧.

(٧) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٧٥، انظر مثال على ذلك الأمير ينالة المرابطى الوالى على غرناطة، من سنة ٥٢٠ هـ سنة ٥٢٢ هـ، الذى ظلم واستبد بالناس والعمال والفقهاء أيضا، عن ذلك انظر ابن عذارى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٧٥.

(٨) انظر محاسبة الأمير على بن يوسف لعامل الجبابة فى غرناطة عيسى بن الوكيل واستصفاء أمواله، ابن عذارى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٧٧، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٩٧.

(٩) الونشريشى: المعيار المغرب: جـ ٨ ص ٣٩ ـ ص ٤٥.

(١٠) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١ ص ١٠٩ ـ ص١٦٦، مجهول: الحلل الموشية: ص٩٠ ـ ص٩١.

لكن معظم هذه الأراضى كانت ملكًا للفقهاء الذين حظوا بمنزلة رفيعة فى دولة المرابطين[١]، ويقول المراكشى: «لم يزل الفقهاء على ذلك، وأمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم، طول مدته (يقصد على بن يوسف) فعظم أمر الفقهاء كما ذكرنا، وانصرفت وجوه الناس إليهم، فكثرت لذلك أموالهم، واتسعت مكاسبهم»[٢].

وقد اتبع الموحدون سياسة مختلفة بالنسبة لتملك الدولة للأراضى الزراعية، فقد كفر ابن تومرت كل من لم يؤمن بأفكاره[٣] «وأما ما غالط به المهدى رحمه الله من أن المرابطين مجسمة، وأن جهادهم أوجب من جهاد الكفار»[٤] فأحل دمه وماله واسترقاق نسائه وأطفاله[٥]، يقول المراكشى: «ولما كانت سنة ٥١٧هـ جهز (يقصد المهدى بن تومرت) جيشًا عظيمًا من المصامدة جلهم من أهل تينمل، مع من انضاف إليهم من أهل السوس، وقال لهم: اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسموا بالمرابطين، فادعوهم إلى إماتة المنكر، وإحياء المعروف، وإزالة البدع، والإقرار بالإمام المهدى المعصوم، فإن أجابوكم فهم إخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم فقد أباحت لكم السنة قتالهم»[٦] ويتضح من النص السابق أن الموحدين كفروا الأمراء المرابطين والفقهاء المالكية المتعاونين معهم[٧]، فوزع ابن تومرت أموال هؤلاء المخالفين أو المنكرين بعد تخميسها على الموحدين، يقول ابن القطان فى حرب الموحدين ضد

---

(١) المراكشى: المعجب، ص ٢٣٥.

(٢) المراكشى: المصدر السابق، ص ٢٣٥ ـ ص ٢٣٧ «يتضح من النص السابق أن أكبر الملاك فى العصر المرابطى كانوا من الفقهاء ولهذا سيكونون أحرص من غيرهم على عدم المساس بالأملاك الخاصة».

(٣) السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ١٠٣، ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ١٧٣ ـ ص ١٧٥.

(٤) السلاوى: المصدر السابق: جـ ٢ ص ١٠٣.

(٥) ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٧٨ ـ ١٧٩، المراكشى: المعجب، ص ٢٦٠، السلاوى: المصدر السابق، جـ ٢ ص ٨٤.

(٦) المراكشى: المصدر السابق: ص ٢٦٠.

(٧) الإدريسى: نزهة المشتاق (ط.د): ص ٦٨، ابن القطان: نظم الجمان، ص ٤٢، ص ٤٨، ص ٨٥، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٤ ص ٦٨.

المرابطين ومن معهم من المخالفين «فقتل منهم فى ذلك اليوم نحو خمسة عشر ألفًا . . . وقتل من ذلك القبيل كل من حضر فى ذلك اليوم بتينمل وسبى حريمهم وغنمت أموالهم فقسم أرضهم وكرومهم بين الموحدين من أصحابه وأصفى ديارها جوائز، جوائز لكل جائزة قبيلة»(١) وسار الخليفة عبد المؤمن على نفس السياسة خاصة فى البلاد المغربية(٢).

ويذكر عز الدين موسى أن بعض القبائل المغربية ثارت بسبب تخميس أموالها وأراضيها وهم مسلمون(٣)، ففى عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م قامت ثورة ضد الدولة الموحدية الوليدة يتزعمها رجل يدعى الماسى، يقول ابن أبى زرع: «ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، فيها خرج على أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على الماسى وتسمى بالهادى، واسمه محمد بن هود بن عبد الله، وكان قصارًا بمدينة سلا . . . فخرج على عبد المؤمن بعد أن حضر معه فتح مراكش . . . فغلب على بلاد تامسنا وأكثر بلاد المصامدة، فبايعه جميع القبائل حتى لم يبق تحت عبد المؤمن إلا مراكش»(٤).

وأعقبت تلك الثورة ثورة دكالة وبرغواطة يساندهم الفقهاء، المالكية أمثال بنى غانية والقاضى عياض، يقول ابن أبى زرع «ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، فيها ارتحل عبد المؤمن إلى سجلماسة فدخلها وأمن أهلها، ثم رجع إلى مراكش فأقام بها أيامًا وخرج إلى غزو برغواطة فكانت بينه وبينهم حروب عظيمة هزم فيها عبد المؤمن، ثم كانت الكرة عليهم، فأجال فيهم السيف، ولم يبق منهم إلا من لم يبلغ الحلم، وفى خلال هذه (كذا) الأيام قام أهل سبتة على الموحدين بعد أن بايعوهم ومكنوهم من المدينة، وكان قيامهم عليهم برأى قاضيهم عياض بن موسا (كذا) فقتلوا من بها من الموحدين وعمالهم وأحرقوهم بالنار وركب عياض البحر إلى ابن غانية بالبيعة وطلب منه واليا، فأرسل معه الصحراوى فدخلها وأقام بها أيامًا، فلما سمع برغواطة بخروج عبد المؤمن إليهم كتبوا إلى الصحراوى وإلى سبتة يستنصرون به، فأتاهم فبايعوه واجتمعوا عليه وقاتلوا عبد المؤمن وهزموه ثم كانت الكرّة عليهم وهزمهم وقتلهم وسباهم، فهرب الصحراوى وراسل عبد

(١) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٩٤.
(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٨٦، ص ١٨٧.
(٣) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى خلال القرن السادس ص ١٣٥.
(٤) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٩٠.

المؤمن يطلــب منه الأمان، فأمنه وأتاه وبايعــه. . . فلما رأا (كـذا) ذالك (كذا) أهل سبتة سقط فى أيديهم وندموا على صنعهم وكتبوا ببيــعتهم إلى عبد المؤمن. . . فعفا عنهم وعن القاضى عياض»(١).

وبعد هذه الثورات التى قامت فى وجه الدولة الموحــدية عدل الخليفة عبد المؤمن بن على عن هذه السياسة وبدأ ينتهج سياسة توحـيد القبائل فى دولة واحدة، فأكد على احترام الملكية الخاصة وعدم التعرض لها لأنها مخالفة لأحكام الشرع(٢) «وقد اتصل بنا ـ وفقكم الله تعالى ـ أن من لا يتقى الله تعالى ولا يخشاه، ولا يراقبــه فى كبيرة يغشاها وتغشاه، ولا يؤمن بيوم الحساب فيما أذاعه من المنكر وأفشاه، يتسلطون بأهوائهم على الأموال والأبشار وينتشرون بالقتل بأعراض الناس أقبح الانتشار، يستحلون حرمات المسلمين من غير حلها، ويســارعون إلى نقض عــقد الشــرع وحلها، ويصــفون الشــدة والغلظة بطرا ورياء فى غـير محلها، ويبتدعون، من وجوه المظالم ما تضعف شواهق الجبال عن حملها. . . فضلاً عن استباحة أموالهم وأعراضهم بتلبيسات ينشئونها ومزورات يضيفونها إليهم وينسبونها وينظرون إلى إهضام حق الله تعالى»(٣).

فسمح لتلك القبــائل الثائرة بالعودة إلى أراضيها وفـلاحتها(٤) «وأن من الرأى الذمـيم والســعى المنقــوم، مــا ذكر لنا فــى أمر المســافـرين الذين يريدون الرجــوع إلى أوطانهم وعمارتها»(٥).

أما فى البلاد الأندلسية فقد سار الخلفــاء الموحدون على النهج ذاته من توحيد القبائل الثائرة تحت راية الدولة المــوحدية(٦)، فيذكــر البيذق أن السيد أبا حفص المــوحدى خرج

---

(١) ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ١٩٠، ص ١٩١.

(٢) البيذق: أخبار المهدى بن تومــرت، طبعة دار المنصور، ص ٥٦، سنة ١٩٧١، ص ١٠٦، طبعة ليفى بروفنســال، ابن عذارى: البيــان المغرب: جـ ٤ قسم ٣ القــسم الموحدى، تحـقيق هويشى ميراند، ص ١٨، ص ٢٥، ص ٢٦.

(٣) ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٥٣، ص ١٥٤ ـ ص ١٥٧.

(٤) ابن القطان: المصدر السابق: ص ١٥٧.

(٥) ابن القطان: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٦) مجهول: رسائل موحدية: ص ٤٤، ص ١٥٢.

لملاقاة الثائر ابن ملجان بوادى آش وبسطة من أعمال غرناطة فوحد له[١]، واحتفظت هذه القبائل بأراضيها واعتبرت هذه الأراضى أرضًا خراجية يؤدى عنها الخراج للدولة[٢].

يقول ابن أبى زرع «وفى هذه السنة أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد أفريقية والمغرب وكسرها من بلاد أفريقية من برقة إرلى بلاد نول من السوس الأقصا (كذا) بالفراسخ والأميال طولاً وعرضًا فأسقط من التكسير الثلث في الجبال والشعراء والأنهار والسباخ والطرقات والحزون، وما بقى قسط عليه الخراج وألزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق، فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب»[٣].

أما الثوار الذين كانوا يخرجون على الدولة من وقت لآخر فقد تملك الموحدون أراضيهم تأديبًا وعقابًا لهم[٤] هذا فضلاً عما يرد من الأبواب المعتادة من استصفاء أموال المغضوب[٥] عليهم ووراثة الدولة لأملاك من لا ورث له[٦].

الإقطاع:

منذ أن اعتبر الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز الأندلس ثغرًا أعطى العرب الوافدين على الأندلس إقطاعات واسعة، يقول ابن الخطيب: «ولما استقرّ مُلك الإسلام بجزيرة

(١) البيذق: أخبار المهدى بن تومرت: ص ٨٨، طبعة دار المنصور، انظر عن تأمين الموحدين لأهل غرناطة: ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٤ القسم الموحدى تحقيق هويشى ميراند، ص ٣٣، انظر أيضا ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص ١٩٥، وعن توحيد الموحدين للثائر ابن همشك بغرناطة انظر ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ٤١٢ ـ ص ٤١٦.

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٩٩، عن الخراج انظر النظام المالى: ص ١٥٨.

(٣) ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ١٩٨ ـ ص ١٩٩، السلاوى: الاستقصا، جـ ٢ ص ١٢٤.

(٤) عن الثوار الخارجين على الموحدين انظر النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٠٩، ص ٣٢٢، ص ٣٢٣، ص ٣٢٥، ص ٣٢٨، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص ٢٧٥، ص ٣١٢، يذكر ابن صاحب الصلاة عن ما أخذه الموحدون من ابن مردنيش فى الأندلس «وأن غنائم بسطة إحدى قرى إقليم غرناطة غنم فيها الموحدون الكثير» انظر ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ص ٢٨٤، وعن غدر ابن همشك وثورته فى غرناطة انظر المصدر السابق، ص ١٨٠ ـ ٢٠٩، المراكشى: المعجب، ص ٣١٨، ص ٣٢٤، ص ٣٢٨.

(٥) انظر أمثلة فى ذلك فى ابن عذارى: البيان: جـ ٤ القسم الموحدى ص ٢٣، تطوان، ابن صاحب الصلاة: نفس المصدر: ص ١٨٢، ص ١٩٥، ص ١٩٨.

(٦) الونشريشى (أبو العباس أحمد بن يحيى): المعيار المغرب: جـ ٩ ص ١٦٥.

الأندلس، ورمى إلى قصبتها الفتح واشرأب فى عَرصاتها الدين، ونزلت قرطبة وسواها العرب، فتبوءوا الأوطان وعمروا البلدان»[١] كما يضيف أن أبا الخطار والى الأندلس «أنزل جند دمشق كورة البيرة وجند الأردن كورة جيان وجند مصر كورة باجة وبعضهم بكورة تُدمير: فهذه منازل العرب الشاميين، وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة من العجم طُعْمَةً، وبقى العرب البلديون والبربر وشركاؤهم، فلما رأوا بلدانا شبه بلدانهم بالشام نزلوا وسكنوا واغتبطوا وكبروا وتحولوا، إلا من قد نزل منهم. . . موضعًا رضيا»[٢].

فلما كان عهد المنصور بن أبى عامر (٣٦٦هـ ـ ٣٩٢هـ) أبطل هذا النظام ورد الإقطاعات وجعل الحكومة هى المشرفة عليها بعد أن انتزع هذه الأرض من أصحابها العسكريين[٣] وفرض على الأرض الجباية وقدم عليها جباة يجبونها فظلموا المزارعين مما حملهم على الهرب وترك الأرض[٤]، يقول الطرطوشى: «فقلت الجبايات المرتفعة إلى السلطان وضعفت الأجناد»[٥] وسار ملوك الطوائف على هذا النظام[٦] الإقطاعى، فلما أصبحت الأندلس ولاية مرابطية عادوا إلى ما كان سائدا قبله من إقطاع الجند أرزاقهم[٧]، يقول صاحب الحلل الموشية: «فمن ظهرت نجدته وشجاعته وإعانته أكرموه بولاية موضع ينتفع بفوائده»[٨].

وكان الجند والفقهاء هم المنتفعون أساسًا بهذه السياسة وحُرم الحكام السابقون إلا عبد الله بن بلقين وأخوه تميم[٩] «وظهر أمر المرابطين بالمغرب واستفحل مُلك يوسف بن

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٣.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٠٢، ص ١٠٣، عن إقطاع العرب إقطاعات فى الأندلس انظر حسين مؤنس: فجر الأندلس: ص ٦١٨، ص ٦٢١.

(٣) «عندما نزع المنصور بن أبى عامر الأرض من العسكريين أعطاهم رواتب مشاهرة» عن ذلك انظر الطرطوشى: سراج الملوك: ص ١٢٣، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤٠٥.

(٤) الطرطوشى: المرجع السابق: ص ٢٠٩، حسن أحمد محمود: المرجع السابق: نفس الصفحة.

(٥) الطرطوشى: نفس المصدر: ص ١٢٣.

(٦) عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله (التبيان) ص ١٧.

(٧) الطرطوشى: المصدر السابق: نفس الصفحة، مجهول: الحلل الموشية: ص ٨٢، تحقيق عبد القادر زمامة، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٧٣.

(٨) مجهول: المصدر السابق: ص ٨٢.

(٩) ابن خلدون: العبر: جـ ٦ ص ١٨٠، ١٨١.

تاشفين فولى من بعده «يقصد باديس» حافده عبد الله بن بلقين بن باديس، وتغلب على المظفر وعقد لأخيه تميم على مالقة فاستقام أمرها إلى أن جاز يوسف بن تاشفين إلى العدوة أجازته المعروفة كما نذكره فى أخباره، ونزل بغرناطة سنة ثلاث وثمانين فقبض على عبد الله بن بلقين واستصفى أمواله وذخيرته وألحق به أخاه تميما من مالقة واستصحبهما إلى العدوة فأنزل عبد الله وتميما بالسوس الأقصى وأقطع لهما إلى أن هلكوا فى أيالته»[١].

وفى العصر الموحدى استمر نظام الإقطاع ولكنه اتخذ أشكالا تختلف عنها فى عصر المرابطين، فقد لجأ الموحدون إلى منح الإقطاعات لمن يخشون فتنته أو اتقاء شره فكانوا يقطعونه إقطاعا تسكينًا له وتجنبًا لثورته[٢]، فكانوا يقطعون هؤلاء الثوار المستسلمين إقطاعات تكون عادة بعيدة عن مناطق نفوذهم لئلا تحدثهم نفوسهم بالثورة على الدولة مرة أخرى وهو ما اتبعه الموحدون مع الثائر ابن همشك[٣]، إذ يذكر ابن الخطيب أن الموحدين أقطعوه «سأما بها خطر»[٤].

كذلك أقطع الموحدون أنفسهم الإقطاعات الواسعة مثلما فعل الخليفة أبو يوسف يعقوب الموحدى مع أعمامه لما تلكئوا عن بيعته ثم استجابوا، يذكر المراكشى «وبها تمت بيعته واستجاب له من كان تلكأ عليه من أعمامه من ولد عبد المؤمن، بعدما ملأ أيديهم أموالاً وأقطعهم الأقطاع الواسعة»[٥] كذلك أقطع الموحدون كل من أسرع فى مبايعتهم من

---

(١) ابن خلدون: المصدر السابق: جـ ٦ ص ١٨٠ ـ ص ١٨١، «عن إقطاع يوسف بن تاشفين إقطاعًا لعبد الله بن بلقين» انظر ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٥٤، طبعة دار المنصور، السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ٤٨.

(٢) مثل الثائر ابن همشك الثائر بغرناطة، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٣٠٢.

(٣) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ٣٠٢، وكذا يسميه المراكشى صاحب المعجب «وقد صفا ما بينه وبين الموحدين فى آخر أمره، فأقطعوه بمكناسة أملاكًا ذات خطر، وأقام بها إلى أن مات» المعجب: ص ٢٨٠، طبعة ١٩٦٣، عن ابن همشك والتوصية له بالإقطاع انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨١ ـ ص ١٩٧، ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ٢٩٦ ـ ص ٣٠٣.

(٤) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ٣٠٢ (يذكر ابن الخطيب أن هذا الإقطاع كان فى مكناسة) المصدر السابق: ص ٣٠٢، «السوام والسائمة أى الابل الراعية» ابن الخطيب: نفس المصدر: ص ٣٠٢.

(٥) المراكشى: المعجب، ص ٣٤٠، ص ٣٤١، طبعة ١٩٦٣.

الأمـراء والقبـائل والأفراد، فـقد أقطع المـوحدون أهل شـريش[١] بالأندلس الإقطاعـات وحررت أملاكهـم وكانوا مقدمين عند الخليفـة على سائر الوفود[٢]، قال السـلاوى «ولما أجازوا إلى الأندلس نزلوا بأبى الغـمر بن غمـرون، صاحب شريش، فكان أول بلد فتـحوا من الأندلس بلد شريش، خرج إليهم صـاحبها أبو الغمر فيمن مـعه من المرابطين وبايعهم لعبد المؤمن ودخل فـى طاعته، فكان الموحدون يسمون أهل شـريش بالسابقين الأولين، وحررت أملاكهم فلم تزل محررة سائر أيامهم»[٣].

واتبعت الدولة الموحدية نظامًا آخر هو مشاركة الدولة للملاك، فيذكر عز الدين موسى «أن الموحدين بهذا النـظام عادوا إلى نظام الرقطاع العامرى مستعـملين اصطلاحًا آخر وهو الإسهام[٤]، وعلى هذا يكون للدولة حصة من دخل الأرض»[٥].

وكان لأراضى الدولة ديوان خاص مسئول عن إدارتها عرف فى البلاد الأندلسية بديوان المستخلص[٦].

وفى إمارة يوسف بن تاشفـين يبدو أن مستخلص البلاد الأندلسيـة كلها كان فى ديوان واحد مركزه غرناطة[٧].

---

(١) «من كور شذونة بالأندلس، بينها وبين قلشانة خمس وعشرون ميلاً، وهى على مقربة من البحر، يجود زرعها ويكثر ريعها» الحميرى: الروض المعطار: ص ١٠٢

(٢) السلاوى: الاستقصا، جـ ٢ ص ١٠٤.

(٣) السلاوى: المصدر السابق: جـ ٢ نفس الصفحة.

(٤) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص ١٤٧.

(٥) لا تعطى المصادر معلومات وافية عن مقدار هذا الإسهام الذى يقطع للفرد الواحد، فأحيانا يوصف بالسعـة أو الخطر أو الولاية الكبيرة أو القرى الكثـيرة، أو الضيعـة الواحدة، انظر ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ٣٠٢، ابن القطان: نظم الجمـان، ص ١٣٧، ابن خلدون: العبر، جـ ٦ ص ١٦٢.

(٦) المستخلص هو الأراضى الزراعية والعقارات التى تـخص بيت المال حيث تشير المصادر إلى مال الدولة كـأنه مال الأمـير المـرابطى أو الخليفـة الموحـدى لأنه رمـز للدولة، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١١٦، ص ١٢٦.

(٧) يذكر المؤرخ ابن سعيد أن أبا محمد عبد الرحمن بن مالك كان يدير المستخلص فى عهد يوسف ابن تاشفـين فى غرناطة، انظر ابن سعـيد: المغـرب: جـ ١ ص ١١٧، الفتح بن خاقـان: قلائد العقيان: ص ١٧٠، الخريدة جـ ١٢ ورقة ١٤٠.

وفى عهـد ابنه على بن يوسف بن تاشـفين تعـددت الدواوين، فأنشئ فى كل قـاعدة أندلسية ديوان[١].

وفى العصـر الموحـدى كان صاحب المـستخلص يعـرف باسم أمين الضـياع[٢] وهو المشرف على أموال الخليـفة والمحافظ عليها، يذكر البيذق «وفى ذلـك العام أخذ الخليفة فى سهمـه ثمانمائة ناقة وجعل عليهـا ابن وامانون يرعاها»[٣] ويبدو أن بعضـهم كان مطلق اليـد كابن هديـة «من أهل الدين والفضـل والأمانة بالتكسـير والأعمـال السلطانيـة وولى المستخلص بغرناطة فثقب وأجادِ النظر وباشر جلائل الأمور... وحمى المناصفين، ورفع المـؤمن والكلف عنهم ووسع بسليف البـذور عليـهم... وخص أحبـاس جامع غـرناطة بفضل مال كثير من غلقه»[٤].

كذلك حظى أبو عبد الله مـحمد بن عبد الملك بن سعيد بمكانة خـاصة لدى الخليفة عبد المؤمن بن على حيث ولاه مستخلص غرناطة وأشبيلية وسلا[٥] «كان وزيراً جليلاً بعيد الصيت عالى الذكر رفيع الهمة كثير الأموال»[٦].

الملكية الخاصة:

تعددت فى ذلك العصر سبل الملكية الخاصة، فإما أن تأتى الأملاك هبة من الدولة أو إقطاعًا[٧] منها أو تأتى بـطريق الإرث أو الشراء[٨]، هذا وقد كثـرت الإشارات إلى الأراضى

---

(١) كابن هدية الذى تـولى المستـخلص للأمير علـى بن يوسف فى غرناطة: ابن الخطيب: المـصدر السابق: جـ ١ ص ٤٢٩، وابن زهر الذى تولى المستخلص فى أشـبيلية: ابن عذارى: البيان، جـ ٤ ص ٦٥.

(٢) البيذق: أخبار المهدى، ص ٧٨، طبعة دار المنصور.

(٣) البيذق: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ٤٢٩، ص ٤٣٠.

(٥) ابن سعيد: المغرب، جـ ٢ ص ١٦٢.

(٦) ابن سعيد: المصدر السابق، جـ ٢ ص ١٦٢، هامش رقم ١.

(٧) انظر ما سبق عن الهبات، انظر ابن رشد: بداية المجـتهد ونهاية المقتصد: جـ ٢ ص ٤٠٠ ـ ص ٤٠٧، دار التوفيق، سنة ١٩٨٣.

(٨) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٢٦، ابن خلدون: المقدمة: جـ ١ ص ٣٦٧.

الموروثة فى العصرين المرابطى والموحدى وذلك يدل على كثرة الأملاك الموروثة وازدياد خطة المواريث[١].

وكانت الملكيات الخاصة فى البلاد الأندلسية خاصة المناطق الزراعية كغرناطة وأشبيلية أكثر من الملكيات الخاصة فى البلاد المغربية فكان بعض الملاك يمتلكون قرية أو اثنتين وقد أشار المؤرخ الغرناطى ابن الخطيب إلى حوالى ثلاثمائة قرية يمتلكها أفراد أو يشترك أكثر من شخص فى امتلاك قرية واحدة[٢].

وكان أكثر الملاك فى عصر المرابطين وعصر الموحدين هم الفقهاء، وأهل العلم والمتصوفة[٣]، فقد تحالف الفقهاء مع المرابطين ونالوا الحظوة عندهم واحتلوا المراكز الكبرى فازدادت ثرواتهم[٤] «ولم يزل الفقهاء على ذلك، وأمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم، طوال مدته، فعظم أمر الفقهاء... وانصرفت وجوه الناس إليهم، فكثرت لذلك أموالهم، واتسعت مكاسبهم»[٥].

وكان بنو أرسالية من أشهر أسر الفقهاء، وأكبر الملاك فى إقليم غرناطة[٦]، كذلك كان بنو سعيد أمراء قلعة يحصب[٧] من أكبر الملاك، أما فى مالقة فكان لبنى حسون[٨] وبنى الحسن وهما من أسر الفقهاء أملاك واسعة أيضاً[٩].

---

(١) عن الوراثة انظر الونشريشى: المعيار المغرب: جـ ٦ ص ١٣٨ وما بعدها، ابن رشد: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٤١٦ ـ ص ٤٢٧، انظر أيضا ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ٢٨٦.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٢٦، ص ١٢٧، ص ١٢٨.

(٣) التادلى (أبو يعقوب يوسف بن الزيات): التشوف إلى رجال التصوف: ص ١١١، ص ١٣٣ «كان بنو أرسالية من أشهر الأسر التى اشتغل أهلها بالعلم والفقه فى إقليم غرناطة» ابن الأبار: التكملة: جـ٢ ص٥٧٧، ابن الخطيب: أعمال الأعلام: طبعة ليفى بروفنسال ص ٢٥٥ وبنو حسون فى مالقة، التكملة جـ ١ ص ٤٢١، وبنو الحسن أيضا فى مالقة، النباهى: المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا: ص١١٤، تحقيق ليفى بروفنسال القاهرة دار الكاتب المصرى سنة ١٩٤٨.

(٤) المراكشى: المعجب: ص ٢٣٥.

(٥) المراكشى: المصدر السابق: ص ٢٣٥.

(٦) ابن الأبار: القضاعى: التكملة لكتاب الصلة: جـ ٢ ص ٥٧٧، تحقيق كوديرا، مدريد، سنة ١٨٨٨ م ١٨٨٩ م، ابن الخطيب: أعمال الأعلام: جـ ٢ ص ٢٥٥، طبع وتحقيق ليفى بروفنسال.

(٧) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: جـ ٢ ص ١٦٠ ـ ص ١٨١.

(٨) ابن الأبار: المصدر السابق: جـ ١ ص ٤٢١.

(٩) أبو الحسن النباهى: المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا: تحقيق ليفى بروفنسال، القاهرة، دار الكاتب المصرى، سنة ١٩٤٨ م، ص ١١٤.

وهكذا كان فقهاء عصر المرابطين وعصر الموحدين من كبار الملاك للأراضى الزراعية ولهذا فقد قوى نفوذهم فى البلاد.

أما فى فترة الانتقال من عصر المرابطين إلى عصر الموحدين وما صاحب ذلك من ثورات واضطراب نجد أنه قد كثر استغلال أرض الآخرين ظلمًا وتعديًا، فلجأ ضعفاء الناس إلى بيع أراضيهم بسعر زهيد، ويعلل ابن خلدون هذه الظاهرة «بأن العقرات والضياع ترخص فى فترة الانتقال من دولة إلى أخرى حتى يستحوذ الفرد على أملاك الكثيرين» ويسمى ابن خلدون هذه الظاهرة «حوالة الأسواق»[١].

وقد أثرت حوالة الأسواق هذه على الملكيات الخاصة، وكثرت هذه الظاهرة فى فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، فتغلب القوى على الضعيف واستولى بعض الأفراد على أملاك الناس[٢] وغدوا ملاكًا كبارًا ولم يكونوا قبل ذلك شيئًا[٣] «وهذا معنى الحوالة فيها يصبح مالكها من أغنى أهل المصر وليس بسعيه واكتسابه إذ قدرته تعجز عن مثل ذلك»[٤] مثل ابن ملحان فى وادى آش[٥] وبسطه من أعمال غرناطة.

وكان النساء من بين الملاك أيضا وملك بعضهن أراضى كثيرة إما بطريقة الوراثة[٦] أو الشراء[٧] أو الصداق[٨].

وبذلك يتضح لنا أنه على الرغم من وجود الملكيات العامة للدولة وجدت إلى جانبها

---

(١) ابن خلدون: المقدمة: جـ ١ ص ٣٦٧، انظر عن ذلك عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى ص ١٤٩.

(٢) المراكشى: المعجب: ص ٢٤١.

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق: جـ ١ ص ٣٦٧.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق: جـ ١ ص ٣٦٧.

(٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، طبعة ليفى بروفنسال، ص ٢٦٤، البيذق: أخبار المهدى: ص ٨٨، طبعة دار المنصور.

(٦) القاضى أبو الوليد بن رشد الحفيد ت ٥٩٥ هـ: بداية المجتهد ونهاية المقتصد: جـ ٢ ص ٤١٨، تحقيق عبد الحليم محمد عبد الحليم، دار التوفيق للطباعة، سنة ١٩٨٣ م - ١٤٠٣ هـ.

(٧) الونشريشى (أبو العباس أحمد بن يحيى): المعيار المغرب: جـ ٥ ص ٢١٣، جـ ٦ ص ١٣٨.

(٨) القاضى أبو الوليد بن رشد الحفيد: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٣٠ - ص ٣٤، الونشريشى: المصدر السابق: جـ ٣ ص ٢٩١ - ص ٢٩٧.

الملكيات الخاصة أيضًا والتى كثرت فى هذين العصرين، فأسهمت تلك الملكيات فى رفع مستوى الزراعة.

الرى والنظام الزراعى:

أوردت بعض المصادر بعض إشارات تدل على أن المرابطين اهتموا بمشاريع الرى فى البلاد الأندلسية والمغربية فأولوه عناية خاصة، فقد دأب ابن هدية صاحب المستخلص فى إقليم غرناطة على غرس الأشجار فى مناطق المياه لتخفيف تبخرها(١)، وما أن استقر الأمر للموحدين حتى شرعوا فى إكمال ما بدأه المرابطون فى ذلك المجال محاولين الاستفادة من تجارب العهد الرومانى بالكشف عن آثار مشاريع الرى القديمة لتجديدها(٢) للاستفادة من مياه الأنهار والعيون وجرها إلى البسائط بوسائل متعددة، منها تفريع الأنهار إلى جداول وشق الترع، وتتجلى جهودهم هذه فى إقليم غرناطة(٣).

وفى مالقة استعملوا طريقة الرى بالأحواض(٤)، على نسق ما كان يتبعه المصريون فى الرى، وكانت أكثر وسائل الرى انتشاراً هى الروافع من السواقى أو النواعير التى تديرها الدواب التى غالبًا ما تكون من الثيران(٥)، وأفادت تلك الوسائل فى زراعة ضفاف الأنهار

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٤٢٧، ص ٤٢٨.

(٢) كانت المناطق التى تسودها الحضارة الرومانية قديمًا قد تقدمت فى وسائل الرى أكثر من غيرها، فتركت آثارها على سكان تلك المناطق، فظلت المياه تجلب إلى الهضاب حول غرناطة لرى تلك المناطق، انظر ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١١٧ ـ ص ١٢٠.

(٣) شكلت جداول الأنهار حول غرناطة دفاعًا طبيعيًا عن المدينة من ابن همشك فى سنة ٥٥٦ هـ - ١١٦١ م وكيف حالت الأنهار دون ذلك: ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨٨، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ القسم المحدى تحقيق هويش ميراند ص ٥١، ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ٣٠١، عن ذلك انظر أيضا ابن الخطيب جـ ١ ص ٩٦، المقرى: نفح الطيب: جـ ٣ ص ٢٦٧، جـ ٤ ص ٢٨٩، طبعة دار صادر بيروت، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٥، العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية): ص ٣٥، ص ٣٦، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ٢٤.

(٤) ابن سعيد: المغرب: جـ ١ ص ١٢٥.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٢٥ «وفى هذه القرى الجمل الضخمة من الرجال، والفحول من الحيوان الحارث» انظر المصدر السابق: نفس الصفحة.

والبسائط قرب العيـون فى إقليم غرناطة مثل نهر شنيل[١] وحدرة فى غرناطة[٢] ونهر وادى آش[٣] ووادى بجانة الذى يسقى بساتين المرية[٤] ووادى برجة قرب المرية[٥] أيضًا، وإلى جانب جهود المرابطين والمـوحدين لتوفير مياه الرى، ظهرت جهود فـردية يبذلها أصحاب الأراضى الزراعية أنفسهم كما فعل ابن ملحان فى وادى آش[٦].

واعتـمد أهل إقليم غرناطة على الأمطار أيضـا فى رى مزروعاتهم خـاصة فى المناطق الجبلية حـول المدينة[٧]، فكانوا يحـرصون على الاحـتفـاظ بميـاه الأمطار وتخزينهـا فى صهاريج[٨] ابتداء من شهـر ديسمبر[٩] واستعمـالها وقت الحاجة، خاصة فى فـترة الجفاف

(١) ابن سعـيد: المغـرب: جـ ٢ ص ١٠٢، ص ١٠٣، ابن سعـيد: كتـاب الجغرافـية، ص ١٦٧، تحقـيق إسماعيل العـرب الجزائر سنة ١٩٨٢، ابن الخطيب: المصـدر السابق، جـ ١ ص ١١٨، العمـرى: مسالك الأبصـار (وصف أفريقيـة): ص ٣٧، القلقشندى: صـبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢١٥، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ١١٢.

(٢) العمرى: المصـدر السابق: ص ٣٧، القلقشندى: المصدر السـابق، جـ ٥ ص ٢١٥، الحميرى: الروض المعطار، ص٢٣، ص٢٤، ابن صاحب الصلاة: المن بالامامة، ص١٩٠، هامش رقم ٤.

(٣) الإدريسى: نزهة المـشتاق (ط.د) ص ٢٠٢، القلـقشندى: صبح الأعـشى: جـ ٥ ص ٢٢١، ابن الخطيب: اللمحة البدرية ص ٢٩، الحميرى: الروض المعطار: ص١٩٢.

(٤) الحميرى: المصدر السابق: ص ١٨٤، «ووادى بجـانة يعمُّ بالسَّقْى بساتين المرية» المصدر السابق نفس الصفحة.

(٥) ابن سعيد: جـ ٢ ص ٢٢٨، المـقرى: النفح الطيب: جـ ١ ص ١٤٣، طبعة سنة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٥٠ طبعة سنة ١٩٦٨ م.

(٦) ابن الخطيب: أعمال الأعلام: طبعة ليفى بروفنسال: ص ٢٦٤.

(٧) «يذكر ابن الخطيب أن هذه الجـبال تتراكم عليهـا الثلوج شتاء وفى الصيف عندمـا تسطع الشمس تذوب هذه الثلوج وتنساب من الجبال حوالى ستة وثلاثين جـدول ونهر صغير تسقى الأرض بها» انظر ابن الخطيب: نفس المـصدر: جـ ١ ص ٩٦، انـظر ابن سعـيد: الجـغرافـية: ص ١٦٧، الحميرى: الروض المعطار: ص ١١٢.

(٨) عن احتفاظ أهـل غرناطة بمياه الأنهار فى صهـاريج انظر المقرى: نفح الطيب: جـ ٣ ص ٤٩٧، طبعة دار صادر بيروت، العمرى: مسـالك الأبصار (وصف أفريقية): ص ٣٩، «الصهريج بمعنى البركة» انظر القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ١٥٦، ويسمونها المغاربة المواجل: العمرى: المصدر السابق: ص ٦.

(٩) عريب بن سعد القرطبى: تقويم قرطبـة: ص ١٨٥، طبعة دوزى، ليدن بريل، المطبعة الجديدة، سنة ١٩٦١ م.

وقلة الأمطار، كذلك قام أهل غرناطة ببناء عدة قناطر على نهر شنيل وحدرة لنفس الغرض، ومن أهم هذه القناطر قنطرة ابن رشيق وقنطرة القاضى[١] وقنطرة حمام جاشى والقنطرة الجديدة وقنطرة العود وقنطرة شنيل[٢]، وحفروا الآبار وفرعوا النهيرات جداول[٣] لسقى مزروعاتهم.

طرق الزراعة:

كان العمل الزراعى فى إقليم غرناطة شأنه شأن باقى أقاليم الأندلس يقوم على الدورة الزراعية الثلاثية، فكانت الأرض بين بور وقليب ومعمور، فالبور لا تصلح إلا بالقليب والتزبيل[٤]، أما القلب أو التقليب فهو حرث الأرض مرتين إلى أربع مرات حسب نوع الأرض ونوع الزرع أو الغرس، وتقليب الأرض هذا يبدأ عادة فى شهر يناير ويستمر إلى يونيو لتترك الأرض لحرارة الشمس لأن بعض المحاصيل لا تجود إلا فى أرض التقليب كالقمح والعدس[٥]، ولقد كان الغرناطيون كغيرهم من أهل الأندلس على دراية بطرق تجهيز الأرض قبل زراعتها، فكانت الأرض تحرث بواسطة الثور[٦] «حرث زراعة»[٧] ويتم تعديل الأرض الصغيرة بالمرجقيل (ميزان الماء)[٨] أما الكبيرة فيتم تعديلها بالجاروف الذى تجره البقرة[٩].

وكان إذا تم تعديل الأرض خططت للغرس خطوطًا مستقيمة مقابلة للريح من كل جهة حيث تتباعد الغروسات والأحواض حسب اختلاف أنواع الثمار[١٠].

---

(١) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨٥، هامش رقم ١،
Huici Mirinda: Historia, P. 200 - 201.

(٢) العمرى: وصف إفريقية: ص ٣٧، ص ٣٨.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١١٩.

(٤) ابن بصال: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن بصال: كتاب الفلاحة: تحقيق بيكيروسا ومحمد عزيمان، تطوان، منشورات معهد مولاى الحسن، سنة ١٩٥٥ م، ص ٥٧.

(٥) ابن بصال: المصدر السابق: ص ٥٦، ص ٥٧.

(٦) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٢٥.

(٧) الونشريشى (أبو العباس أحمد بن يحيى): المعيار: جـ ٦ ص ٤١، جـ ٨ ص ١٠٤.

(٨) ابن بصال: المصدر السابق: ص ٢٣، Dozy: Supplement 11, P. 579

(٩) ابن بصال: المصدر السابق: ص ٥٥.

(١٠) ابن بصال: المصدر السابق: ص ٥٦، ص ٦٠، ص ٦٢، ص ٦٧.

هذا واهتم فلاحو إقليم غرناطة اهتـمامًا خاصًا بالتزبيل فكانوا يستـخدمون زبل الخيل والبغال والحمير والمخلفات الآدمية والغنم والحمام ورماد الحامات ثم المولد من الحشيش والتراب[١]، وكانوا يعرفون ما يوافق كل تربة من هذه الأنواع وهذه الأسمدة.

وكان أهل غرناطة على علم بطبائع الثمـار وغراستها وزمن غرس كل نوع[٢] من أنواع الثمار، وما يروى بالأنهار أو العيون أو مياه الأمطار أو الآبار[٣] وكانوا أحيانًا يزرعون ثمارًا فى غير أوقاتها كقصب السكر واللوز اللذان زرعا فى فحص البيرة[٤] مع أنهما لا يزرعان فى الأندلس إلا فى المناطق الساحلية[٥]، كذلك كانوا يقومون بزرع الياسمين والموز والخضر فى غيـر أوقاتها ولهذا كـانوا يغطونها حتى لا يضر الجليـد بها[٦]، كذلك قـام أهل غرناطة بزراعة الزعفران ـ الذى اشـتهرت به باغة[٧] من أعمال غرناطة ـ بطريقـة البستنة أى زراعته فى بساتين على الرغم من أن هذا النبات لا ينمو إلا فى الصحراء[٨].

ويبين ابن بصال صـاحب كتاب الفلاحـة فى فصل من كتابه طريقة تـطعيم النبات[٩]، وكذلك طرق زراعة الحبـوب مثل الحمص وكيفية إعداد الأرض لذلك وعـدد مرات سقاية الأحواض[١٠] وزراعة الفول وأنسب الأوقات لذلك وأحسن تربة لإنتاج محصول وافر[١١]، وزراعة الأرز الذى لا يؤكل إلا بعد تقـشيره[١٢]، كما عـرف أهل غرناطة الوقت المناسب

---

(١) ابن بصال: الفلاحة، ص ٤٩.

(٢) ابن بصال: نفس المصدر: ص ٩١.

(٣) ابن بصال: المصدر السابق، ص ٣٩، ص ٤٠، ص ٤١.

(٤) ابن الخطيب: الإحـاطة: جـ ١ ص ٩٨، ابن الخطيب: اللمحـة البدرية: ص ٢٢، الحمـيرى: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ٢٤، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢١٨.

(٥) مثل المنكب وهى تابعة لإقليم غرناطة، العمرى: وصف أفريقية، ص ٤٧، القلقشندى: المصدر السابق، جـ ٥ ص ٢١٨، انظر المقرى، جـ ٣ ص ٢١٩، طبعة دار صادر.

(٦) عريب بن سعد: تقويم قرطبة، ص ١٧٣.

(٧) المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٤٩، طبعة دار صادر، بيروت، وص ١٤٢ طبعة سنة ١٩٤٩.

(٨) ابن بصال: المصدر السابق: ص ١١٧.

(٩) ابن بصال: نفس المصدر: ص ١٠٥ ـ ١٠٨.

(١٠) ابن بصال: نفس المصدر: ص ١٠٩.

(١١) ابن بصال: الفلاحة، ص ١١٠، ص ١١١.

(١٢) ابن بصال: المصدر السابق، ص ١١٢.

لزراعة كل نوع[١] من أنواع الثمار، فكان شهر يناير ميعاداً لغرس الكروم والزيتون والرمان[٢] وكذلك التفاح واللوز والآجاص[٣]، أما الفستق فكان يزرع فى شهر فبراير[٤] وفى نفس الشهر يتم استمرار غرس ثمار التفاح[٥]، أما شهر مارس فكان ميعادا لزراعة وغرس قصب السكر[٦] وربما القمح والشعير[٧]، وفى شهر مارس أيضًا كان يتوالد دود الحرير[٨]، أما شهر إبريل فكان يجمع فيه بعض الأزهار مثل البنفسج[٩] ويغرس فيه الياسمين[١٠]، كما يتم فيه أيضا زراعة اللوبيا والأرز على طريقة البستنة[١١]، أما شهر مايو فكان يتم فيه زراعة الأرز والزعفران بستانيا[١٢]، كذلك كان هذا الشهر ميعاداً لعمل عسل النحل[١٣]، ويجمع فيه الحرير أيضًا[١٤]، أما النصف الأخير من شهر يونيو فيحصد فيه القمح[١٥].

---

(١) ابن بصال: نفس المصدر، ص ٩١.

(٢) ابن سعيد القرطبى: تقويم قرطبة، ص ٢٩، ص ٣٧، ابن بصال: نفس المصدر، ص ٦٢.

(٣) ابن بصال: نفس المصدر، ص ٦٤، ص ٦٧، ص ٧١.

(٤) ابن بصال: نفس المصدر، ٨٣.

(٥) ابن بصال: نفس المصدر، ص ٦١.

(٦) ابن بصال: نفس المصدر، ١١٤، ابن سعيد القرطبى: تقويم قرطبة، ص ٦٣، ابن البناء (أبو العباس): رسالة فى الأنواء، نشر باعتناء ب.ج رنو باريز لاروز، ص ٧.

(٧) ابن البناء: المصدر السابق: ص ٧.

(٨) ابن سعيد القرطبى: نفس المصدر: ص ٦٣، ابن العوام الأشبيلى: كتاب الفلاحة، جـ ٢ ص ٣٤٩ باعتناء بانكورى، مدريد، ١٨٠٢ م.

(٩) ابن سعيد القرطبى: تقويم قرطبة، ص ٧٦، ابن العوام: الفلاحة، جـ ٢ ص ٤٤.

(١٠) ابن سعيد: نفس المصدر: ص ٧٧، ابن البناء: نفس المصدر، ص ٨.

(١١) المصدران السابقان: نفس الصفحات.

(١٢) ابن بصال: الفلاحة: ص ١١٧، ابن البناء: نفس المصدر، ص ١٠.

(١٣) ابن سعيد القرطبى: نفس المصدر، ص ٩٠، ابن البناء: المصدر السابق: ص ١٠.

(١٤) ابن سعيد: تقويم قرطبة: ص ٩١.

(١٥) ابن سعيد: تقويم قرطبة، ص ٩١، «كان يكثر فى إقليم غرناطة وخاصة مدينة غرناطة نفسها» ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ١٠٩.

وجمع الأعشاب (التريقات)(١) التى اشتهرت بكثرتها فى إقليم غرناطة(٢)، كما يبدأ أيضا فى هذا الشهر ظهور بواكير تين السواحل(٣) وبواكير العنب(٤)، كما يستمر فى شهر يوليو حصاد وجمع القمح(٥) ونضج العنب(٦) وتزبيب التين فى السهل(٧) وكذلك جمع التفاح والكمثرى(٨)، وفى شهر أغسطس يحصد الأرز(٩) وتحرث أرض الكروم(١٠) وتجمع بواكير التمر(١١)، كما يبدأ فى هذا الشهر نضوج(١٢) الرمان والخوخ والكمثرى، أما شهر سبتمبر فيحصد فيه قصب السكر(١٣)، ويجرى قطف الخوخ(١٤) وجمع اللوز.

---

(١) ابن سعيد: نفس المصدر، ص١٠١، «التريقات نوع من الأعشاب التى تنمو فى جبل شلير ويستعمل فى صناعة الأدوية» ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ٩٨، والترياق: دواء مركب يدفع السموم والترياقة أيضا الخمر لأنها تذهب بالهمم، انظر سعيد الخورى الشرتونى: أقراب المورد فى فصح العربية والشوارد المطبعة اليسوعية لبنان ١٨٨٩، ص٧٦، باب التاء والراء.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨.

(٣) ابن سعيد القرطبى: تقويم قرطبة، ص ١٠٤، «الذى ينمو فى مالقة إحدى مدن إقليم غرناطة» الإدريسى: نزهة المشتاق، طبعة (د) ص ٢٠٠، ص ٢٠٤، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص ١٤٠، ابن سعيد: المغرب، جـ ١ ص ٤٢٢، ص ٤٣٢، المقرى: نفح الطيب، جـ ٣ ص ٢١٩، طبعة بيروت، تحقيق إحسان عباس، جـ ١ ص ١٤٤، طبعة سنة ١٩٤٩.

(٤) ابن سعيد القرطبى: نفس المصدر: ص ١٠٤، عن عنب مالقة انظر المقرى: نفح الطيب، جـ ١ ص ١٥٢، طبعة دار صادر، بيروت، وجـ ١ ص ١٤٥ طبعة ١٩٤٩، المقرى: أزهار الرياض فى أخيار عياض، جـ ١ ص ١٧٨.

(٥) ابن سعيد القرطبى: نفس المصدر، ص ١٠٣ ص ١٨٨، ابن البناء: رسالة فى الأنواء، ص ١٣.

(٦) ابن سعيد القرطبى: المصدر السابق، ص ١١٨.

(٧) ابن سعيد القرطبى: نفس المصدر: ص ١١٩.

(٨) المصدر السابق: نفس الصفحة، ابن البناء: نفس المصدر، ص ١٢، ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ١٢٠.

(٩) ابن البناء: نفس المصدر، ص ١٣.

(١٠) ابن بصال: الفلاحة، ص ٥٩.

(١١) ابن سعيد القرطبى: نفس المصدر: ص ١٢٣.

(١٢) ابن سعيد: المصدر السابق: ص ١٣٢، ص ١٣٣.

(١٣) ابن سعيد: المصدر السابق، ص ١٤٥، «كانت مدينة المنكب أكثر مدن إقليم غرناطة إنتاجًا لقصب السكر» العمرى (وصف أفريقية) ص ٤٧، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢١٨، كذلك مدينة شلوبينية، الحميرى: الروض المعطار: ص ١١١.

(١٤) ابن بصال: المصدر السابق: ص ١٨٨، ص ١٩٩.

والقسطل[١] وزراعة الجوز واللـوز وغرس التين[٢] وفى شهر أكتـوبر يستمر الناس فى زراعة وغرس الزيتون والجـوز واللوز والخوخ والتين والآجاص[٣]، كما يستمر الحرث فى المناطق الجبليـة والسهلية استـعداداً للزراعة[٤] وفى شـهر نـوفمـبـر تقلب أرض الزرع[٥] استعداداً لغـرس الثمار وفى هذا الشهر يتم جمع وحـصاد قصب السكر[٦]، كما يجمع فى هذا الشهر الزعفران[٧] وتبدأ ظهور ثمار النرجس فى البساتين والجبال[٨].

وهكذا نستطيع القول بأن العمل الزراعى كان يستغرق وقت المزارعين طوال العام لأنه عمل دائم مستمر وكان لذلك أثره على أوضاع البلاد الاقتصادية وعلى الإنتاج الزراعى.

وإلى جانب العـمل الزراعى من حرث وزرع وغرس وسـقاية كان القطف أو الحـصاد ويسميه الأندلسيون العصير[٩].

وكان تخـزين الطعام أمراً ضرورياً تحـسباً لمـا يمكن أن يحدث من الفتن والمجـاعات والحروب إلى جـانب حب الناس فى أكل أنواع الطعام والفـاكهة فى غيـر موسمـها، فكان المخزن أو المطمورة جزء أساسى فى بيت المزارع أو المزرعة[١٠] كذلك كان أهل غرناطة

---

(١) ابن بصال: المصدر السابق: ص ١١٨، ص ١٩٩، «وهى أى غرناطة كثيرة الثمار ملتفة الأشجار أكثرها أدواح خوخ» ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨.

(٢) ابن بصال: المصدر السابق: ص ٧١، ص ٧٢، ابن البناء: رسالة فى الأنواء: ص ١٥.

(٣) ابن بصال: نفس المصدر، ص ٥٩، ص ٦٠، ص ٦١، ص ٦٧، ص ٧٠، «وسائر الفواكه، من اللوز والأجاص والكمثرى، محدقة» ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٢٠.

(٤) ابن بصال: نفس المصدر، ص ٧١.

(٥) ابن سعيد القرطبى: تقويم قرطبة، ص ١٧٣.

(٦) ابن سعيد القرطبى: نفس المصدر، ص ١٧٣.

(٧) ابن سعيد القرطبى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٨) المصدر السابق: ص ١٨٦، ابن البناء، نفس المصدر، ص ١٧.

(٩) أبو يحيى الزجال: أمثـال العوام، جـ ١ ص ٢١٧، تحقيق محمـد بن شريفة فاس، سنة ١٩٧١، وهى أيام أعياد عند الفلاحين، انظر الأعياد فى باب الحياة الاجتماعية ص ١٠.

(١٠) الإدريسى: نزهة المشتاق (ط٠د): ص ٩٦.

على علم بطرائق حفظ الثمار مثل الجوز واللوز والقسطل والرمان والتفاح والزبيب والتين والعنب[١]، فتؤكل فى غير موسمها[٢]، فكانوا يحفرون حفراً تحت الأرض وتفرش أرضيتها بالرمل وتوضع فيها هذه الثمار ثم تغطى بالرمل[٣].

كذلك كان أهل غرناطة كغيرهم من أهل الأندلس على علم بزراعة الزهور[٤] وحمايتها، وأشار ابن بصال فى كتابه إلى طريقة زراعة الرياحين ذوات الزهور وسائر أنواعها[٥]، وبدأ بالورد وبين طريقة جعله يزهر مرتين فى العام فى فصل الربيع وفصل الخريف وذلك بتركه دون سقى أيام الصيف فإذا دخل شهر أغسطس عادوا إلى سقيه بالماء فيزهر أزهاراً كثيرة فى الخريف[٦].

وقد اهتم أهل غرناطة بصفة خاصة بتحديد أرض البساتين وتشييد الصرائم[٧]، حتى

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٧.

(٢) «وفواكههم اليابسة عامة العام، متعددة، يدخرون العنب سليماً من الفساد إلى شطر العام إلى غير ذلك من التين والزبيب والتفاح والرمان والقسطل والبلوط والجوز واللوز إلى غير ذلك مما لا ينفد، ولا ينقطع مدده إلا فى الفصل الذى يزهد فى استعماله» ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٧، ابن بصال: الفلاحة: ص ١٨٠.

(٣) ابن بصال: نفس المصدر والصفحة.

(٤) ابن بصال: نفس المصدر: ص ١٨١، «ففيها الدور العالية والمبانى القصبية والرياحين النضيرة» ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٢١.

(٥) المصدر السابق: ص ١٧٢ (أوضح ابن بصال فى هذا الفصل جميع طرق زراعة الأزهار ومعالجتها) انظر نفس المصدر: ص ١٦٢ ـ ص ١٧٣ وما بعدها.

(٦) ابن بصال: المصدر السابق: ص ١٧٣، يتحدث «ابن الخطيب فى كتابه الإحاطة عن كثرة البساتين بغرناطة فهو يقول «وتعددت الجنات بها والبساتين» ابن الخطيب: نفس المصدر: جـ ١ ص ٩٦ عن البساتين فى غرناطة انظر المصدر السابق ص ٩٦، ص ١١٥، ص ١٢١، يذكر المقرى فى حديثه عن نارجة التابعة لمالقة وهى من أعمال غرناطة «وهى قرية كبيرة تضاهى المدن، قد أحدقت بها البساتين» المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٦٦.

(٧) والصرائم كلمة بربرية وتعنى الحواجز، انظر محمد الفاسى: أصول الأعلام الجغرافية الأندلسية، مجلة البينة، ص ٥٠ عدد يونيو سنة ١٩٦٢ م.

تستوى كل قطعة من الأرض منفصلة عن الأخرى كذلك كان لهم مهارة فائقة فى تشييد عرائس الكروم التى اشتهر بها إقليم غرناطة[١] وتسوير البساتين[٢].

المحاصيل الزراعية:

كانت الأراضى الزراعية بإقليم غرناطة مصدرًا خصبًا لإنتاج كثير من المحاصيل الزراعية المختلفة، حيث شهد الإقليم وفرة فى المزروعات فاشتهرت مدن وقرى الإقليم بزراعة عدة محاصيل تميز بها الإقليم عن غيره من أقاليم الأندلس، وقد أشارت المصادر إلى تمتع كثير من مدن وقرى إقليم غرناطة بوفرة المزروعات والحدائق[٣] ووفرة المحاصيل من القمح والشعير[٤]، واشتهرت مدينة مالقة بكثرة الفواكه[٥]، وكذلك مدينة غرناطة فقد كثرت فيها الفواكه خاصة فى جبل شلير[٦] «وفى هذا الجبل أصناف الفواكه العجيبة»[٧].

(١) ابن الأبار القضاعى: المعجم فى أصحاب أبى على الصدفى: تحقيق كوديرا وزدين مجريط روخس، ١٨٨٥ م، ص ١٤٥، اشتهرت غرناطة بكثرة عرائش الكروم بها نظرا لشهرتها فى إنتاج الكروم، انظر ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ١٢٠، «وهى مكللة الأعناب» ص ١٢٤، عن كثرة الأعناب فى إقليم غرناطة انظر العمرى: (وصف أفريقية): ص ٣٥، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٥، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١، يذكر المقرى أنه «ليس بالأندلس أكثر عنبًا... منها» المقرى: أزهار الرياض: جـ ١ ص ١٧٨، المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٥٢، طبعة دار صادر، جـ ١ ص ١٤٤، ص ١٤٥، طبعة سنة ١٩٤٩.

(٢) «ويحف بسور هذه المدينة المعصومة بدفاع الله تعالى البساتين العريضة المستخلصة» ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ١١٥.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٦، ص ٩٨، ص ١٢٠، ص ١٢١، العمرى: مسالك الأبصار: (وصف أفريقية) ص ٣٤، ص ٣٥، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٥، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ٢٤، ص ٤٥، ص ١١١، ص ١١٢، ص ١٤٣، ص ١٧٧ ـ ص ١٧٩، ص ١٨٣، ص ١٨٤، ص ١٨٦، ص ١٩٢.

(٤) ابن الخطيب: المصدر السابق، جـ ١ ص ٩٦، ص ١٠٩، اللمحة البدرية: ص ٢٢.

(٥) عن فواكه مالقة انظر ابن سعيد: المغرب: جـ ١ ص ٤٢٢ ـ ص ٤٣٢، كتاب الجغرافيا: ص ١٤٠، المقرى: نفح الطيب: جـ ٣ ص ٢١٩، طبعة بيروت، جـ ١ ص ١٤٤، ص ١٤٥، طبعة ١٩٤٩، الإدريسى: نزهة المشتاق (ط.د): ص ٢٠٠، ص ٢٠٤، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٩، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٧٨.

(٦) ابن سعيد: المغرب: جـ ١ ص ١٤٩، العمرى: (وصف أفريقية): ص ٣٤، ص ٣٥، الحميرى: الروض المعطار: ص ١١٢.

٧) الحميرى: المصدر السابق: ص ١١٢.

القمح والشعير:

وقد زرعت تلك المحاصيل فى غرناطة فجادت زراعتها فيقول ابن الخطيب: إن فحص غرناطة «بحر من بحور الحنطة»[١]، ويقول أيضًا إن كثرة قمحها وشعيرها «مما رغب به معاهدتها ابن رذمير كثرة قمحها وشعيرها»[٢] ومما يدل على كثرة القمح فى غرناطة كثرة الأرحاء بها[٣] ويذكر ابن الخطيب ما نصه: «ويشتمل سور غرناطة وما وراءه من الأرحاء الطاحنة بالماء على ما ينيف على مائة وثلاثين رحاء».[٤]

القطن والكتان والحرير

أشار الحميرى فى كتابه الروض المعطار إلى انتشار زراعة القطن فى وادى آش إحدى مدن إقليم غرناطة فيذكر أن «القطن بها كثير»[٥] وإلى جانب القطن زرع الكتان بكميات وفيرة فى وادى آش أيضا[٦] ويذكر الحميرى: «أن كتان فحص غرناطة يربو على كتان النيل»[٧] كذلك أشار ابن الخطيب فى كتابه الإحاطة إلى وجود الكتان[٨] فى غرناطة، كذلك زرع الكتان[٩] فى مدينة أندرش من أعمال المرية، هذا وقد كثرت تربية دودة القز لإنتاج الحرير نظرا لتوافر شجر التوت فى مدن إقليم غرناطة[١٠]، مثل وادى

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٦، اللمحة البدرية: ص ٢٢.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٠٩، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١.

(٣) العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية): ص ٣٧، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٤.

(٤) ابن الخطيب: نفس المصدر: جـ ١ ص ١٣٣، اللمحة البدرية ص ٢٥.

(٥) الحميرى: الروض المعطار: ص ١٩٢، «ويذكر عثمان الكعاك فى كتابه الحضارة العربية فى حوض البحر المتوسط أن العرب اهتموا اهتمامًا خاصًا بإدخال زراعة القطن إلى المغرب ومنها انتقلت إلى أسبانيا» المرجع السابق، ص ٧٤.

(٦) الحميرى: المصدر السابق: ص ١٩٢.

(٧) الحميرى: المصدر السابق: ص ٢٤، ابن سعيد: المغرب: جـ ١ ص ٩٢.

(٨) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٩، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١.

(٩) الحميرى: نفس المصدر: ص ٣٢.

(١٠) ابن سعيد: الجغرافيا: ص ١٤٠ «وهو ما ذكره معاهدتها ترغيبا لابن رذمير فى احتلالها» انظر مجهول: الحلل الموشية، ص ٩١، ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ١٠٩، الحميرى: الروض المعطار، ص ١٤٣ ص ١٩٢.

آش[١]، وفحص البيرة[٢]، وفنيانة[٣] ومالقة[٤] والمرية[٥] وبسطة[٦]، ويصور الحميرى مدى وفرة إنتاج الحرير فى إقليم غرناطة فيذكر أن مدينة المرية كانت بها ثمانمائة دار لصناعة الحرير[٧].

الزيتون

وهو من المحاصيل الوفيرة فى إقليم غرناطة، فقد اهتم المرابطون والموحدون بزراعته، فكانت مدينة وادى آش[٨] تنتج كميات وفيرة منه كذلك مدينة غرناطة[٩] وفنيانة[١٠] والمرية[١١] وقمارش[١٢] وبسطة[١٣].

---

(١) الحميرى: الروض المعطار: ض ١٩٢.

(٢) الحميرى: المصدر السابق: ص ٢٤، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٩، الاصطخرى: المسالك والممالك: ص ٣٦، ياقوت: معجم البلدان: جـ ١ ص ٢٤٤.

(٣) الحميرى: الروض المعطار: ص ١٤٣.

(٤) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا: ص ١٤٠، طبعة سنة ١٩٨٢.

(٥) الإدريسى: طبعة ليدن: ص ١٩٧، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٤، صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٧.

(٦) الإدريسى: (صفة المغرب) (ط.د): ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٣١، حاشية ٩ نشر أحمد مختار العبادى.

(٧) الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٤.

(٨) الحميرى: المصدر السابق: ص ١٩٢.

(٩) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٩، ص ١٢٠، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١، تحقيق عبد القادر زمامة.

(١٠) الحميرى: المصدر السابق: ص ١٤٣.

(١١) القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٧، العمرى: وصف أفريقية: ص ٤٦.

(١٢) ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٧٩، هامش ١.

(١٣) الإدريسى: صفة المغرب: ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٣١، هامش رقم ٩، الحميرى: نفس المصدر: ص ٤٤.

قصب السكر

وقد كـثرت زراعتـه بمدن متـفرقة من إقـليم غرناطة[١] فقـد زرع فى فحص غـرناطة وشلوبين[٢] أما المنكب فقد كانت أعظمهما انتاجًا لقصب السكر[٣].

الفواكه

شهد إقليم غرناطة وفرة فى زراعة الفاكهة **بأنواعها** المختلفة وتشير المصادر[٤] إلى كثرة وتنوع فاكهة إقليم غرناطة[٥] فالعمـرى يشير إلى ذلك بقولة «وهى (غرناطة) كـثيرة الأمطار والأنهار والبساتين والشجـر والفواكه. . . خصوصًا التفاح والقرصـيا البعلبكية التى لا تكاد

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٨، الحميرى: نفس المصدر: ص ٢٤، ص ١١١ الونشريشـى (أبو العباس أحمد بن يحيى): المعـيار المغرب: جـ ١٠ ص ٢١٤، القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد: ص ٢٠٥.

(٢) الحميرى: ص ١١١، «قرية مـسكونة على ضفة البحر بينها وبين المنكب عشرة أميـال يجود فيها الموز وقصب السكر»: المصدر السابق: نفس الصفحة، الإدريسى: صفة المغرب، ص ١٩٩.

(٣) العمـرى: (وصف أفريقـية): ص ٤٧، القلقـشندى: صبح الأعشـى: جـ ٥ ص ٢١٨، ياقوت: معجم البلدان: مادة المنكب، البغدادى: مراصد الاطلاع: جـ ٣ ص ١٦٤، ابن الخطيب: نفاضة الجراب: نشـر أحمد مختـار العبادى: ص ١٠٩، هامش ١، ص ٣٠٠، هامش ٦، الحـميرى: المصدر السابق، ص ١٨٦.

(٤) الإدريسى: صفة المغـرب، ص ١٩٧، ص ١٩٩، ص ٢٠٠، ص ٢٠٢، ص ٢٠٤، ابن سعيد: الجغرافيا، ص ١٤٠، ابن سـعيد: المغرب، جـ ٢ ص ١٠٢، ص ١٥٤، ص ١٩٣ - ص ١٩٤، جـ ١ ص ٤٢٣، ص ٤٤٢، ابن الخطيب: الإحـاطة، جـ ١ ص ٩٨، ص ١٥٥، ص ١٢٠ ومـا بعدها، ابن الخطيـب: اللمحة البـدرية، ص ٢٩ وما بعدها، ابن الخطيب: مـشاهدات، ص ٧٩ هامش ١، ص ٨٠ هامـش ٥، ص ٩٢ هامش ٢، ص ٩٣ هامش ٦، ابن الخـطيب: نفـاضـة الجراب، ص ٢٨٦ هـامش ٣، العمـرى: وصف أفريقـية ص ٣٤، ص ٣٥، ص ٤٦، ص ٤٧، القلقشندى: صبح الأعـشى، جـ ٥ ص ٢١٥، ص ٢١٧، ص ٢١٨، ص ٢١٩، مجهول: الحلل الموشـية: ص ٩١، الحـميرى: الروض الـمعطار، ص ٢٣، ص ٢٤، ص ٤٥، ص ١١١، ص ١١٢، ص ١٤٤، ص ١٧٨، ص ١٨٤، ص ١٨٦، ص ١٩٢.

(٥) عن فواكه غرناطة انظر فـواكه جبل شيلر، الحميرى: المصـدر السابق، ص ١١١، المقرى: نفح الطيب، جـ ١ ص ١٤١، ص ١٤٢، ص ١٤٣، ص ١٤٥، ص ١٥٥، طبعة سنة ١٩٤٩.

توجد فى الدنيا منظرًا حلاوة حتى أنها ليعصر منها العسل»[١]، ويؤكد ذلك الحميرى: بقوله «وما من فاكهة توصف وتستظرف إلا وما هناك من الفاكهة فوقها»[٢] كما يؤكد ذلك ابن الخطيب بقوله «وأرضها سقى غزيرة الأنهار، كثيرة الثمار، ملتفة الأشجار، أكثرها أدواح الجوز، ويحسن فيها قصب السكر»[٣] فإذا انتقلنا إلى مدن وقرى إقليم غرناطة فالحميرى يصف بسطة «وسائر الثمار بها على مثل ذلك من الكثرة»[٤] أما وادى آش فهى «حصينة كثيرة الفواكه والمزارع»[٥] فإذا حاولنا التعرف على مناطق إنتاج الفاكهة فى إقليم غرناطة وجدنا أن مدينة غرناطة كانت من أكثر مدن الإقليم إنتاجا لعدة أنواع من الفاكهة[٦] منها التفاح والقرصيا البعلبكية[٧].

كذلك اشتهرت جليانة من أعمال وادى آش بالتفاح الجليانى «الذى يضرب به المثل فى الأندلس»[٨] ويصف المقرى تفاح جليانة بقوله «وبه التفاح الجليانى الذى خص الله به ذلك الموضع، يجمع عظم الحجم وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وزكاء الرائحة والنقاء».[٩]

أما العنب والتين، فقد اشتهر إقليم غرناطة بكثرة إنتاج كميات وفيرة منهما، فمدينة غرناطة كانت كثيرة التين والأعناب والخوخ[١٠] والآجاص والكمثرى[١١]، أما مالقة -

---

(١) العمرى: وصف أفريقية: ص ٣٤، ص ٣٥.

(٢) الحميرى: المصدر السابق: ص ٢٤.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨.

(٤) الحميرى: نفس المصدر: ص ٤٤، ويؤكد نفس الوصف تقريبًا كل من الإدريسى: (صفة المغرب) (ط.د): ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٣١، حاشية ٩.

(٥) الإدريسى: (صفة المغرب): ص ٢٠٢، الحميرى: الروض المعطار، ص ١١٢.

(٦) الإدريسى: المصدر السابق، ص ١٩٧، ص ١٩٩، ص ٢٠٠، ص ٢٠٢، ص ٢٠٤، العمرى: (وصف أفريقية): ص ٣٤، ص ٣٥، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢١٥ ـ ص ٢١٩، ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١ ص ٩٨، الحميرى: المصدر السابق: ص٢٣، ص ٢٤، ص ١١٢.

(٧) العمرى: المصدر السابق: ص ٣٤، ٣٥، القلقشندى: نفس المصدر، جـ ٥ ص ٢١٥.

(٨) ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ١٤٨.

(٩) المقرى: نفح الطيب، جـ ١ ص ١٤٣، طبعة سنة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٤٩، طبعة بيروت.

(١٠) العمرى: المصدر السابق، ص ٣٥، القلقشندى: نفس المصدر، جـ ٥ ص ٢١٥، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٩، مجهول: الحلل الموشية، ص ٩١، المقرى: نفح الطيب، جـ ١ ص ١٦٤ طبعة سنة ١٩٤٩.

(١١) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٢٠.

إحدى مدن إقليم غـرناطة ـ فقـد اشتهـرت أيضا بكثـرة إنتاجـها من العنب والتـين إذ يذكر المقـرى أنها «كثيـرة الفواكه، رأيت العنب يـباع فى أسواقهـا بحساب ثمـانية أرطال بدرهم صغير»[١] كذلك كانت بليش مالقة من أعمال مـالقة «كثيرة اللوز والعنب والتين»[٢] كما أن قمارش من أعمـال مالقة أيضًا، «وافرة الماء والزرع من كـروم وزيتون وحبوب»[٣] كذلك التين المالقى[٤] الذى يصل إلى مـصر والشـام والعراق وربمـا وصل إلى الهند[٥]، كذلك أنتجت كل من بليشى مالقة وقمارش أنواعًا جيدة من التين[٦] أضف إلى ذلك الرمان[٧] أما الجوز واللوز والقسطل فقد أنتجت مدينة غـرناطة كميات كبيرة منه[٨]، كذلك كانت مدينة مالقة من أهم مدن الإقليم إنتاجًا لثمار الجوز واللوز[٩] والذى كان يصدر إلى داخل البلاد وخارجها[١٠] أما الموز فقد زرع بكميات كبيرة فى كل من شلوبين[١١] والمنكب[١٢].

---

(١) المقرى: المصدر السابق، جـ ١ ص ١٥٢، دار صادر بيروت، جـ ١ ص ١٤٥، طبعة ١٩٤٩.

(٢) ابن الخطيب: مشاهدات، ص ٧٨ حاشية رقم ٢ ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٤٤٢.

(٣) ابن الخطيب: مشاهدات، ص ٧٩، حاشية ١.

(٤) ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٤٠، ابن سـعيد: المغرب، جـ ١ ص ٤٢٢ إلى ص ٤٣٢ تَمَيَّزَ تينُ مالقة بالإضـافة لحلاوة الطعم، عدم تسوسه واحـتماله البقاء مـدة طويلة دون أن يفسد، انظر ابن الوردى خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص ٣٠، العمرى، وصف أفريقية ص ٣٨.

(٥) ابن سعيد: الجـغرافيا نفس الصفحـة، ابن سعيد: المغرب حـ ١ نفس الـصفحات، الإدريـسى، نزهة المشتاق (ط.ر) ص ٢٠٠، ص ٢٠٤.

(٦) ابن الخطيب: مشاهدات ص ٧٨ حـاشيه ٦ ص ٧٩ حاشية رقم (١) ابن سعـيد: المغرب حـ ١ ص ٤٤٢ ابن بطوطة: الرحله جـ ٢ ص ١٨٧.

(٧) الإدريسى: (صفة المغرب) (ط.د): ص ٢٠٠، ابن سعـيد: المغرب جـ ١ ص ٤٤٢، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٥ ط سنة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٥٢ طبعة دار صادر بيروت.

(٨) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨، ص ١٠٩، ص ١٢٠، العمـرى: (وصف أفريقية) ص ٣٥، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٥، الحجرى الروض المعطار ص ٢٤.

(٩) ابن سعيد: المغرب، جـ ١ ص ٤٢٢، ابن سعيد: الجغرافيا: ص ١٤٠.

(١٠) المقـرى: نفح الطيب، جـ ١ ص ١٥٢ طبـعة دار صـادر بيروت جـ ١ ص ١٤٥ طبـعة ١٩٤٩ القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩ الحميرى نفس المصدر ص ٤٧.

(١١) العمرى: نفس المصدر ص ٤٦ «ويجود فيها الموز» انظر الحميرى: الروض المعطار ص ١١١.

(١٢) العمرى: المصدر الـسابق ص ٤٦، القلقشندى، نفس المصدر جـ ٥ ص ٢١٨ الحميرى: السابق ص ١٨٦ «أما المنكب فـفيها الـموز الذى لا يوجد فى بلد من البـلاد الإسلامية» العـمرى: نفس المصدر ص ٤٧.

أما قصب السكر فقد كان فى المنكب كميات وفيرة «ويزرع بها قصب السكر حيث يصدر إلى البلاد الأخرى وبها زبيب مشهور»[١١].

ويضاف إلى هذه الثروة الزراعية من المحاصيل والفواكه تلك النباتات التى استعملت فى صناعة الأدوية، إذ يذكر ابن الخطيب أن جبل شلير كان مستودعًا للنباتات الترياقية[١] اى ذات الخواص الطبية[٢] وفيها السنبل فائق الطيب وبه الجنطيانة، يحمل إلى جميع الآفاق، وهو عقير رفيع ومكانه من الأدوية الترياقية مكانه وبه المرقشيتة[٣] واللازورد وبفحصها ما يتصل به القرمز وبها من العقار والأدوية النباتية والمعدنية ما لا يتحمل ذكرها»[٤] هذا بالإضافه إلى زعفران باغة[٥] وبسطة وعود المعطر فى ولاية[٦].

---

(١) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٧ عن المنكب وما تنتجه من موز وقصب وسكر وزبيب، انظر الإدريسى (صفة المغرب) (و.د) ص ١٩٩ ياقوت معجم البلدان جـ مادة (منكب) البغدادى: مراصد الاطلاع جـ ٣ ص ١٦٤، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ١٠٩ حاشية ١، ص ٣٠٠ حاشية ٦، ابن الخطيب، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١: اللمحة البدرية ص ٢٩ الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٦، ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٤٠ القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢١٨.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٦.

(٣) حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون ص ٥٦٠، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٩٦٧م، ١٣٨٦هـ

(٤) المرقشيتة أو المرقشيطة حجر ذو خواص طبية يغلب على الظن أنه البزموت وذكره ابن سينا أنه يوجد على أنواع مختلفة راجع عنه جامع المفردات فى كتاب (ضوابط دار السكة) لعلى بن يوسف الحكيم تحقيق حسين مؤنس: سنة ١٩٦٠ م وقد سبق التعريف به.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨، اللمحة البدرية ص ٢٢، المقرى: نفح الطيب، جـ ١ ص ١٤٢ طبعة ١٩٤٩، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٦، العمرى: (وصف أفريقية) ص ٣٥.

(٦) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٢ طبعة سنة ١٩٤٩ عن زعفران بسطة انظر: ابن الخطيب مشاهدات ص ١٣ حاشية ٩.

(٧) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨، ص ٩٩، طبعة سنة ١٩٤٩.

الثروة الحيوانية

الرعى وتربية الماشية

وقد صاحب كثرة الغرس والزراعات المختلفة أن حظى إقليم غرناطة بثروة حيوانية كبيرة[١] إذ كانت الأرض الزراعية الخصبة بما شهدته من تنوع فى المزروعات وكذلك بعض أراضى المراعى أماكن هامة لتربية الماشية فاشتغل بعض السكان بحرفة الرعى وتربية الماشية، فيروى ابن الخطيب: (وأن أهالى قرى غرناطة عملوا بالرعى وتربية الحيوانات التى تساعد فى حرث الأرض)[٢] كالبقر والجاموس وقد قام أهل مالقة أيضا بتربية الماشية والحيوانات الأخرى كالغنم والبقر والخيل والبغال التى كانت وسيلة المواصلات الرئيسية أما الماشية فكانت تربى للحصول على منتجات الألبان كالجبن والزبد والسمن وللحصول على اللحوم والجلود كما كانت تربى أيضًا للاستكثار والعمل فى الحقول[٣] كما انتشرت تربية الخنازير فى جميع بوادى الأندلس بما فيها إقليم غرناطة[٤].

تربية الطيور والدواجن

وإلى جانب الرعى وتربية الماشية قام أهل غرناطة بتربية الدواجن والطيور فعلى امتداد أربعين ميلاً فى فحص غرناطة كانت تنتشر أبراج الحمام[٥] ويصف ابن الخطيب مدينة غرناطة فيقول «ذات بروج سامية وبيادير فسيحة ومصاب للحمايم والدواجن ماثلة»[٦].

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٢٦.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: ص ١٢٦.

(٣) ابن حزم: الرد على ابن النغريلة اليهودى ص ١٧٥ ـ ١٧٧ المقرى: أزهار الرياض فى أخبار عياض فى جـ ١ ص ١٢٩، جـ ٢ ص ٢٦٩.

(٤) الونشريشى: المعيار المغرب جـ ٨ ص ١٢٧، ص ١٦٨.

(٥) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٣٦، يؤكد هذا القول العمرى حيث يقول «ويمر شنيل غربى غرناطة إلى فحصها يشق منها أربعين ميلا بساتين وقرى وضياع كثيرة البيوت والعلالى وأبراج الحمام وغير ذلك من المبانى» العمرى (وصف أفريقية) ص ٣٦.

(٦) ابن الخطيب ـ الإحاطة جـ ١ ص ١٢٥، اللمحة، البدرية ص ٢٤.

الثروة السمكية

كان لموقع إقليم غرناطة الساحلى مع كثرة الأنهار والوديان أثر كبير فى نزويد الإقليم بثروة سمكية كبيرة حيث مارست طائفة من السكان مهنة الصيد من شواطئ البحار والأنهار، فكان الصيادون يصطادون كميات كبيرة من الأسماك، فمدينة المنكب يكثر بها صيد الأسماك[١] كذلك شلوبنية التى تقع على البحر المتوسط على بعد ستة عشر كيلو مترا شرقى المنكب[٢] فهى وافرة الأسماك[٣]، كذلك كانت مالقة مركزًا كبيرًا لصيد الأسماك[٤] وكانت تملح وتحفظ فى مستودعات خاصة[٥] أما مربلة فقد كانت أيضا مركزًا هامًا لصيد السردين[٦] كذلك اشتهرت بزليانة ـ وهى قرية على ساحل البحر قريبة من مالقة ـ بصيد أسماك الحوت[٧] وتصديرها إلى الجهات المجاورة[٨].

---

(١) الإدريسى (صفة المغرب) ص ١٩٩ (طبعة دوزى) ياقوت، معجم البلدان جـ ٨ مادة منكب، البغدادى: مراصد الاطلاع جـ ٣ ص ص ١٦٤، ابن الخطيب: نفاضة الجراب، نشر العبادى ص ١٠٩ حاشية (١) ص ٣٠٠ حاشية رقم ٦، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٦.

(٢) الحميرى: المصدر السابق ص ١١١.

(٣) ابن الخطيب: مشاهدات: نشر أحمد مختار العبادى ص ٨٠ حاشية ٥.

(٤) الإدريسى: نزهة المشتاق ص٢٠٠، ابن بطوطة، الرحلة جـ ٢ ص ١٨٦، ص ١٨٧، القلقشندى: صبح الأعشى جـ٥ ص ٢١٨ المقرى: نفح الطيب جـ١ ص ١٤٤، ص١٤٥، ص ١٨٦.

(٥) ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ٢٨٦ هامش ٣ أعطاها الفينيقيون منذ أن أسسوها سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد اسم Malaha أى المالحة نسبة إلى شهرتها فى إنتاج هذا النوع من الأسماك.

(٦) ابن الخطيب: مشاهدات ص٧٥ حاشية ٤ عن مربلة انظرا الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٠.

(٧) الحميرى: الروض المعطار ص ٤٤.

(٨) الإدريسى: نزهة المشتاق (طبعه ـ دوزى) ص ٢٠٠.

الصناعة

لعبت الصناعة دورها فى ازدهار الحياة الاقتصادية فى إقليم غرناطة فى عصر المرابطين وخلفائهم الموحدين، ونعنى بالصناعة[١] فى هذا الفصل تصنيع الإنتاج الزراعى وما يتصل به واستنباط المعادن وتصنيعها والاستفادة من ذلك كله فى سد احتياجات المواطنين من أهل الإقليم من المواد الاستهلاكية وغيرها والاستفادة من فائض هذه الصناعات فى تصديرها إلى خارج البلاد، وهو ما سنفصله فى فصل التجارة.

ولا تجىء دراسة الصناعة مكتملة بغير النظر فى عدة أمور: أهمها توفر المادة الخام التى تقوم عليها الصناعة مع وجود الخبرة الصناعية المتمثلة فى الأيدى العاملة والتى عليها قامت الصناعة وازدهرت.

وقد كان لتوفر المادة الخام فى إقليم غرناطة أثر فى أن قامت عدة صناعات أهمها صناعة النسيج[٢] وصناعة السفن[٣] وصناعة بعض الأدوات من النحاس والحديد بالإضافة إلى عدة صناعات أخرى سيجىء الحديث عنها تفصيلاً، فإلى أى مدى خدمت المادة الخام الصناعة؟.

توفر المادة الخام

توفرت المادة الخام اللازمة للصناعة فى إقليم غرناطة حيث وجدت بكميات كبيرة، وتنقسم المادة الخام إلى نوعين: معدنية وغير معدنية، فالمعدنية مثل الذهب والحديد والنحاس والتوتيا... إلخ، أما غير المعدنية فهى إما نباتية أو حيوانية بالإضافة إلى الأحجار الكريمة والرخام.

(١) يقسم ابن خلدون الصناعة إلى معينة مثل النجارة والحدادة والحياكة، وغير معينة مثل الرواقة والكتابة والغناء والشعر وتعليم العلم (التدريس) انظر ابن خلدون: المقدمة ص ٤٠٠ طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨ م ـ ١٣٩٨ هـ الطبعة الرابعة، محمد طرشونة: نظرية ابن خلدون فى الاقتصاد والعمران، مجلة الفكر (تونس) العدد ١٥ طبعة سنة ١٩٦٧ م.

(٢) عن صناعة النسيج فى إقليم غرناطة انظر الإدريسى: نزهة المشتاق (ط.د) ص ١٩٧، ص ١٩٨، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٤٠، ابن غالب، فرحة الأنفس ص ٢٨٣، العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٥، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٤٢٤، الإدريسى: ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨ هامش رقم ٢.

(٣) العمرى: (وصف أفريقية): ص ٤٥، ص ٤٧، ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٨، ص ٢١٩.

وقد أمدنا الجغرافيون العرب بمادة وفيرة فى هذا الموضوع إلا أنهم لم يتحدثوا عن التفصيلات الفنية الدقيقة لاستخراج المعادن[١] ولا ترد أى إشارات عن طرق استخراج المعادن سوى ما أورده الحميرى عن طريقة التعدين التى شاهدها فى حصن أبال بالقرب من قرطبة فقد ذكر أن عمق البئر أكثر من خمسين ومائتى قامة ويخدم المعدن أكثر من ألفى شخص تتخصص كل مجموعة فى عمل مثل قطع الأحجار وصنع أوانى السبك والحرق ونقل[٢] الحطب.

ولقد أشار الرحالة المسلمون المشارقة ـ منهم والمغاربة الذين رأوا الأندلس ـ إلى الثروات الطبيعية للبلاد وخاصة المناطق الجنوبية، وتحدثوا عن الذهب فى غرناطة[٣] «وكان يلتقط سحالة الذهب الخالص[٤]» ومن نهرها المعروف باسم حدرة[٥] كذلك استخرج من البيرة[٦] وهى من أعمال غرناطة.

أما معدن الفضة فكان يستخرج من البيرة[٧] ولوشة[٨] وكان أهل غرناطة على علم بطرق استخراج هذه المعادن الثمينة من مناجمها[٩].

واستخلاص الشوائب منها، وكان الذهب والفضة يستعملان فى السكة[١٠] والزينة.

---

(1) L. Provencol, l"esp. Mau, x. s. p 176

(٢) الحميرى: الروض المعطار ص ١٠.

(٣) ابن غالب: فرحة الأنفس مجلة معهد المخطوطات العربية، تحقيق لطفى عبد البديع ص ٢٨٣ جـ ١ طبعة ١٩٥٥ تحقيق لطفى عبد البديع، ياقوت معجم البلدان جـ ٥ مادة غرناطة، ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨، نفس المؤلف: اللمحة البدرية ص ٢٢، ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٦٧، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٣، ص ٢٤.

(٤) الحميرى: المصدر السابق ص ٢٣، ابن الحكيم الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة «حيث يذكر فى كتابه» أن الذهب كان بها قليلاً ولكنه جيد، المصدر السابق ص ٨٥.

(٥) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٩٠.

(٦) الحميرى: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٧) الاصطخرى: المسالك والممالك ص ٣٦، ابن غالب، المصدر السابق ص ٢٨٣، ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨، اللمحة البدرية: ص ٢٨، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤، ياقوت: معجم البلدان مادة غرناط تابع والبيرة، ابن يوسف الحكيم: ضوابط دار السكة ص ٨٥.

(٨) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٢ طبعة ١٩٤٩، ابن الخطيب مشاهدات ص ٩٣ حاشية ٦ اللمحة البدرية ص ٢٨ Ency of Islam - art. loja «لوشة مدينة على بعد خمسة وخمسين ميلاً غرب غرناطة».

(٩) الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤، ابن يوسف الحكيم: ضوابط دار السكة ص ٨٥.

(١٠) على بن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة ص ٨٥، ص ١٠٢.

أما معدن الحديد فكان يوجد فى المرية[١] فى موضع يسمى بكارش[٢] ودلاية[٣] كذلك استخرج من البيرة[٤] ووجد الحديد بكميات كبيرة فى مدينة غرناطة[٥] ومدينة مالقة[٦] أما معدن النحاس فكان يوجد كذلك فى غرناطة[٧] وبعض أعمالها مثل البيرة[٨] وكذلك المرية التى اشتهرت بالصناعات النحاسية[٩]، أما معدن الرصاص فقد استخرج من غرناطة[١٠] والبيرة[١١] والمرية[١٢] كما استخرج معدن التوتيا فى قرية تسمى بطرنة من أعمال البيرة[١٣] وكذلك استخرج معدن التوتيا أيضا من حصن شلوبنية من أعمال غرناطة[١٤].

(١) يذكر المقرى فى وصفه لمدينة المرية «وتشتمل كورتها (أى المرية) على معدن الحديد» المقرى المصدر السابق ص ١٥٣، ١٥٤ طبعة ١٩٤٩ م وص ١٦٢ طبعه ١٩٦٨، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤.

(٢) يذكر المراكشى فى كتاب المعجب «وفى أعمال المرية وعلى يوم ونصف منها بموضع يسمى بكارش فيه معدن حديد أيضًا» المراكشى المصدر السابق، ص ٤٤٨ طبعة ١٩٦٣.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨، اللمحة البدرية ص ٢٢ «تقع دلاية غرب المرية فى جنوب سفح جبل (غدر) Gadr† على مقربة من البحر المتوسط» انظر ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨ هامش رقم ٢.

(٤) ابن غالب: فرحة الأنفس ص ٢٨٣، ياقوت: معجم البلدان مادة البيرة جـ ١ ص ٢٢٤، ابن الخطيب: نفس المصدر ص ٩٨، اللمحة البدرية، ص ٢٢، الحميرى: الروض العطار ص ٢٤.

(٥) ابن الخطيب الإحاطة جـ ١: نفس الصفحة، واللمحة البدرية ص ٢٢.

(٦) الإدريسى: (نزهة المشتاق) ص ١٩٧.

(٧) ابن الخطيب: نفس المصدر جـ١، ص٩٨، اللمحة البدرية ص٢٢ الحميرى: الروض المعطار ص٢٤.

(٨) ابن غالب: نفس المصدر ص ٢٨٣، الحميرى: المصدر السابق: نفس الصفحة، ياقوت: معجم البلدان، مادة البيرة جـ ١، ابن الخطيب: نفس المصدر جـ ١ ص ٩٨، اللمحة البدرية ص ٢٢.

(٩) الإدريسى: نزهة المشتاق (طبعة دوزى) ص ١٩٧ نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٤ طبعة سنة ١٩٤٩م، ص ١٦٣ جـ ١ طبعة دار صادر ١٩٦٨.

(١٠) ابن الخطيب: الإحاطة جـ١ ص٩٨، اللمحة البدرية ص٢٢، الحميرى: الروض المعطار ص٢٤.

(١١) الحميرى: المصدر السابق ص ٢٤.

(١٢) المراكشى: المعجب، ص ٤٤٨.

(١٣) ابن الخطيب: الإحاطة جـ١ ص٩٨، اللمحة البدرية ص٢٢ الحميرى نفس المصدر ص٢٤، المقرى: نفح الطيب جـ١ ص١٣٨ ١٩٤٩، ص٢٠٢ طبعة ١٩٦٨ الإدريسى نزهة المشتاق: ص١٩٨.

(١٤) ياقوت: معجم البلدان مادة شلوبنية التوتيا معدن يكتحل به، انظر سعيد الخورى الشرتونى أقرب المورد فى فصح العربية والشوارد ص ٨١ باب الثاء والواو.

هذه بالإضافة إلى معدن المرقشيتا[١] واللازورد[٢]، كذلك كان الملح[٣] يستخرج من إحدى القرى التابعة للمرية، أما الياقوت الأحمر[٤] فكان يستخرج من حصن منت ميور من كورة مالقة حيث استخدم فى صناعة الحلى.

أما مقاطع[٥] الرخام فى إقليم غرناطة فكان يوجد فى البيرة مقطع للرخام[٦] لين أبيض «يتصرف تصرف الكذان»[٧] للينه ورطوبته، وتعمل منه الأقداح والأكواب والأطباق والأسطال وكل ما يخرط من الخشب يخرط منه[٨]، كذلك وجد نوع من الرخام الجيد فى باغة من أعمال غرناطة موشاة فى حمرة وصفرة[٩].

كذلك أنتجت مدينة المرية نوعًا من الحَصَى يشبهه المقرى بأنه «كالدر فى رونقه وله ألوان عجيبة[١٠]» وقد استخدم هذا النوع من الحصى فى تجميل وتزيين حوائط المنازل والقصور والمساجد.

الصناع وأرباب الحرف

وكما توفرت لإقليم غرناطه المادة الخام التى اعتمدت عليها الصناعة فى تصنيع منتجاتها المختلفة اعتمدت أيضًا على الأيدى العاملة المدربة والتى انتشرت فى أنحاء البلاد لتصنيع الصناعات المختلفة التى احتاجتها الدولة نتيجة للتقدم الحضارى والعمرانى الذى بدأته دولة المرابطين وأكملته الدولة الموحدية والتى شجعت الصناعة نتيجة لازدياد حاجة

---

(١) معدن المرقشيتا سبق التعريف به انظر ص ؟؟؟.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨، اللمحة البدرية، ص ٢٣.

(٣) ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٨٢ هامش ١.

(٤) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٨ طبعة سنة ١٩٤٩.

4) scott: hist of the Moorish Empire, Vol, 111 p. 628

(٥) مقاطع: جمع، وهو اسم مكان من القطع يريد الأماكن التى يقتطع منها الرخام، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٧ طبعة ١٩٤٩.

(٦) ابن غالب: فرحة الأنفس ص ٢٨٣.

(٧) المصدر السابق نفس الصفحة «الكذان» نوع من الحجارة الرخوة انظر لسان العرب مادة «كذن».

(٨) ابن غالب نفس المصدر والصفحة.

(٩) المقرى: المصدر السابق جـ ١ ص ١٨٧ طبعة سنة ١٩٤٩ م.

(١٠) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٧ طبعة سنة ١٩٤٩، ص ٢٠١ طبعة ١٩٦٨.

الدولة للصناعات المختلفة واتساع نطاق العمارة وازدياد الطلب على أدوات الترف المختلفة، ويؤكد ابن خلدون ذلك بقوله: إن الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضرى وكثرته»[١]

أطلق المغاربة والأندلسيون على العمال لفظ «الصناع»[٢] أما الموحدون فقد أطلقوا عليهم اسم عبيد المخزن[٣]، والعمال ثلاثة أصناف: الصانع الخاص[٤]، وهو الذى يعمل عند صاحب العمل أو مالك الصنعة[٥] والظاهر أن كثيرين من هؤلاء الملاك من الفقهاء أو ذوى النفوذ الإدارى[٦] ونادراً ما كان هذا المالك يقوم بالعمل والخدمة[٧] بنفسه وإنما كان يستأجر عمالاً يشتغلون تحت إشرافه[٨]، أما النوع الثانى من الصناع فهو الصانع المشترك وهو ليس بأجير عند رب العمل وإنما يجلس للعمل ويخدم كل من يقدم إليه حاجته[٩] مثل الخراز[١٠] والخياط[١١] والصباغ والدباغ والنشار[١٢] ثم هو الصانع المتجول مثل صناع الأوانى الحديدية أو الخشبية وينتقل من بلد إلى آخر حسب العرض والطلب[١٣] هذا ولم

---

(١) ابن خلدون: المقدمة: ص ٤٠٠.

(٢) السقطى: رسالة فى الحسبة: ص ٦٢.

(٣) العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية) ص ١٠.

(٤) أبو الحسن على بن رحال: كشف القناع عن مسائل الصناع، الخزانة العامة الرباط مجموعة رقم ١٠٧٩ د. ص ٣٩ و - ص ٤٠ ق.

(٥) تشير النوازل إلى الملكية فى المعادن والأرحاء والأفران والحمامات والملاحات والمعاصر ومصانع النسيج، عن تلك الملكيات انظر الونشريشى: المعيار جـ ٩ ص ٤٠٨ وما بعدها، ابن الأبار: الحلة السيراء جـ ٢ ص ٢٦٠ تحقيق حسين مؤنس.

(٦) الونشريشى: المصدر السابق جـ ٥ ص ٢٢٢، ابن الأبار: المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٦.

(٧) الونشريشى: نفس المصدر جـ ٥ ص ٢٢، جـ ١٠ ص ٦٦.

(٨) ابن رحال: كشف القناع عن مسائل الصناع مخطوط الخزانة العامة الرباط مجموعة رقم ١٠٧٩ د. ورقة ٣٩، ٤٠.

(٩) ابن رحال: كشف القناع، مخطوط، ورقة ٣٩ر - ٤٠ر.

(١٠) الخراز هو محترف صناعة الجلد.

(١١) هو الذى يقوم بخياطة الثياب، السقطى، رسالة فى الحسبة ص ٦٢.

(١٢) الصباغ هو الذى يقوم بصباغة الثياب، والدباغ هو الذى يقوم بدباغة الجلود، والنشار هو الذى يقوم بالنجارة ونشر الخشب، انظر السقطى: المصدر السابق ص ٦٣ - ص ٦٥.

(١٣) ابن عبد الله المراكشى: الذيل والتكملة لكتاب الموصل والصلة تحقيق إحسان عباس بيروت دار الثقافة سنة ١٩٦٤، سنة ١٩٦٥ ص ٣٢١.

يكن الصناع رجالاً فحسب، بل كان بينهم عدد كبير من النساء وأغلبهن احترفن صناعة الغزل والنسيج[١].

وكان كل نوع من أنواع الحرف يحتل شارعًا أو سوقًا باسمه[٢] مثل ربض الفخارين[٣] بغرناطة وسوق العطارين[٤] والصباغين والوراقين والدباغين[٥] والطوابين[٦].

هذا وكان الحرفيون والصناع منتظمين فى طوائف على رأس كل منها عريف أو أمين[٧] ويكون تعيينه عادة من قبل القاضى أو المحتسب، وكانت له السلطة عليهم وهو مسئول عن كل ما يحدث مباشرة فى جماعته طبقًا للقواعد الموضوعة والأعراف المستقرة التى يلم بها، فضلاً عن مراقبته لصنعته فهو خبير بالجيد والردىء من حرفته[٨] هذا وقد استفاد المرابطون من خبرات أهل الأندلس فى الصناعة.

فيوسف بن تاشفين حين عمد إلى التوسع فى البناء والتعمير استقدم كثيرًا من صناع أهل الأندلس[٩]، وقد قام الصناع فى كل من المرية وغرناطة ببناء أسوارهما وتعتيبها[١٠]،

---

(١) ابن عبدون ثلاث رسائل أندلسية: ص ٥٥ «يجب أن لا يباع غزل القطن، ولا الكتان، مكبّبًا فهو موضع غش لأن النساء يدلسن فيه ليزيد لهن فى الوزن انظر ابن عبدون: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٢) ابن عبدون: المصدر السابق: ص ٤٣.

(٣) العمرى: وصف أفريقية: ص ٤٣.

(٤) المقرى: نفح الطيب جـ ٢ ص ٣٩٤ طبعة سنة ١٩٤٩، العمرى: وصف أفريقية ص ٤١.

(٥) العمرى: المصدر السابق: ص ٤٠.

(٦) العمرى: نفس المصدر ص ٤١ عن هذه الأسواق انظر: نظم الجمان ص ١١٨، ابن عبدون المصدر السابق ص ٤٣.

(٧) السقطى: رسالة فى الحسبة ص ٣٩، ص ٥٦، ابن عبدون المصدر السابق، ص ٥٣.

(٨) المجيلدى (أحمد سعيد): التيسير فى أحكام التسعير، تحقيق موس أقبال الجزائر سنة ١٩٧٠ ص ٥٦، ابن عبدون، نفس المصدر ص ٢٤، ص ٥٧ الجرسفى رسالة فى الحسبة ص ١٢٥، السقطى: نفس المصدر ص ٩.

(٩) الجزنائى: زهرة الآسى فى بناء مدينة فاس ص ٣٢، ابن القاض: جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس - طبع حجر فاس سنة ١٢٠٩ ص ٢٧ هـ.

(١٠) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٧٣، ص ٧٤.

وجرى على نفس السياسة الخلفاء الموحدون من استقدام الصناع المهرة إلى مراكش وذلك للاستفادة بخبراتهم ومن أمثلة ذلك استقدام الخليفة عبد المؤمن بن على من إقليم غرناطة الحاج يعيش المالقى الذى أمره بصناعة مقصورة هندسية ميكانيكية بالمسجد الجامع[١] وقد وضعت المقصورة على حركات هندسية ترفع بها عند خروج الخليفة وتخفض لدخوله[٢].

هذا وقد اضطرت الأزمة المالية على بن يوسف لفرض ضرائب باهظة ففرض على كل الصناعات قبالات[٣]، وكانت من أشد ما أنكره ابن تومرت على المرابطين، حيث استخدم ذلك فى دعايته السياسية ضدهم[٤].

وعندما قامت الدولة الموحدية حرص الخليفة عبد المؤمن على حماية الصناع «لأن الصناع هم الذين ينتفع بهم»[٥] كما أسقط جميع القبالات على الصناعات وفرضت تلك القبالات حسب دخل الصناع من صنعتهم وترك تقديرها وتحصيلها لأمين كل صنعة فى كل مدينة[٦]، لذلك تركزت الصناعات المختلفة فى مناطق إقليم غرناطة وشهد الإقليم تطوراً كبيراً فى عدة صناعات مختلفة مثل الصناعات المعدنية والصناعات الزراعية والغذائية ثم بعض الصناعات المتنوعة والتقليدية.

---

(١) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٣٩، مجهول: مجموعة رسائل موحدية ض ٩٧ تحقيق ليفى بروفنسال الرباط سنة ١٩٤١.

(٢) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) الإدريسى: نزهة المشتاق: (طبعة .د.) ص ٧٠ «القبالة هى فى الأصل الضريبة» التى تدفع لبيت المال وقد أطلق استعمال هذا اللفظ على الضرائب الزائدة عن الشرع وكانت هذه الكلمة تستخدم فى المغرب والأندلس للدلالة على الضرائب التى كان يؤديها أهل الحرف أو بائعو السلع الرئيسية» انظر ابن القطان: نظم الجمان، تحقيق محمود على مكى تطوان سنة ١٩٥٦ ص ١٥٦ الونشريشى: المعيار جـ ٨ ص ١٧٨ «سخط ابن عبدون على المتقلبين وجعلهم شر أهل الأرض» انظر ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية ص ٣٠.

(٤) ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٥٦.

(٥) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ: جـ ١٠ ص ٥٨٤.

(٦) أبو العباس أحمد الغبرينى: عنوان الدراية، فيمن عرف من علماء المائة السابعة فى بجاية ص ١١٥، الجزائر المطبعة الثعالبية سنة ١٣٢٨ هـ.

الصناعات المعدنية

اشتهـر إقليم غرناطة بإنتاجه الوفير من المواد المعدنية مثل الذهب والفضة والحديد والرصاص والتوتيا والنحاس[١]، وكان لتوفر هذه المعادن فى إقليم غرناطة أن اشتهرت عدة مدن بالصناعات المعدنية واشتهرت مدينة المرية بعدة صناعات معدنية مختلفة من أهمها آلات الحرب من التروس والرماح والسروج والدروع[٢]، وكانت المرية وبسطة دارى «صنعة الأندلس» فى العصر المرابطى[٣].

وفى العصر الموحدى، تقدمت مالقة فى الصناعات المعدنية بعد أن انهارت صناعات المرية خلال فترة الانتقال[٤]، فاختصت مالقة بصناعة آلات الصفر والنحاس والحديد من سكاكين ومقصات ذهبية وجميع ما يحتاجه المنزل من أوان خاصة لمختلف الأغراض اليومية، كما صنعوا من الحديد أيضًا التروس والرماح والدروع والسيوف[٥].

كما تقدمت صناعة السفن بسبب اهتمام المرابطين والموحدين بإنشاء السفن الحربية

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨، ابن الخطيب: اللمحة البدرية ص ٢٢، الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٤.

(٢) الإدريسى: نزهة المشتاق (صفة المغرب) (طبعة د) ص ١٩٧، الحميرى: الروض المعطار، ص ١٨٤، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٨٧ طبعة سنة ١٩٤٩ م.

(٣) الإدريسى: المصدر السابق (ط.د) ص ١٩٧ ـ ص ٢٠٢، الزهرى (أبو محمد بن أبى بكر الزهرى): كتاب الجغرافيا ص ١٠١ تحقيق محمد الحاج صادق المعهد الفرنسى بدمشق للدراسات العربية سنة ١٩٥٨، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤ وكانت أى «المرية» فيما تقدم يصنع بها صنوف آلات النحاس والحديد وما لا يحاد، انظر الحميرى: المصدر السابق ص ١٨٤، انظر المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٧ طبعة سنة ١٩٤٩، ص ١٦٣ طبعة سنة ١٩٦٨

(٤) عن فترة الانتقال وضرب الروم لمدينة المرية واستيلائهم عليها حتى استردها الموحدون مرة أخرى انظر الباب الأول من الرسالة، كان فتح المرية وعودتها إلى الموحدين بعد احتلال الروم لها بعشر سنوات ٥٥٢ هـ ـ ١١٥٧ م انظر العمرى: مسالك الأبصار جـ ١٦ قسم ٤ مخطوط رقم ٤٣٧٦.

(٥) العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية) ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩، المقرى نفح الطيب جـ ١ ص ١٣٨ طبعة سنة ١٩٤٩ وص ٢٠١ طبعة سنة ١٩٦٨، عن الصناعة المعدنية فى مالقة انظر رحلة ابن بطوطة جـ ١ ص ١٨٦ ص ١٨٧ باريس سنة ١٩٢٢ م.

والسفن التجارية، فاشتهرت مدينـة المرية بصناعة السفن وكانت بها دار لصناعة السفن[١]، أما مالقة فكانت من أهم ثغور إقليم غرناطة فى عصر المرابطين والموحدين، حيث أقيمت بها دار لصناعة السـفن التجارية إلى جانب السفن الحربيـة وخاصة الحراريق[٢]، أما مدينة المنكب فقد أقيمت بها أيضًا دار صناعة لإنشاء السفن[٣] الحربية والتجارية أيضا.

ومن الصناعات المعدنية صناعة الحلى

فقد عرف عن نساء غرناطة أنهن كن يتفنن فى اقتناء الجواهر والحلى[٤] بها، وفى ذلك يقول المؤرخ الغـرناطى ابن الخطيب: «وقد بلغن «أى نساء غـرناطة» من التفنن فى الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات والتنفـيس بالذهبيات والديباجيات والتماجن فى أشكال الحلى، إلى غاية نسأل الله أن يُغضَّ عنهن فيها، عين الدهر»[٥] فكانت نساء غرناطة يتقلدن الجواهر النفيسة لا سيما ما كان مرصعًا بالزمرد والياقوت الذى اشتهرت به مالقة[٦] كالقلائد

---

(١) العمرى: مسالك الأبصار «وصف أفريقية والأندلس» ص ٤٦ القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٧، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٣، ص ١٨٤ عن ثغر المرية انظر ابن الخطيب: اللمحة البدرية ص ٢٩، الإدريسى: صفة المغرب ص ١٩٧ Ency. of Islam, Art Almeria by Seybold
يذكر العذرى: فى كتابه نصوص عن الأندلس «أن دار صناعتها» أى المرية القديمة قد قسمت على قسمين، فالقـسم الأول فيه المراكب الحربية والآلة والعدة، والقسم الثانى فيـه القيسارية، قد رتب كل صناعة حسب ما يشكل لها، انظر العذرى: صفة مدينة المرية ص ٨٦.

(٢) العمـرى: المصدر السـابق ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعـشى جـ ٥ ص ٢١٨، ابن الخطيب: نفـاضة الجراب ص ٢٨٦ هـامش ٣، ابن بطوطة: الرحلة جـ ٢ ص ١٨٦، ص ١٨٧ طبعـة سنة ١٩٢٢ م، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب جـ ١ ص ٤٢٣ 2) Ency of Islam, Art malaga
الحراريق وتسـمى أيضًا الحراقات، ومفـردها حراقة وهى نوع من السـفن الحربية تستـخدم لحمل الأسلحة: محمد ياسين الحموى تاريخ الأسطول العربى ص ٣٤.

(٣) ابن الخطيب: نفـاضـة الجـراب نشر العـبـادى ص ١٠٩ حاشـيـة (١) ص ٣٠٠ هامش رقم ٦ الإدريسى: صـفة المغـرب: ص ١٩٩، البغـدادى مراصـد الاطلاع جـ ٣ ص ١٦٤، الحمـيرى: الروض المعطار ص ١٨٦.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٩، «محمد كـمال شبانة يوسف الأول سلطان غرناطة، ص ١٩٧ طبعة سنة ١٩٦٩ ص ١٩٧.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٣٩.

(٦) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٨ طبعة سنة ١٩٤٩.

1) Scott: Hist. of the Moorish Empire, vol 111 P. 628.

والأقراط والخواتم المصنوعة من الذهب والفضة[١] وكانت مهارة الغرناطيين فى صناعة الحلى عظيمة[٢].

الصناعات الزراعية وما يتصل بها

لم يقتصر ازدهار الصناعة فى إقليم غرناطة على الصناعات المعدنية فحسب، بل شملت أيضًا الصناعات الزراعية وما يتصل بها من منتجات، هذا وقد شهدت مدن وقرى إقليم غرناطة تطورًا كبيرًا فى الصناعات الزراعية لم تعهده من قبل حيث تنوعت المحاصيل الزراعية[٣] فى قرى ومدن الإقليم فقامت عدة صناعات هامة منها.

صناعة الملابس والمنسوجات

تقدمت صناعة الحرير فى إقليم غرناطة تقدمًا كبيرًا ولا سيما فى مدينة المرية حيث انتشرت صناعة الحرير[٤] الموشى والديباج[٥] فتفوقت على قرطبة وأجاد أهلها هذه الصناعة إجادة تامة[٦].

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨، ابن الخطيب: اللمحة البدرية ص ٢٢، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٣، ياقوت: معجم البلدان جـ ٥ مادة غرناطة، ابن غالب فرحة الأنفس ص ٢٨٣ مجلد ١ جـ ٢.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٣٨، ص ١٣٩، محمد كمال شبانة يوسف الأول سلطان غرناطة ص ١٩٨.

(٣) عن المحاصيل الزراعية وتنوعها فى إقليم غرناطة انظر «الزراعة».

(٤) الإدريسى: نزهة المشتاق (طبعة د) ص ١٩٧، ١٩٨، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٤٠، الزهرى: كتاب الجغرافيا ص ١٠٢.

R.b. Serjent: Islamic textiles material for a hisotry up to the Mongol Conquest p. 169.

(٥) ياقوت: معجم البلدان جـ ٥ مادة المرية، ابن غالب: فرحة الأنفس ص ٢٨٤.

Dozy: Dictionaire De 'Tailloe des Noms des vetements chez les Arabes Amesterdam 1845 P, 113, 436.

ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٤٠، العمرى: وصف أفريقيا ص ٤٥، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، المقرى نفح الطيب جـ١ ص١٥٣ «الديباج هو قماش من الحرير وهو نوع من الأقمشة الحريرية» كذلك الديباج يدخل فى نسجه خيوط الذهب والفضة وهو المعروف باسم بروكار.

(٦) ياقوت: معجم البلدان جـ ٥ ص ١١٩، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٧، العمرى: نفس المصدر ص ٤٥، الإدريسى: نزهة المشتاق ص ١٩٧ ص ١٩٨ المقرى: المصدر السابق ص ١٤٥، الحميرى: نفس المصدر والصفحة، ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ١٩٣.

وكان بالمرية أعداد كثيرة من الطراز[١] «فقد بلغت طراز الحرير فيها ثمانمائة طرز[٢]» ويصنع بها من أنواع الثياب الكثير مثل الديباج والسقلاطون[٣] والأصبهانى[٤] والجرجانى[٥] والستور المكللة والثياب المعينة[٦] والعتابى[٧] الفاخر والخمر[٨].

هذا وكان الإنتاج كثيرا، فقد كان جل أهل المرية صناع نسيج وحياكة[٩].

وكان الصناع يزينون إنتاجهم بالصور والزخارف الهندسية فقد زينت قطعة من إنتاج المرية فى إمارة على بن يوسف (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) بدوائر بداخلها أسود تفترس وعولاً

---

(١) الإدريسى: نزهة المشتاق ص ١٩٨، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، العمرى: وصف أفريقية، ص ٤٥، راجع شكيب أرسلان: الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية جـ ١ ص ١١٨، ص ١١٩ «لكلمة طراز معان كثيرة منها الكتابة الرسمية التى كانت تتوج أوراق الدولة أو تطرز على الأقمشة التى تحتكرها الحكومة، وقد كشفت الأبحاث الأثرية عن وجود نوعين من دور الطراز: طراز العامة وأغلب الظن أن المقصود به المصانع الأهلية للنسيج، وقد كانت تشرف عليها الحكومة إشرافًا دقيقا، وطراز الخاصة وكان ملحقًا بقصر السلطان وعلى رأسه موظف كبير ويختص عادة بنسج ما يحتاج إليه السلطان وحاشيته، وليس من شك فى أن صناعة النسيج كانت تحتكرها الحكومة» انظر عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية فى المغرب والأندلس ص ١٢٢ هامش رقم ٥ ولنفس المؤلف أنظر الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية ـ مطبوعات المتحف الإسلامى بالقاهرة طبعة سنة ١٩٤٢ ص ١٥، ص ٢١، ص ٢٣، ص ٢٥ ويذكر نفس المؤلف أن دور الطراز، دخلت الأندلس مع عبد الرحمن الداخل وأن عبد الرحمن الناصر قد عين مملوكه خلف ناظرًا للطراز عبد العزيز مرزوق: نفس المراجع ص ١٢٣.

(٢) الإدريسى: نفس المصدر والصفحة، الحميرى: نفس المصدر والصفحة.

(٣) السقلاطون: نوع من المنسوجات الحريرية التى اشتهرت بها بلاد اليونان ومنها انتقل إلى البلاد الإسلامية، انظر عبد العزيز مرزوق المرجع السابق ص ١٢٤ Dozy: Diction. op. cit P.P 436 113,

(٤ - ٥) الأصبهانى والجرجانى كلاهما منسوجات حريرية نسبة لأصبهان وجرجان بإيران انظر مرزوق نفس الصفحة و Dozy: op. cit قد أجادت المرية صناعة هذه الأنواع من الأقمشة.

(٦) هى ما كانت تزدان بنقط صغيرة تشبه عيون الوحش أو تلك التى تزدان بزخرفة هندسية على هيئة المعين انظر مرزوق نفس المرجع والصفحة.

(٧) نوع من القماش الحريرى أيضا ينسب إلى حى عتاب فى بغداد حيث توجد مصانعه Dozy. opcit. p. 110

(٨) الخمر: متا تغطى به المرأه رأسها، مرزوق: نفس المرجع والصفحة هامش ٣.

(٩) الزهرى: كتاب الجغرافيا ص ١٠٢.

صغيرة وحول هذه الدوائر مجموعة من الحيوانات الخرافية[١] ولما ضرب الروم المرية فى فترة الانتقال[٢].

تفردت مالقة بصناعة الحرير[٣] فى العصر الموحدى «خاصة الموشاة بالذهب والتى كانت تصدر إلى المشرق والمغرب وتباع بأغلى الأسعار وربما تجاوز ثمن الحلة الواحدة الآلاف»[٤].

أما دلاية[٥] إحدى قرى إقليم غرناطة فقد اشتهرت بصناعة الحرير[٦] وكان أهل غرناطة يلبسون نوعًا من الحرير كانت تتجه مدينتا غرناطة[٧] وبسطة[٨] يعرف «بالملبد المختم ذو الألوان العجيبة»[٩] ويذكر المؤرخ ليفى بروفنسال فى كتابه محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها: أن نساء غرناطة قد بلغن شأنًا بعيدًا فى التطريز بالخيوط الذهبية والفضية[١٠].

إلى جانب المنسوجات الحريرية اشتهرت غرناطة بصناعة المنسوجات الكتانية وكانت

---

(١) مورينو: الفن الإسلامى فى أسبانيا: انظر صورتها فى كتاب مورينو سالف الذكر ص ٤١٦ شكل ٤٠٧ ووصفها ص ٤١٩.

(٢) الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٤ «يذكر الحميرى ما نصه: وكان الروم قد ملكوها فغيروا محاسنها وسَبَوْا أهلها وخربوا ديارها» انظر الحميرى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٤٢٤، ابن سعيد: الجغرافيا: ص ١٤٠، حسين مؤنس: الجغرافيا والجغرافيون، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ص ٥٨٤.

(٤) ابن سعيد: المصدر السابق جـ ١ نفس الصفحة، الجغرافيا نفس الصفحة، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٧، جـ ٤ ص ٢٠٦ طبعة سنة ١٩٤٩ وطبعة دار صادر جـ ٣ ص ٢١٩ ـ ص ٢٢١، بيروت.

(٥) هى بلد صغيرة تقع غرب المرية فى جنوب سفح جبل غدر Gadr على مقربة من البحر المتوسط، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨ هامش ٢ قرية بالأندلس من أعمال المرية، انظر الحميرى: الروض المعطار: ص ٧٧.

(٦) ابن لخطيب: مشاهدات ص ٨٢.

(٧) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٧، طبعة سنة ١٩٤٩، جـ ١ ص ٢٠١ طبعة ١٩٦٨.

(٨) الإدريسى: نزهة المشتاق ص ٢٠٢، ابن الخطيب مشاهدات ص ٣١ هامش ٩ الحميرى: الروض المعطار ص ٤٥.

(٩) المقرى: المصدر السابق جـ ١ ص ١٨٧، نوع من الحرير والقطن معًا انظر
Dozy. Diction op. cit P. 114

(١٠) ليفى بروفنسال: محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها ص ٩٢.

غرناطة من أهم المراكـز التجارية إنتاجًا لـلكتان وتصديرًا له[١] «فكتان هـذا الفحص» أى «غرناطة» يربو على كتان النيل[٢].

أما مدينة وادى آش فقد أنتجت أنواعًا جيدة من المنسوجات الحريرية والقطنية[٣].

صناعة البسط

امتازت الـدور العربية بالأبسطة التى لا يقتـصر استعـمالها على فرش أرض الـحجرات وإنما يمتد أيضـا إلى فرش المساجد وتزيين الحوائط، فكانت غـرناطة وبسطة أهم مدينتين تنتجان هذه الأبسطة[٤]، فينسب إلى مدينة بسطة «الوطـاء البسطى من الديباج الذى لا يعلم له نظير»[٥].

هذا وقد عرف الغرناطيون ـ شأنهم شأن أهل الأندلس ـ صباغة المنسوجات والصناعات الجلدية وغيرها فاستعمل أهل غرناطة فى صبـاغتهم النيلة والقرمز والزعفران الذى اشتهرت غرناطة بإنتاجها الوفير منه[٦]، كذلك بسطة التى اختصت بإنتاجـها الجيد من الزعفران[٧]، وكذلك مدينة باغة من أعمال غرناطة[٨]، وكان الحرير عادة يصبغ فى مـوضع إنتاجه، فقد اشتهـرت إحدى قرى مالقة وتدعى نارجـة بصباغة الحرير وكـان أهلها يقيمون الخـيام قرب النهر ويعـتبرون ذلك عيـدًا، فيطلقون حناجـرهم بالغناء أثناء العمل فى صبغ الحـرير، وقد عرف المكان الذى كانوا يقومون فيه بصباغة الحرير بالطراز[٩].

(١) الحميرى: المصدر السابق ص ٢٤.

(٢) ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٩١، الحميرى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) الحميرى: نفس المصدر ص ١٩٢.

(٤) المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٨٧، طبعة ١٩٤٩، جـ ١ ص ٢٠١ طبعة ١٩٦٨.

(٥) الإدريسى: نزهة المشتـاق: ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٣١ حاشية ٩، الـحميرى: الروض المعطار: ص ٤٥.

(٦) المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٤٩، طبعة دار صادر بيروت، ص ١٤٢ طبعة سنة ١٩٤٩.

(٧) الإدريسى: صفة المغرب: ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مـشاهدات: ص ٣١ حاشية ٩، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢٢١.

(٨) الحميرى: المصدر السابق: ص ٦٠، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٩ طبعة سنة ١٩٦٨ م.

(٩) المقـرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٦٦ ـ ص ٦٧، طبعـة سنة ١٩٤٩ القاهرة وطبعـة دار صادر، بيروت جـ ١ ص ١٧٨.

المطاحن

كانت الأقوات من القمح تطحن فى إقليم غرناطة بالأرحاء التى تديرها المياه أو الحيوانات أو الرياح وقد اتخذ الغرناطيون الأرحاء المائية لكثرة المياه فى إقليم غرناطة[١]، حتى أن الأرحاء لتتخذ فى غرناطة فى المنازل أو عند مداخلها[٢] فيذكر ابن الخطيب أن الأرحاء التى تدور فى غرناطة «لا نظير لها استعداداً وإفادة»[٣] «ففيها من الأرحاء الطاحنة بالماء على ما نيف على مائة وثلاثين رحى»[٤].

صناعة الخمور

كانت الخمور تباع فى أسواق المغرب والأندلس فى عصر المرابطين والموحدين[٥]، على الرغم من محاولة المرابطين منع ذلك فى بداية أمرهم[٦]، لكن شربها انتشر بين بعض أمراء المرابطين وخاصة سادتهم[٧]، وكثير من عامتهم[٨]، وفى ذلك يقول المراكشى:

(١) الإدريسى: نزهة المشتاق: طبعة (دوزى) ص ٢٠٣، ابن الكردبوس: صلة السمط: ص ١٤٥، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا: ص ١٦٧، الزهرى: كتاب الجغرافيا ص ٩٣، ص ٩٤، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٤، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣ ـ ص ٢٤.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٢٦، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٥، الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٣، ص ٢٤.

(٣) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص ١١٩.

(٤) ابن الخطيب: نفس المصدر، ص ١٣٣.

(٥) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٧٣، ص ١٧٤ طبعة دار المنصور، المراكشى: المعجب: ص ٢٢٦.

(٦) المراكشى: المصدر السابق ص ٢٢٦، ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٥٤، ص ٥٧.

(٧) ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ١٢٧، ابن دحية: المطرب فى أشعار المغرب تحقيق إبراهيم الابيارى القاهرة المطبعة الأميرية سنة ١٩٥٤ م، ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٥٤ يذكر ابن سعيد فى كتابه المغرب جـ ٢ ص ١٢٧ «أن الشاعر أبا بكر محمد بن أحمد الأنصارى المشهور بالأبيض من قرية همدان إحدى القرى الكبيرة الداخلة فى نطاق غرناطة قام بهجاء الزبير الملثم أمير المرابطين على قرطبة حيث قال:

عكف الزبير على الضلالة جاهداً ... ووزيره المشهود كلب النار
ما زال يأخذ سجدة فى مسجد ... بين الكئوس ونغمة الأوتار

انظر ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ١٢٧.

(٨) المراكشى: المعجب: ص ٢٤١، ابن عبدون: رسالة فى الحسبة، ص ٥٤، ص ٥٧.

«واستولى النساء على الأحوال وأسندت إليهن الأمور وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور»[1] ولم تبذل الدولة المرابطية جهوداً جدية لمنع الخمر إلا بعد أن تفاقمت الثورة الموحدية[2].

وفى عصر الموحدين أقبل الناس على شراب الرب[3] وكان من أكثر شراب المصامدة[4].

ويبدو أن الناس أسرفوا فى تخميره حتى صار مفعوله مثل الخمر مما دفع الخليفة عبد المؤمن بن على إلى إصدار رسالة سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م يأمر فيها بالكف عن شراب الرب وصانعيه ومدى مطابقته للشرع[5]، وقد جاء فيها «وأمر بالنظر فى الربوب وتمييزها والهجوم على بائعيها ومدمنى شربها ومستعمليها فيراق مسكرها، ويقطع منكرها، وليعمد إلى من عمل المسكر الحرام عامداً، وشربه مدمنًا عليه ومعاهدا ولم تردعه الحدود. . . فيمحى أثره، ويحذف خبره»[6].

ولكن الناس استمروا فى شراب الرب وزيادة تخميره مما دفع المنصور الموحدى (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) إلى تحريمه نهائيا فأصدر رسالة تحرم الرب «فإن الناس تجوزوا فى أمر الرب تجوزًا أغفلوا فيه الاجتهاد، ورتعوا حول حماه أوقعهم فيه أو كاد وتسامحوا فيه تسامحًا خرق المتعارف من المأزون فيه والمعتاد. . . ولما تقرر عندنا من الالتباس فى ذلك

---

(١) المراكشى: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٢) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٢٢٣، حسين مؤنس «نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين ٥٢٠ هـ - ٥٤٠ هـ مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، مدريد سنة ١٩٥٥ المجلد الأول، العدد الثالث ص ٦١٣ عن ظهور الموحدين ومراحل ثورتهم على المرابطين، انظر الباب الأول ص ٢٤.

(٣) الرب هو الطبيخ الخاثر من عصير العنب، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٧١، ص ١٧٢ هامش ١ راجع أنواع الربوبيات رب السفرجل، رب الرمان، رب التوت، فى كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس، لمؤلف مجهول ص ٢٥٥.

(٤) مجهول: الاستبصار ص ٢١١ «كان الرب منتشراً بين المصامدة وكان يباع فى مراكش فى مكان خاص عرف باسم باب الرب» انظر المصدر السابق نفس الصفحة، السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ١٨٨.

(٥) مجهول: مجموعة رسائل موحدية: ص ١٣٣ الرسالة الثالثة والعشرون.

(٦) مجهول: الرسالة السابقة نفس الصفحة.

ما تقرر. . . رأينا والله المستعان أن نقْطعه بالكلية أخلق بالاحتياط لدينهم وأجدر واشتدوا في ذلك اشتداداً لا يوسع وأخلوا الحوانيت التى كان يباع فيها منه وأفقروها وأصرفوها لغير ذلك من المباحات وصيّروها، والديار المعروفة ببيعه أيضا لا تتركوها على ذلك ولا تقرروها، وأريقوا، ما تلقون من مشتبهه وملتبسه، وعاقبوا من تجدونه عنده أشد العقوبة على دلسه، وتتبعوا فى ذلك أبلغ تتبع وأشده، ومن وجدتم عنده رائحة منه كائنًا من كان فأقيموا عليه ما رسمه الشرع فى ذلك وحدّه[١]».

كذلك نهى ابن عبدون عن حمل السلاح قبل بداية الشراب فى الأعراس[٢] ويجب أن يؤخذ سلاح الشبان عند إقبالهم عند العرس قبل أن يشربوا وإذا ظفر بالمعربد كتّف وأهبط إلى صاحب المدينة»[٣]

وقد اختصت مالقة بخمور تصنع من التين والكروم[٤] فكانت من أهم مراكز إقليم غرناطة إنتاجًا للخمور فى غرناطة نفسها.[٥]

صناعة السكر وتجفيف الفاكهة

تقدمت صناعة السكر فى إقليم غرناطة، فقد اشتهرت مدينة المنكب بزراعة قصب السكر وكان يصدر إلى البلاد الأخرى[٦]، كما انتشرت أيضًا فى فحص غرناطة[٧]

---

(١) مجهول: مجموعة رسائل موحدية ص ١٦٤ ـ ص ١٦٧ الرسالة الثامنة والعشرون.

(٢) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة: ص ٥٥.

(٣) ابن عبدون: المصدر السابق: ص ٥٥.

(٤) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، جـ ١ ص ٤٢٤، ابن الخطيب: نفاضة الجراب، ص ٢٨٦ هامش ٣، القلقشندى: صبح جـ ٥ ص ٢١٨ المقرى: نفح الطيب، جـ ٤ ـ ص ٢٠٥، ص ٢٠٦ طبعة سنة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٥١ طبعة ١٩٦٨.

(٥) ابن الخطيب: مخطوط الاسكوريال من الإحاطة لوحة ٢١ ـ ٢٥.

(٦) البغدادى: مراصد الاطلاع جـ ٣ ص ١٦٤، العمرى، وصف أفريقية ص ٤٦، الإدريسى: نزهة المشتاق (طبعة دوزى) ص ١٩٩، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ١٠٩ حاشية ١، ص ٣٠٠ حاشية ٦، ياقوت: معجم البلدان جـ ٨ مادة منكب، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٦.

(٧) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٨٦، ابن الخطيب: اللمحة البدرية: ص ٢٢، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٤.

وشلوبين[١]، كذلك تقدمت صناعة تجفيف الفاكهة فى غرناطة تقدمًا ملحوظًا حيث كان فلاحو غرناطة يدخرون العنب سليمًا من الفساد طول العام[٢]، يقول ابن الخطيب «وفواكههم اليابسة عامة متعددة، يدخرون العنب سليمًا من الفساد إلى شطر العام، إلى غير ذلك من التين والزبيب والتفاح والرمان والقسطل والبلوط والجوز واللوز إلى غير ذلك مما لا ينفد ولا ينقطع مدده إلاّ فى الفصل الذى يزهد فى استعماله[٣].

صناعة العطور والأدوية

انتشرت صناعة الأدوية فى إقليم غرناطة بفضل الأعشاب الطبية التى كانت متوفرة فى جبل شلير[٤]، يذكر ابن الخطيب «أن جبل شلير مستودع للأدوية والترياقية فهو أحد خزائن الأدوية فى إقليم غرناطة»[٥] ويذكر العمرى: «أن بهذا الجبل عقاقير كعقاقير الهند وعشب تستعمل فى الأدوية يعرفها الشجارون لا توجد فى الهند ولا غيره»[٦].

وازدهرت تلك الصناعة نتيجة لتقدم علم الكيمياء وازدهار الدراسات الطبية[٧] ويذكر السقطى أن صناعة العقاقير قد بلغت «نحو الثلاثة ألف فى العدد والاختراعات لا تنقطع»[٨]

(١) الإدريسى: المصدر السابق: ص ١٩٩، العمرى: وصف أفريقية: ص ٤٦، الحميرى: المصدر السابق: ص ١١١.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٧، ابن الخطيب: اللمحة البدرية: ص ٤٠.

(٣) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ نفس الصفحة، ابن الخطيب: اللمحة البدرية: نفس الصفحة.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٦، ص ٩٨ اللمحة البدرية ص ٢٢، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥، ص ٢١٥ ـ ص ٢١٦، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٢ طبعة سنة ١٩٤٩ م، جـ ١ ص ١٤٨ طبعة سنة ١٩٦٨.

(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٦) العمرى: وصف أفريقية ص ٣٥، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٥ ـ ص ٢١٦، ابن الخطيب، المصدر السابق: جـ ١ ص ٩٨، اللمحة البدرية ص ٢٢ المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٤٢ طبعة سنة ١٩٤٩ م، ص ١٤٨، طبعة سنة ١٩٦٨.

(٧) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ٢ ص ٥٢، ص ٥٣، محمد المنونى: العلوم والآداب والفنون على عصر الموحدين ص ١٢١ تطوان المطبعة المهدية ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م.

(٨) السقطى المالقى: رسالة فى الحسبة ص ٤١، الباب السادس: عن العقاقير والعطور المستعملة فى المغرب والأندلس انظر مختصر الأدوية مخطوط لمؤلف مجهول الخزانة الملكية الرباط مخطوط رقم ٢٤٣٠، ١٦ ق وما بعدها.

وكان العطارون والصيادلـة يقومون بتجهيز تلك الأدوية بناء علـى تعليمات الأطباء[١]، هذا وقد اتخذ هؤلاء العطارون والصـيادلة دكاكين لهم فى الشوارع والأسـواق، وخضعت تلك الصناعة لرقابة المحتسب»[٢] وشأن المحتسب فى هذا أن يقـدم عليهم فى سوقهم من تعلم ثقته ودينه ومـعرفته وبصـره بالعقار وتميزه واعـتناؤه بلقاء الشيوخ العـارفين بذلك والأخذ عنهم فيه، وكذلك ثقات التجار المتجولين فى البلاد والأطباء العارفين، ويكون قد بلغت به همته أن يطالع أقوال المتقدمـين فى اختبار ما يوجد من ذلك والكشف عنه إذ توجد لتلك الأشياء أشباه تمـاثلها فى الصفة والنوع وتنافيها فى الفعل والمنفـعة سوى ما منها»[٣] فكان على المحـتسب منع من ليس لديهم الخـبرة فى صناعـة الأدوية من ممارسـة هذا العمل[٤] «هذا وقد نهى المـحتسب الـعطارين والصيادلة من خلط العـقار الطيب بالدون، والأشـياء الهندية بالبلدية، وبيعها ممن لا يميـزها ولا يفرق بينها. . . وكذلك ينهون عن خلط البذور الردية بالطيبة وبيعها على أنها طيبة، وأن لا يبيعوا شيئًا من العطور إلا مغربلاً»[٥].

الصناعات الفخارية والخزفية

تركزت هذه الصناعات فى إقليم غرناطة وتفوقت بعض مدن الإقليم فى صناعة الخزف والأوانى الفخارية كمالقة[٦] واندرش[٧] وبرجة[٨]، فصنعـوا أشكالاً جميلة من المنتـجات الضرورية الهامة كأوانى المطبخ التى كانت مستعملة فى ذلك الوقت[٩]، وقد اشتهرت مالقة

---

(١) السقطى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) ابن عبدون: رسـالة فى الحسبة ص ٤٧، ابـن عبد الرءوف: رسالة فى الحـسبة ص ٨٦، ص ٨٧ المجيلدى: ص ١١٧، ص ١١٨.

(٣) السقطى: رسالة فى الحسبة ص ٤١.

(٤) موس إقبال: الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب ص ١١٠.

(٥) ابن عبد الرءوف: المصدر السابق ص ٨٦.

(٦) ابن سـعيـد: المغـرب جـ ١ ص ٤٢٤، العمـرى: مسـالك الأبصار «وصف أفـريقيـة ص ٤٧، القلقشنـدى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩، المـقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٤٥ طبـعة سنة ١٩٤٩، عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية فى المغرب والأندلس ص ١٠٥، ص ١٠٦.

(٧) الحميرى: الروض المعطار ص ٣١.

(٨) ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ٢٢٨.

(٩) محمد كمال شبانة: يوسف الأول: سلطان غرناطة ص ١٩٢.

بإنتاج نوع جيد من الفخار المذهب العجيب وكان يصدر إلى خارج البلاد[١]، وبمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب ويجلب فيها إلى أقاصى البلاد[٢] وكانت مالقة تنتج أطباقًا من الخزف ذى البريق المعدنى قوام زخارفها مناطق فيها رسوم نباتية متنوعة[٣].

وكانت المرية تنتج بعض الأوانى الزجاجية[٤] الرائعة لكن بعد خراب المرية[٥] انتقلت تلك الصناعة إلى مالقة[٦] وكانوا ينتجون نوعًا من الزجاج يعرف بالفسيفساء ونوعًا آخر يعرف بالذليجى[٧] حيث كانوا يستخدمونه فى زخرفة المنازل.

وعلى الرغم من وجود الرخام الذى يستخدم لنفس الغرض فى مالقة إلا أن الأنواع السابقة من الزجاج كانت أرخص منه ثمنًا[٨].

وقد خضعت تلك الصناعات لرقابة المحتسب[٩] فكان يأمر الفخارين «بتسجيل ترابهم وتطييبه وأن يقللوا منه فى الرمل»[١٠] ويمنع الزجاجون عن جعل الأحطاب على مقربة من مكان النار خوفًا لئلا يتخذ النار فيها فتحترق، فتؤذى الناس والجيران[١١] ولذلك اتخذ فى غرناطة مكان لصناعة الفخار سُمى بربض الفخارين[١٢].

(١) ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٤٢٤ العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية) ص ٤٧، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٥ طبعة سنة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٥٢ طبعة ١٩٦٨.

(٢) العمرى: المصدر السابق: ص ٤٧.

(٣) زكى محمد حسن: فنون الإسلام ص ٣٣٣ ـ ص ٣٣٤.

(٤) الإدريسى: نزهة المشتاق ص ١٩٧، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٥٤ سنة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٦٢ طبعة بيروت سنة ١٩٦٨.

(٥) عن خراب المرية: فى فترة الانتقال واستيلاء الروم عليها انظر الباب الأول، انظر العمرى: مسالك الأبصار مخطوط جـ ١٦ قسم ٢ ورقة ٣٢٣.

(٦) ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٤٢٤، ابن بطوطة الرحلة ص ٦٧، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٢ طبعة دار صادر بيروت سنة ١٩٦٧ و ص ١٨٧ طبعة سنة ١٩٤٩ م.

(٧) المقرى: المصدر السابق جـ ١ ص ١٨٧، جـ ١ ص ٢٠٢ طبعة ١٩٦٨، حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون: ص ٢١٦.

(٨) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٥ ص ١٨٧، حسين مؤنس: المرجع السابق: نفس الصفحة.

(٩) ابن عبد الرءوف: رسالة فى الحسبة ص ١١٢.

(١٠) ابن عبد الرءوف: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(١١) ابن عبد الرءوف: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(١٢) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤١.

ولقد أوردت كتب الحسبة أوامر المحتسب للفخارين «بألا يضعوا حوائجهم فى الطرق خيفة أن تفسد عليهم لتضييقهم الطريق بها فتكون داعية للشر والخصومة»[١]، وشاع استخدام الأدوات الفخارية حيث زاد الطلب عليها فى صناعة الأوانى الخاصة بالأغذية والأطعمة المختلفة فصنعوا القدور وأقداح الوضوء والغلال[٢].

الصناعات الجلدية

تقدمت صناعة الجلود فى إقليم غرناطة حيث أصبحت غرناطة مركز الدباغة الأساسى بدلاً عن باجة التى اضطرت بها الأمن خلال القرن السادس الهجرى.

وكانت المدابغ عادة تقام خارج أسوار المدن[٣] فكان يوجد بغرناطة مكان خاص بالدباغين عرف باسم باب الدباغين[٤]، حيث كان الدباغون ينزلون أطراف المدينة على ضفاف الأنهار اتقاء لرائحة صناعتهم[٥]، هذا وقد ازدهرت صناعة الجلود ولا سيما فى مالقة[٦]، فصنعت نوعًا من الجلود يسمى السفن وهو خشن غليظ كجلود الماشية يستخدم فى الصناعات الجلدية، فكانوا يصنعون منه الأغشية والأحزمة والمدورات والحقائب والأحذية[٧].

وقد خضعت هذه الصناعة أيضا لرقابة المحتسب[٨] «فلا يباح للدباغ بيع جلد إلا أن

(١) ابن عبد الرءوف: رسالة فى الحسبة ص ١١١، الجرسفى: رسالة فى الحسبة ص ١٢٤.
(٢) السقطى المالقى: رسالة فى آداب الحسبة، ص ٦٧.
(٣) القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ١٤، عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى: ص ٢٢٩ «وكانت كورة باجة من الكور الغربية التى كانت من أعمال أشبيلية أيام بنى عباد متخصصة فى دباغة الأديم» المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٥١.
(٤) العمرى (وصف أفريقية) ص ٤٠.
(٥) بروفنسال: محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها ص ٦٦.
(٦) العمرى: وصف أفريقية ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٩، ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب: ص ١٥٩.
(٧) العمرى: (وصف أفريقية): ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩، الاصطخرى: المسالك والممالك، ص ٣٥، ابن الخطيب: مشاهدات ص ١٥٩ «حفلت مكتبة الاسكوريال بكثير من أغلفة الكتب المزركشة الجميلة» كمال شبانة: يوسف الأول سلطان غرناطة ص ١٩٢.
(٨) السقطى: ص ٦٣.

يكون قد خـرج ماؤه وتحققت فى دباغـه، ومتى يبس وطوى وتكسر فـهو غير جـيد الدباغ وينقد فى ذلك لدلاليه ومن وجـد بعد ذلك فعله أدب ونكل»[١] كما «منع المحتسب صانع النعال من تغليظ حواشى النعل قبل خرزه»[٢].

وينهى المحـتسب «عن خلط جلد العنز مع جلد الضـان فى قرق[٣] ولا جراب ومتى وجد ذلك قطع فإنه دلس لا خير فيه»[٤].

كذلك كان «لا يســمح لصانع الأقراق فى عمل قـرق إلاّ أن تتصل حاشيـتا جلده خرزاً واحداً فى ظهره أو بوصل من الجلد صـغير لا يبلغ سعة الظهر ويكون مجـموعًا بالخرز لا بالتشبـيك، ومتى وجد على غيـر ذلك فليس بشىء ولا شىء فى القرق الاّ جلد على جلد وبينهما خرقة تغلظه وترقق جانبيه لا بما يدلس به المفسدون من كثرة الغراء والطين وكذلك يجعلون تحـت الأطراف لتصلب وتقف وعند اللبـاس ينكسر ويظهر تدلـيسه وفـساده ويمنع بالجملة بيع الأقراق وخرصتها إلا بعد التيبيس العام[٥].

---

(١) السقطى: فى أدب الحسبة، ص ٦٣.

(٢) ابن عبد الرءوف: رسالة فى الحسبة: ص ١٠٢.

(٣) القرق: كانت تصنع منه الأخـفاف،وسمى صانع الخف بالقراق، انظر السـقطى: نفس المصدر: ص ٦٣، ص ٦٤.

(٤) السقطى: نفس المصدر: ص ٦٣.

(٥) السقطى: المصدر السابق: ص ٦٤.

التجارة

شاركت التجارة الداخلية والخارجية فى ازدهار الحياة الاقتصادية فى بلاد الأندلس والمغرب عامة وإقليم غرناطة بصفة خاصة منذ أن تأسست دولة المرابطين ومن جاء بعدهم من خلفاء الموحدين، وكان لامتداد السلطة السياسية لدولتى المرابطين وخلفائهم الموحدين من حدود طرابلس شرقًا وصحراء المرابطين جنوبًا وبلاد الأندلس شمالاً[١]، مما أعطى الحركة التجارية بين مدن المغرب ومدن الأندلس نشاطًا لم تعهده من قبل، فقد شجع هذا التجار الذين كانوا يخضعون فى هذه المناطق لحكومة واحدة على تنشيط البيع والشراء وتبادل المنتجات والسلع المختلفة، فقد استطاعت دولة المرابطين بعد أن نجحت فى التوحيد بين أقاليم المغرب والأندلس أن تقر الأمن فى ربوع البلاد[٢]، وكذلك شجع الموحدون التجارة وخاصة التجارة الداخلية فنجحوا فى إشاعة الأمن فى جميع أرجاء بلاد المغرب والأندلس، كما عملوا على حماية التجار وتأمين الطرق وإصلاحها وتجهيزها بصهاريج مملوءة بالماء، كذلك قطعوا جميع المغارم والقبالات والمكوس التى فرضها المرابطون فى عهدهم الثانى[٣]، فشجعوا التجار على المجىء إلى البلاد[٤].

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٦٦، ص ١٦٧، ص ١٦٩، ص ٢٠٤، ص ٢١٠، المراكشى: المعجب: ص ٢٢٦، ص ٢٣٤، ص ٢٧٠، ص ٢٨٢، البيذق: أخبار المهدى ابن تومرت ص ٨٢ طبعة دار المنصور، السلاوى: الاستقصا جـ ٢، ص ٥١، ص ٥٤، ص ٦٦، ص ١٢٤، ص ١٣١، ص ١٤١، حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين والموحدين ص ٢٦٦ عن امتداد السلطة السياسية لدولة المرابطين فى المغرب والأندلس انظر محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام فى الأندلس (عصر المرابطين والموحدين) القسم الأول ص ٣٦، ص ٥٧، قسم ٢ ص ٦١٧ وما بعدها، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٢٨٥، وما بعدها، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسى والثقافى جـ ٤ ص ١٢٥ جـ ١ سنة ١٩٦٧.

Scott, History of Moonish Empire, Vol 2: 107.

(٢) انظر العوامل المؤثرة فى الحياة الاقتصادية، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤٠٢ وما بعدها.

(٣) عن ذلك انظر العوامل المؤثرة فى الحياة الاقتصادية من الرسالة، ابن القطان: نظم الجمان ص ١٦٧، مجهول: رسائل موحدية الرسالة الخامسة والسادسة طبعة سنة ١٩٤٩.

التجارة الداخلية وأهم مسالكها

هذا ولقد تأثرت الطرق التجارية الداخلية لإقليم غرناطة تأثيرًا كبيرًا بالتغيرات التى طرأت على مراكز الإنتاج الزراعى والصناعى وكثرة السكان أيضًا، والناظر فى الطرق البرية فى البلاد الأندلسية أو إقليم غرناطة خلال عصر المرابطين والموحدين لا يلمح تغييرًا فى أوضاع الطرق قبل هذه الفترة أو فى أثنائها، ذلك لأن مدن الأندلس كانت طرقها ممهدة[١] منذ فترة طويلة، فالمسافر فيها لا يحتاج إلى زاد لتوفره فى جميع المنازل المعروفة[٢]، يقول ابن الشباط: «هذا طولها (أى الأندلس) إلى الجنوب أربعون يومًا من غلسية إلى المرية، لا يتزود أحدٌ فيها بماء حيث سلك، ولأية قصد لكثرة أنهارها، وعيونها وآبارها: وربما لقى المسافر فيها فى اليوم الواحد أربع مداين، ومن المعاقل والقرى ما لا يحصى»[٣].

وبالرغم من كثرة المرتفعات والأدوية، فقد كانت الطرق تربط جميع أرجاء البلاد الأندلسية بعضها البعض[٤] وأن التغيير الأساسى فى طرق البلاد الأندلسية خلال عصر المرابطين والموحدين إنما هو مقدار استعمال طريق دون آخر اعتمادًا على حالة الأمن[٥].

---

(١) ابن الشباط: صلة السمط صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ص ١٠٠ المجلد الرابع عشر مدريد سنة ١٩٦٧ م ـ سنة ١٩٦٨.

(٢) ابن الشباط: وصف الأندلس من كتاب صلة السمط ص ١٠٠، الإدريسى: نزهة المشتاق (ط.د) ص ٢٠٨.

(٣) ابن الشباط: وصف الأندلس المصدر السابق، تحقيق أحمد مختار العبادى ص ١٠٠ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، المجلد الرابع عشر مدريد سنة ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ م، ابن الكردبوس تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط (نصان جديدان) قطعة من كتاب الاكتفاء فى أخبار الخلفاء، تحقيق أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٧١ ص ١٢٨ «غلسية» †(Galicia)تقع فى شمال غرب الأندلس.

(٤) المصدران السابقان ص ١٠٠، ص ١٠١، ص ١٠٢ طبعة ٢ سنة ١٩٦٧ م، ١٩٦٨ م والمجلد الرابع عشر ص ١٢٨ طبعة ١٩٧١.

(٥) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص ٣١٥.

ولهـذا توفرت للبـلاد شـبكة من الطرق التـجارية التى سـهلت ربط المـدن والمراكـز التجارية مما كان له أكبر الأثر فى انتعاش التجارة داخل إقليم غرناطة والبلاد الأندلسية.

كانت قرطبة منذ زمن بعيد ملتقى شبكة مواصلات متشابكة[١] فمن قرطبة كانت تخرج شبكة من الطرق التجارية عددها ستة[٢] وهى على النحو التالى:

طريق من قرطبة إلى أشبيلية[٣]، فقادس، فالجزيرة الخضراء ومن أشبيلية يتفرع طريق آخر يذهب إلى شلب[٤].

أما الطريق الثانى فيخرج من قرطبة إلى طليطلة[٥]، فسرقسطة فلاردة[٦].

والطريق الثالث من قرطبة إلى غرناطة إلى مرسية فبلنسية[٧]، فطرطوشة فلاردة.

والرابع من قرطبة إلى مالقة[٨] ماراً بأستجة ثم إلى مرسية[٩] ثم يلتقى بالسابق.

أما الطريق الخامس فيمضى من قرطبة فسلمنقة فسمورة[١٠].

---

(١) حسين مؤنس: الجغرافـية والجغرافيون ص ٢٨٧ صحيفة معهـد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٧٦ م - ١٣٨٦ هـ.

(٢) حسين مؤنس: المرجع السابق ص ٢٨٨.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض ص ١١٠ (بين قرطبة وأشبيلية ثلاثة أيام للمسافر ومن الأميال ثمانون) انظر الحميرى: الروض المعطار ص ١٨.

(٤) ابن حوقل: المصدر السابق: نفس الصفحة، حسين مؤنس: نفس المرجع والصفحة.

(٥) ابن حوقل: المصدر السابق ص ١١١ (بين طليطلة وقرطبة تسع مراحل، انظر الحميرى: الروض المعطار ص ١٣٠، هذا الطريق لم يستطع التـجار ارتياده لانعدام الأمن فيه بعـد سقوط طليطلة فى أيدى نصارى أسبانيا) عن سقوط طليطلة انظر الباب الأول ص؟.

(٦) حسين مؤنس: نفس المرجع ص ٢٨٨ تقع لاردة فى ثغـر الأندلس الشرقى وهما فى شرق مدينة وشقة (انظر الحميرى: الروض المعطار ص ١٦٨).

(٧) يذكر ياقوت فى كتابه معجم البلدان: أن المسافة بين غرناطة وقرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخا، انظر ياقوت: معجم البلدان مادة غرناطة، ابن حـوقل: صورة الأرض ص ١١١ بين غرناطة وقرطبة على طريق بجسانة ستة عشر يومًا للمسافر انظر الحميرى: الروض المعطار ص ٤٧.

(٨) حسن مؤنس المرجع السابق ص ٢٨٨.

(٩) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١١١.

(١٠) حسين مؤنس: نفس المرجع ص ٢٨٩.

والطريق السادس من قرطبة إلى الجزيرة الخضراء مارًا بأستجة ومورور وشذونة[١] هذا بالإضافة إلى طريق يربط قرطبة بالمرية وهذا الطريق يسلكه المسافر فى سبعة أيام[٢].

كذلك ربطت شبكة من الطرق التجارية الداخلية بين مدن إقليم غرناطة، فمدينة وادى آش ارتبطت بغرناطة بطريق تجارى و «هى قريبة من غرناطة»[٣] «كذلك بسطة وهى قريبة من وادى آش» «فى شمال شرق غرناطة» وتبعد عنها حوالى ١٣٣ كيلو مترا[٤]، أما لوشة من أعمال غرناطة أيضًا فكان الطريق بينهما حوالى ٥٥ كيلو مترًا، ويذكر المقرى أن بينهما مرحلة[٥].

أما مدن إقليم غرناطة الساحلية فقد اتصلت بعدة طرق تربط بينها، فبين المنكب وشلوبانية ستة عشر كيلو مترات[٦]، أما برشانة من أعمال المرية فقد كانت على بعد ثمانية ميلاً من المرية، وكذلك دلاية كانت تبعد بنحو تسع كيلو مترات[٧] عن برجة كذلك انتقيرة كانت تبعد عن مالقة بنحو تسعة وخمسين كيلو مترًا[٨].

---

(١) حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون ص عن مورود والمسافة بينهما وبين قرطبة انظر الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٨.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض ص ١١١.

(٣) الإدريسى: نزهة المشتاق (ط.د) ص ٢٠٢ ابن الخطيب: اللمحة البدرية ص ٢٩: القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٢١، الحميرى: المصدر السابق ص ١٩٢، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٢ طبعة ١٩٤٩، ص ١٤٩ ١٩٦٨ «تقع مدينة وادى آش على بعد ثلاثة وخمسين كيلو مترًا شمال شرق غرناطة» المقرى: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤) الإدريسى: المصدر السابق ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٣١ حاشية ٩، الحميرى: نفس المصدر ص ٤٤.

(٥) ابن الخطيب: اللمحة البدرية ص ٢٨، مشاهدات ص ٩٣ حاشية ٦، المقرى: المصدر السابق جـ ١ ١٤٢ طبعة ١٩٤٩، ص ١٤٨ ١٩٦٨، الحميرى: نفس المصدر ص ١٧٣.

(٦) ابن الخطيب: مشاهدات ص ٨٠ حاشية ٥، الحميرى: نفس المصدر ص ١٣٦ حيث أن بين المنكب وشلوبينة عشرة أميال، ابن الخطيب: المصدر السابق ص ٣٦ حاشية ١، ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ٨١.

(٧) ابن الخطيب مشاهدات ص ٨٢ هامش ١.

(٨) ابن الخطيب: نفس المصدر ص ٩٤ حاشية ٦.

الأسواق

كانت الأسواق التجارية فى إقليم غرناطة محوراً للحياة الاقتصادية ولم تختلف أسواق إقليم غرناطة فى نظمها عن أسواق البلدان الإسلامية الأخرى، فقد كانت هذه الأسواق ذات نظم وقوانين متشابهة، وأغلبها كان مرتبًا ترتيبًا حسنًا، فمدينة مالقة ذات مبان فخمة وحمامات حسنة وأسواق جامعة كثيرة[١]، وكذلك مدينة وادى آش[٢] من أعمال غرناطة فهى بلدة «حسنة بديعة حصينة»[٣] أما بسطة فهى بلدة كثيرة الزرع اختصت بالزعفران «ذات أسواق وتجارات عامرة آهلة»[٤] «أما برجة من أعمال مالقة أيضا فكانت ذات أسواق وصناعات ويشتغل أهلها بتجارة الحرير»[٥] أما بليش مالقة فكانت «عامرة آهلة ضخمة الأسواق حولها ضياع كثيرة»[٦] كذلك احتوت مدينة المنكب على أسواق[٧] كبيرة كما يذكر المقرى «أنه لم يكن فى بلاد الأندلس أكثر مالاً من أهل المرية ولا أعظم متاجر وذخائر»[٨].

كما امتلأت مدينة غرناطة بالأسواق الممتلئة بالسلع المختلفة، يذكر ابن الخطيب أن أسواق غرناطة «قد غصت الدكاكين بالخضر الناعمة، والفواكه الطيبة والثمر المدخرة»[٩].

---

(١) الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٧، ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٤٠.
(٢) الحميرى: المصدر السابق ص ١٩٢، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٩ طبعة ١٩٤٨ م.
(٣) الإدريسى: صفة المغرب (نزهة المشتاق) ص ٢٠٢.
(٤) الإدريسى: المصدر السابق ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٣١ حاشية ٩، الحميرى: نفس المصدر ص ٤٤.
(٥) ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ٢٨٨، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٣ طبعة سنة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٥٠ طبعة ١٩٦٨.
(٦) ابن سعيد: المصدر السابق جـ ١ ص ٤٤٢، ابن بطوطة: الرحلة جـ ٢ ص ١٨٧، ابن الخطيب: المصدر السابق ص ٧٨ حاشية ٦.
(٧) الحميرى: نفس المصدر ص ١٨٦.
(٨) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٣ طبعة ١٩٤٩ م، ص ١٦٣ طبعة ١٩٦٨ م.
(٩) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١١٥، ص ١١٦.

ويذكر عثمان الكعاك أن الأسواق الإسلامية فى المغرب والأندلس شأنها شأن باقى الأسواق فى العالم الإسلامى، فكل سوق من الأسواق يضم عدة متاجر تتاجر فى سلعة واحدة[١] كسوق العطارين وسوق الفاكهة وسوق النحاسين[٢]، ومثل قيسارية[٣] غرناطة وكانت تقع بجوار المسجد الجامع فى غرناطة وكانت هذه السوق مخصصة لتجارة الأقمشة وأدوات الترف وكانت تسمى بالقيسارية[٤] وكانت هذه السوق تقع بالقرب من باب الرملة[٥]، وكذلك كان بغرناطة سوق خاصة بتجارة الرقيق[٦].

وكانت لبعض هذه الأسواق أيام معينة يعرض فيها التجار بضائعهم فكان هناك أسواق أسبوعية أو نصف أسبوعية فى القرى حيث تعرض فى هذه الأسواق المنتجات الزراعية والصناعية، كذلك كان يوجد بها تجار المواد الغذائية من جزارين وتجار السمك[٧] والفاكهة والخضروات والشوائية والقلائية وباعة العجين المقلى مع الجبن والأصناف الجيدة من الأمعاء المحشوة[٨]، ثم دكاكين بائعى السمن والعسل[٩] وبائعى اللبن[١٠] والحناطون وهم بائعو الشعير والقمح والفول والعدس والحمص، وبائعو الملح والخل[١١].

وكانت لهذه الأسواق آدابها العامة كأن يمنع من اختلاط الرجال بالنساء فى أماكن البيع

---

(١) عثمان الكعاك: الحضارة العربية فى البحر المتوسط ص ٦٦.

1) Levi - Provinca l'Esp. Musl. op. cit.p. 188

(٢) عثمان الكعاك: الحضارة العربية فى حوض البحر المتوسط ص ٦٦.

(٣) قيسرية: والجمع قيسار - وهى السوق التجارية العامة انظر

Dozy: Supplement aux dictionnaires Arabes. 2 tomes (leiden - Paris 1987. 11, p. 432.

(٤) العمرى: وصف أفريقية ص ٣٨ انظر بروفنسال فى أدب الأندلس وتاريخها ص ٦٧.

(٥) العمرى: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة مخطوط الاسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٢٠٧، ٢١٢.

(٧) السقطى: رسالة فى الحسبة ص ٣٢.

(٨) السقطى: المصدر السابق، ص ٣٢ - ص ٣٩.

(٩) ابن عبد الرءوف: ص ١٠٥.

(١٠) السقطى: المصدر السابق ص ٦٩، ابن عبد الرءوف: المصدر السابق ص ٩٢.

(١١) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٤٣.

داخل الأسواق[١] ومنع طرح الأزبال والقاذورات[٢] وإيقاف الدواب بالخشب والحطب واجتيازها السوق بالشوك[٣]، فكان يمنع دخول الدواب القيسارية والأسواق ويمنع توقيفها فى الطرق الضيقة ومن إرسالها من غير ماسك لها[٤]، وكان أهل المدينة مسئولين عن تنظيف أسواقهم من القاذورات والطين ونقل تلك الأوساخ إلى خارج البلد[٥]، وكذلك كان ينهى عن الرش أمام الحوانيت حتى لا ينزلق أحد المارة[٦].

الرقابة على الأسواق

اتخذت الحكومة الإسلامية فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين والموحدين نظامًا دقيقًا للإشراف على الأسواق والتجار وكان هذا النظام يتمثل فى المحتسب.

فعرفت إدارة الأسواق باسم الحسبة[٧].

وقد عرف المحتسب فى بلاد الأندلس والمغرب باسم صاحب السوق[٨] وصاحب الحسبة[٩].

وقد استمر هذ الاستعمال فى القرن السادس[١٠] الهجرى، ولعبت الحسبة دورًا عظيمًا

---

(١) الطرطوشى: الحوادث والبدع، تحقيق الطالبى ص ٤١ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد مجلد ٤ سنة ١٩٥٦.

(٢) أحمد سعيد (المجيلدى) التيسير فى أحكام التسعير تحقيق موسى لقبال الجزائر سنة ١٩٧٠ ص ١٠٥، ابن عبد الرءوف ص ١١٠: رسالة فى الحسبة: ابن عبدون: ثلاث رسائل ص ٥٣.

(٣) المجيلدى: المرجع السابق ص ١١٠.

(٤) ابن عبد الرءوف: المصدر السابق ص ١١١.

(٥) ابن عبد الرءوف: المصدر السابق: ص ١١٠.

(٦) ابن عبد الرءوف: رسالة فى الحسبة ص ١١١، يحيى بن عمرو: أحكام السوق ص ١٢٦، ص ١٢٧.

(٧) انظر عن استعمالها: ابن الفرضى: بغية الملتمس ص ٣٧٠ ابن الأبار: الحلة السيراء جـ ٢ ص ٧٦، التكملة: جـ ١ ص ٣٤٢، ابن سعيد المغرب جـ ٢ ص ٣١٣.

(٨) يحيى بن عمر: أحكام السوق ص ١٠٨ تحقيق حسين مؤنس وكذلك فى المشرق، انظر تاريخ خليفة بن خياط جـ ١ ص ٦٢.

(٩) تاريخ قضاة الأندلس: ص ٥، ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٢.

(١٠) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٢٠، وما بعدها.

بجانب وظيفتى القضاء والمظالم فى إقرار العدل بين الناس، «فالحسبة كانت من الوظائف الإسلامية من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»[(١)].

ومن هذا المفهوم شجع المرابطون والموحدون الحسبة بمعناها العام من أمر بمعروف ونهى عن منكر وجهاد فى سبيل الله[(٢)].

وكان القاضى يولى محتسب السوق[(٣)]، «فوظيفة المحتسب داخلة فى عموم ولاية القاضى يولى باختياره»[(٤)] وفى بعض الأحيان كان الوالى هو الذى يقوم بتعيين صاحب السوق[(٥)]، ويقوم المحتسب بهذه الوظيفة، وليس من حقه أن يتشاغل عنها بغيرها، وهو مأجور عليها براتب يقبضه من بيت المال[(٦)].

هذا وقد حدد العلماء الشروط الواجب توافرها فيمن يقوم بوظيفة المحتسب، فيجب أن يكون فقيهًا عارفًا بأحكام الشريعة حرًا عادلاً ذا صرامة وخشونة فى الدين لا يميل ولا يرتشى[(٧)].

ولما كانت وظيفة المحتسب ذات طابع دينى من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فكان عليه أن يدعو الناس إلى قمع الظلم والجور والسعى إلى العدل والتعلق به، فكان

(١) ابن خلدون: المقدمة: طبعة الكشاف بيروت ص ٢٢٥ ومطبعة الشعب ص ٢٠٢، ابن تيمية: الحسبة فى الإسلام ص ٩، ابن بسام نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١٠، الماوردى: الأحكام السلطانية ص ٢٢٧ ـ ٢٤٠ طبعة ١٩٦٠ مكتب الحلبى صبحى الصالح: النظم الإسلامية: ص ٢٢٨، ص ٢٢٩.

(٢) ابن القطان: نظم الجمان ص ١٢١، ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ قسم ٣ القسم الموحدى (تحقيق هويثى ميراندا ص ٣١).

(٣) ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام (المعروف بالأحكام الكبرى): مخطوط ورقة (٢) النباهى: تاريخ قضاة الأندلس ص ٥، موسى لقبال: الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب العربى نشأتها وتطورها ص ٢٧ الطبعة الأولى الجزائر ١٩٧١.

(٤) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٢٥.

(٥) ابن خلدون: المصدر السابق ص ٢٢٥، يحيى بن عمر: أحكام السوق ص ١٠٣، ص ١٠٤.

(٦) الماوردى: الأحكام السلطانية ص ٢٣١.

(٧) الشيزرى: نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ٦، تحقيق البار العرينى، الماوردى: الأحكام السلطانية ص ٢٤١ سنة ١٩٦٧ مطبعة الحلبى، ابن عبدو: رسالة فى الحسبة ص ٢٠، عطية مشرفة: القضاء فى الإسلام ص ١٧٩.

عليه أن يأمر الناس بـإقامة الصلوات الخمس وصلاة الجـمعة[١]، كما ينظر المـحتسب فى مراعـاة الأحكام الشرعـية، ويسهـر على إقامـة الحدود، تمـتد سلطته إلـى الإشراف على الأسواق[٢] ومراقـبة المعـاملات التجارية داخل أسـواق الأندلس والمغرب كـمراقبـة البيع والشراء ومراقبة الموازين والمكاييل، فكان عليه «التأكد من سلامة الوزن»[٣] وذلك حماية للمستهلك[٤] كمـا أن عليه منع الاحـتكار[٥]، كمـا كان من حقـه تحديد أسعـار المبيـعات ومراقبة من يبيع مبـيعات بسعر أعلى[٦]، فيتـفقد اللحـوم ويجب على بائعى اللحوم وضع ورقة بسعر ما يبيعونه من اللحوم[٧]، وعليه مراقبة التـجار داخل الأسواق التجارية[٨]، كما كان عليه أن يتفقد أمورهم وصنائعهم ويمنعهم من تعطيل الناس فى حوائجهم[٩].

وكان صاحب السوق، يعاقب المخالفين داخل الأسواق التجارية للمرة الأولى بالتوبيخ والزجر وفى المرة الثانية بالسجن والوعيد وفى الثالثـة بالضرب والتشهير وإن عاد المخالف للمـرة الرابعة فـيعـاقبـه بالتنكيل ورفـعه عن سـوق المسلمـين[١٠] «وأحـيانا نفـيه خـارج الوطن[١١].

---

(١) ابن تيمية: الحسبة فى الإسلام ص ٩، ص ١٠، ص ١١ دمشق ١٩٦٧.

(٢) المقدمـة: ابن خلدون ص ٢٢٥، حسن إبراهيم: النظم الإسلامية ص ٢٧١، صـبحى الصالح: النظم الإسلامية ص ٣٣٠، أحمد شلبي: السياسة والاقتصاد ص ١٧٠.

(٣) السقطى: أدب الحسبة ص ٢١، ابن عبدون: ثلاث رسائل ص ٤٣.

(٤) تدور رسائل كل من السـقطى، وابن عبـدون والجرسفى وابن عـبد الرءوف ـ كلها من العـصر المرابطى والموحدى ـ حول واجبات المحتسب وسلطاته، انظر ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٢٠، ص ٢١، ص ٤٣، السقطى ص ٢، ص ١٢.

(٥) السقطى: ص ١١، ص ٣١، ص ٣٤، ابن عبدون ص ٤٢.

(٦) المـقرى: نـفح الطيب جـ ١ ص٢٠٣ ـ ص٢٠٤ طبـعة سنـة١٩٤٩، ص٢١٨ ص٢١٩ طبعـة ١٩٦٨.

(٧) المقرى: المصدر السابق ص ٢٠٣، ص ٢١٨ طبعة ١٩٦٨.

(٨) المقرى: المصدر السابق نفس الصفحة، ابن خلدون: المقدمة ص ٢٢٥.

(٩) السقطى: أدب الحسبة ص ٦٢.

(١٠) السقطى: فى أدب الحسبة ص ٩.

(١١) الشيزرى: نهاية الرتبة ص ١٤.

كما كان من حق المحتسب (صاحب السوق) طرح الشيء المغشوش وإتلافه[١] ويبدو أن ظاهرة الغش[٢] فى الأسواق انتشرت فى تلك الفترة وهو ما تؤكده كتب الحسبة المعاصرة.

كذلك كان على المحتسب أن يشرف على تأمين حراسة الأسواق ونظافتها[٣] ونظافة المأكولات المعروضة ومنع أهل البلاد من بيع ما يؤكل أو يشرب[٤] حماية لهم من الأمراض، ويضاف إلى هذه الاختصاصات حقه فى الإشراف على التعليم والمعلمين واختيارهم ومنعهم من إيذاء المتعلمين[٥].

وحتى يؤدى صاحب السوق وظيفته كاملة كان يستعين بالأعوان والغلمان[٦] لمساعدته فى عمله، فكان يختار رجالا يثق فيهم من أهل الأسواق ووجوه أرباب الصنائع ويستظهر بهم على الباقين حتى يطلعوه على ما خفى من أسرارهم وخبيث تصرفاتهم[٧]، وما يجلب إلى سوقهم وما تستقر عليه من الأسعار وغير ذلك من الأسباب التى يلزم صاحب السوق معرفتها[٨].

ولذلك كان الحرفيون والتجار منتظمين فى طوائف على رأس كل منها عريف أو

---

(١) السقطى: المصدر السابق ص ١. ص ١٢، ص ١٣، ص ١٤، ص ١٥، ص ١٦، ص ٢١، ص ٤١، وما بعدها، ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٤١، ص ٤٢، عبد المنعم ماجد: الحضارة الإسلامية ص ٥٦.

(٢) السقطى: أدب الحسبة، ص ١، ص ١٢، ص ١٣، ص ١٤، ص ١٥، ص ١٦، ص ٢١، ص ٤١ وما بعدها، ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٤١، ص ٤٢ عن الغش فى الأسواق انظر نوازل ابن رشد (مخطوط رقم ١٠٧٢) عربى (المكتبة الوطنية باريس) ١٠١ ق، البرزلى (أبو القاسم أحمد البلوى) جامع مسائل الحكام مما نزل بالمفتين والحكام مخطوط رقم ٤٨٨٤ الخزانة الملكية الرباط ١٣٨ و ١٣٩ و ص ١٥١.

(٣) ابن عبد الرءوف: رسالة فى الحسبة ص ١١١.

(٤) ابن عبدون: المصدر السابق ص ٥٠، ابن عبد الرءوف: المصدر السابق ص ٩٣، المجيلدى: التسعير: ٦٥.

(٥) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٢٥، المرير: الأبحاث السامية جـ ٢ ص ١٢٢ تطوان سنة ١٩٥٢.

(٦) ابن بسام: نهاية الرتبة ص ١٠، ابن خلدون: المقدمة ص ٢٢٥.

(٧) السقطى: نفس المصدر، ص ٩.

(٨) الشيزرى: المصدر السابق ص ١١.

أمين[١] له السلطة عليهم وهو مسئول عن كل ما يحدث مباشرة فى جماعته، فهو الخبير بالجيد والردىء من حرفته[٢]، وكان هؤلاء العرفاء والأعوان بمثابة العيون التى توصل لصاحب السوق الأخبار مما يؤدى إلى بث الرعب والخوف فى قلوب العامة[٣].

ويبدو أن بعض محتسبى الأسواق تركوا العمل لأعوانهم ولم يراقبوهم ولذلك شدد السقطى المالقى على وجوب قيام المحتسب على عمله بنفسه وعدم ترك ذلك لأعوانه[٤].

وقد استطاع الموحدون ضبط الأسواق وتنظيمها فعهدوا للأمناء بجمع ضرائب أسواقهم[٥]، فكان المنصور الموحدى يحرص على الاجتماع بأمناء الأسواق مرتين كل شهر لتفقد سيرتهم فى أسواقهم[٦].

أسعار السلع داخل الأسواق

أسعار السلع كانت غير ثابتة فهى تخضع للحالة الاقتصادية التى تمر بها البلاد عامة أو الأقاليم بصفة خاصة، ففى بعض الأحيان يكثر الإنتاج فيزيد عن الحاجة، فكان يصدر إلى خارج البلاد فتنخفض الأسعار نتيجة لذلك، وتنتعش الأحوال الاقتصادية[٧].

ففى أيام الشدّة حين يقل الإنتاج ترتفع الأسعار، مثل ما حدث عندما قلت الأقوات وارتفعت الأسعار فى غرناطة ووادى آش فى حملة ابن ردمير على غرناطة ووادى آش[٨] سنة ٥١٩ هـ[٩].

---

(١) ابن عبدون: ثلاث رسائل ص ٥٣.

(٢) المجيلدى: التسعير ص ٥٦، ابن عبدون رسائل فى الحسبة ص ٢٤، ص ٥٧، السقطى: فى أدب الحسبة ص ٩، الجرسفى: رسالة الحسبة ص ١٢٥.

(٣) ابن تيمية: الحسبة فى الإسلام ص ٩، ص ١٠، ص ١١ طبعة ١٩٦٧.
انظر عبد العزيز سالم: قرطبة فى عصر الخلافة جـ ٢ ص ١٣١.

(٤) السقطى: نفس المصدر ص ٩، ص ١٠.

(٥) ابن عبدون: رساله فى الحسبة ص ٣٩، ص ٥٣، ص ٥٧، السقطى ص ٣٩، ص ٥٦.

(٦) عبد الواحد المراكشى: المعجب ص ٣٦٢ طبعة سنة ١٩٦٣.

(٧) انظر الصادرات والواردات.

(٨) عن هذه الحملة انظر ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٠٦ ـ ص ١١٤، ابن عذارى: البيان المغرب جـ٤ ص ٦٩، ص٧٠، ص ٧١، ص ٧٢، مجهول: الحلل الموشية ص ٩٠ وما بعدها.

(٩) ابن عذارى: المصدر السابق ٦٩، مجهول الحلل الموشية تحقيق عبد القادر زمامة ص ٧٥ ـ ص ٨٠.

كما قلّت الأقوات فى إقليم غرناطة فى عـصر الموحدين أثناء غدر ابن همشك[1] على غرناطة سنة ٥٥٧ هـ ومحاولة استيـلائه عليها من أيدى الموحدين[2]، ولكن تميزت الفترة التى نعرض لها برخص الأسعـار بصفة عامة فمدينة مـالقة كثيرة الفواكه رخيـصة الأسعار، يقول المـقرى: «رأيت العنب يبـاع فى أسواقـها بحسـاب ثمانيـة أرطال بدرهم صغـير»[3] وامتلأت أسواقها التجارية بأنواع السلع من شعير وقمح وذرة وأصناف فاكهة[4]

كذلك اشتهرت مدينة غرناطة بإنتاجهـا الوفير من أنواع الفواكه المختلفة[5] «قد غصت الدكاكين بالخضـر الناعمة والفواكه الطيبة والثـمر المدخرة»[6] أما دلاية من أعمـال المرية فكانت وافرة الخيرات[7] «وكان بالمرية من فواكه واديها الكثير الرخيص»[8] هذا ولم ترتفع الأسعـار فى فترة حكم المـرابطين وخلفائهم المـوحدين فى إقليم غرناطة إلا مـا سبق أن ذكرناه، فمثلا كان سعر الجبن فى مدينة مالقة ربع جبن بستة عشرة درهما[9]، ونصف ربع دقيق بستة دراهم[10] أما كراء الدار فكان فى المرية بثلاثة دنانير شهريا[11]، كذلك كان ثمن الدابة فى غرناطة خمسين مثقالا[12].

---

(١) سبق الـتعريف به انظـر الباب الأول ص ١٠٤، انظر ابن صـاحب الصلاة: المن بالإمـامة ص ١٨١، ص ١٩٦.

(٢) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ص ١٨١، ص ١١٩٦م.

(٣) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٢ طبعة ١٩٦٨م.

(٤) ابن حزم: الرد على ابن النغريلة اليهودى ص ١٧٥، ص ١٧٧

(٥) العـمرى: وصف أفـريقـية ص ٣٦، ص ٣٧، الـقلقشندى: صـبح الأعـشى جـ ٥ ص ٢١٥، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١١٥ ـ ص ١١٦

(٧) ابن الخطيب: مشاهدات ص ٨٢ هامش ١.

(٨) الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤

(٩) السقطى: فى أدب الحسبة ص ٣١.

(١٠) السقطى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(١١) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠ ص ١ ٢ طبعة دار صادر بيروت.

(١٢) الونشريشى: المعيار المغرب جـ ٩ ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠.

تسعير السلع

ومن السماوات البارزة فى غرناطة تسعير السلع مثل القمح والشعير وغيرها من السلع الغذائية الهامة التى يعتمد عليها عامة الناس[١].

وفى أغب الأحيان كانت الحكومة سواء فى المغرب أو الأندلس تتدخل لتحديد أسعار السلع بطريقة مناسبة حتى لا يقع فيها ظلم سواء على المستهلك أو التاجر، فكان تسعير السلع الغذائية يتم بالتراضى بين المحتسب والتجار[٢]، يقول ابن عبد الرءوف «فإن أراد الإمام العدل أن يسعر شيئا من ذلك فيجمع وجوه أهل السوق ذلك الشىء ويحضر غيرهم، استظهار على صدقهم فيسألهم كيف يشترون وكيف يبيعون فإن رأى شططًا فى البيع، نازلهم على ما فيه لهم وللعامة صلاح وسداد حتى يرتضوا به، ويتعاهد ذلك منهم بعد ذلك فى كل حين، فمن وجد منهم قد زاد فى الثمن، أمره أن يبيع كبيع أصحابه، وإلاّ أخرجه من السوق وأدّبه، وإن أراد واحد منهم أو اثنان أن يبيعوا بأرخص من ذلك، لم يمنع من بيعه، فإن كثر هؤلاء، قيل لمن بقى من أهل السوق: «إما أن يبيعوا كبيع هؤلاء وإلاّ فارفعوا» ولا يحل التسعير إلا عن تراض وعلى هذا أجازه، من أجازه ومن أكره الناس على التسعير فقد أخطأ[٣].

وإذا اشترى رجل سلعة بأكثر من ثمنها ثم عرف الثمن الحقيقى فله الرجوع إلى البائع بما بقى له[٤].

الفنادق

أدى ازدياد النشاط التجارى فى إقليم غرناطة فى عصر المرابطين والموحدين وكثرة عدد التجار الأجانب الواردين على تلك البلاد إلى بناء عدد من الفنادق داخل الأسواق

(١) أحمد سعيد المجيلدى: التسعير فى أحكام التسعير ص ٤٩ طبعة ١٩٧٠.
(٢) ابن عبد الرءوف: رسالة فى آداب الحسبة والمحتسب ص ٨٩.
(٣) ابن عبد الرءوف: المصدر السابق نفس الصفحة.
(٤) المجيلدى: المصدر السابق ص ٥٥.

التجارية لمبيت التجار الأجانب وقد انتشرت هذه الفنادق فى إقليم غرناطة خاصة فى المدن التى اشتهرت بورود التجار الأجانب إليها مثل مدينة المرية[١] التى ازدحمت بأعداد كثيرة من الفنادق، يقول الحميرى: «وتحتوى مدينة المرية على ألف فندق إلا ثلاثين فندقا»[٢] وذلك لخدمة التجار الأجانب، يقول الحميرى: «وكانت المرية تقصدها مراكب التجار من الأسكندرية والشام»[٣] وقد جهزت هذه الفنادق لخدمة التجار الغرباء[٤]، فكانت تقام بجوار الحمامات[٥] «وغربيها ـ أى المرية ـ ربض لها آخر يسمى ربض الحوض ذو فنادق وحمامات»[٦] وفى موضع آخر «كان بها من الحمامات والفنادق نحو الألف»[٧] وكان لبعض البلاد الأجنبية ذات الصلة التجارية بإقليم غرناطة منشآت تجارية بها مثل فندق الجنويين[٨].

ولم تختلف نظم هذه الفنادق عن غيرها من فنادق المدن الإسلامية الأخرى سواء فى المغرب أو الأندلس أو المشرق فيذكر جمال سرور أن هذه الفنادق قد زودت بكنيسة ليقيم فيها التجار شعائرهم الدينية وفرن لصناعة الخبز وكان يشرف على الفندق من يسمى بالفندقى.

وكان فى هذه الفنادق مكان ليحفظ فيه التجار بضائعهم وتغلق بأقفال رومية الصنع[٩]،

(١) الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٣، ص ١٥٤، جـ ٤ ص ٢٠٦، جـ ١ ص ١٦٢، ص ١٦٣ طبعة ١٩٦٨.

(٢) الحميرى: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) الحميرى: نفس المصدر: ص ١٨٤ «يقول المقرى: والمرية كانت محط مراكب النصارى» المقرى: جـ ٤ ص ٢٠٦.

(٤) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٠٩ «مثل فندق الجنويين فى غرناطة حيث كانت لهم منشآت تجارية بها» انظر:

4) Presscott: History of the reign of Ferdinand and Isabella p. 170 (London 1895).

(٥) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٤، جـ ١ ص ١٦٣ طبعة ١٩٦٨.

(٦) المقرى: المصدر السابق جـ ١ نفس الصفحة، جـ ١ صفحة ١٩٦٣ طبعة ١٩٦٨.

(٧) المقرى: نفس المصدر جـ ١ ص ١٥٢.

8) Presscott. ibd. p. 170.

(9) Heyd, Historie, du comnerce., Tom, 11 P.P 430

وقد انتشرت الفنادق فى غرناطة فكان بها فندق الجنوبيين[١]، والفندق الجديد وفندق زائدة وفندق السلطان[٢].

القياسر

أما القياسر فهى عبارة عن مجموعة من المبانى العامة تضم مخازن وحوانيت ومساكن لمبيت التجار وكانت تعرض فى داخل القياسر أنواع السلع المختلفة، وقد اشتهرت قيسارية غرناطة ببيع أنواع الحرير وصنوف السلع الفاخرة[٣]، كذلك كان بمدينة المرية قيسارية «قد رتب كل صناعة منها حسب ما يشكل لها قد أمن فيها التجار بأموالهم وقصد إليها الناس من أقطارهم»[٤].

وقد ضمت هذه القياسر بعض المساجد، كما كان يعلوها رباع ذات مساكن يقيم فيها الصناع والتجار بأجر[٥]، ويذكر حسن حسنى عبد الوهاب أن الحكومة كانت تقوم ببناء تلك القياسر وتأجيرها لأرباب الحرف والمهن والصناع والتجار مقابل كراء متفق عليه[٦].

التجارة الخارجية وأهم مسالكها

على الرغم من ازدهار التجارة الداخلية فى البلاد الأندلسية والمغربية فى عصر المرابطين وخلفائهم الموحدين فإن التجارة الداخلية قد واجهت صعوبات كثيرة نتيجة لعلاقات المرابطين وخلفائهم الموحدين، فقد واجهت التجارة الخارجية مع بلاد البحر المتوسط صعابًا كثيرة لأن علاقة المرابطين ببلاد البحر المتوسط كانت متوترة بسبب الحروب الطاحنة مع نصارى أسبانيا[٧].

---

(1) Presscott: Ibed. P 170.

(٢) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة جـ ٢ ص ٥٧٦، ص ٥٧٧.

(٣) العمرى: وصف أفريقية ص ٣٨.

(٤) العذرى: نصوص عن الأندلس: ص ٨٦ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٦٥ م.

(٥) المقريزى: الخطط جـ ٢ ص ٨٧، ص ٨٩، جمال سرور المرجع السابق ص ١٦٠.

(٦) حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات من الحضارة العربية ص ٧٢، ص ٧٣ جـ ٢ رقم ٢.

(٧) عن حروب المرابطين مع نصارى أسبانيا انظر ابن عذارى: البيان جـ ٤ ص ٣٣، ص ٣٤، ص ٥٠، ص ٦١ ص ٦٩، ص ٧٩، ص ٨٠، ص ٨١، ص ٨٨، ص ٨٩، ص ٩٠، ص ٩١، ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة قسم ٣ المجلد الأول ص٩٧، ص ١٠١، ابن أبى زرع: =

فكانت التجارة مع أوربا برًا لا تزدهر إلا فى سنوات الهدنة التى كثيرًا ما كانت تنقض[١].

أما مصر الفاطمية، فكانت هى الأخرى على علاقة سيئة بدولة المرابطين وذلك بسبب اعتراف المرابطين بالدولة العباسية[٢].

وكانت العلاقات بين الأندلس والمغرب وبين صقلية ومدن إيطاليا تتأثر بالأحداث السياسية، وأصبح التنافس بينها على أشده خاصة بعد أن سيطرت المدن الإيطالية على تجارة البحر المتوسط فى أواخر القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)[٣] فيبدو

= روض القرطاس ص ١٥٢، ص ١٦٠، ص ١٦١، ص ١٦٢، ص ١٦٣، ص ١٦٤، ابن القطان: نظم الجمان ص ٦، ص ٩، ص ١٠، ص ١٣، ص ١٤، ص ١٩٧، ص ٢٠٠، ص ٢١٩، ص ٢٣٣ مجهول، الحلل الموشية ص ٧١، ص ٨٥ ص ٩١ ص ١٣٠، ابن الكردبوس: الاكتفاء ص ١١٠، ص ١١٤، ص ١٢١، السلاوى: الاستقصاء جـ ٢ ص ٦١، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٣٠٧، ص ٣١٣، ص ٣١٤، ص ٣١٦، ص ٣١٩، عنان، دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين والموحدين القسم الأول ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م ص ٦٠، ص ٦٢، ص ٦٤، ص ٦٧، ص ٩٦، ص ١١٩، ص ١٣١، ص ١٣٤، ص ١٣٥، ص ١٤٢، ص ١٤٣، ص ١٤٩، ص ٤٠٦، ص ٥٢٢، ص ٥٢٦، الحجى: التاريخ الأندلسى من الفتح العربى حتى سقوط غرناطة طبعة ١٩٧٦ ص ٤٢٨، يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عصر المرابطين والموحدين، ص ٩، ص ٢٠، ص ٢٢، ص ٢٣، جـ ٢ ص ١٠، ص ١١، ص ١٧، ص ١٦٢، ص ٢٣٦، ص ٢٣٧ وما بعدها، أمبرسيوهويس ميرانده، على بن يوسف وأعماله فى الأندلس، مجلة تطوان ص١٧٢ وما بعدها عدد ٣ ١٩٥٨ - ١٩٠٩، حسين مؤنس: الثغر ص١١٥، ص١١٩، ص ١٤١.

(١) ابن عذارى: البيان جـ ٤ ص ٩١، ص ٩٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ: جـ ١٠ ص ١١٤ مجهول: الحلل الموشية ص ٢٩، ابن القطان: نجم الجمان، ص ١٠٠، محمد الفتيحى المراكشى: السعادة الأبدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية القاهرة، مطبعة مصطفى البابى الحلبى طبعة ١٣٤١ هـ ص ١٥٣، ابن خلدون: المقدمة ص ٢٢٩، محمد ولد دادة: مفهوم الملك فى المغرب: بيروت دار الكتاب اللبنانى، القاهرة دار الكتاب المصرى المطبعة الأولى ١٩٧٧ ص ١١٣، أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، الأسكندرية الطبعة الأولى ١٩٦٨ ص ١٠٠، ص ١٠١، وما بعدها، راجع كذلك حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٣٣٥ - ص ٣٦٦، ص ٣٤٣.

(٣) عن قوة المدن الإيطالية وسيطرتها على غربى البحر المتوسط انظر أمارى: المكتبة العربية الصقلية ص ٢٨٢، ص ٢٨٣ - ص ٣٩٣، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٣٢٩ وما بعدها.
Barbour, N. "Sea Power...", P. 107.

أن كلا من المرابطين والمدن الإيطالية كان يتربص للآخر وينتهز كل منهم الفرصة للسيطرة على الجزء الغربى من البحر المتوسط وقد واتت المرابطين الفرصة حين استنجد بهم أبناء عمومتهم الزيريون الصنهاجيون فقام الأسطول المرابطى بغزو سواحل صقلية وإيطاليا(١) وفى ذلك يقول ابن عذارى «وفى سنة ست عشرة وخمسمائة أغزى أبو عبد الله محمد بن ميمون قائد أسطول على بن يوسف مدينة نوقطرة(٢) من عمل رجار صاحب صقلية ففتحها وسبى نساءها وأطفالها فيها وكان على ابنه يحيى صاحب المهدية كتب كتابا الى رجار عندما وقع بينهما وحشة يضمن تهديده فيه بإدخال الملثمين والعرب إلى صقلية فلما كان من غزو أبى عبد الله ما كان لم يشك رُجار صاحب صقلية أن السبب الباعث على ذلك والمحرك له صاحب المهدية، فاستنفر أهل بلاد الروم قاطبة (وأكثر) الاستنصار وأستجاش وحشد كأنما فى ذلك كله لأمره، فمنع السفر إلى سواحل المسلمين والتأم له ما لم يعهد مثله(٣).

وعلى الرغم من هذا العداء والتوتر فى العلاقات بين المرابطين والمدن الإيطالية وصقلية فقد حاول المرابطون تشجيع التجارة الخارجية معهم، فعقدوا معاهدة تجارية مع المدن الإيطالية، خاصة بيزا وجنوة فى ٥٣١ هـ ـ ٥٣٢ هـ، (١١٣٧ م ـ ١١٣٨ م) وتشجيعًا لهم على التجارة مع الدولة المرابطية لم يأخذ المرابطون سوى العشر(٤) على تجارتهم، كذلك يذكر ابراهيم حركات فى كتابه المغرب عبر التاريخ أن جنوه أنشأت مدرسة لتعليم اللغة العربية حتى يتمكن التجار الجنويون من التعامل التجارى مع المسلمين فى بلاد المغرب والأندلس(٥) ونتيجة لهذه العلاقات التجارية ازدهرت مدينة المرية وفى ذلك يقول

(١) أمارى: المكتبة الصقلية ص ٢٨٢ ـ ص ٢٨٣.

(٢) الصحيح بو قطرة انظر التصويب فى أمارى: المكتبة الصقلية ص ٢٨٢.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٦٦، ص ٦٧، عن ذلك انظر أيضًا ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ١١٦، وانظر أيضا أمارى، المكتبة الصقلية ص ٢٨٢، ص ٢٨٣، وانظر، أحمد مختار العبادى، وسيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس طبعة ١٩٦٩ ص ٢٤٦، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٣٢٩ وما بعدها.

(4) Mas - Latrie, 1., Traite de paix et de commerce et documents divers concerent les relations des chretiens avec les arabes de l'Afrique Septentrionale au moyen - agé, Paris 1965, P.P 37 - 49

(٥) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ص ٣١٦، انظر أيضا حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس ص ٢٨٧.

المقـرى: «وبها كان محط مـراكب النصارى، ومجتـمع ديوانهم، ومنها كانت تسفـر لسائر البلاد بضائعهم، ومنهـا كانوا يوسقون جميع البضائـع التى تصلح لهم، وقصد بضبط ذلك بها حصر مـا يجتمع فى أعشارهم، ولم يوجد لهذا الـشأن مثلها، لكونها متوسطة ومـتسعة قائمة بالوارد والصادر»[١].

ومع ضعف المرابطين واشتداد ثورة الموحدين، انتهز نصارى أسبانيا فى فترة الانتقال الفرصة وتحالفوا مع جنوه وبيزا وخربوا المرية[٢].

وفى العصر الموحدى لم تكن علاقة الموحـدين ببلاد المشرق بأحسن حالا من علاقة المرابطين بها، فقـد كانت علاقات الموحدين متوترة مع الفـاطميين ثم الأيوبيين[٣] ولكن هذا لم يمنع التجار الأندلسيين والمغاربة من التجارة مـع مصر وبلاد المشرق، فمصر ـ كما يذكر حسن على حسـن ـ كانت فى طريق تداخل الحجاج المسافرة لتـأدية فريضة الحج فى كل عـام وكانت فى كـثيـر من الأحيـان تضم بعض أنواع المتـاجر التى تـحتاجـها الـمدن الشرقية[٤].

فكانت السفن التجـارية تقوم بنقل المنتجات الأندلسيـة والمغربية التى تحتـأجها بلدان المشـرق، فكانت السفن تخرج من مـيناء مالقة متـجهة إلى مـصر والشام والعراق مـحملة بالبضائـع المختلفة كالتـين المالقى[٥]، والحلل المـوشـاة بالذهب[٦] والملابس الكتـانية

(١) المغرب: نفح الطيب: جـ ٤ ص ٢٠٦ طبعة ١٩٤٩، جـ ٣ ص٢٢٠ طبعة ١٩٦٨.

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق ص ١٩٨، المراكشي: المـعجب ص ٢٨٠، ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ القسم المـوحدى ص ٣٣، الحمـيرى: الروض المعطار ص ١٨٤، ابـن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ١١ ص ٢٢٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان تحقيق إحسان عباس جـ ٣ ص ١٠٧.

(٣) ابن خلكان: وفيـات الأعيان جـ ٣ ص ٦٨ تحقيق إحـسان عباس، دار الثقـافة سنة ١٩٧٨ ـ سنة ١٩٧٢.

(٤) حـسن على حسن: الحـضارة الإسـلاميـة فى المغـرب والأندلس ص ٢٨٨، ص ٢٨٩، روجيـه لوتورنو: فاس فى عصر بنى مرين ـ ترجمة نقولا زيادة بيروت سنة ١٩٦٧ ص ٥٠.

(٥) العمرى: وصف أفريقية ص ٤٨، الحميرى: الروض المعطار ص ١٧٨، المقرى: نفح الطيب جـ ٤ ص ٢٠٥ طبعة ١٩٤٩ جـ ٣ ص ٢١٩ طبعة ١٩٦٨، ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٤٠.

(٦) ابن سعيـد: الجغرافيـا ص ١٤٠، المغرب فى حلى المغـرب جـ ١ ص ٤٢٣، العمرى: (وصف إفريقيـة) ص ٤٨، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠١ طبعـة دار صادر بيروت جـ ١ ص ١٤٥ طبعة ١٩٤٩.

الرفيعة، وكـذلك كانت مالقة تصدر الفخار المـذهب العجيب الشكل واللون[١] والبسط[٢] من غرناطة وبسطة.

وعلى الرغم من قوة الأسطول الموحدى[٣] فإنه لم يستطع السـيطرة على غرب البحر المتوسط وكانت العلاقات مع المدن الإيطالية رهنًا هى الأخرى بالعلاقات السياسية[٤]، ففى فتـرة الهدنة أبرم الموحدون اتفـاقيات تجارية مع جـنوه وبيزا، فأبرمت معـاهدة تجارية بين مـدينة جنوة ودولة المـوحـدين سنة ٥٤٨ هــ، ١١٥٣ م ثم فى سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م ضمنت حرية التجارة لرعاية جنوة برًا وبحرًا، كما نصت الاتفاقية على تخفيض العشور على تجارة جنوة[٥]، لكن الموحـدين لم يسمـحوا لتجـار بيزا بالتـجارة فى المـراسى والموانى الموحدية فى المغرب والأندلس إلا إذا جلب التاجر بضاعة بخمسمائة دينار[٦] ودلك بسبب أعمـال القرصنة التى كان يقـوم بها أهل بيزا فى البـحر[٧]، كمـا عقد المـوحدون فى سنة ٥٨٠هـ ١١٧٤ م مع بيزا معاهدة تجارية أخرى[٨].

---

(١) العمرى: نفس المصدر ص ٤٧، ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩، الزهرى: كتاب الجغرافيا ص ٩٣، الحـميرى: الروض المعطار ص ١٧٨، المقرى: نفح الطيب جـ ٤ ص ١٤٥ طبعة ١٩٦٨.

(٢) الإدريسى: نزهة المشتاق ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٣١ حاشـية ٩ نشر أحمد مختار العبـادى، الحميرى: الروض المـعطار ص ٤٤، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠١ طبـعة دار صادر بيروت، جـ ١ ص ١٨٧ طبعة ١٩٤٩.

(5) A. Julien, Histoire de l'Afrique du Nord P. 124.

(٣) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٥٥، أمارى: المكتبة العربية الصقلية، ص ٤٦١ ـ ص ٤٦٢.

(٤) ابن القطان: نظم الجمان ص ١٣.

(5) Mas - Latrie, Traite du paix, P.P. 47 - 49, 89.

عن هذه الاتفاقـيات انظر مبـارك الميلى: تاريخ الجزائر العـام فى القديم والحديث جـ ٢ مطبـعة الجزائر ١٣٥٠ هـ ص ٢٥٠، عبد الرحمن بن محمد الجيلانى: تاريخ الجزائر العام جزءان بيروت ١٩٦٥ جـ ٢ ص ٣٢٠.

(6) Amario, M, 1. Diplomi, arabi del archivro, V. I., Firenze, le Monnier, 1863, pp. 11 - 12.

(٧) عن أعمال القرصنة التى قام بها أهل بيزا وشكوى الموحدين من ذلك انظر:

Amario, Diplomi arabi, P.P 8 - 9 - 33 - 35, 41 - 47, 66 - 67.

(8) Mas - Latrie, op. cit, P. 50

وفى عهد المنصور الموحدى عقد الموحدون اتفاقًا تجاريًا مع بيزا سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م أكدوا فيه على عدم نزول تجار بيزا ساحل المرية إلاّ للضرورة كإصلاح السفن مثلاً والتأكيد على منع القرصنة(١).

وعلى الرغم من أن مواقف الموحدين السياسية مع أغلب الدول المعاصرة لهم كان يشوبها التوتر فإنهم كانوا يرون ضرورة تشجيع التجارة الخارجية وخاصة مع الدول الإسلامية، فلم يأخذوا من التجار المسلمين الغرباء أية عشور على التجارة(٢).

وعلى الرغم من موقف دولتى المرابطين والموحدين من التجارة الخارجية عامة فإن هذا لم يمنع ازدهار تلك التجارة وامتلاء الأسواق المغربية والأندلسية عامة وأسواق إقليم غرناطة خاصة، بالبضائع المتنوعة من الشرق والغرب وازدهار الموانى والمدن الأندلسية كمالقة والمرية وغرناطة وغيرها بسبب التبادل التجارى مع معظم الدول الإسلامية فى المشرق والأوربية فى الغرب، فكان مرسى المرية «تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام»(٣).

لذلك ازدحمت تلك المدينة بالفنادق لإيواء التجار الغرباء(٤) فقد كان بها «ألف فندق إلا ثلاثين فندقًا»(٥).

كذلك اكتسبت مدينة مالقة شهرة واسعة فى تصدير منتجاتها إلى داخل البلاد وخارجها(٦)، فكان يحمل منها التين واللوز إلى مصر والشام والعراق(٧) «ربما وصل إلى

---

(١) عن نص هذه المعاهدة انظر: (3) Amario, op. cit, P.P 9 - 12, 22.

(٢) ابن جبير: رحلة ابن جبير، لأبى الحسين محمد بن أحمد، بيروت دار صادر ١٩٥٩ ص ٥٦.

(٣) الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، المقرى: نفح الطيب جـ١ ص ١٥٤.

(٤) المقرى: المصدر السابق جـ ١ ص ١٥٤، جـ ٤ ص ٢٠٦ جـ ١ ص ١٦٣، جـ ٣ ص ٢٢٠ طبعة ١٩٦٩.

(٥) الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٤.

(٦) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب جـ ١ ص ٤٢٣، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩، العمرى (وصف أفريقية) ص ٤٧، ص ٤٨.

(٧) المقرى: أزهار الرياض فى أخبار عياض جـ ١ ص ٤١، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٥ جـ ١ ص ١٥٢ طبعة ١٩٦٨، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ٢٨٦ هامش ٣.

الهند»[١] فاحتوت على أسواق جامعة كثيرة[٢]، هذا وقد زادت ثروة مالقة بسبب المكوس المفروضة على تجارة الصادر والوارد وخاصة تجارة الرقيق من الخدم المجلوبين من أرض الصقالية[٣].

كذلك صدرت مالقة الفخار المذهب العجيب الذى كان يصدر خارج البلاد[٤].

أما غرناطة فكانت من أهم المراكز التجارية إنتاجًا للكتان وتصديرا له[٥].

أما مرسى المنكب فقد ازدهرت التجارة فيه، فكانت المدينة تضم عدداً كبيراً من الأسواق والأرباض مما جعلها مركزاً هامًا لتصدير عدة محاصيل أهمها قصب السكر والموز والزبيب[٦]، وكذلك مدينة بسطة كانت «ذات أسواق وتجارات عامرة آهلة»[٧] أما برجة من أعمال المرية ففيها أسواق وصناعات[٨] أما بليش مالقة فهى عامرة آهلة ضخمة الأسواق[٩].

الطرق البحرية

ربطت بين إقليم غرناطة والبلاد المغربية خطوط بحرية تجارية وكانت السفن التجارية تنتقل بصفة دائمة بين سواحل إقليم غرناطة إلى بلاد المشرق والمغرب عبر البحر المتوسط فقد اقتضت صعوبة الاتصال بين مدن الساحل فى البلاد الأندلسية براً[١٠]، أن يكون طريق

---

(١) الحميرى: الروض المعطار ص ١٧٨.

(٢) الحميرى: المصدر السابق ص ١٧٨.

(٣) المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٤٢٢، ص ٤٢٣.

(٤) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٧، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩، المقرى: نفح الطيب جـ ٣ ص ٢١٩.

(٥) الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤.

(٦) العمرى: وصف أفريقية ص ٤٧، القلقشندى صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٨.

(٧) الإدريسى: صفة المغرب طبعة (دوزى) ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٣١ حاشية ٩، الحميرى: الروض المعطار ص ٤٤.

(٨) ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ٢٢٨، المقرى جـ ٢ ص ١٥٠ طبعة سنة ١٩٦٨: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٣ طبعة ١٩٤٩.

(٩) ابن الخطيب مشاهدات ص ٧٨ حاشية ٦، ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٤٤٢.

(١٠) ابن سعيد: انظر كتاب الجغرافيا ص ١٦٧ فجبل شيلر نظراً لوعورة مسالكه كان لا يستعمل إلا فى الصيف حيث لا يفارقه الثلج شتاء، انظر ابن سعيد المصدر السابق ص ١٦٧.

البحر أهم وسيلة فـى تجارة بلاد الأندلس عامة وإقليم غرناطة بصفـة خاصة وذلك بفضل مجموعة من الموانى الهامة مثل المرية[١] والمنكب[٢] ومالقة[٣] مما أكسب الإقليم أهمية تجارية خاصة، فكانت تلك المراسى تتصل بما يقابلها من مراسى البلاد المغربية ومنها إلى بلاد المشرق وأوروبا، فكانت السفن التجارية تنتقل بصفة دائمة بين سواحل المرية ومالقة والمنكب وبين تنس التى أنشأها بعض البحريين من الأندلسيين[٤]، وكان هناك خط بحرى تسير فيه السفن من مالقة متجهة الى نكور فى بلاد المغرب[٥].

ومن هذه الموانـى تنطلق السفن الأندلسـية متـخذة الطريق البحـرى من طرابلس إلى الإسكندرية وبلاد الشـام وغيـرها من بلدان المـشرق[٦] لا سـيمـا وأن الطريق البرى كـان محفوفًا بالمخاطر[٧].

ولكن فى النصف الثانى من القـرن السادس الهجرى كـثر استعمـال الطريق الذى يمر بالمدن الإيطالـية وصقليـة ومن صقلية يـتفرع الطريق إمـا إلى الإسكندرية أو إلى عكا[٨]،

---

(١) عن المـرية انظر: الإدريسى: صفـة المـغرب (ط.د) ص ١٩٧، ص ١٩٨، الحـميـرى: الروض المعطار ص ١٨٣ ـ ص ١٨٥.

(٢) عن المنكب انظر: الإدريسى: المصدر السابق ص ٢٠٢، الحميرى: المصدر السابق ص ١٨٦.

(٣) عن مالقة انظر الإدريسى: نفس المصدر والصفحة، ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٤٢٣.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ١ ص ١٥٤.

(٥) ابن عذارى: المصدر السابق جـ ١ ص ٢٥٢.

(٦) عن هذه الموانى واتصالها ببلاد المشرق عن طريق تصدير منتجاتها انظر الإدريسى: نزهة المشتاق (صفة المغرب) ص ١٩٧، ص ٢٠٠، ابن سعيد: جـ ١ ص ٤٢٣، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ٢٨٦ هامش ٣، الحميرى: الروض المعطار ص ١٧٧ ـ ص ١٧٩، ص ١٨٣ ـ ص ١٨٤، ص ١٨٦، العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٧، ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٨، ص ٢١٩، المـقـرى: نفح الـطيب جـ ١ ص ١٤٥، ص ١٥٤ ص ٢٠٥، ص ٢٠٦، جـ ١ ص ١٥٠، ص ١٦٢، جـ ٣ ص ٢١٩، ص ٢٢١.

(٧) عن هذين الطريقين انظر الإدريسى: نزهة المشتاق (ط.د) ص ١٢٩، وما بعدها.

(٨) «لم تعد صـعوبات البلاذ الأندلسيـة والمغربية بـعدما كانت فى النصف الأول من القـرن السادس تجلب عن طريقهـا طرائف الهند والسند والعراق إلى البلاد الـمغربية والأندلسـية» عن هذه الطرق انظر بعضًا عنها فى رحلة ابن جبير ص ٩، ص ٣١٠، ص ٣١٩، المقرى: نفح الطيب جـ ٢ ص ٣٨٥، ص ٣٨٨ طبعة دار صادر بيروت.

وربما كان السبب فى ذلك أن تجار المغرب أو الأندلس أصبحوا يفضلون طريق عكا على مصر التى كانوا يلقون فيها ضيقًا وعنتًا[(١)].

الصادرات والواردات

من خلال دراسة الصادرات والواردات لإقليم غرناطة نستطيع أن نقول إن الصادرات والواردات تمثل محاولة لسد حاجة البلاد بتصدير الفائض واستيراد الناقص وعلى هذا تنوعت صادرات إقليم غرناطة وتعددت، إذ صار الإقليم يصدر بعض حاصلاته الزراعية وما يصنع منها وبعض من ثرواته المعدنية المصنعة وغير المصنعة، وفى نفس الوقت استوردت البلاد بعض ما كان يلزمها من المواد الخام المصنعة وغير المصنعة، ومن أهم صادرات إقليم غرناطة:

المعادن

صدرت غرناطة إلى بلاد الأندلس والمغرب وغيرها من البلدان الذهب[(٢)] والفضة والحديد والرصاص والنحاس والتوتيا[(٣)]، ومن أشهر المدن الأندلسية استيرادًا لمعدن الذهب والتوتيا[(٤)] قرطبة حيث يصلها خاما ليصنع بها[(٥)].

أما مالقة فقد صدرت الياقوت الأحمر من ناحية حصن منت ميور[(٦)] كذلك صدرت مدينة المرية حصى ملون يشبه الدر فى رونقه وله ألوان عجيبة، فكان يتخذ للزخرف والزينة[(٧)]، وصدرت المرية إلى البلاد الأندلسية والمغربية ومعظم بلاد المشرق آلات

---

(١) عندما وصل ابن جبير إلى عيذاب اقتنع أن طريق عكا هو الأفضل انظر رحلة ابن جبير ص ٤٨.

(٢) ياقوت: معجم البلدان جـ ٤ مادة غرناطة، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٦٧.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨، اللمحة البدرية ص ٢٢، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤.

(٤) ابن غالب: فرحة الأنفس: ص ٢٨٣.

(٥) ابن غالب: المصدر السابق ص ٢٨٣.

(٦) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٣٨ طبعة ١٩٤٩ «استخدم هذا الياقوت فى صناعة الحلى من الجواهر والذهب انظر Scott: Hist. of the Moorish Empire. Vol 111. p. 628.

(٧) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٣٨ طبعة ١٩٤٩ ص ٢٠٢ طبعة دار صادر - بيروت.

الحروب من التروس والرماح والسروج واللجم والدروع[١]، بالإضافة إلى آلات الحديد من آلات العروس[٢]، كذلك صدرت مدينة مالقة الآلات المصنوعة من الحديد مثل المقصات والسكاكين والآلات اللازمة لمختلف الأغراض اليومية وكذلك التروس والرماح والدروع والسيوف[٣].

الفاكهة

واشتهرت مدن إقليم غرناطة بالإنتاج الوفير من أنواع الفاكهة المختلفة، فصدرت نوعًا من الكمثرى «وزن الحبة الواحدة رطل أندلسى ولهـا مذاق عجيب حيث كان يزرع فى جبل شلير»[٤] أما مالقة فصدرت الرمان المرسى والياقوتى وكذلك التين المالقى واللوز[٥]، فكان يصدر إلى داخل البلاد وخارجها[٦] فيحمل إلى مصر والشام والعراق[٧] وإلى بلاد

---

(١) الإدريسى: نزهة المشتاق طبعة (د) ص ١٩٧، المقرى: نفس المصدر جـ ١ ص ١٥٤ طبعة ١٩٤٩، جـ ١ ص ٢٠٢ طبعة دار صادر بيروت.

(٢) الإدريسى: المصدر السابق نفس الصفحة، عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية ص ١٧١.

(٣) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ٢٨٦ هامش ٣.

(٤) الإدريسى: نزهة المشتاق (طبعة د) ص ٢٠١ عن فاكهة جبل شلير فى غرناطة انظر: ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٦٧، ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨، وما بعدها، اللمحة البدرية ص ٢٢ وما بعدها، الحميرى: الروض المعطار ص ١١٢.

(٥) الإدريسى: نزهة المشتاق (طبعة د) ص ٢٠٠، العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩، ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٤٠، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب جـ ١ ص ٤٢٣، ص ٤٢٤، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٤، ص ١٤٥ طبعة ١٩٤٨، جـ ١ ص ١٥٠ - ص ١٥٥.

(٦) ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٤، المغرب فى حلى المغرب جـ ١ ص ٤٢٣، الإدريسى: نزهة المشتاق (ط.د) ص ٢٠٠، ص ٢٠٤، الزهرى: كتاب الجغرافيا ص ٩٣، القلقشندى صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩ «يذكر ابن سعيد فى كتابه الجغرافيا أن مالقة صدرت هذه الفواكه إلى الهند أيضًا، انظر المقرى: المصدر السابق جـ ١ ص ١٤٤، ص ١٤٥ طبعة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٥٠، ص ١٥٥ طبعة ١٩٦٨، العمرى: وصف أفريقية ص ٤٧، ابن سعيد: نزهة الأنظار ص ١٤.

(٧) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٤٠، الحميرى: الروض المعطار ص ١٧٨، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٤، ص ١٤٥ طبعة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٥٠ - ص ١٥٥ طبعة ١٩٦٨.

الهند أيضًا[١]، أما الزبيب والموز وقصب السكر فكان أهم صادرات ثغر المنكب[٢]، كذلك صدرت البيرة من أعمال غرناطة الموز وقصب السكر[٣] وكانت هذه الفاكهة تباع فى أسواق بلاد المغرب[٤].

المصنوعات الذهبية والجلدية

ومن الصناعات التى اشتهـرت بها مدينة مالقة «صناعة الفخار المـذهب العجيب وكان يصدر إلى خارج البلاد»[٥] بالإضافة إلى المصنوعات الجلدية المصنوعة من نوع من الجلود يسـمى السفن، وهو خـشن كـنجلود الماشـية، فكانوا يـصنعون منه الأغـشيـة والأحزمـة والمدورات والحقائب والأحزمة[٦].

المنسوجات الحريرية والكتانية

ومن أشهر صـادرات إقليم غرناطة المنسوجـات الحريرية والكتانية، إذ صـدرت مدينة المرية المنسوجات[٧] الحريرية من الديباج والسـقلاطونى والأصبهانى والجرجـانى والستور المكللة والثياب المعينة والعتابى[٨] الفاخر فكثرت الطرز بالمرية[٩] فبلغت طرز الحرير فيها

---

(١) يذكر المقـرى أن مالقة صدرت هذه الفواكـه إلى الهند أيضا انظر المقرى: المـصدر السابق جـ ١ ص ١٤٤، ص ١٤٥، جـ ١ ص ١٥٠ - ص ١٥٥ طبعة سنة ١٩٦٨.

(٢) العمرى: وصف أفريقية ص ٤٧، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٨، الحميرى: الروض المـعطار ص ١٨٦، ابن الخطيب: نفـاضة الجـراب ص ١٠٩ حاشـية ١، ص ٣٠ حـاشيـة ٦، الإدريسى: نزهة المـشتـاق ص ١٩٩، ياقوت: مـعجم البلدان مـادة منكب، البـغدادى: مـراصد الاطلاع جـ ٣ ص ١٦٤.

(٣) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٠٢، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤.

(٤) ابن سـعـيد: نزهة الأنـظار ص ١٤، العمـرى: مـسـالك الأبصـار (وصف أفريقـيـة) ص ٤٧، القلقشندى: نفس المصدر جـ ٥ ص ٢١٩.

(٥) العمرى: المصدر السابق ص ٤٧، القلقشندى نفس المصدر جـ ٥ ص ٢١٩.

(٦) الاصطخرى: المسـالك والممالك ص ٣٥، العمرى: نفس المـصدر ص ٤٨، القلقشندى: نفس المصدر جـ ٥ ص ٢١٩.

(٧) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٦، ص١٨٧ طبعة ١٩٤٩ وطبعة بيروت جـ ١ص ٢٠١، جـ ٣ ص ٢١٩ - ص٢٢١، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، ابن سعيد كتاب الجغرافية ص ١٤٠.

(٨) عن هذه المنسوجات وتعريف أنواعها انظر فصل الصناعة ص؟ من الرسالة.

(٩) الإدريسى: نزهة المشتاق ص ١٩٧، ص ١٩٨، ابن غالب: فرحة الأنفس ص ٢٨٣، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤.

في عصر المرابطين ثمانمائة طراز[١]، كذلك صدرت مدينة مالقة المنسوجات المصنوعة من الحرير الموشاة بالذهب[٢] والتي كانت تصدر إلى بلاد المشرق والمغرب وتباع بأغلى الأسعار «وربما تجاوز ثمن الحلة الواحدة الآلاف[٣]» أما مدينة غرناطة فقد حازت شهرة واسعة في تصدير نوع من الحرير كانت تنتجه المدينة يسمى بالملبد المختم ويمتاز بألوانه العجيبة حيث كان يصدر إلى خارج البلاد[٤] «فيعم الآفاق»[٥].

واشتهرت مدينة غرناطة أيضا بإنتاج الكتان وتصديره فكانت من أهم مراكز التجارة «إنتاجا للكتان وتصديرا له»[٦] «فكتان غرناطة يربو على كتان النيل»[٧].

أما الحرير الخام فقد صدرت غرناطة منه إلى مدينة فلورنسة في إيطاليا كميات كبيرة[٨]، كذلك اشتهرت مدينة برجة بإنتاج الحرير والاتجار فيه[٩] كذلك صدرت قرية ولاية إحدى قرى ثغر المرية الحرير أيضا[١٠].

---

(١) الحميرى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب جـ ١ ص ٤٢٤، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٤٠، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٦، ص ١٨٧ طبعة ١٩٤٩، جـ ٤ ص ٢٠٦، جـ ٣ ص ٢١٩ طبعة بيروت سنه ١٩٦٨.

(٣) المقرى: النفح جـ ٣، ص ٢١٩ طبعة سنه ١٩٤٩، ص ٢٠١ جـ ١ طبعة بيروت سنة ١٩٦٨.

(٤) المقرى: المصدر السابق جـ ١ ص ١٨٧، الملبد نوع من الحرير كان يصنع في غرناطة» انظر Dozy, Diction. p. 114.

(٥) الحميرى: الروض المعطار ص ٤.

(٦) مجهول: الحلل الموشية ص ٩١ تحقيق عبد القادر زمامة، الحميرى: نفس المصدر ص ٢٤.

(٧) ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ٩٢، الزهرى: كتاب الجغرافيا ص ٩٦ «حاشية ص ٢٤٩» الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤.

(8) Prescott. op. cit p. 170.

(٩) ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ٢٢٨، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٣ طبعة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٥٠ طبعة سنة ١٩٦٨.

(١٠) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ٨٢ هامش (١).

الواردات

وكان من أهم الواردات التى تصل إلى إقليم غرناطة القمح إذ كان من أهم واردات مدينة المرية «إذ ترد الحنطة إلى المرية من بر العدوة»[(١)] أما مالقة فقد استوردت التمر المجلوب من بلاد المغرب وخاصة فاس وتنس[(٢)]، أما الزيت فكان يأتى إقليم غرناطة عن طريق ميناء المرية ومالقة من سفاقس[(٣)]، أما جلد النمر فكان يجلب إلى إقليم غرناطة من الجزيرة الخضراء عن طريق ميناء مالقة[(٤)]، كذلك صدرت بلاد المغرب إلى غرناطة المنسوجات الصوفية[(٥)] المرتفعة الأثمان.

هذا وقد زادت ثروة مالقة بسبب المكوس المفروضة على تجارة الصادر والوارد وخاصة تجارة الرقيق من الخدم المجلوبين من أرض الصقالية والسودان[(٦)].

هذا وقد لعبت الظروف السياسية دوراً هامًا فى منع التبادل التجارى بين بلاد المغرب وإقليم غرناطة وذلك عندما امتنعت مدينة مالقة عن الدخول فى طاعة الدولة الموحدية،

---

(١) العمرى: وصف أفريقية ص ٤٦، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٧ كذلك صدرت بلاد المغرب وخاصة سواحل تلمسان والسهول الغربية القمح إلى البلاد الأندلسية عبر ميناء المرية، انظر الإدريسى: نزهة المشتاق طبعة دوزى ص ٧١، ص ٧٣ ـ ص ٧٤، ص ٨٠، ص ٨٣، ص ١٠٠، الاستبصار: تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ص؟ التادلى (أبو يعقوب يوسف بن يس بن عيسى): التشوف إلى رجال التصوف ص؟.

(٢) «حيث يذكر المقرى أن التمر معدوم فى البلاد الأندلسية» المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٦٦.

(٣) البكرى: ص ٢٠، ابن حوقل: صورة الأرض ص ٧٣.

البكرى: أبو عبيد بن عبد العزيز، المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب تحقيق دى سيلان ط ٢ باريس ص ٢٠، كذلك كان الزيت يأتى إلى إقليم غرناطة من أشبيلية أيضًا» خاصة فى العصر الموحدى انظر الإدريسى: نزهة المشتاق (ط.د) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٨ طبعة ١٩٦٧ تحقيق إحسان عباس.

(٤) العذرى: جغرافيا الأندلس ص ٢٠، ص ١ تحقيق عبد العزيز الأهوانى مدريد ١٩٦٥ معهد الدراسات الإسلامية مدريد.

(٥) الإدريسى: نزهة المشتاق (طبعة دوزى) ص ١٢٥، الزهرى: كتاب الجغرافيا ص ١٠٨، ص ١٠٩.

(٦) الإدريسى: المصدر السابق ص ٦، مجهول: الاستبصار ص ٢١٥، ص ٢١٦.

فاتخذ الخليـفة عبد المؤمن بن على قراره بـمنع التبادل التجارى مع مالقـة وقطع العلاقات التجارية بين بلاد المـغرب ومالقة[١]، وظلت تلك العـلاقات مقـطوعة بين بلاد المـغرب ومالقة إلى أن دخلت فى طاعة الموحدين ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م.

(١) مجهول: مجموعة رسائل موحدية ص ١٠، ص ١١ تحقيق ليفى بروفنسال.

النظام المالى

السياسة المالية المتغيرة

كان للنظام المالى دور بارز فى استقرار الحياة الاقتصادية ورفع مستوى الإنتاج فى إقليم غرناطة.

وقد حرص المرابطون فى أول الأمر على تنظيم الشئون المالية ومن الخطوات الأولى للمرابطين فى هذا الشأن بناء يوسف بن تاشفين قصبة صغيرة لخزن الأموال والسلاح بمراكش[١].

ومع اتساع رقعة الدولة المرابطية واتساع أعمالها، عمل يوسف بن تاشفين على تنظيم الدواوين[٢] «فدون يوسف الدواوين ورتب الأجناد وطاعته البلاد»[٣] هذا وقد التزم المرابطون فى بدء عهدهم «بأحكام الشرع ولم يفرضوا إلا ما جاء به الكتاب والسنة»[٤] وألغوا ما عدا ذلك من الضرائب[٥].

فعندما دخل يوسف بن تاشفين غرناطة «أمر بكتب الصكوك ورفع القبالات والخراج إلا زكاة العين وصدقة الماشية وعشر الزرع»[٦].

(١) ابن القاضى: جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، القسم الثانى ص ٥٤٦ الطبعة الثانية طبعة دار، ص ٣٤٣ طبعة حجر فاس سنة ١٢٠٩ هـ المنصور للطباعة والوراقة، الرباط سنة ١٩٧٤ م، ابن عذارى جـ ٤.

(٢) ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٣.

(٣) ابن عذارى: نفس المصدر جـ ٤ نفس الصفحة.

(٤) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٣٧، انظر البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٦٤، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤٠٤ ـ ص ٤٠٨، ص ٤٠٩.

(٥) عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله ص ٢١٠ تحقيق ليفى بروفنسال ١٩٥٥

Lane - Poole - The Moorish Spain P. 179

G. F.P. Hopkins, Medieval Muslim, p. 41.

حسن أحمد محمود: المرجع السابق نفس الصفحات.

(٦) عبد الله بن بلقين: المصدر السابق ص ٢١٠ «وهى الزكاة والأعشار وجزية أهل الذمة وأخماس غنائم المشركين» انظر ابن أبى زرع الأنيس المطرب ص ١٣٧ طبعة دار المنصور، عبد الله بن بلقين: المصدر ص ١٢٧، عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين والموحدين القسم الأول ص ٤١٠.

فقبل مجيء المرابطين كانت بلاد الأندلس تحفل بأنواع عديدة من الضرائب الجائرة[١]، فكان ملوك الطوائف فى البلاد الأندلسية يفرضون على الناس المعونة[٢]، وفى ذلك يقول ابن حزم «فإنما هى جزية على رءوس المسلمين بالقطيع ويؤدونها مشاهرة وضريبة على أموالهم»[٣].

ويذكر حسن أحمد محمود أن هذه الضرائب كانت وقتية يفرضها العامل متى شاء[٤]، كذلك كانت المكوس تفرض على التجارة المارة من مدينة إلى مدينة ومن إقليم إلى إقليم[٥].

هذا بالإضافة إلى القبالات[٦] التى كانت شر أنواع الضرائب وكان المتقبل شر جباة الناس[٧].

---

(١) عبد الله بن بلقين: التبيان ص٧٦، ص٧٧، ابن حزم: الرد على ابن النغريلة ص١٧٣، ص١٧٦.

(٢) المعونة: هى فى الأصل ضريبة يفرضها الأمير على رعاياه للقيام بواجب الجهاد إذا كان بيت المال خاليًا من الأموال، انظر ابن حزم: الرد على ابن النغريلة ص ١٧٦، انظر عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى ص ١٦٨، حسن أحمد محمود قيام: دولة المرابطين ص ٤٠٨، هذا وقد أوكل ملوك الطوائف جباية الضرائب الجائرة هذه إلى أهل الذمة من النصارى واليهود الذين تعسفوا فى جباية الضرائب «انظر ابن الكردبوس الاكتفاء» حيث يذكر أن ملوك الطوائف أوكلوا أمور المسلمين إلى اليهود، فعاثوا فيها عيث الأسود «الاكتفاء ص ٧٨، وخاصة فى غرناطة حيث ظلموا وتسلطوا على الرعايا من المسلمين أهل غرناطة، ابن بسام» انظر الذخيرة ق ٢ جـ ١ ص ٢٧٨ وما بعدها، ابن عذارى البيان المغرب جـ ٤ قسم ٣ ص ٢٦٤، ابن سعيد: جـ ٢ ص ١١٤، عبد الله بن بلقين: نفس المصدر ص ٥٤، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، طبعة ليفى بروفنسال ص ٢٣، ص ٢٣٠، المقرى: نفح الطيب جـ ٤ ص ٣٢٢.

(٣) ابن حزم: نفس المصدر ص ١٧٦.

(٤) عبد الله بن بلقين ص ٧٦ ـ ص ٧٧، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤٠٨.

(٥) «كان المكس يستعمل كضريبة على التجارة وكانت مثل هذه المكوس يتضرر منها الفلاحون حيث كان إنتاجهم يباع فى الأسواق» انظر ابن خلدون: العبر جـ ١ ص ٢٧٩.

(٦) القبالة: هى فى الأصل ضريبة تدفع لبيت المال وقد أطلق استعمال هذا اللفظ على القبالات الزائدة على ما يقضى به الشرع وكانت هذه الكلمة تستخدم فى المغرب والأندلس للدلالة على الضرائب التى كان يؤديها أهل الحرف أو بائعو الرئيسية، انظر ابن القطان، نظم الجمان: تحقيق محمود على مكى ص ١٥٦.

(٧) «كان ملوك الطوائف يفرضون قبالات على كل ما يباع فى الأسواق ويشتطون فى جمعها حتى ضاق الناس ذرعًا بهذه القبالات (الضرائب)» انظر ابن حزم: الرد على ابن النغريلة ص ١٧٦، ص ١٧٧، ولذلك اعتبر ابن عبدون المتقبلين شر جباة الناس، انظر ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٣٠ ـ ص ٣٢.

فلما فتح المرابطون الأندلس أبطلوا كافة المكوس المفروضة على التجارة الصادرة والواردة وكذلك القبالات المفروضة على الأسواق داخل المدن الأندلسية[١] يقول ابن أبى زرع «ولم يجر فى عملهم طوال أيامهم (أى المرابطين) رسم مكس ولا معونة ولا خراج فى بادية أو حاضرة ولم يكن فى عمل بلادهم خراج ولا معونة ولا تقسيط ولا توظيف من الوظائف المخزنية حاشا الزكاة والعشور»[٢]

وبذلك التزم المرابطون بحكم الشرع فأخذوا الزكاة والعشر وخمس الغنائم وجزية أهل الذمة[٣].

غير أن هذه الضرائب الشرعية لم تعد تفى بالتزامات الدولة العسكرية فى الأندلس، خصوصًا فى عهد الأمير على بن يوسف بن تاشفين، فقد احتدمت معركة الجهاد فى الأندلس[٤] وتفجرت ثورة ابن تومرت[٥]، واضطرت الدولة إلى التصدى لهذه الثورات

---

(١) ابن القاضى: جزوة الاقتباس ص ٣٤٢، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٠٨ طبعة ١٩٤٩ عبد الله بن بلقين: التبيان ص ١١٩ ـ ص ١٢٠، ص ٣٤٠ ـ ص ٣٤١.

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٦٧ «العشر ـ هو زكاة المحاصيل والثمار» عن ذلك انظر الونشريشى: المعيار المغرب جـ ٥ ص ٢١٣، جـ ٧ ص ٤٥.

(٣) ابن القاضى: جذوة الاقتباس ص ٣٤٢، عبد الله بن بلقين: التبيان ص ١٢٧، الكبرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية ص ١٦٤، عنان: دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين والموحدين القسم الأول ص ٤٢٠.

(٤) ابن عذارى: التبيان المغرب جـ ٤ ص ٥٢، يذكر ابن عذارى «وفى سنة ثلاثة وخمسمائة تحرك أمير المسلمين على بن يوسف من مراكش إلى الأندلس برسم الغزو والجهاد وفتح مدينة طلبيرة وذلك أنه لما تمهدت المملكة لعلى بن يوسف ببلاد المغرب، تحرك إلى الأندلس فأجاز البحر وتيمم أغرناطة وتلوم بها ريثما أجازت العساكر العدوية والحشود والمطوعات وتأهبت الجيوش الأندلسية» ابن عذارى: نفس الجزء والصفحة: انظر أيضا بن القطان: نظم الجمان ص ١٣ وما بعدها، السلاوى: الاستقصا ٣ ص ٦٦، ص ١٠٩ ـ ص ١١٣.

المراكشى: المعجب ص ٢٣٥، عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية ص ٩١ سنه ١٩٦٩، المغرب الكبير ص ٧٤١.

(٥) ابن أبى زرع: نفس المصدر ص ١٦٥، ص ١٦٦، ص ١٦٧، ابن عذارى: نفس المصدر: جـ ٤ ص ١٠٣.

بالإضافة إلى أعمال البناء والتعمير التى قام بها المرابطون مما استلزم كثيرا من الأموال[١]، فيذكر ابن عذارى فى أخبار عام ٥١٩ هـ أنه «صدر حد فى التعتيب البلد «أى غرناطة» وقلد ذلك من وقع الاتفاق عليه من قاضى القطر أبى القاسم بن ورد وصاحب المستخلص أبى على بن هدية وقدم لقبض المعتب رجل من بنى نجبة لم يكن من الحزمة ولا من الخدمة فمزق المال كل ممزق، وعاش فيها كل ممخرق، وزم يناله جميع البنائين، وشد على الناس فى دفع المال، فكانت الآلات متمكنة والموردة متصلة»[٢] هذا بالإضافة إلى تقلص أراضى الدولة من الملكيات العامة[٣]، ثم عيشة الترف التى بدأت تدب فى حياة الدولة المرابطية[٤]، فمنذ واقعة أقليش (٥٠١ هـ / ١١٠٨ م) قلت غنائم المرابطين واشتدت سيطرة النساء المرابطيات على الأموال[٥]، يقول المراكشى «واستولت النساء على الأموال وأسندت إليهم (كذا) الأمور، وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد شرير وقاطع سبيل وصاحب خمر ومأخور»[٦] فقلت الجباية وكثرت الضرائب على الشعبين المغربى والأندلسى فى كلتا العدوتين[٧]، يقول ابن عذارى: «وكان على بن يوسف فى آخر أمره امتنع الأعطاء لأجناده حتى رجع أكثرهم يكرون دوابهم»[٨].

---

(١) ابن عذارى: البيان جـ ٤ ص ٧٧، ابن المؤقت: السعادة الأبدية جـ ١ ص ١٤، انظر محمد الشطيبى المغربى: كتاب الجمان فى أخبار الزمان ورقة ٢١٠ مخطوط رقم ١٤١٦ دار الكتب المصرية، انظر ابن القطان نظم الجمان ص ١٩١، شعيرة: المرابطون ص ١٥٢.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٧٣، انظر عن زيادة نفقات البناء والتعمير فى عهد المرابطين، ابن المؤقت: السعادة الأبدية جـ ١ ص ١٤، انظر محمد الشطيبى: كتاب الجمان فى أخبار الزمان ورقة ٢١٠ مخطوط دار الكتب المصرية.

(٣) عن تقلص أراضى الدولة من الملكيات العامة انظر فصل الزراعة من الرسالة.

(٤) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٦٧ «كانت أيامهم أيام دعة ورفاهية» المصدر السابق، نفسى الصفحة، انظر أيضًا احسان عباس: الجانب السياسى من رحلة ابن العربى إلى المشرق «مجلة الأبحاث: الجامعة الامريكية بيروت ١٩٦٣ جـ ١٦ ص ٣٢٠، انظر أيضا جوليان: تاريخ أفريقية ص ٧٥ ترجمة طلعت عوض، على محمود: تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى ص ٢٨٤.

(٥) المراكشى: المعجب، ص ٢٤١.

(٦) المراكشى: نفس المصدر والصفحة.

(٧) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ قسم ٣ طبعة تطوان ص ١٣.

(٨) ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤ ص ١٠٢.

فلما قامت الدولة الموحدية، حرص الخليفة عبد المؤمن بن على فى أول الأمر على إلغاء الرسوم والضرائب التى تخالف الشرع والتى فرضها المرابطون[(١)] «وفرضوا على الناس ما لم يوجبه الشرع[(٢)]»

وصدرت الرسائل الرسمية تعبر عن رفض الخليفة لكل أنواع الضرائب والمكوس والقبالات التى فرضها المرابطون[(٣)] ومن هذه الرسائل الرسالة الصادرة من تينمل فى السادس عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وهى موجهة إلى جميع الطلبة بالأندلس ومن صحبهم من الأشياخ والأعيان وقد جاء فيها: «ولقد ذكر لنا فى أمر المغارم والمكوس والقبالات وتحجير المراسى وغيرها ما رأيناه أنه أعظم الكبائر جرمًا وإفكًا وأدناها إلى تولاها رمادًا وهلكًا»[(٤)].

هذا، وقد ركز الخليفة عبد المؤمن بن على فى رسائله على أن من دخل فى طاعة الموحدين لا يطالبون إلا بما توجبه السنة وتطلبه «ولا يلزمون - معاذ الله - مكسبا ولا مغرما ولا قبالة ولا سيما مما تسميه الظلمة بأسمائها وتلقبه»[(٥)].

حتى إذا جاءت سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م فرض الخليفة عبد المؤمن بن على الخراج[(٦)] على الأرض، فقام بمسح شامل للأراضى الزراعية وأسقط ثلث المساحة فى

---

(١) ابن القطان: نظم الجمان ص ١٥٦ - ص ١٥٨.

S. P. Scott, History of Moorish, Empire; P. 302.

G.F.P. Hopkins, Medieval Muslim, P.; 43.

(٢) تعاليق ابن تومرت، لأبى عبد الله محمد بن تومرت تحقيق غولد تسهير الجزائر ١٩٠٣ (أعز ما يطلب) ص ٢٦١.

(٣) راجع رسالة العدل فى نظم الجمان لابن القطان ص ١٥٦ - ص ١٥٨، مجموعة رسائل موحدية لمؤلف مجهول ص ٢١ - ص ٢٢.

(٤) ابن القطان: نظم الجمان ص ١٥٦، ص ١٥٧.

(٥) ابن القطان: المصدر السابق ص ١٥٦، ص ١٥٧، البيذق: أخبار المهدى وابتداء دولة الموحدين، تحقيق ليفى بروفنسال باريس ١٩٢٨ ص ١٤٠، انظر أيضًا: مجهول: مجموعة رسائل موحدية ص ٢١ - ص ٢٢ تحقيق ليفى بروفنسال.

(٦) الخراج «هو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عليها» انظر الماوردى: الأحكام السلطانية ص ١٤٦، عن الخراج انظر دائرة المعارف الإسلامية مادة خراج: انظر: ضياء الدين الريس، الخراج ص؟.

مقابل الجبال والأنهار والطرقات وفرض الخراج على ما تبقى من الأرض[1]، يقول ابن أبى زرع: «وفى هذه السنة أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد أفريقية والمغرب وكسرها من بلاد افريقية من برقة إلى بلاد نول من السوس الأقصى بالفراسخ والأميال طولاً وعرضًا فأسقط من الثلث فى الجبال والشعراء والأنهار والسباخ والطرقات والحزون، وما بقى قسط عليه الخراج وألزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق، فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب[2]».

ويبدو أن صاحب روض القرطاس قد خلط بين فرض الخراج وطريقة جبايته، إذ أن المصادر لا تذكر أن خراجًا قد فرض فى هذه الفترة بل توضح أن عبد المؤمن بن على واجه أزمة مالية سببها خيانة العمال المشرفين على الجباية[3]، كما يبدو أن الخراج لم يفرض فى عهد الخليفة عبد المؤمن بن على بل كان مفروضًا منذ عصر المرابطين، فالمراكشى يذكر أن الخراج كان يجبى فى أيام على بن يوسف[4]، يقول المراكشى «وأمير المسلمين فى ذلك كله يتزايد تغافله ويقوى ضعفه، وقنع باسم إمرة المسلمين، وبما يرفع إليه من الخراج»[5].

وعلى هذا نجد أن الحكومة الموحدية قد التزمت أحكام الشرع فى شأن الجباية والاقتصار فى ذلك على ما يجيزه الشرع من الزكوات والأعشار[6]، كما سبق أن ذكرت

---

(١) ابن أبى دينار القيروانى: المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس طبعة ١ تونس ١٢٨٦ هـ ص ١١٢، السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ١٢٥.

Julien, Historie du L'Afrique, P. 111 - 112.

Terrasse, Historie du Moroce, P. 311 - 312.

J.F, P. Hopkins; Medieval Muslim Government of Barbary until the six century of the Hijra, P. 34 - 35 London 1958.

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٩٨ ـ ص ١٩٩، طبعة دار المنصور، عن ذلك انظر: السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ١٢٥، يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس جـ ٢ ص ٥٧، ص ٢٤٧، عنان: عصر المرابطين والموحدين جـ ١ ص ٣٧٧، Huici; M. Historia, - 1 -, P. 193.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ٤٤.

(٤) المراكشى: المعجب فى أخبار المغرب ص ٢٤١.

(٥) المراكشى: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٦) مجهول: رسائل موحدية، ص ٢١، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٢٦، ص ١٢٧، ص

ولكن هذه العهود الرسمية التى كانت تستند فى جوهرها إلى تعاليم ابن تومرت ودعايته ضد الدولة المرابطية[١] فيما جرت عليه من فرض الضرائب غير الشرعية، لم تكن كما يذكر محمد عبد الله عنان سوى شعار مؤقت تستظل به الدولة الموحدية فى بداية عهدها، ذلك أنه لما توطدت دعائم الدولة الموحدية الجديدة، واتسع نطاق مسئولياتها المدنية والعسكرية، سواء فى المغرب أو الأندلس، كان من الواضح أن الاقتصار على تحصيل الفروض الشرعية فى شئون الجباية لا يمكن أن يفى بما تتطلبه نفقات الدولة، أو نفقات الجيش الموحدى فى المغرب والأندلس ومن ثم فقد اضطرت الدولة الموحدية إلى البحث عن موارد جديدة، لزيادة مواردها وتغطية نفقاتها[٢]، فكان مما فعله عبد المؤمن بن على فى ذلك قيامه بمسح بلاد أفريقية والمغرب وإسقاط مقدار الثلث من مساحتها، مقابل الجبال والأنهار والطرقات وفرض الخراج على ما تبقى بعد ذلك وألزم كل قبيلة أن تؤدى قسطها من الزرع والمال[٣].

هذا ولم يتخذ الخليفة عبد المؤمن بن على هذا الإجراء إلا بعد أن استقرت الأوضاع فى البلاد وصار له من القوة بحيث يفرض ما شاء من أنواع الضرائب ولذا لم يتخذ هذه الخطوة إلا سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م بعد سقوط دولة المرابطين بأربعة عشر عامًا، وتمكن سلطانه فى البلاد وصار لا ينازعه أحد[٤] ومن ثم فرض الخراج، وأصبح هذا الإجراء قاعدة سار عليها خلفاء الموحدين من بعده وأصبح من المصادر الثابتة لجباية الأموال مثل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن[٥] «كان جماعًا مناعًا ضابطًا لخراج مملكته»[٦] وكذلك الخليفة المنصور الموحدى الذى سار على نفس سياسة أبيه وجده فى جباية الأموال[٧].

---

(١) مجهول: رسائل موحدية ص ٢١ ـ ص ٢٢.

(٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس قسم أول عصر المرابطين والموحدين، ص ٣٧٧، قسم ثانى، ص ٦٢٤ ـ ص ٦٢٥.

(٣) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٩٨ ـ ص ١٩٩، السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ١٢٥.

(٤) حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس ص ١٩٧ ـ ص ١٩٨.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٦ ص ١٣٠.

(٦) ابن خلكان: المصدر السابق جـ ٦ نفس الصفحة.

(٧) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ٩ ص ١٩٥.

معنى هذا أن دولة المرابطين والموحدين كانت تلغى كافة الضرائب التى كانت سائدة قبل قيامها معتمدة على ما أجازه الكتاب والسنة ومع اتساع الدولة وزيادة نفقاتها تبدأ فى فرض ضرائب جديدة وتضع لها من المسميات ما شاءت وهذا يتفق ورأى المؤرخ ابن خلدون إذ يذكر «أن الدولة سواء قامت على سن العصبية أو الدين تكون قليلة الضرائب كثيرة الجباية فى أول عهدها، لأن الرعايا ينشطون للعمل فيكثر الاعتمار، وعندما تنتقل الدولة إلى الترف تكثر الضرائب، فيثقل ذلك على الناس، فيقل الاعتمار وتنقص الجباية ولا يكون ذلك إلا تدريجيا فإن أقوى الأسباب فى الاعتمار تقليل الضرائب على المعتمرين ما أمكن»[١].

مصادر دخل الدولة

اذن أصبحت مصادر المال للدولة هى الزكاة والخراج والعشور[٢] وجزية أهل الذمة[٣] بالإضافة إلى الغنيمة والمصادرات.

الزكاة

من المعروف أن أهم واردات الدولة الإسلامية هى الزكاة[٤]، فهى ركن من أركان الدين لذلك اتخذ ولاة الأمر من المرابطين والموحدين الزكاة مصدراً من مصادر الدخل للدولة، فابن ياسين منذ اللحظة الأولى التى فرض فيها سلطانه على بعض المناطق الجنوبية بالمغرب ألغى الضرائب والمكوس السابقة وفرض الزكاة مستنداً فى ذلك إلى

(١) ابن خلدون: المقدمة (العبر) جـ ١ ص ٢٧٩ ـ ص ٢٨٠.

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٢٦، ص ١٦٧، مجهول: رسائل موحدية ص ٢١ ـ ص ٢٢.

(٣) وهى ضريبة موضوعة على رءوس أهل الكتاب الذين يتمتعون بالأمن والحماية فى ظل الحكومة الإسلامية، انظر الماوردى: الأحكام السلطانية ص ١٤٢ ـ ص ١٤٤، صبحى الصالح: النظم الإسلامية ص ٣٦٣، الريس: الخراج والنظم المالية ص ١٢٢.

(٤) هى أول ضريبة إسلامية فرضت على الأغنياء والقادرين وكانت فى أول الأمر اختيارية غير محدودة الأنصبة والمقادير ثم أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يأخذها من أموال الأغنياء ليردها على الفقراء بمقتضى قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ سورة التوبة آية ١٠٣ انظر صبحى الصالح ص ٣٥٣.

الشرع[١]، وسار على نهـجه أمـراء المرابطين الذين جـاءوا بعده، فعندمـا دخل يوسف بن تاشفين غرناطة، أبطل الضرائب والقبالات والخراج وألزم أهل غرناطة «بزكاة العين وصدقة الماشية وعشر الزرع»[٢].

فلما قامت الدولة الموحدية كانت الزكاة أيضًـا من المصادر المالية التى لجأ إليها ولاة الأمر وحرصـوا عليها باعـتبارها من الأمور الدينيـة الواجب تنفيذها، واعتـبر الخليفـة عبد المؤمن بن على مانع الزكاة كمن منع كل الفرائض وهو يستحق الحرب والنكال[٣].

أما أصناف المـال التى تؤخذ منهـا الزكاة فـهى زكاة على الأموال وزكـاة على الذهب والفضة والركاز وزكاة على الزرع والثمار وزكاة على المواشى والأنعام[٤].

ويشترط لإخراج الزكاة شرطان:

ملك النصاب الذى يختلف باختلاف هذه الأنواع المذكورة ومرور عام على الأقل على ملكية هذه الأشياء[٥].

أما مقادير الزكـاة، فقد حددها القاضى عياض، على هذا الـنحو، زكاة النقد (الذهب والفضة) وتجب الزكاة فيها إذا بلغا النصاب، فنصاب الذهب عشرون مثقالاً ونصاب الفضة عشرون مثقالاً، أمـا زكاة عروض التجارة وفيها ربع العشر بشرط أن تبلغ قـيمتها نصابًا من الذهب أو الفضة وأن يحول عليها الحول، والمعدن والركاز وما كان من ركاز أرض الحرب ففيه خُمس وما كان من أرض سلم ففـيه الزكاة، وزكاة الزرع أو الثمار وحكم ذاتها هو أنه

---

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٢٦ طبعـة دار المنصور «فكان كل من أقبل عليـه تائبا منهم طهره بأن يضـربه مائة سوط ثم يعلمـه القرآن وشرائع الإسـلام ويأمره بالصلاة والزكـاة وإخراج العشر» انظر ابن أبى زرع: نفس المصدر والصفحة.

(٢) عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله ص ٢١٠ طبعة ١٩٥٥ تحقيق ليفى بروفنسـال.

(٣) مجهول: مجموعة رسائل موحدية ص ١٣٣.

(٤) القاضى عياض: الإعـلام بحدود وقواعد الإسلام ص ٦٣ تحقيق مـحمد بن تاويت الطنجى ١٩٦٤ الرباط، انظر أيضا صبحى الصالح: النظم الإسلامية ص ٣٥٥.

(٥) أبو عبد الله مـالك بن أنس: موطأ الإمام مالك ص ١١٥، القاهـرة ١٩٦٧ وانظر عن الزكاة أيضا حسن إبـراهيم حسن، النظم الإسـلاميـة ٢٧٧، ص ٢٨٠، ص ٣٥٥، ص ٣٥٦، حسن أحـمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤٠٩ هامش من ١ ـ ٥.

يجب فيهــا العشر إذا كانت خــارجة من أرض تسقى بالمطر ونصف العــشر إذا كانت أرض تسقى بالدلاء[١].

أما زكــاة السوائم وهى الإبــل والغنم فأول نصــاب خمس وفيــها شــاة وهكذا فى كل خمس، شاة[٢].

الجزية

كــان للمــرابطين مــواقف خاصــة من أهل الكتــاب ومن هذه المــواقف تشــددهم فى معــاملتهم وقد ظهر ذلك حــين فرض يوسف بن تاشفــين على يهود قرية إليــسانة[٣] مبالغ طائلة[٤]، يقول ابن عذارى: «وفيها أى سنة ٤٦٤ هـ افتــرض على اليهود فريضة ثقيلة فى جميع طاعــته، اجتــمع له فــيهــا مائة ألف دينار عــشرية ونيف على ثلاثمــائة عشــر ألف دينار»[٥].

الغنيمة[٦]

شكلت الغنيمــة مصدراً هامّــا من مصادر الدخل للدولة نظرا للمــعارك المستــمرة التى خاضها ولاة الأمر من المرابطين والموحدين ضد نصارى الأندلس[٧] وقد طبق عبد الله بن ياسين أحكام القرآن والسنة بشــأن الغنائم فحين استولى المرابطون على ســجلماسة ودرعة يقول ابن أبى زرع: «فأخــذ عبد الله بن ياسين أموالهم ودوابهم وأســلحتهم مع الإبل التى

---

(١) القاضى عياض: المصدر السابق ص ٦٣ ـ ص ٦٤.

(٢) القاضى عياض: الإعلام بحدود وقواعد الإسلام، ص ٦٣ ـ ص ٦٤.

(٣) إليــسانة قرية تقع شمال غــرب لوشة بولاية غرناطة، عن إليــسانة انظر الإدريسى: نزهة المشــتاق (وصف أفريقية) ص ٢٠٥ (ط.د).

(٤) مجهــول: الحلل الموشية: تحــقيق عبد القادر زمــامة ص ٨٠، ص ٨١ انظر عن ذلك عنان دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين قسم ١ ص ٤٢٠.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٥٣ تحقيق إحسان عباس.

(٦) الغنيمة مال من أمــوال الكفار ظفر به المؤمنون على وجه الغلبة والــقهر، انظر الماوردى: الأحكام السلطانية ص ١٢١ وانظر صبحى الصالح: النظم الإســلامية ص ٣٦٦ ومعناها الاصطلاحى الفوز بالشىء انظر القاموس المحيط باب الميم فصل الغين مادة غنم.

(٧) عن حروب المرابطين ضد نصارى أسبانيا انظر الباب الأول من الرسالة.

أخذها فى درعة فأخرج منه خمس جميعه ففرقه فى فقهاء سجلماسة ودرعة وصلحائهم وقسم الباقى على المرابطين»(١).

وعندما فتح المرابطون الأندلس أحرزوا النصر على النصارى فى معارك كثيرة وعلى رأسها الزلاقة(٢).

ولما قضى المرابطون على ملوك الطوائف استولى المرابطون على أموالهم وغنموا الكثير كما فعلوا فى غرناطة بعد استسلام أهلها(٣).

حتى إذا قضى الموحدون على المرابطين وسقطت مراكش استولى الخليفة عبد المؤمن بن على عليها وجعلها غنيمة للموحدين(٤)، ثم واصل عبد المؤمن بن على انتصاراته العسكرية فاستولى على أموال ضخمة من الغنائم التى حصل عليها من حروبه فى الأندلس، فعند انتصاره على ابن همشك فى غرناطة، استولى الموحدون على غنائم كثيرة فرقها الموحدون على أنفسهم(٥).

المصادرات:

يشير ابن عذارى(٦) إلى وجود ظاهرة مصادرة الدولة لأموال عمالهم على أقاليم الدولة المختلفة، فحين أوكل المرابطون جباية الأموال إلى الجباة، اشتط هؤلاء الجباة فى أخذ الضرائب من الناس فنقموا عليهم، فأراد علي بن يوسف أن يحد من ظاهرة سوء معاملة الجباة للناس، فبدأ بمحاسبتهم فأمر بمعاقبتهم ومصادرة أموالهم، كما فعل بعامل الجباية فى غرناطة عيسى بن الوكيل(٧)، فيضيف الحميرى فى كتابه الروض المعطار «أنه كان فى

---

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٢٨ طبعة دار المنصور.

(٢) عن الزلاقة: انظر السلاوى: الاستقصا ص ٣١ - ص ٤٦، ابن أبى زرع المصدر السابق ص ١٤٥ وما بعدها.

(٣) عبد الله بن بلقين: التبيان ص ٢٠٩ - ص ٢١٠ تحقيق ليفى بروفنسال.

(٤) مجهول: الحلل الموشية ص ١٤٣ طبعة دار المنصور.

(٥) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٨٠ وما بعدها.

(٦) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٧٧، عن اشتطاط الجباة فى أخذ الجباية، انظر: ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية ص ٢٨ - ص ٣، ص ٣١.

(٧) ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤ نفس الصفحة.

الدولة اللمتونية فحكى أنه انكسر عليه مال جليل يبلغ عشرة آلاف دينار فقبض عليه وأشخص إلى مراكشى»[١].

هذا وقد يحدث أن تصادر الخلافة أموال أحد العمال ثم تكتشف ظلم هذا الإجراء فترد له أمواله وهذا ما حدث لمحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف من أهل قلعة يحصب من إقليم غرناطة، وقد تولى عدة أعمال للموحدين[٢] يقول المقرى: «وكان محمد ابن عبد الملك بن سعيد وزيراً جليلاً، بعيد الصيت عالى الذكر رفيع الهمة، كثير الأموال... وولى للموحدين أعمالاً كثيرة بمراكشي وسلا وأشبيلية وغرناطة واتصلت ولايته على أعمال وكان من شيوخها وأعيانها وكتب عليه عقد أن فى داره من الحلى وأصنافه ما لا يمكن إلا فى دار الملك... فأمر المنصور بالقبض عليه وعلى ابن عمه صاحب أعمال أفريقية أبى الحسين سنة ٥٩٣ هـ، ثم رضى عنهما وأمر محمد بن عبد الملك أن يكتب بخطه كل ما أخذ له، فصرفه عليه ولم ينقص منه شيا (كذا)، وغرم له ما فات منه)[٣].

النفقات

تعددت أوجه الإنفاق فى بلاد المغرب والأندلس فى ظل دولتى المرابطين والموحدين ومن هذه النفقات: نفقات الجيش، المرتبات، نفقات البناء والتعمير، ثم المنح والهدايا سواء أموال أو إقطاعات من الأراضى الزراعية.

نفقات الجيش

كان الجيش هو أهم أجهزة الدولة المرابطية، ودعامتها الأولى، وعلى الرغم من انضواء تلك الدولة تحت لواء الدعوة الدينية الإصلاحية[٤] التى نظمها عبد الله بن ياسين،

---

(١) الحميرى: الروض المعطار ص ١٩٧.

(٢) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب جـ ٢ ص ١٦٢، المراكشى (عباس بن إبراهيم) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ٨ أجزاء، جـ ٣ طبعة ١ سنة ١٩٦٣ ص ٤٠، ص ٤١، المقرى: نفح الطيب جـ ٢ ص ٣٣٥.

(٣) المقرى: نفح الطيب جـ ٢ ص ٣٣٥ ـ ص ٣٣٦.

(٤) انظر الباب الأول من الرسالة.

إلا أنها كانت دولة عسكرية نشأت فى مهاد المعارك سواء التى اضطرمت بين المرابطين أنفسهم وبين القبائل المغربية الأخرى أو التى اضطرمت بين المرابطين أيضًا وبين نصارى أسبانيا فى الأندلس واستطاعت تلك الدولة أن تبسط سلطانها على بلاد المغرب والأندلس، وأن تقيم الدولة المرابطية الكبرى[١].

واستطاعوا رفع راية الإسلام فى بلاد المغرب والأندلس وظلت هذه الجيوش تجاهد أعداء الإسلام من غير كلل ولا ملل، فسجل لها التاريخ أمجاداً عسكرية كبيرة، وقد نوه بشجاعة ومقدرة جيش المرابطين الجغرافى المؤرخ أبو عبيد البكرى، فقال: «ولهم فى قتالهم شدة وجلد ليست لغيرهم وهم يختارون الموت على الانهزام ولا يحفظ لهم فرار من زحف»[٢].

هذا وقد بذل يوسف بن تاشفين فى تنظيم الجيش المرابطى جهوداً عظيمة، حتى غدا جيشًا قويًا، مرهوب الجانب فاشترى الأنواع المختلفة من الأسلحة ليدعم بها الجيش المرابطى، يقول صاحب الحلل الموشية «وفى سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م بعث إلى الأندلس بأموال كثيرة ليشترى ما يلزمه من أنواع السلاح المختلفة»[٣].

وكانت قوة الجيش المرابطى تتكون من الفرسان، وقد بلغت فى عهد يوسف نحو مائة ألف فارس من مختلف القبائل[٤] كما أنشأ يوسف بن تاشفين فضلاً عن ذلك حرسه الخاص الأسود من عبيد الصحراء من غانة وكانوا حوالى ألفى مقاتل زودوا بأجود الأسلحة[٥]، كما أنشأ يوسف قوة كبيرة خاصة من فرسان جزولة ولمطة وزنانة سميت بالحشم[٦]، هذا بالإضافة إلى الجند الروم[٧].

(١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين والموحدين القسم الأول ص ٤١٧.

(٢) ابو عبيد البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، ص ١٦٦.

(٣) مجهول: الحلل الموشية ص ٢٢ طبعة علوشى.

(٤) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ٨٩ طبعة أبسالة ١٨٤٣.

(٥) مجهول: المصدر السابق ص ١٣.

(٦) مجهول: نفس المصدر ص ٢٠.

(٧) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٩٨.

وكان مرتب الجندى كما يقول صاحب الحلل الموشية خمسة دنانير فى الشهر[١]، كما كانت الدولة تكافئ الجنود بإقطاعات واسعة يستثمرونها ويتصرفون فى غلتها[٢].

وقد تابع الأمير على بن يوسف سياسة أبيه فى مواصلة الجهاد فى الأندلس، يقول صاحب الحلل الموشية: «ولم يزل أمير المسلمين على بن يوسف يوالى الحروب على أصحاب المهدى من كل جانب ويبعث لمحاربتهم الجيوش والكتائب... وينفق عليهم بيوت الأموال رجاء دفع دائم دائهم العضال فدامت أكثر مدته فى حروب معهم وكروب»[٣].

ولم ينس المرابطون أهمية الأسطول، ولا سيما منذ افتتحوا الأندلس، وغدت الأندلس ولاية تابعة للمغرب، فكانت لهم أساطيل فى سبتة وقادس والمرية، أشار ابن خلدون إلى أهمية أسطول المرابطين بقوله «وكان الجانب الغربى من هذا البحر لهذا العهد - أى عهد المرابطين - موفور الأساطيل ثابت القوة لم يتحيفه عدو ولا كانت لهم به كرة»[٤].

وعندما قامت الدولة الموحدية أولت الجيش والأسطول اهتمامًا كبيرًا فهو درعها الواقى ضد أطماع نصارى أسبانيا وهو هيبتها أمام القبائل المغربية فى بلاد المغرب، ولذا أولت الجيش اهتمامًا خاصًا واستلزم ذلك بذل الكثير من الأموال التى تنفق عليه وكانت شئون الجيش توكل إلى ديوانين أو وزارتين، الأول هو ديوان العسكر ويشرف على كل ما يتعلق بشئون الجيش[٥]، والثانى هو ديوان التمييز[٦] ومهمته اختيار الصفوة من الجند وكان

---

(١) مجهول: المصدر السابق ص ٨٢.

(٢) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤١٢، انظر: الطرطوشى: سراج الملوك ص ١٢٣.

(٣) مجهول: الحلل الموشية ص ٨١، ص ٨٢.

(٤) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٥٥.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ١١٤، انظر عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس ص ٦٣٨ العصر الموحدى (القسم الثانى).

(٦) كان يتولى ديوان التمييز كاتب يسمى صاحب ديوان التميز أو كاتب العسكرية، وكان الموحدون يلجئون إلى التمييز عند العمليات الحربية، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٤٦٥ هامش رقم (١).

يجرى التمــييز قبيل كل غزوة أو حــرب هامة، وقد أعطانا ابن صاحب الصلاة وصــفًا هامًا ودقيقًا لعملية التمييز التى قام بهــا الخليفة يوسف بن عبد المؤمن عند الاستعداد للعبور إلى الأندلس سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م، يقــول: «ولما كــانت غرة جــمادى الأخيــرة من السنة المؤرخة أمر سيــدنا الخليفة بتمييز للموحدين على عدد قــبائلهم، ومنتهى مناولهم، وتربية صفاتهم، فامتثل ذلك وتمادى تمييزهم مدة خمسة عشر يومًا، وقسم عليهم الخيل المسومة الجياد الروقة على أعدادها المذكورة، وكذلك على العرب الوافدين وأعطى للجميع الرماح والدروع، والبيض، والسيوف، وأنعم على الجميع بمــا استعد به لهذه الغزوة الحافلة، من الآلات المذكورة الكاملة، على أتم النظر المبارك حتى كمل على أتم العزم والحزم، ثم أمر لهم بإعطاء البركة عن الزاد لهذه الغزاة الملكة»(١).

وكان الخليفة يجلس بنفسه ليعاين توزيع الأموال على الجنود «وجلس أمير المسلمين ـ أى يوسف بن عبد المؤمن ـ فى مجلسه العالى وأشياخ الموحدين معه وأشياخ طلبة الحضر وأشياخ العرب وأمر وزيره أبا العلاء إدريس المذكــور أن يأمر الخزانين بإحضار الأموال بين يديه من الدنانير والدراهــم فأحضرت أمــامه وعلت أكداسًــا، وجنسها من الذهب والفــضة أجناسًا، وقدم المــوحدين فى تنفيذ البركــة لهم، فخرج للفارس الكامل منهم عــشرة دنانير ولغير الكامل ثمــانية دنانير وللراجل خمســة دنانير ولغير الكامل ثلاثة دنانيــر، وأمر للعرب ببركتهم فخرة للفارس الكامل منهم خمسة وعشرون دينارًا ولغير الكامل خمسة عشرة دينارًا والراجل سبعة دنانيــر وخرج لأشياخ العرب لكل شيخ خــمسون دينارًا، ولكل رئيس منهم على قبيلة مائتا دينار، وكسا جميــعهم بالقباطى والقمص والغفاير والعمائم»(٢) ويتضح من هذا النص مدى ضخامة الأموال والعطايا التى كانت تمنح للجيوش الموحدية بالإضافة إلى السلاح والملابس، أضف إلى ذلك المنح والعطايا التى كانت تمنح للجيوش الموحدية بعد الانتصار فى المــعارك المختلفــة، فنجد الخليفة عــبد المؤمن بن على يأمر للمــوحدين بعد انتــصارهــم على ابن همــشك أثناء غزوه لغــرناطة بالأمــوال والعطايا، يقــول ابن صــاحب الصلاة: «وأتصل فى أثر هذا الفتح العظيم نظر الخليفة أمــير المؤمنين ﷺ لمدينة غرناطة

(١) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٤٦٥ ـ ص ٤٦٦.

(٢) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٤٦٦، انظر تعريف تلك الملبوسات فى الباب الثالث.

وقصبتها سنام الأندلسى، فملأ مخازنها فى القصبة بها بالقمح والشعير والملح وآلات الحرب من الرماح والدروق والسيوف والقسى والسهام والترسة بما أبهت الناظرين، وقصر عن وصف الواصفين، وأوصل أمره العزيز ذلك كله إليها من العدوة فى المراكب فى البحر إلى حصن المنكب وانتقل جميع ذلك من المنكب إلى غرناطة وتحصل فى قصبتها مخزونًا، فحييت بعد موتها بهذا النظر الجميل والحزم الموصول، والنيل المبذول، واستنقذ من كان فيها من الموحدين من علة الحصار، وبعد الانتصار، وأجزل لهم الزيادة فى بركاتهم، والنماء لهم فى مواستهم وأنعم عليهم بالإحسان إحسانًا»[١].

وبالإضافة إلى هذه الأموال والمنح كان الموحدون يوزعون ما عرف باسم المواساة وهى غلة تفرق عليهم عند تحصيل الغلال إلى المخازن[٢] ومع المواساة ما عرف باسم الإحسان وهو مبلغ من المال وكانت المواساة والإحسان تفرق من السنة إلى السنة[٣].

وإلى جانب إعداد الجيش وتجهيزه كان الإنفاق أيضًا على الأسطول، فقد اهتم الموحدون اهتمامًا كبيرًا بالأسطول وذلك لحماية شواطئ الدولة من القرصنة ونصارى أسبانيا، وقد أشار ابن خلدون إلى ضخامة الأسطول الموحدى بقوله: «ولما استفحلت دولة الموحدين فى المائة السادسة وملكوا العدوتين أقاموا خطة هذا الأسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد»[٤].

وهكذا كان الجيش والأسطول فى دولتى المرابطين والموحدين يستنفد جزءًا كبيرًا من دخل الدولة نظرًا لضخامة الجيوش المرابطية والموحدية واهتمامهم بها.

المرتبات

شكلت المرتبات مصدرًا آخر من مصادر نفقات المرابطين والموحدين فكان المرابطون يجرون المرتبات والأرزاق على موظفى الدولة ومن هؤلاء القضاة[٥] والفقهاء يقول ابن

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ص ١٩٦.

(٢) العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقيا) ص ١٩ تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب.

(٣) العمرى: المصدر السابق ص ١٩.

(٤) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٥٥ «يذكر ابن أبى دينار القيروانى أن عدد الأسطول الموحدى وصل الى سبعمائة قطعة، انظر ابن أبى دينار: المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ص ١١٢.

(٥) النباهى: تاريخ قضاة الأندلسى ص ١٤٠، تحقيق ليفى بروفنسال.

القاضي «ورد - أي يوسف بن تاشفين - أحكام البلد إلى القضاء وأسقط ما دون الأحكام الشرعية وكان محبًا في الفقهاء والصلحاء، ومقربًا لهم صادرًا عن رأيهم وأجرى عليهم الأرزاق من بيت المال»[١].

حتى إذا قامت الدولة الموحدية تعددت أنواع المرتبات فكان هناك رجال البلاط والقضاة والفقهاء والطلبة[٢]، ويذكر القلقشندى أن أشياخ الموحدين الكبار كان لهم راتب يفرق عليهم طول السنة يسمونها البركات وكان مقدارها أربعون دينارًا[٣].

أما الطلبة وهم أبناء القبائل الذين اهتم بهم الخليفة عبد المؤمن بن على حيث أعدهم إعدادًا خاصًا لتولى شئون البلاد فقد أجرى عليهم المرتبات والأرزاق من خزانة الدولة[٤].

وقد اهتم خلفاء الموحدين بعد عبد المؤمن بطلبة الموحدين فأجروا عليهم الأرزاق والمرتبات[٥].

فقد أمر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بمراكش سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م الطلبة الذين بأشبيلية «أن يدفعوا للموحدين بأغرناطة من البركة - أى المرتبات - مثل ما أخذه أهل قرطبة»[٦].

كما يذكر ابن صاحب الصلاة ما ناله الناس فى مدة خلافة يوسف بن عبد المؤمن «ونال الناس معه فى إمارته وبعد ذلك فى خلافته من جميع الطبقات من الكتاب، والعمال والطلبة والقضاة والرعية بصلاح أحوالهم ونماء أموالهم ما لم يعقد مثلها فى زمان، حتى شبهها الطلبة وأهل التواريخ بأيام عثمان بن عفان ﵁»[٧].

---

(١) ابن القاضى: تاريخ قضاة الأندلسى ص ٤٣٢، ص ٤٣٣.
(٢) أشباخ: تاريخ الأندلسى جـ ٢ ص ٢٤٩.
(٣) القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٤٠، ص ١٤١.
(٤) انظر عبد الله عنان: دولة الإسلام، عصر المرابطين قسم ١ ص ٤٠٣.
(٥) السلاوى: الاستقصا، جـ ٢ ص ١٩٨.
(٦) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٣٧٤ طبعة سنة ١٩٧٩.
(٧) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص ٢٣٣.

نفقات البناء والتعمير:

اهتم المرابطون ثم الموحدون من بعـدهم بالإنشاء والتعمير ونال البناء والتعـمير سواء فى المغرب أو الأندلس اهتمام المرابطين والموحدين وهذه المبانى استلزمت أموالاً كثيرة، فقد اهتم المـرابطون بتسوير المدن بأسوار حـتى لا تكون عرضة لهجمات العـدو فأصلحوا أسوار المرية وغرناطة[١] وغيرهـا من المدن المغربيـة والأندلسية كذلك اهتم الـموحدون بالإنشاء والتعـمير فقد أمر الخليـفة عبد المؤمن بن على ببناء مـدينة الفتح على جبل طارق وأنفق فى سبيل ذلك الأموال الطائلة، يقول الحميرى: «وكان أحد خلفاء بنى عبد المؤمن ـ وهو عبـد المؤمن بن على ـ أمـر ببناء مدينة جبـل طارق، فندب إليها البنائـين والنجارين وقطاع الحجـر للبنيان والجيـار من كل بلدة وخطت فيه المـدينة، وقدم إليها من المـال ما يعجز كـثرة، واتخذ فيها الجـامع وقصراً له، وقصوراً تجاوره للسـادة بنيه وتولى العمل فى ذلك وسميت بمدينة الفتح»[٢] فأحكم البناءون فيه بناء من القصور والديار[٣].

أما الخليفة أبو يعـقوب يوسف فكأن مولعًا بالعمارة، محبًا لهـا فإليه يرجع الفضل فى بناء مدينة رباط الفتح، وعاقه الموت عن إتمامها فأتمها ابنه المنصور[٤].

وقد حظيت الأنـدلس باهتمام الخليـفة يوسف بن عـبد المؤمن فـفى سنة ٥٦٧ هـ / ١٧٧١ م حين توجه إلى أشبيلية قـام ببناء قصبة أشبيلية وجامعها الأكـبر وقد استقدم لذلك

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٧٠ وما بعـدها «لجأ المرابطون إلى فرض ضريبة على أهل الأندلس تسمى التعتيب وذلك لبناء أسوار جديدة للمدن وترمـيم المتهدم منها انظر المصدر السابق جـ ٤ نفس الصفحة، عبد الهادى شعيرة: المـرابطون وتاريخهم السياسى مكتبة القاهرة الحديثة ط الأولى سنة ١٩٦٩ م.

(٢) الحميرى: الروض المعطار ص ١٢١.

(٣) «تنص بعض المصادر على أنه بالإضافة إلى القصر الخاص شيد للخليفة عبد المؤمن قصور أخرى بجوار قصـر الخليفة للسادة بنـيه بالإضافة إلى الجامع الـذى تقام فيه الصلوات» انظر الحـميرى: المصدر السابق: نفس الصفحة، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٣٢.

(٤) المراكشى: المعجب ص ٣٤١.

الغرض عرفاء أهل الأندلس[١] وعرفاء مراكش وفاس وشرع فى بنائه فى سنة ٥٦٧ هـ وتم فى سنة ٥٧١ هـ ونقلت إليه الخطبة من جامع ابن عدبس فى سنة ٥٧٧ هـ[٢]، كما أمر أن تحاط هذه القصور بمساحات واسعة من الحدائق غرس فيها الزيتون والأشجار والأعناب وقد تكلف ذلك أموالاً طائلة صرفت من خزينة الدولة[٣].

وقد تميز العصر الموحدى مع ضخامة البناء وإحكام صنعته بسرعة الإنجاز فقد أنشئت مدينة جبل الفتح فى عام[٤].

نفقات متنوعة

لم تقتصر نفقات المرابطين والموحدين على النفاقات العسكرية ومرتبات موظفى الدولة فقط، بل كانت هناك أوجه أخرى للإنفاق لجأ إليها المرابطون والموحدون ومن هؤلاء الأمراء الذين استولى المرابطون ثم الموحدون على أوطانهم، فحين قضى يوسف بن تاشفين على ملوك الطوائف واستولى على غرناطة أرسل أميرها عبد الله بن بلقين إلى أغمات بالمغرب الأقصى وقام بالإنفاق عليهم، يقول الأمير عبد الله بن بلقين فى مذكراته «وأمرنا ـ أى يوسف بن تاشفين ـ بإنزال الأمير عبد الله وابن عباد وغيرهم من أمراء الأندلس ـ أن تستوطن أغمات فأتيناها ولقينا من أمير المسلمين كل جميل، وأنزلنا بداره الصغرى فى الحريم، ولم يزل يفتقدنا مع أنعامه كيف ما هيأ الله على يديه»[٥].

(١) اشتهر فى كتب التاريخ الأسبانى الحديث أن اسم المهندس الذى قام ببناء الخيرالدا بأشبيلية مجهول تمامًا، وظن البعض أن الذى اضطلع بمهمة البناء فى المسجد هو جابر بن أفلح الأشبيلى، ولكن ابن صاحب الصلاة هو شاهد عيان يكشف النقاب عن المهندس العربى الكبير الذى قام ببناء جامع أشبيلية واقامة الصومعة أنه أحمد بن باسة الذى لم نر له ذكرًا فى غير ابن صاحب الصلاة، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٥٠٩ هامش رقم ٣ عن أبن باسة انظر شكيب أرسلان: الحلل السندسية ص ٢٤٠ Melchor Antuna; Sevillay susmonumento arabes, 1930. P.p 131 - 133.

(2) Melchor .op. cit. p. 130 - 138.

(٣) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص ٤٩٦ ـ ص ٥٠١.

(٤) ابن صاحب الصلاة: نفس المصدر، نفس الصفحات، المراكشى: المعجب ص ٣٤١.

(٥) عبد الله بن بلقين: التبيان ص ١٧١.

وفى عصر الموحدين وصف المراكشى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بأنه كان جوادًا سخيًا حيث أعطى هلال بن محمد بن مردينش صاحب شرق الأندلس اثنى عشر ألف دينار فى يوم واحد[١].

كما أقطع الموحدون ابن همشك المسئولى على غرناطة سهام أى أقطاع تسكينا له[٢].

الإدارة المالية

سبق أن أشرنا إلى أن يوسف بن تاشفين دون الدواوين وذلك بعد اتساع أعمال الدولة واستقرار الأوضاع فيها يقول ابن عذارى «فدون - أى يوسف بن تاشفين - ٤٦٤ هـ الدواوين ورتب الأجناد وطاعته البلاد[٣]، وفى عهده (أى يوسف بن تاشفين) كان مستخلص[٤] البلاد الأندلسية كلها تحت نظر ديوان واحد مركزه غرناطة[٥] وفى إمارة على ابن يوسف تعددت الدواوين فأنشئ فى كل قاعدة أندلسية ديوان[٦].

أما الذين كانوا يشتغلون بالشئون المالية فهم الكتاب والجباة، فكان الكتاب يقومون بتدوين الحسابات المالية، والجباة كانوا يقومون بجبايتها، وقد ذكر كل من ابن الأثير والنويرى أن جباة الأموال فى عهد على بن يوسف كانوا من الفرنج والروم[٧].

وقد حرص الموحدون على تنظيم أعمال الجباية وحفظ الأموال، ففى ديوان الجباية كتاب فى جميع جهات الولاية الواحدة يقيدون المتحصل ويضبطونه ويرفعونه إلى الخليفة

---

(١) المراكشى: المعجب ص ٣٢٧، ص ٣٢٨.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٣٠٢، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٤١٢.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٢٣ تحقيق إحسان عباس .

(٤) المستخلص: المراد به الأملاك السلطانية الخاصة التى يرجع ريعها إلى خزانته الخاصة.

(٥) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب جـ ٢ ص ١١٧.

(٦) ابن عذارى: البيان جـ ٤ ص ٧٤.

(٧) النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ ٢٢ مجلد ٢ ص ٨٥ مخطوط، محقق جـ ٢٤ ص ٢٨٢، تحقيق حسين نصار، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ٨ ص ٢٩٦، مجهول: الحلل الموشية ص ٨٤، ص ٨٥.

فيختمه بخاتمه مما ييسر محاسبة العمال على أعمالهم فلا يتعدون على الناس وينهبون أموال الدولة وإن فعلوا عوقبوا[١].

هذا وقد سار الموحدون على سياسة مراقبة المشتغلين بالشئون المالية وذلك بعد أن اكتشف الخليفة عبد المؤمن بعض مظاهر الفساد المالى فى البلاد، فبعض الجَباة والعمال كانوا يفرضون على الناس المغارم والمكوس ويدعون أنها للمخزن وقد تعرض التجار للضرائب الباهظة من قبل عمال الجباية الذين كانوا يدعون أنها تخص الدولة «وإن من ذلك الرأى الزميم والسعى المنقوم ما ذكر لنا فى أمر المسافرين الذين يريدون الرجوع إلى أوطانهم وعمارتها والطوائف المارة على البلاد لمعنى التجارة، ينسب إليهم قوم من هؤلاء الظلمة الدخلاء الذين يضعون الغش فيما يوهمون به النصيحة ويستنبطون المكر فى تصرفاتهم القبيحة، فيقولون للرجل منهم عندك من حقوق الله كيت وكيت وإن للمخزن جميع ما به أتيت ويقرنون بهذا من الوعيد والإغلاظ الشديد ما يرضى له المذكور بالخروج عن جملة ماله، ويعتقد السلامة من ذلك الظالم الغاصب أعظم منا له وإنها لداهية عاقرة قاصمة للظهر فاقرة»[٢] وتابع الموحدون سياسة الخليفة عبد المؤمن فى محاسبة المشرفين على الأمور المالية على سوء تصرفاتهم فى النواحى المالية[٣].

وقد أطلق على من يتولى جباية الأموال اسم صاحب الأعمال فى عصر المرابطين[٤]

---

(١) ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ١٦٢، ص ٢٠٥، جـ ١ ص ٢٤٩، ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ١١٠، المقرى: نفح الطيب جـ ٢ ص ٢٣٥، ص ٢٣٦، الذيل والتكملة جـ ٤ ص ٢١٤.

(٢) ابن القطان: نظم الجمان ص ١٥٧، ص ١٥٨.

(٣) انظر محاسبة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن لعامل الجبابة فى غرناطة أبى عمر بن أفلح فى ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ١١٠، ومحاسبته يمكن لمحمد بن عبد الملك بن سعيد عاملا الجبابة أيضا فى غرناطة فى (المغرب جـ ٢ ص ١٦٢، المقرى: نفح الطيب جـ ٢ ص ٢٣٥، ص ٢٣٦).

(٤) محمود على مكى «وثائق تاريخية جديدة» ص ١٨٣ ـ ص ١٨٥.

والموحدين[١] وأحيانا أطلق عليه اسم المشرف[٢]، ويذكر ابن خلدون أن الموحدين أطلقوا على تلك الوظيفة أيضا اسم «صاحب الأشغال»[٣] وقد أشار المقرى إلى تلك الوظيفة بقوله «وصاحب الأشغال الخراجية فى الأندلس أعظم من الوزير، وأكثر أتباعا وأصحابا وأجدى منفعة، فإليه تميل الأعناق، ونحوه تحد الأكف، والأعمال مضبوطة بالشهود النظار، ومع هذا إن تأثلت حالته واغتر بكثرة البناء والاكتساب نكب وصودر، وهذا راجع إلى تقلب الأحوال وكيفية السلطان»[٤].

ومن عمال الجباية الذين تولوا الإشراف على الأموال وجباياتها فى إقليم غرناطة فى العصر المرابطى، عيسى بن الوكيل[٥] ومحمد بن سعيد الغرناطى[٦] وعبد الملك بن سعيد الغرناطى[٧] يقول ابن سعيد: «وكان مُقَدمًا عند يحيى بن غانية فى مدة الملثمين، ثم ولاه بنو عبد المؤمن أعمال أشبيلية وغرناطة وسلا»[٨] وفى مدينة المرية تولى أعمال الجباية يزيد ابن طبقلاب[٩]، وقد تولى أعمال المرية فى عهد المنصور الموحدى.

---

(١) البيذق: أخبار المهدى ص ٦٥، ص ١٠١، ابن عذارى: جـ ٤ قسم ٣ القسم الموحدى ص ١٧، ص ١٩، ص ١١٢، ص ١٤٠، ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٢٤٩، جـ ٢ ص ١٦٣، ابن الأبار الحلة السيراء ص ٢٣٥، ص ٢٣٦، المقرى: نفح الطيب جـ ٢ ص ٢٣٥، ص ٢٣٦.

(٢) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٨٢ المشرف بالأسبانية †Almojorife كان هو الذى يتوصل بكل الواجبات والحقوق اللازمة عند الإيرادات والإصدار للسلع فهو بمثابة المفتش العام للديوانية «انظر المن بالإمامة هامش ٣ ص ١٨٢ وانظر †Dozy: Recherches page 381» كان ابن دهرى صهراً لابن زيد مشرف غرناطة وقد استطاع أن يجمع حوله طائفة من اليهود المتظاهريه بالإسلام وعليهم اعتمد ابن همشك فى التآمر على غرناطة ومحاولة الإجهاز على الموحدين» انظر ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ص ١٨١ هامش (٥).

(٣) ابن خلدون: العبر جـ ١ ص ٢٤٥.

(٤) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ٢١٧.

(٥) الحميرى: الروض المعطار ص ١٩٧.

(٦) يذكر ابن سعيد أنه كان صاحب أعمال غرناطة فى مدة الملثمين، انظر عنه المقرى: نفح الطيب جـ ٣ ص ٦١ ط سنة ١٩٦٨ ـ بيروت تحقيق إحسان عباس.

(٧) المقرى: نفح الطيب جـ ٢ ص ٣٣٧ طبعة بيروت يذكر المقرى أنه كان وزيرا جليلا بعيد الصيت عالى الذكر رفيع الهمة كثير الأموال، انظر: المقرى: المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٣٥ ـ ص ٣٣٧ طبعة بيروت.

(٨) ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ١٦٣.

(٩) ابن سعيد: المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٠٦.

أما فى عـهد الناصر فـقد تولى محـمد بن عبـد الرحمن الغـرناطى أعمال الجـباية من غرناطة[١]، أما مدينة مـالقة فقد تولىَ أعمـال الجباية فيها فى عـهد الناصر الفقيـه أبو عامر محمد بن حسون[٢] وأبو على بن يبقى[٣].

وقد كـانت هذه الأموال تجـبى سنويًا، فقـد أشار ابن خلكان والنوبرى إلى أن جـباة الأموال كانوا يصعدون إلى الجبل كل عام لجباية الأموال[٤].

السكة[٥]

تسهم العملة فى إعطائنا صورة صادقة عن الأوضاع الاقتصادية والسياسية للدولة، فهى تدل على مدى قوة الدولة أو ضعفها سياسيًا واقتـصاديًا ويؤكد حسن أحمد محمود فى كتابه قيام دولة المـرابطين هذا حيث يقول «إن التجـارة الدولية فى عهد المـرابطين، بلغت شأنًا عظيـما، وازداد إقـبال أوربا على تجـارة المغـرب، وليس أدل على ذلك من شيـوع الثـقة بالدينار المرابطى[٦] حتى لـقد قيل إن الـدينار المرابطى وصل إلى القـسطنطينيـة، وكاد أن يصبح عملة دولية[٧].

كذلك كانت الـعملة نوعًا من أنواع تأكيـد السيادة السياسـية على الدولة[٨]، فقد اتخذ المرابطون النقود وذلك لتأكيـد سلطانهم السياسى على البلاد[٩] يقول ابن عذارى «وضرب

(١) ابن الخطيب: الإحاطة (مخطوط الرباط رقم ٢٧٠٤ك) ورقة ٦٥.

(٢) عبد الملك المراكشى: الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصـلة السفر الرابع تحقيق إحسان عباس ص ٢١٤.

(٣) ابن سعيد المغرب جـ ١ ص ٢٤٩.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٤ ص ١٤٢ طبعة أولى سنه ١٩٤٨ م ستة أجزاء النهضة لمصرية، النويرى: نهاية الأرب مخطوط جـ ٢٢ ص ٨٥، مطبوع جـ ٢٤ ص ٢٨٢ تحقيق حسين نصار.

(٥) «السكة هى الحـديدة يطبع عليهـا الدينار والدرهم فـسمـيت سكة بها الدنانيـر والدراهم» انظر ابن يوسف الحكيم: الدوحة المـشتبكة ص ٤٧، مجلة معـهد الدراسات الإسلامـية مدريد سنة ١٩٥٨ مجلد ٢، تحقيق حسين مؤنس طبعة سنة ١٩٦٠، ص ٤٩.

(٦) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤٠٣.

(6) Nevill Barbour: Moroco P. 59.

(7) Laviox: Catalogue des Monnaies Musulmanes P.

(٨) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٢٢ طبعة بيروت تحقيق إحسان عباس.

(٩) ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٢.

الدينار الذهبى باسم الأمـير أبى بكر بن عـمر فى هذا الـعام[١]، وبالإضافـة للدينار الذهبى ضرب المرابطون الدراهم الفـضية فى جميع دولتهم وكانـت متفاوتة فى الوزن[٢]، كذلك ضربوا دراهم نحاسية[٣]

هذا وقد استـخدم أهل الأندلس عامة وأهل غرناطة خـاصة الدينار المرابطى «وديارهم لم تخلص للمرابطين بعد»[٤].

قد ضرب يوسف بن تاشفين عملة مدورة الشكل وقد كتب عليها اسمه وذلك فى سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ م)[٥] وقد وصف لنا ابن المؤقت فى كتـابه السعادة الأبدية شكل العملة المرابطية بقولة «وضرب ـ أى يوسف بن تاشـفين ـ السكة يؤمئذ وجددها ونقش فى ديناره لا إله إلا الله محـمد رسول الله وتحت ذلك أميـر المسلمين يوسف بن تاشفـين وكتب فى الدائرة ﴿ومن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وكتب فى الصفحة الأخرى: الأميـر عبد الله العباسى، وفى الدائرة تاريخ ضربه»[٦] وكتب فى الوجه الآخر الأمير عبد الله أمير المؤمنين العباسى، وفى الدائرة تاريخ ضربه وموضع سكته[٧].

وقد تفاوت سعـر الدينار الذهبى باختلاف أسعار الذهب من وقت لآخـر، فقد يصرف

(١) ابن عذارى: المصدر الســابق جـ ٤ نفس الصفحة «وبعد الزلاقة ضرب يوسـف بن تاشفين العملة باسمه وحده» انظر ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤ ص ٤٦.

(2) Lavoix, H., Catalogue de monnoies muslumones, pp. 536.

(٣) الونشريشى: المعيار جـ ٦ ص ١١٧.

(٤) عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله (التبيان) ص ١١٥.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٤٦، السلاوى الاستقصا جـ ٢ ص ٣٢ كان الدينار المرابطى يحمل التاريخ الهجرى لسنة السك واسم على بن يوسف أمير المؤمنين مكتوب عليه لا إله إلا الله محـمد رسول الله واسم أمـير المؤمنين المـرابطى والإمام عبـد الله أو الإمام العبـاسى وسورة من القرآن.

Lavoix, M. Henri, Catalogue. P.

(٦) ابن المؤقت: السـعادة الأبدية جـ ٢ ص ٩٠، انظر أيضا ابن عـذارى: البيان المـغرب جـ ٤ ص ٤٦.

(٧) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٤٦.

باثنتين وسبعين حبة من الذهب وفى وقت آخر يصرف باثنتين وسبعين حبة من الذهب وفى بعض الأحيان يصرف بستة وسبعين حبة[١].

كذلك ضرب المرابطون الدراهم الفضية وكانت متفاوتة فى الوزن[٢] فدراهم ضرب مراكش تكون من حساب عشرين درهما فى الأوقية أما فى غرناطة فكانت هذه الدراهم من حساب سبعين درهما فى الأوقية[٣] ومن الدرهم كانوا يضربون أنصافا وأرباعا وأثمانا، أو تضرب منه وحدات تعرف بالقواريط و الخراريب[٤].

هذا وقد تعددت دور سك العملة فى عصر المرابطين والموحدين فابن عذارى أشار إلى أن يوسف بن تاشفين بنى دارا للسكة بمراكش سنة ٤٦٤ هـ / ١٠٧١ م ضرب فيها السكة[٥].

وقد جرى سك العملة فى المغرب كما كان الحال عليه فى المشرق فلم تكن السكة قاصرة على العاصمة أو على بلد واحد، بل كانت تضرب فى كثير من الحواضر، فقد سكت النقود فى فاس وتلمسان وبجاية وتينمل ومكناس وتونس وأغمات وتطوان وسجلماسة ومراكش ونكور وسلا وطرابلس، أما فى بلاد الأندلس فقد سكت عملات فى ميورقة ومالقة ومرية وقرطبة وأشبيلية وغرناطة وبلنسية وشريس ومنورقة وسرقس وكانت العملات تنسب إلى البلاد التى سكت فيها[٦].

ويذكر ابن الخطيب فى حديثه عن العملة فى غرناطة «وصرفهم فضة خالصة، وذهب إبريز طيب محفوظ ودرهم مربع الشكل من وزن المهدى القائم بدولة الموحدين»[٧] وفى الأوقية منه سبعون درهما[٨].

---

(١) الونشريشى: المعيار جـ ٨ ص ١٩٧.

(2) Lavoix, H. catalogue p.p 536.

(٣) الونشريشى: المعيار جـ ٦ ص ٣١٠، ص ٣١٧.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٤٣، ابن الخطيب أعمال الأعلام ط ليفى بروفنسال ص ١٧٤.

(٥) ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٢.

(6) Lavoix, Catalogue p. 536 - 544.

(٧) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٣٧.

(٨) ابن الخطيب: المصدر السابق جـ ١ ص ١٣٨.

أما الدولة الموحدية فقد كانت عملتها من الدنانير والدراهم، يقول ابن خلدون: «ولما جاءت دولة الموحدين كان ممن سن لهم المهدى اتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل وأن يرسم فى دائرة الدينار شكل مربع فى وسطه ويملأ من أحد الجانبين تهليلاً وتحميداً ومن الجانب الآخر كتبا فى السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده، ففعل ذلك الموحدون»[١] ويذكر صاحب ضوابط دار السكة بقوله «ولكن ليس من الثابت أن العملة المربعة (المركنة) من ابتكارات أبى عبد الله محمد بن تومرت مهدى الموحدين، وهو نفسه لم يضرب نقوداً، إذ لم يكن بخليفة أو أمير، وأول من ضرب عملة مربعة الشكل، هو عبد المؤمن بن على أول الخلفاء الموحدين»[٢] ولم يقتصر تربيع العملة على الدراهم بل تعداه إلى الدنانير[٣]، وكان الدينار الموحدى ضعف الدينار العادى فى الوزن، ولهذا عرف باسم dobla† عند النصارى[٤]، كذلك وجدت العملة اليوسفية المنسوبة إلى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن[٥] ويذكر صاحب ضوابط دار السكة أن الناس كانوا يتعاملون بكل

---

(١) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٦٢ كانت عملة الموحدين عبارة عن حفر مستطيل داخل دائرة مكتوب بداخلها الإمام المهدى وسوره من القرآن واسم الخليفة واللقب الشرفى ونسبه ومكان السك وكانوا لا يكتبون تاريخ السك في الأول. Lavoix. Ibid.

(٢) على بن يوسف الحكيم: ضوابط دار السكة ص ٤٩ «كانت العملة كلها قبل ظهور الموحدين مدورة الشكل» انظر المصدر السابق، نفس الصفحة هامش رقم ١.

(٣) على بن يوسف الحكيم نفس الصفحة هامش رقم ١.

(٤) حيث ضاعف المنصور الموحدى وزن عيار العملة، انظر ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) تحقيق هويتى ميراند انطوان سنة ١٩٦٠ ص ١٥٤ يرى مؤنس أن الدينار الموحدى كان يساوى ٢,٣٥ غراما ولما ضاعفه المنصور أصبح يساوى ٤,٧٠ غراما انظر ضوابط دار السكة ص ٤٩.

يرى ماسينون أنه كان ٤,٧٢٩ غرامًا انظر Massignon, le Moroc p.p 102 - 103

(٤) وجدت عملات موحدية فى مدن عديدة من فرنسا مثل مونبليه ومرسليا، كتب عليها الله ربنا - محمد رسولنا - المهدى إمامنا - وهى مصنوعة من الفضة وثبت أن هذه العملة هى الدرهم المصمودى، كذلك استخدمت العملة الموحدية فى إبرام المعاهدات التجارية التى عقدت بين بيزة وفلورنسا وأمراء المغرب انظر Lavoix. Ibid. p. V 11, V 111

(٥) ابن سعيد الصفاقس: نزهة الأنظار فى عجائب التواريخ والأخبار تونس ١٣٢١ هـ - جـ ١ ص ١٨٢، ص ١٨٣، الزركلى فهرس الأعلام جـ ٣ ١١٨٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٦ ص ١٣٠، العينى: عقد الجمان جـ ١ قسم ١ ص ١٣.

سكة منها إلى أن صـار التعامل فى الدراهم على وزن الدراهم اليعـقوبية[١]، كذلك تنسب الدنانير اليعقوبية إلى الخليفة يعقوب المنصور الموحدى[٢].

وقد انتشـرت فى الأسواق ظاهرة غش العملة وخاصة فى عصـر الموحدين ولا يكون الغش بتقليد العملة فقط بل عادة ما يكون بإضافـة معادن رخيصة إلى فضتها[٣]، وامتد هذا الغش فشمل نصارى أسبانيا فكانوا يزورون العملة الموحدية أيضا[٤].

ولم تكن العملة هى وسيلة التعامل الوحيـدة فى بلاد المغرب والأندلس، فقد وجدت إلى جانب العمـلة السفاتج[٥] والصكوك[٦] وهى من وسـائل المعـاملات الهامـة فى ذلك الوقت ولقد استخدم التجار الأندلسيون والمـغاربة فى معاملتهم التجارية السفاتج والصكوك وذلك ضمانًا لإتـمام العمليات التجـارية وتسهيلها وكـانت السفاتج والصكوك تتخـذ لتجنب الضيـاع والسرقة وقد اسـتخدمت الصكوك فى المـعاملات التجـارية كدفع الديون[٧] وفى أعمال البيع المختلفة.

أما الموازين والمكاييل فقـد استعملها الأندلسيون والمغاربة على الـسواء فى معاملتهم التجـارية، وكانت وحـدة الوزن فى بلاد المغـرب والأندلس هى القنطار والرطل والأوقـية والدرهم وكان الرطل يحتوى على ١٦ أوقية وكل أوقية ٢١ درهما[٨].

وقد اخـتلفت قيـمة الوزن حسب نـوع السلعة[٩]، كذلك اخـتلفت الأوزان باخـتلاف

(١) أبو الحسن، الدوحة المشتبكة ص ١٥، انظر هنا: ابن سعيد: نزهة الأنظار جـ ١ ص ١٨٦.

(٢) ابن خلكان: وفيـات الأعيان جـ ٦ ص ١٢ وكان أعلى وزن وصل إليه الـدينار ٤ر٦٧ جرام ضرب فى عهد الخليفة المستنصر بالله فى مدينة فاس Lavoix: Ibid. P. 305 - 306 أما أعلى وزن للدرهم المصمودى الفضى فكان ٢ر٣١ جرام Laviox: Ibid. P. 301

(3) Bel, A., Contribution a l'etude des dirhems. Hesperis 1933, tom x v. t, P.5

(4) Bel. op. cit. p.7

(٥) السفـاتج كلمة فارسـية مفردها سـفتجـة ومعناها خطاب ضمـان مالى انظر «جمـال سرور» تاريخ الحضارة الإسلامية فى المشرق ص ١٦٣.

(٦) أما الصك فمعناها سند الدين وهى تشبه فى الوقت الحاضر الكمبيالة أو الشيك، انظر محمد على حيدر: الأوضاع الاقتصادية فى العراق والمشرق ص ٢٨٦.

(٧) مصطفى الهمشرى: الأعمال المصرفية فى الإسلام ص ٢١، ص ٢٢.

(٨) القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ١١٤، ص ١٧٧.

(٩) الشيزرى: نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١٥.

المكان «فكان لكل إقليم وبلد فى المعاملة على أرطال تتضاءل فى الزيادة والنقصان»[١] فمثلا اللحم كان يباع بالرطل فى إقليم غرناطة[٢] كما كانت جميع السلع المختلفة تباع بالأواق[٣]، فقد استخدمت الأوقية فى إقليم غرناطة فكانت ربع أوقية الجبنة بستة عشر درهما[٤]، أما الخبز فكان ١٥ أوقية بربع درهم[٥].

أما المكاييل فهى نوعان، الأول يسمى القفيز ويساوى ١٦ ويبية وكل ويبية ١٢ مدّا[٦] والثانى يسمى الصحفة أو الوسق وكل صحفة تساوى ١٢ مدّا وكانت الصحفة تساوى ٦٠ صاعًا[٧]، فكأن المد يعادل خمسة صاعات[٨].

هذا ولم تبذل دولتا المرابطين والموحدين جهدًا لتوحيد هذه الموازين والمكاييل لذلك استغل التجار فوضى الموازين والمكاييل فى أواخر العصر المرابطى استغلالاً أضر بمصلحة المستهلك، فكانوا يغشون فى مقاديرها أو يستعملون الحجارة بدلا عن صنج حديد حتى أن كتب الحسبة فى هذه الفترة لتزخر بالأمثال عن أساليب التجار هذه وتقترح قطع كل ذلك وأن يسم الأكيال والموازين باسم معلوم عنده[٩].

---

(١) البكرى: المغرب ص ١١٧.

(٢) انظر رسالة السقطى ص ٣١.

(٣) عن اخلاف الموازين والمكاييل انظر: السقطى: رسالة فى الحسبة باب الموازين والمكاييل.

(٤) السقطى: فى أدب الحسبة ص ٣١.

(٥) السقطى: المصدر السابق ص ٢٨.

(٦) المد: كيل معين اختلفت سعته فى العالم الإسلامى حسب الأمكنة والعصور والمذاهب انظر: أبو الحسن على ابن يوسف: الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة نشر مؤنس ص ٨٥، ص ٨٦ طبعة مدريد سنة ١٩٨٥، سنة ١٩٦٠.

(٧) أبو الحسن: المصدر السابق ص ٨٥ طبعة سنة ١٩٥٨، ص ٨٦ طبعة سنه ١٩٦٠.

(٨) القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ١١٤.

(٩) انظر رسالة السقطى: ص ١٠، ص ١٢، ص ١٣، ص ١٦، ص ١٨ ورسالة ابن عبد الرءوف ص ٨٨، ص ١٠٦.

الباب الثالث

الحياة الاجتماعية فى عصر المرابطين والموحدين

العوامل المؤثرة فى الحياة الاجتماعية

كان لقيام دولتى المرابطين والموحدين آثار على الحياة الاجتماعية فى بلاد المغرب والأندلس عامة وإقليم غرناطة ـ موضوع الدراسة ـ بصفة خاصة، فقد قيض للمرابطين ثم الموحدين من بعدهم أن يلعبوا دورًا هامًا فى الحياة السياسية فى بلاد الأندلس، فبعد أن قاموا بتوحيد المغرب الأقصى فى ظل زعامة موحدة، انطلقوا إلى الأندلس، وتحملوا أعباء الكفاح المسلح ضد أطماع النصارى، وكان هذا بداية صفحة جديدة فى العلاقات السياسية بين بلاد المغرب والأندلس، فقد أصبحت البلاد الأندلسية تابعة للمرابطين ثم الموحدين، الأمر الذى نتجت عنه آثار بعيدة المدى فى شكل الحياة السياسية[1]، أثرت بالتالى على الحياة الاجتماعية للبلاد الأندلسية عامة وإقليم غرناطة خاصة، فقد كان للكفاح المسلح الذى بدأه المرابطون ثم الموحدون أثر على الحياة الاجتماعية فى الأندلس، فقد ساعد الكفاح على صهر قبائل المغرب التى تدفقت صوب الأندلس للجهاد، فارتفع قدر المرابطين، بحيث أصبحوا قوة لا يستهان بها ومن ناحية أخرى فإنها أضفت على قائد المرابطين الذى حمل شرف الجهاد فى المغرب والأندلس لقب البطولة، أصبح يوسف بن تاشفين يحكم مملكة مترامية الأطراف يصفها ابن أبى زرع بقوله: «وكان يوسف بن تاشفين ملكه من مدينة أفراغة أول بلاد الإفرنج قاصية شرق بلاد الأندلس إلى آخر عمل شنترين والأشبونة على البحر المحيط من بلاد الأندلس وذلك مسيرة ثلاثة وثلاثين يوما

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب (روض القرطاس) ص ١٥٢، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥، النويرى: نهاية الأرب: جـ ٢٤ ص ٢٦٧، وعن استيلاء المرابطين على غرناطة انظر عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله (التبيان): ص ١٠٧ ـ ص ١٢٢، النويرى: مخطوط: جـ ٢٢ ورقة ١٨٣، مجهول: الحلل الموشية: ص ٧١ ـ ص ٧٣، مجهول: نبذة تاريخية جامعة فى أخبار البربر فى القرون الوسطى، ألف سنة ١٧٢ هـ، نشرها بروفنسال، الرباط، سنة ١٩٤٣، وعن الأندلس فى عصر الموحدين انظر النويرى: المصدر السابق: جـ ٢٤ ص ٣٠١ ـ ص ٣٠٩، السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ١٠٥ ـ ١٠٦، ابن ابى زرع: المصدر السابق: ص ١٩١، ابن خلدون: العبر: جـ ٦ ص ١٩٠.

طولاً وفي العرض ما يقرب من ذلك، وملك بالمغرب من بلاد العدوة من جزائر بني مزغنة إلى طنجة إلى آخر السوس الأقصى إلى جبل الذهب من بلاد السودان»[١].

هذا وقد أدى اتساع الدولة المرابطية ثم الموحدية هذا وبسط نفوذهما على بلاد الأندلس إلى ظهور عوامل جديدة تركت فى الحياة الاجتماعية فى الأندلس آثارا واضحة مثل الذى تركته على النشاط الاقتصادى والحياة الاقتصادية للبلاد الأندلسية[٢]، وذلك أن تدفق الأموال وتنوع موارد الدولة[٣]، جعل الأمراء ينفقون فى سعة، وأخذ الولاة يعيشون في أقاليمهم حياة مترفة لم يتعودوها من قبل فى بلادهم، فيذكر الدكتور حسن محمود ان هؤلاء الأمراء قد اندمجوا فى الحياة الاجتماعية فى الأندلس[٤]، هذه الحياة التى كانت قد بلغت شأنًا عظيمًا من الرقى منذ عهد ملوك الطوائف، فتألق نجم الحضارة الأندلسية بصورة لم تكن معهودة من قبل، فلما فتحت الأندلس، التقت حضارتان أو لونان من الحياة الاجتماعية، لون أندلسى رفيع، ولون مغربى صحراوى أقل رقيًا وتفوقًا، وكان منطق الأشياء يقضى بأن تتغلب الحياة الأكثر رقيًا فتصرع الحياة الأكثر ضعفًا، وهذا هو ما حدث

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٣٦ ـ ١٣٧، السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ٣، انظر: المراكشى: المعجب ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦، عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ١٠٧ وما بعدها، النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٢٦٧ وما بعدها، انظر الباب الاول ص ـ ص Scott, History of Moorish Empire Vol 2 p. 197.

(٢) انظر الباب الثانى: ص ـ ص.

(٣) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٢٦، ص ١٢٨، ص ١٦٧، مجهول: رسائل موحدية: ص ٢١ ـ ص ٢٢ «عندما دخل يوسف بن تاشفين غرناطة، أبطل الضرائب والقبالات والخراج وألزم أهل غرناطة بزكاة العين وصدقة الماشية وعشر الزرع» عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٢١٠ عن دخل دولة المرابطين من الجزية، انظر ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٥٣، تحقيق إحسان عباس، عن غنائم المرابطين فى غرناطة انظر: عبد الله بن بلقين: المصدر السابق: ص ٢٠٩ ـ ص ٢١٠، أما عن غنائم الموحدين من المرابطين انظر: مجهول: الحلل الموشية: ص ١٤٣.

(2) Dozy: Histoire des Musul. d'Espagne, Vol. IV, P. 255 - 265.

انظر عن غنائم الموحدين عند استيلائهم عليها من ابن همشك ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٨٠ وما بعدها.

(٤) انظر مثالا لذلك: قصة أبى سعيد عثمان بن عبد المؤمن والى غرناطة مع ابن جبير صاحب الرحلة، المقرى: نفح الطيب: جـ ٢ ص ٣٨٥.

بالضبط، فقد صارعت الحياة الأندلسية الرفيعة هذه الحياة الاجتماعية المغربية فتغلبت عليها وأثرت فيها[١]، فكان للوجود المرابطى ثم الموحدى فى البلاد الأندلسية عامة وغرناطة خاصة آثار على الحياة الاجتماعية، فظهرت فى تلك الفترة عدة فئات وعناصر كان للمرابطين ثم الموحدين الفضل فى إيجادها أو التأثير عليها ومنهم المرابطون ثم الموحدون أنفسهم وهى فئة البربر فزاولوا بعض الأعمال مثل التجارة أو الزراعة أو الصناعة[٢]، وقد كانت فئة البربر موجودة فى الأندلس قبل هذه الفترة، ولكن مع الفتح المرابطى ثم الموحدى للبلاد الأندلسية تدفّق البربر على الأندلس بأعداد كبيرة[٣].

ويبدو أن بعض رجال هذه الفئة كانوا متغطرسين (وهو ما سنوضحه فيما بعد) لا يخضعون لأحكام القضاء[٤]، كما أن طائفة الحشم والأتباع كانت تموه على الناس باللثام وربما وقع منها بعض الأذى، مما دعا ابن عبدون فى رسالته إلى أن يطالب «أن لا يلثم إلاّ صنهاجي أو لمتونى أو لمطى[٥]».

ولما فتح الموحدون الأندلس ساروا على سنة أسلافهم، فأسكنوا الموحدين مدن الأندلس وثغوره، فبدأ عبد المؤمن هذه السياسة[٦] واستمر خلفاؤه عليها.

وقد أدى قيام دولتى المرابطين والموحدين فى الأندلس إلى ظهور طبقة جديدة كان للمرابطين ثم الموحدين الفضل فى ظهورها، ونعنى بها طبقة الفقهاء والقضاة، ويذكر

---

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٢٤٠ ـ ص ٢٤١.

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٥٢، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ١٩٧ ـ ص ٢٠٠، ص ٢٢٦، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٥٢، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥، عن تدفق الموحدين صوب الأندلس، المراكشى: المصدر السابق: ص ٢٨١، ص ٢٨٢، ص ٢٨٣ ـ ص ٢٩٣ ـ ص ٢٩٦، السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ١٠٥، النويرى: نهاية الأرب: جـ ٢٤ ص ٣٠٩.

(٤) محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد، المجلد السابع، العدد ١ -٢، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩، ص ١٧٧ ـ ص ١٧٨، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤١٣.

(٥) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة: ص ٩.

(٦) البيذق: أخبار المهدى: ص ١٢٥ ـ ص ١٢٧، المراكشى: المعجب: ص ٢٩٣.

حسن محمود أن الفقهاء والقضاة ورجال الدين موجودون فى كل عصر وفى كل زمان[١]، ولكن مع ظهور المرابطين ثم الموحدين احتل الفقهاء والعلماء منزلة عالية فى المجتمع الأندلسى، فالدولة المرابطية قامت على أساس دعوة عبد الله بن ياسين الإصلاحية، من هنا كان المبدأ الدينى هو القاعدة الراسخة للدولة، ومن هذا فإن المشتغلين بعلوم الدين لا بد وأن يحتلوا مكانة رفيعة فى المجتمع وقد زاد هذه المكانة الرفيعة ذلك التقدير والتكريم الذى كانوا يلقونه من أمراء المسلمين «وكان ـ أى يوسف بن تاشفين ـ محبا للفقهاء والعلماء والصلحاء مقربًا لهم صادرًا عن رأيهم متكرمًا لهم، أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طول حياته»[٢].

وعندما انتشرت الدعوة الموحدية وكثر أفرادها قسم المهدى ابن تومرت أصحابه وأتباعه إلى طبقات متميزة، وصار فى مقدمة الطبقات: العشرة، ويعنى بهم أهل الجماعة، ثم أهل الخمسين ثم أهل السبعين ثم الطلبة ثم الحفاظ وهم صغار الطلبة[٣] وتندرج بعد هؤلاء بقية الطبقات حتى إذا تولى الخليفة عبد المؤمن بن على الخلافة ميز هؤلاء الطلبة وحظوا عنده بالاهتمام والرعاية فصاروا طبقة متميزة.

هذا وقد قسم عبد المؤمن بن على هؤلاء الطلبة إلى طائفتين، طلبة الموحدين، وطلبة الحضر، والطائفة الأولى، هم طلبة المصامدة، بعد أن سمى المهدى المصامدة بالموحدين، لخوضهم فى علم الأصول الذى لم يكن أحد من أهل هذه الأنحاء يخوض فيه[٤].

وصارت طبقة الطلبة تتمتع أيضا بامتيازات مالية إذ كانت تصرف لهم المرتبات والأعطيات من خزانة الدولة[٥].

---

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤١٣ ـ ص ٤١٤.

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٣٧، المراكشى: المعجب: ص ٢٣٥.

(٣) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٢٨ «ويذكر ابن خلدون ولما كملت بيعته «أى ابن تومرت» لقبوه بالمهدى وكان لقبه قبلها الإمام وكان يسمى أصحابه الطلبة وأهل دعوته الموحدين، انظر ابن خلدون: المقدمة: ص ٢٢٨، عن تقسيم ابن تومرت لطبقات الموحدين، انظر النويرى: نهاية الأرب: جـ ٢٤ ص ٢٨٧، المراكشى: المعجب ص ٢٥٥.

(٤) المراكشى: المصدر السابق: ص ٢٦٩.

(٥) البيذق: أخبار المهدى: ص ٤٨.

وهناك طبقة أخرى من طبقات المجتمع تأثرت بقيام دولتى المرابطين والموحدين وهم أهل الذمة من النصارى واليهود، ويذكر الدكتور حسن محمود أن النصارى المعاهدين كان قد ارتفع شأنهم فى بلاد الأندلس فى عهد ملوك الطوائف ونبه ذكرهم، وأصبحوا يتمتعون بحرية قلما ظفر بها أجدادهم من قبل.

وذلك بسبب الضعف والتخاذل والانقسام الذى أصاب المجتمع الأندلسى فى ذلك العهد(١)، وقد زاد من ذلك ظهور قوة قشتالة وليون فكان هؤلاء النصارى بمثابة عيون لقشتالة وغيرهم من الأعداء(٢).

ولقد حظى اليهود من أهل الذمة بالاهتمام والرعاية من جانب ملوك بنى زيرى فى غرناطة(٣)، التى ضمت عدداً كبيراً من اليهود الذين عاشوا فيها حتى أنها سميت بغرناطة اليهود(٤)، لكثرة عدد اليهود بها، كذلك كان عدد النصارى كبيراً فى أرياف الأندلس وخاصة غرناطة(٥).

---

(١) عن ضعف ملوك الطوائف وانقسامهم فى ذلك الوقت انظر عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ١٠٧ «طوائف الأندلس، هم زعماء الطوائف الذين اقتسموا ولايات الأندلس وقواعدها عقب انهيار الخلافة وثورة البربر، وأسسوا لأنفسهم فى ولايات الأندلس وقواعدها إمارات وممالك صغيرة وقد استعان بعضهم على بعض بنصارى الشمال الذين وجدوا فى ذلك سيفًا مسلطًا على الإسلام وفرصة مواتية للقضاء عليهم، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٤٠ هامش رقم ٣، عبد الله بن بلقين: المصدر السابق: نفس الصفحة، عبد العزيز سالم: المغرب الكبير: ص ٧١٨، مجهول: الحلل الموشية: ص ٤٤ وما بعدها، انظر حسن محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤١٩.

(٢) عن موقف نصارى غرناطة من المرابطين واستدعائهم لابن رزمير انظر ابن عذارى: البيان: جـ ١ ص ١٠٩ ـ ص ١١٤.

(٣) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٣٢ وما بعدها، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٣ ص ٢٦٤، محمود على مكى: التشيع فى الأندلس صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، مجلد ٢ سنة ١٩٥٤ ص ١٢٩ ـ لطفى عبد البديع: الإسلام فى أسبانيا: ص ٣٤، عنان: دولة الإسلام فى الأندلس عصر ملوك الطوائف ص ١٦٨.

(٤) الحميرى: ص ٢٣، لطفى عبد البديع: المرجع السابق ص ٣٣.

(٥) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٣٢، ص ١٠٨، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٣٦، الحميرى: المصدر السابق: ص ١٤٣ ـ ص ١٤٤.

ولكن سيطرة المرابطين على الأندلس غيرت أوضاع أهل الذمة سواء من اليهود أو النصارى وهو ما سنوضحه فيما بعد عند الحديث عن أهل الذمة.

هذا ولقد كانت الوحدة بين الأندلس والمغرب من أهم العوامل المؤثرة فى الحياة الاجتماعية ففى الوقت الذى سيطرت بلاد المغرب فى عصر المرابطين والموحدين على البلاد الأندلسية عسكريًا، تمكنت الأندلس من غزو بلاد المغرب فنيًا وعلميًا، ويعتبر عصر الموحدين هو العصر الذى توثقت فيه العلاقات الفنية والثقافية والاجتماعية بين بلاد المغرب والأندلس وانتقلت التأثيرات الأندلسية إلى المغرب[1].

ولقد ازداد الأثر الأندلسى فى فنون المغرب فى عصر المرابطين ثم الموحدين من بعدهم ومن تبعهم من بنى مرين وبنى زيان وبنى حفص، وفى ذلك يقول ابن غالب عند ثنائه على الأندلس وأهلها: «وأهل الأندلس عرب فى الأنساب والعزة والأنفة وعلو الهمم وفصاحة الألسن وطيب النفوس وإباء القيم وقلة احتمال الذل والسماحة بما فى أيديهم والنزاهة عن الخضوع وإتيان الدنية، هنديون فى إفراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لها وروايتهم، بغداديون فى ظرفهم ونظافتهم ورقة أخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة أذهانهم، يونانيون فى استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لأجناب الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وأصناف الزهر فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة» ثم أضاف ابن غالب: ولما نفذ قضاء الله تعالى على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها فى هذه الفتنة الأخيرة المبيرة تفرقوا ببلاد المغرب الأقصى من بر العدوة مع بلاد إفريقية، فأما أهل البادية فمالوا فى البوادى إلى ما اعتادوه، وداخلوا أهلها وشاركوهم فيها فاستنبطوا المياه، وغرسوا الأشجار، وأحدثوا الأرحى الطاحنة بالماء وغير ذلك، وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها، فشرفت بلادهم وصلحت أمورهم وكثرت مستغلاتهم وعمتهم الخيرات، وأما أهل الحواضر فمالوا إلى الحواضر واستوطنوها، فأما أهل الأدب فكان منهم الوزراء والكتاب والعمال وجباة الأموال والمستعملون فى أمور المملكة، وأما أهل الصنائع فإنهم

(١) عبد العزيز سالم: المغرب الكبير (العصر الإسلامى) ص ٨٣٢.

فاقوا أهل البلاد وقطعوا معاشهم وأهملوا أعمالهم وصيروهم أتباعًا لهم ومتصرفين بين أيديهم، ومتى دخلوا فى شغل عملوه فى أقرب مدة وأفرغوا فيه أنواع الحذق والتجريد وما يميلون به النفوس إليهم، ويكفى فى الإنصاف أن أقول إن حضرة مراكش هى بغداد المغرب، وهى أعظم ما فى بر العدوة، وأكثر مصانعها ومبانيها الجليلة وبساتينها إنما ظهرت فى مدة بنى عبد المؤمن، وكانوا يجلبون لها صناع الأندلس من جزيرتهم»[١].

وإذا تتبعنا الأثر الأندلسى فى بلاد المغرب وجدنا أنه بدأ منذ عصر المرابطين ووضح أكثر فى عصر الموحدين، فقد أحاط المرابطون والموحدون من بعدهم أنفسهم بعدد من أدباء الأندلس وعلمائه وكتابه[٢] وقد عبر المراكشى عن كثرة الكتاب الأندلسيين فى بلاط أمير المسلمين على بن يوسف فقال «واجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه فى عصر من الأعصار»[٣] ومن هؤلاء الكتاب يحيى بن محمد بن يوسف الأنصارى يكنى أبا بكر ويعرف بابن الصيرفى[٤] من أهل غرناطة كان من أعلام العصر المرابطى فى البلاغة والأدب والتاريخ وكان من الكتاب المجيدين والشعراء المطبوعين كتب بغرناطة عن الأمير تاشفين بن على، أيام كان واليًا على الأندلس وألّف كتابا فى تاريخ الأندلس أسماه «الأنوار الجلية فى أخبار الدولة المرابطية» وكتابا آخر سماه «قصص الأبناء وسياسة الرؤساء» وهما مؤلفان لم يصلا إلينا ولم يصل إلينا سوى شذور نقلها المتأخرون أمثال ابن الخطيب وغيره[٥].

وكان من هؤلاء الوزراء والكتاب أيضًا، على بن عبد العزيز ابن الإمام الأنصارى، وهو سرقسطى الأصل، سكن غرناطة، وكان من الكتاب المجيدين وأهل البلاغة والفصاحة.

---

(١) المقرى: نفح الطيب: جـ ص ١٠٥ ـ ص ١٥١ ـ ص ١٥٢ ـ ص ١٥٣.

(٢) J. F. P. Hopkins: Medieval Muslim, P. 12.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ٢٢٧.

(٤) ترجم له ابن سعيد فى المغرب جـ ٢ ص ١١٨ وابن الخطيب فى الإحاطة مخطوط الأسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٤١٥.

(٥) انظر ترجمة ابن الصيرفى فى ابن الخطيب: الإحاطة مخطوط الأسكوريال، لوحة ٤١٥ والإحاطة محقق جـ ١ ص ١٠٨ هامش رقم ١.

وزر للأمير أبى طاهر تميم بن يوسف أيام ولايته لغرناطة، ثم كتب من بعده لأخيه الأمير على بن يوسف(١).

هذا وقد أثرت الحياة الأندلسية الرفيعة على حياة البربر الجافية، فقد انغمس البربر من المرابطين ثم الموحدين وعلى رأسهم الأحرار والسادة فى حياة الترف واللهو، يقول المراكشى عن المرابطين فى أواخر أيامهم: «واختلت حال أمير المؤمنين رحمه الله بعد الخمسمائة اختلالاً شديداً فظهرت فى بلاده مناكر كثيرة وانتهوا فى ذلك إلى التصريح، فصار كل منهم يصرح بأنه خير من أمير المسلمين وأحق بالأمر منه»(٢).

ويقول أيضًا «واستولى النساء على الأحوال وأسندت إليهن الأمور وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر ومأجور، وأمير المسلمين فى ذلك كله يتزيد تغافله، ويقوى ضعفه»(٣).

كانت هذه بعض العوامل التى أثرت فى الحياة الاجتماعية ليس فقط فى إقليم غرناطة ولكن فى كل شبه الجزيرة الأندلسية التى خضعت للمرابطين ثم الموحدين وسوف تتضح هذه العوامل أكثر من خلال تعرضنا للحياة الاجتماعية فى غرناطة.

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: نفس المخطوط، لوحة رقم ٣٣١.

(٢) المراكشى: المعجب: ص ٢٤١.

(٣) المراكشى: المصدر السابق: نفس الصفحة.

عناصر المجتمع الغرناطى

شهد إقليم غـرناطة فى عصر المرابطين والمـوحدين عدة عناصر مخـتلفة شكلت هذا المجتمع فأثرت فيه وتأثرت به ومن هذه العناصر: البربر ـ الأندلسيون ـ أهل الذمة.

البربر[(١)]

وجود البربر فى الأندلس طرأ مع الفتح الإسلامى، فـمع هذا الفتح تدفقت جموعهم نحو الأندلس واندمجت الموجات الأولى مع العناصر العربية الأندلسية[(٢)].

وفى العصر الأموى فى الأندلس، شارك البربر فى تحقيق النصر لعبد الرحمن الداخل على اليمانية، بـعرب الأندلس، حين خاطبوا عبد الغـفار اليحصبى بوجوب الانضـمام لعبد الرحمن الداخل[(٣)].

وعندما سيـطر الأمويون على الأندلس لم يغيروا من وضع البـربر الاجتماعى واكـتفوا بالسماح لهم بالدخول إلى الأندلس والحياة فـيها إلى جانب العناصر الأخرى، ولكن البربر رأوا أن ذلك لا يكفيهم.

فبدءوا يشاركون فى الثورة خلال القرن الثالث الهجرى، كما فعل الفتح موسى بن ذى

---

(١) يذكر ابن حزم الأندلسى أن البربر «من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام وادعت طائفة منهم إلى اليمن إلى حـميـر وبعضهم إلـى بر بن قيس عيـلان» انظر بن حزم الأندلسى: جـمهـرة أنساب العرب، ص ٤٦١ تحقيق ليفى بروفنسال، طبعة دار المعارف بمصر.

(٢) حسين مؤنس: فجر الأندلس: ص ٣٩٦ «استقـر كثير من جند الجيش الغازى ببلاد الأندلس ولم يعد أحد منهم إلى إفريـقية بل تزوجوا من نساء أهل البلاد» انظر لطفى عـبد البديع: الإسلام فى أسبانيا، ص ٣٢.

Levi Provencal, L'Esp. M. aux. Sp, P. 20.

(٣) ابن القوطيـة: (محمد بن عـمرو بن عبـد العزيز) تاريخ افتتـاح الأندلس: تحقيق عـبد الله أنيس الطباع، بيروت، سنة ١٩٧٥، ط ربيرا سنة ١٩٦٨ ص ٥٠.

النون سـنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م)[١] حين ثار بقلعة رباح[٢]، وتحصن فيها منـاديًا بنفسه أميرًا عليها.

ويذكر حسين مؤنس أن حـياة البربر قد تميزت بالاستقرار والمـشاركة فى الجهاد الذى غلب على عهد عبد الرحمن الناصر وقد فضّلت أقلية منهم السكن فى المدن، وحين تغلب عبد الرحمن الناصـر على أجزاء المغرب، فتح باب الاتصال بين الأندلس والمغـرب فهاجر كثيرون من البربر إلى الأندلس واستقروا فى جنوبها[٣] وفى الوسط والشرق[٤].

ولم تلبث قبيلة زناتة البترية أن أقبلت على الدعوة الأموية وأيدت الخليفة عبد الرحمن الناصر، فدخلت قبيلة مغراوة من بنى يفرن (افـرن) الزناتيين فى طاعة الخليفة عبد الرحمن الناصر[٥].

وفى النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى، بلغ البربر ذروة نفوذهم وأوج سلطانهم عندما رضى عنهـم الحكم المستنصـر وأمر باستـدعائهم فأحـسن قبـولهم وأجزل عطاءهم وغض الطرف عن مذاهبهم[٦].

---

(١) ابن حيـان: المقـتبس، القـسم الثالث ص ١٨، مجـهول: مـدونة من عصـر الناصر، ص ٣٣، الحميرى: الروض المعطار، ص ١٤، Levi Provencal, Cronica, Anonima

(٢) «قلعة رباح قلعة من أعمال جيان وهى بين قرطبـة وطليطلة وهى مدينة حسنة ولها حصون حصينة» الحميرى: المصدر السابق ص ١٦٣.

(٣) حسين مـؤنس: فجر الأندلس ص ٣٨١ «استقرت جـماعات كثيـرة من البربر فى أخصب نواحى الأندلس الجنوبية والشرقـية والغربية بل كادت ناحـية الجزيرة الخضراء أن تكون قـاصرة عليهم، انظر: حسين مؤنـس: ثورات البربر فى أفريقية والأندلس ص ١٩٤ حوليـة كلية الآداب عدد مايو سنة ١٩٤٨.

(٤) حسين مؤنس: المرجع السابق ـ نفس الصفحة.

(٥) انظر ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٢ ص ٢٤٣، وعن سياسـة الخليفة عبد الرحمن الناصر تجاه البربر انظر ابـن الخطيب: أعمال الأعـلام ص ٢١١، ص ٢١٢، البكرى: المغـرب فى ذكر بلاد أفريقية والمـغرب ص ١٢٧، ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ٣٣، جـ ٦ ص ١٣٤ ـ ص ١٣٦، ابن أبى زرع: روض القـرطاس ص ٥٤، ص ٥٥، ص ٥٦، السلاوى: الاسـتـقصـا جـ ١ ص ٨٢، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥، ص ١٨٤.

(٦) ابن حيـان: المقـتبس جـ ٢ ص ١٩٢، ص ١٩٣ «يذكـر ابن حيـان أنه اجتـمع للخليفـة الحكم المستنصر من فرسان الـبربر ما يقارب السبعمائة فارس حيث وفدت عليـه قبائل زناتة ومغراوة من المغـرب تعلن طاعتهـا وانضوائها تحت لوائه» انظر ابن حـيان: المقـتبس جـ ٢ ص ١٧٤، ص ١٧٥، ص ١٩٣، انظر أيضًا ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ١٤٦.

وقد حفل عهـد المنصور بن أبى عامر[١] وابنه عبد الملك[٢] بوصول أعداد كثيرة من بربر العـدوة ومنهم كون ابن أبى عامـر بطانة تغلب بهـا على أقوى المنافسـين له من وزراء الدولة الأموية وكون منهم جـيشًا تحت إمرته[٣]، ولقد ساعـد ذلك على قدوم أعداد هائلة من البـربر فزاد عـددهم زيادة كبـيرة، ويشـير ابـن حزم إلى زيادة عـدد بيوتات البـربر فى عهده[٤].

ويذكر عبـد الله عنان أنه بعد انحلال الدولة الأمـوية وسقوطها إثر الفـتنة البربرية التى عمت قرطبة، تكاثرت الهجرة البربرية إلى الأندلس، حـيث كان لصنهاجة دور بارز فيها[٥]، ففى غرناطة استقر بنو زيرى الصنهاجيون فأقام حـبوس بن ماكس إمارة فيها وكون لها جيشًا وعقـد بينه وبين الأمراء من جيـرانه روابط المودة[٦]، وحاول التوسع فاسـتولى على قبرة وجيان، ثم خلفه ابنه باديس فكانت بينه وبين زهير العامرى، صاحب المرية حرب قتل فيها زهير[٧] فى آخر شـوال ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م، ثم تطلع إلى ما فى يد بنى حمود وكـانوا قد ضعـفوا فى مالقة فـانتزعها مـنهم، ونازع ابن عباد من أجل الفوز بـتلك المدينة، فكان له النصر عليه[٨]، وقد طال حكم باديس وعهد بشئون الدولة إلى وزيره اليهودى ابن النغريلة،

---

(١) ابن الخطيب ـ المصدر السابق ص ٦٣.

(٢) ابن الخطيب: نفس المصدر ص ٨٧.

(٣) ابن عذارى: البـيان السابق جـ ٢ ص ٢٧٨، ص ٢٧٩، ابن خلدون: العـبر جـ ٤ ص ١٤٧، بلغ عدد البربر فى إحدى فرق الجيش ثلاثة آلاف فارس.

(٤) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٤٩٨ ـ ص ٥٠٢.

(٥) انظر عنهم عنان: دولة الإسـلام فى الأندلس عصر ملوك الطوائف ص ٤٤ ومـا بعدها، ص ١١٨ وما بعدها، إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسى ص ١٣.

(٦) ابن الخطيب: أعمال الأعـلام قسم ٣ ص ٦٨، اللمحة البدرية فى أخـبار الدولة النصرية، ص ٣١ راجع أخبـار حبـوس بن مانحسن فـى التبيـان ص ٢٥، ص ٢٦، ابن عذارى: البـيان جـ ٣ ص ٢٦٤.

(٧) ابن بسام: الذخيرة: القسم الأول المجلـد الثانى ص ١٦٦ ـ ص ١٦٩ ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٣ ص ١٦٩ ـ ص ١٧٢، عبد الله بن بلقين: التبيان ص ٢٧٤ ـ ص ٢٧٥.

(٨) عن الصراع بـين باديس وبنى عبـاد انظر ابن عذارى: البـيان جـ ٣ ص ١٩٩ ـ ٢٧٤، ٢٧٥، ابن خلدون جـ ٦ ص ١٨٠، المراكشى: المعجب ص ١٢١ ابن بسـام: الذخيرة قسم ٤ مجلد ١، ابن عذارى: جـ ٣ ص ٢٧٤، ص ٢٧٥ عبد الله بن بلقـين: التبيان، ص ٣٤، ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م ـ ص ٣٣٧.

وزاد نفوذ النساء فى القصر[١]، ولما توفى باديس خلفه حفيده عبد الله بن بلقين، وتجددت المنافسة بينه وبين ابن عباد إلى أن سقطت طليطلة فـى يد ألفونسو السادس ملك قشتالة[٢] واتفق الأمراء فى الأندلس على الاستعانة بالمـرابطين، وكان المرابطون هم الذين قـضوا على عبد الله بن بلقين[٣]

ومنذ ذلك الحين تدفق البربر على غرناطة، ويعلل حـسين مؤنس ذلك بأنها أقرب إلى بر العدوة[٤] من ناحيـة ولأن معظم أهلها من بربر أفريقـية من ناحية أخـرى، هذا وقد بلغ دور صنهاجة ذروته مع الفتح الرابطى[٥] فأنزلوا قبائلهم فى الثغور[٦] والمدن ومما يدل على كثـرة البربر فى غرناطـة ما ذكر ابن الخطيب من أن بهـا من «البربر والمـهاجرة الكثـير»[٧] «والبربر منهم يرجع إلى قبائله المرينية والزناتية والمغراوية»[٨].

ولما فـتح الموحـدون الأندلس ساروا على سنة أسـلافهم فـأسكنوا الموحـدين مدن الأندلس وثغوره، بدأ عبد المؤمن بن على هذه السياسة[٩] وسار خلفاؤه عليها.

---

(١) ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٦٦، التبيان ص ٤٢.

(٢) عن سقوط طليطلة انظر ابن بسـام: الذخيرة قسم ٤ مجلد ١ ص ١٦٣ وما بعـدها، المقرى: نفح الطيب جـ ٤ ص ٦٢، عبد الله بن بلقين: التبيان ص ٦٩ ـ ص ٧٠ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ص ٢٣٥، عبد السلام الطود: بنو عبـاد بأشبيلية ص ١٣٥، عنان: دولة الإسلام فى الأندلس ص ١١٠، الحجى: التاريخ الأندلسى الطبعة الأولى ص ٣٣٧.

(٣) ابن أبى زرع: الأنيس الـمطرب ص ١٥٢، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥ مـجـهـول: الحلل الموشية ص ٧٣، عبد الله بن بلقين: التبيان ص ١٠٣.

(٤) حسين مـؤنس: الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المـرابطين والموحدين مجلة كلية الآداب جـامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) مجلد ١١ جـ ٢ ص ٩٧ سنة ١٩٤٩ م.

(٥) عنان: دولة الإسلام فى الأندلس (عصر الطوائف) ص ٤٤، ص ١١٨ وما بعـدها، إحسان عباس: الأدب الأندلسى: عصر الطوائف والمرابطين ص ١٣، ص ١٤، التبيان: ص ١٧٦.

(٦) الونشريشى: (أبو العـباس يحيى) المعيـار المغرب جـ ٣ ص ٣٠٦، مؤلف مجـهول: ذكر بعض مشاهير فاس فى القديم، تحقيق عـبد القادو زمامة مجلة البحث العلمى الرباط ص ٥٢ سنة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥.

(٧) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٣٤.

(٨) ابن الخطيب: المصدر السابق جـ ١ ص ١٣٦.

(٩) البيذق: أخبار المهدى: ص ١٢٥ ـ ١٢٧.

ولما فتح يوسف بن عبد المؤمن شرق الأندلس أنزل زناتة بلنسية وأنزل صنهاجة[١] وهسكورة[٢] فى شاطبة ومرسية وأنزل أهل تينمل[٣] فى لورقة كما أنزل قبيلة جومية[٤] فى المرية وبرشانة من إقليم غرناطة ولقد اختلفت مهن البربر تبعًا لأوضاعهم فقد عملوا فى التجارة[٥]

(١) احتلت قبائل صنهاجة مساحات شاسعة من المغرب إذ امتدت من نول لمطة فى جنوب المغرب الأقصى إلى القيروان فى إفريقية حيث أقاموا فى المناطق الصحراوية، انظر ابن الخطيب: أعمال الأعلام القسم الثالث ص ٢٢٥ تحقيق العبادى، بن أبى دينار القيرواني: المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس ص ١٠١، حسن محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤٤، السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير ص ٦٩٠.

J.S.Trimingham, A History of Islam in West Africa, P.; 20

يقول ابن خلدون «هذا القبيل من أوفى قبائل البربر وهو أكثر أهل المغرب لهذا العهد وما بعده لا يكاد قطر من الأقطار يخلو من بطن من بطونهم فى جبل أو بسيط حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أول البربر» ابن خلدون: العبر جـ ٦ ص ١٥٢ عن صنهاجة انظر ابن الخطيب: أعمال الأعلام القسم الثالث، العبادى ص ٢٢٥، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٦ ص ١٢٨، السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ٣، يذكر عبد العزيز بن عبد الله أن صنهاجة ضمت مجموعة كبيرة من القبائل بلغة سبعين قبيلة: عبد العزيز بن عبد الله: تاريخ المغرب جـ ١ ص ١٠٠.

(٢) أما هسكورة فقد وصفهم ابن خلدون بقوله «وأما هسكورة وهم لهذا العهد فى عداد المصامدة وينسبون إلى دعوة الموحدين وهم أمم كثيرة وبطون واسعة ومواطنهم بجبالهم متصلة من درن إلى تادلا من جانب الشرق إلى درعة من جانب القبلة «ابن خلدون» نفس المصدر جـ ٦ ص ٢٠٣.

(٣) أهل تينمل وترجع أهميتها لانضمامها للدعوة الجديدة وإقامة المهدى بين ظهرانيهم ومن هنا اكتسبوا منزلة بين القبائل «يقول ابن القطان» وكذا تينمل إخوتهم - أى أخوة قبيلة هرغة - فى التعصب على دعوة المهدى والاشتمال عليه والقيام بأمره حتى تحيز إليهم وبنى داره ومسجده بينهم فكان يعطيهم من الفىء بقدر عظيم.

ابن القطان نظم الجمان ص ٣٠، البيذق: أخبار المهدى، ابن خلدون نفس المصدر: جـ ٦: ص ٢٦٧.

(٤) وكومية تنتسب إلى قبائل البتر وهم يعرفون قديما بصطفورة بطن من بنى فاتن بن تامصبت بن ضرى بن زجيك بن ماذغيش الأبتر وهم أبناء عم زناتة، السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ٩٩ البيذق: نفس المصدر ص ١٢٧ عن كومية: انظر ابن خلدون: العبر جـ ٦، ص ١٢٦، عبد العزيز بن عبد الله: وحدة المغرب العربى ص ٥٤ مجلة تطوان عدد ١ ص ٥٦.

(٥) كان التجار المغاربة يستوردون الذهب والجلود والعاج وغيرها من البضائع من غانا ويصدرون إليها الملح والنحاس والمسبوك والأصداف وآلات الحديد المصنوع، انظر الإدريسى: وصف المغرب والأندلس ص ٦٦.

والزراعة[١] والصناعة[٢] وتولوا بعض الأعمال الإدارية بالإضافة إلى بعض المهن الأخرى مثل العمل فى مناجم الفحم وحراسة الدروب[٣]، هذا إلى جانب الطبقات الحاكمة من الأمراء والوزراء والقادة المرابطين[٤] والموحدين.

أما عن علاقة البربر بأهل البلاد سواء من أهل غرناطة أو المدن الأندلسية الأخرى، فقد بينها المقرى بقوله «عرف أهل الأندلس ببغضهم وعداوتهم للبربر فلا تجد أندلسيًا إلاَّ مبغضًا بربريًا، وبالعكس إلاَّ أن البربر[٥] أحوج إلى أهل الأندلس لوجود بعض الأشياء عندهم وفقدهم فى بلاد البربر» وهم فى نظر الأندلسيين نكد وشؤم والدماء عندهم[٦] هوان «وإذا غضبوا قتلوا أو جرحوا»[٧].

---

(١) اتخذت قبائل البربر الفلاحة مهنة لهم يتوارثونها فكانوا يزرعون الأرض مستغلين الظروف الطبيعية فى استثمار المحاصيل الزراعية المختلفة، فقبائل المصامدة اهتموا بالزراعة وغرس الأشجار، انظر Terrasse: Historie du Maroc.; P. 22 كذلك قبائل دكالة امتهنت الزراعة وقامت بزراعة البساتين والحدائق المختلفة، انظر مجهول: الاستبصار ص ٢٠٩ أما قبائل تامسنا فقد اشتغلت بالزراعة، وصفهم الإدريسى بقوله «وقبائل تامسنا شتى متفرقة فمنهم برغواطة ومطماطة وبنو تسلت وبنو يغمران وزقارة وبعض من زناتة وبنو يخفش من زنانة وكل هذه القبائل أصحاب حرث ومواشى وجمال» انظر الإدريسى: وصف المغرب والأندلس ص ٧٠ ـ ص ٧١، ابن سعيد: نزهة الأنظار جـ ١ ص ١٤.

(٢) حينما استولى عبد المؤمن بن على على مراكش من يد المرابطين فإنه أبقى على أرواح الصناع، يقول ابن الأثير (ولما فتح عبد المؤمن مراكش أقام بها واستوطنها واستقر ملكه ولما قتل عبد المؤمن من أهل مراكش فأكثر فيهم القتل اختفى كثير من أهلها فلما كان بعد سبعة أيام فنودى بأمان من بقى من أهلها فخرجوا فأراد أصحابه المصامدة قتلهم فمنعهم وقال هؤلاء صناع وأهل الأسواق ممن ننتفع بهم، فتركوا وأمر بإخراج القتلى من البلد فأخرجوهم» ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ٨ ص ٣٠١، ٩ أجزاء مطبعة الاستقامة: راجع عن امتهان البربر الزراعة والصناعة والتجارة Terrass; Histoire du Maroc. P. 22.

(٣) مؤلف مجهول: بعض مشاهير فاس ص ٥٥، ص ٥٦.

(٤) مجهول: الحلل الموشية ص ٣٣.

(٥) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ٢٢٨ ـ ص ٢٢٩ ط القاهرة سنة ١٩٤٩.

(٦) المراكشى: المعجب ص ٩٩ طبعة سنة ١٩٤٩.

(٧) ابن عبدون: ثلاث رسائل ص ٢٨.

وكان دخول البربر فى الحياة المدنية بصورة واسعة من الأشياء التى آلمت الأندلسيين الذين كانوا أسبق فى مجال الحياة المدنية[١]، فأهل غرناطة رفضوا تولية ابن حماد الصنهاجى قاضيًا عليهم فى سنة ٥٣٥ هـ ـ سنة ١٩٤١ م[٢] ومما زاد فى هذه الفجوة بين الأندلسيين والبربر ما يسميه ابن الخطيب «النفرة الطبيعية بين الأندلسيين والمغاربة»[٣].

والبربر الذين دخلوا المدينة من الأرياف أصبحوا كما يذكر حسين مؤنس طبقة جديدة حاكمة متميزة، فوجد الأندلسيون فرصة للنيل منهم بسبب أصلهم البربرى[٤].

ويذكر الشقندى أنه لولا توسط ابن عياد لدى شعراء الأندلس فى مدح يوسف بن تاشفين «ما أجروا له ذكرا ولا رفعوا لملكه قدرا»[٥] وعرّضوا بجهل الأمير يوسف بن تاشفين باللغة العربية[٦].

وفى عهد الخليفة الموحدى أبى يوسف يعقوب بن عبد المؤمن وصف ابن رشد الحفيد الخليفة الموحدى بملك البربر وكان ذلك من أسباب محنته[٧].

---

(١) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى ص ٨٢.

(٢) ابن بشكوال الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس جـ ٢ ص ٦١٤ تحقيق عزت العطار القاهرة مكتبة الخانجى سنة ١٩٥٠ حاشية رقم (١) «هو موسى ابن حماد الصنهاجى من أهل العدوة، يكنى أبا عمران كان فقيهًا حافظا للرأى، عالما بالمسائل والأحكام مقدمًا فى معرفتها، تولى القضاء بحضرة مراكش توفى بها فى ذى القعدة من سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ومولده سنة ست وأربعين» انظر المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام: جـ ١ تحقيق ليفى بروفنسال، ص ٢٧٧.

(٤) حسين مؤنس: سبع وثائق جديدة صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنه ١٩٤٥ المجلد الثانى العدد ١ ـ ٢ ص ٧٥ ونصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطية إلى الموحدين معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٥٥ المجلد الأول عدد ٣ ص ١١٨.

(٥) المقرى: نفح الطيب: جـ ٣ ص ١٩١، طبعة دار صادر، بيروت، سنة ١٩٦٧.

(٦) المقرى: المصدر السابق: نفس الجزء ونفس الصفحة.

(٧) المراكشى: المعجب: ص ٢٨٤ «فى ذلك يذكر المراكشى، فإن الحكيم أبا الوليد ـ رحمه الله ـ أخذ فى شرح كتاب الأسطاطليس صاحب كتاب المنطق، فهذبه، وبسط أغراضه وزاد فيه ما رآه لائقًا به، فقال فى هذا الكتاب عند ذكره الزرافة: وكيف تتولد وبأى أرض تنشأ: «وقد رأيتها عند ملك البربر» انظر المصدر السابق، نفس الصفحة.

وعلى الرغم من أن هذا هو الطابع الغالب عند أهل غرناطة والأندلسيين عامة في نظرتهم إلى البربر، فهناك قلة من الأندلسيين - من الكتاب والفقهاء - تجاوزت الأصل البربرى ونظرت للمرابطين نظرة حب وبتجيل، فبفضل المرابطين هُزم ألفونسو السادس فى الزلاقة، وقد أظهر الأندلسيون إعظامهم ليوسف بن تاشفين(١).

وفى ذلك يقول المراكشى: «فلم يزل أصحاب يوسف بن تاشفين يطوون تلك الممالك مملكة مملكة إلى أن أمددت أنت لهم الجزيرة بأجمعها، فأظهروا فى أول إمرتهم من النكاية فى العدو، والدفاع عن المسلمين وحماية الثغور، ما صدق بهم الظنون، وأثلج الصدور وأقر العيون فزاد حب أهل الأندلس لهم»(٢).

ومن هؤلاء الكتاب أبو بكر يحيى بن الصيرفى، المؤرخ الغرناطى وهو أحد الشعراء المجودين، له تاريخ مفيد قصره على الدولة اللمتونية وكان من شعرائها وخدام أمرائها توفى سنة ٥٥٧ هـ عن تسعين عاما(٣).

كذلك الفقيه ابن العربى الذى دافع عن المرابطين بوله «ولو لم يكن لهم فضل سوى الزلاقة لكفاهم»(٤).

هذا وقد استغل بعض الأندلسيين لبس اللثام تشبهًا بالمرابطين لإنحاز بعض الأعمال التى تعود عليهم بالنفع مما دعا ابن عبدون إلى أن ينهى عن لبسه قائلا «يجب أن لا يلثم إلا صنهاجى أو لمتونى أو لمطى فإن الحشم والعبيد ومن لا يجب أن يلثم يلثمون على الناس ويهيبونهم ويأتون أبوابًا من الفجور كثيرة بسبب اللثام»(٥).

---

(١) المراكشى: المصدر السابق: ص ٢٢٦.

(٢) المراكشى: المعجب: ص ٢٢٦، عن ذلك انظر Dozy: Hist.: P: 300

(٣) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: جـ ٢ ص ١١٨ «ألف كتابا فى العصر المرابطى أسماه الأنوار الجلية فى أخبار الدولة اللمتونية المرابطية» انظر ابن الخطيب: مخطوط الأسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٤١٥.

(٤) الونشريشى: المعيار المغرب جـ ١٢ ص ١٧٩ وما بعدها.

(٥) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة: ص ٢٨.

الأندلسيون:

بعد فتح الأندلس، أسلم كثير من الأسبان وقد عرفوا هؤلاء الأسبان باسم المسالمة[١]، وقد أنجب هؤلاء المسالمة جيلاً جديدًا عرفوا باسم المولدين[٢]، وهم الذين ولدوا من آباء مسلمين فنشأوا على الإسلام.

وقد تميز القرن الخامس الهجرى بصعوبة التمييز بين العناصر والأجناس البشرية الموجودة فى البلاد الأندلسية سواء من العرب أو البربر أو المسالمة أو المولدين، فقد تم التمازج بين تلك العناصر فأطلق عليهم جميعًا الأندلسيين، ويذكر Simonet† أن هذا اللفظ ظهر منذ القرن الثالث / أوائل العاشر الميلادى عندما اختفت ألفاظ أخرى مثل مسالمة ومولدين[٣].

ويبدو أن هذا كان مفهوم معظم الكتاب والمؤرخين أمثال ابن عبدون حين كان يفرق بين الأندلسيين والمرابطين[٤].

وبهذا المفهوم أيضًا استعمل اللفظ فى التشكيلات العسكرية حيث يذكر ابن الخطيب فى حديثه عن الأندلسيين من أهل غرناطة[٥] «وجندهم صنفان أندلسى وبربرى والأندلسى منهم يقودهم رئيس من القرابة أو حَصِىّ»[٦] وبهذا المفهوم أيضًا استعمل ذلك

(١) لطفى عبد البديع: الإسلام فى أسبانيا: ص ٢٤ انظر عن هؤلاء المولدين فيليب حتى: تاريخ العرب.

(2) Simonet: Los Mozarabes; p.XVI. Del Prolgo, Levi - Provencal: Histoire de L'Espan. P 74 - 75.

(3) Simonet: OP. Cit; Levi Provencal: OP. Cit. p. 74 - 75; Levi Provencal: L; Espagne Musulmane, P. 18 - 20.

(٤) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٩، ص ١٦.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٦.

(٦) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٣٦، «الحَصِىّ هو الرجل الوافر العقل، انظر المصدر السابق نفس الجزء والصفحة، هامش رقم ١».

اللفظ فى تشكيلات الموحدين الإدراية، فقد كانت عندهم هيئة استشارية من أشياخ الأندلسيين[١].

وكان من هؤلاء الأندلسيين من كانت أصوله غير عربية مثل ابن همشك[٢] وبنى مردنيش[٣]، كذلك يذكر ابن الخطيب أن كثيرين من أهل غرناطة أنسابهم عربية «يكثر فيها القرشى والفهرى و الأموى والآمى والأنصارى، والأوسى والخزرجى والقحطانى، والحميرى والمخزومى والتنوخى والغسانى والأزدى والقيسى والمعافرى والكنانى والتميمى والهذلى والبكرى والكلابى والنمرى واليعمرى والمازنى والثقفى والسلمى والفزارى والباهلى والعبسى والعذرى والحججى والضبى. . . والقشيرى والقضاعى»[٤].

إلى آخر هذه الأسماء التى ترجع فى نسبها الى أصولها العربية، هذا وقد اشتغل هؤلاء الأندلسيون بمهن كثيرة فعملوا فى الزراعة والصناعة والتجارة[٥]، ويذكر حسين مؤنس أنهم كانوا من أوفر العناصر البشرية نشاطًا وأكثرها تلاؤمًا مع ظروف الحياة فى شبه الجزيرة الأندلسية[٦].

هذا وقد اشتهر كثيرٌ من الأندلسيين فى العصر المرابطى، فكان يوسف بن تاشفين «يفضل الفقهاء ويعظم العلماء ويصرف الأمور إليهم ويأخذ برأيهم ويقضى على نفسه بفتياهم»[٧] ولذلك ترك المرابطون والموحدون مناصب القضاء والفتيا فى القواعد الكبرى للأندلسيين وذلك لسبب واضح وهو أنه لم يكن بين العلماء المرابطين من يستطيع الاضطلاع بهذه المناصب فى بلد كالأندلس، امتار قضاته بغزير علمهم، فكان أولئك

---

(١) انظر عنهم: ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١١٢، ص ١١٣، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٤ قسم ٣ ص ٥٨ العصر الموحدى، عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص ٨٧، وتنظيمات الموحدين ص ٢٢٥ ـ ص ٢٥٦.

(٢) عن ابن همشك انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٣٠٥ ـ ص ٣١١، ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ١٨٠ وما بعدها.

(٣) Dozy: Recherches 1,P.P. 368 - 369

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٥.

(٥) مجهول: ذكر بعض مشاهير أعيان فاس، ص ٥٦ وما بعدها.

(٦) حسين مؤنس: فجر الأندلس: ص ٤٣٥.

(٧) مجهول: الحلل الموشية: ص ٨٢، تحقيق عبد القادر زمامة، طبعة سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

القضاة الأندلسيون يتمتعون لدى العاهل المرابطى بكثير من النفوذ ولهم كلمة مسموعة فى كثير من الشئون الهامة وكانوا فى نفس الوقت رسله لتدعيم هيبته ونفوذه لدى الشعب الأندلسى[١].

هذا وقد بلغ من نفوذ الفقهاء والقضاة الأندلسيين أنهم كانوا يعينون فى المناصب حتى فى بلاد المغرب، فقد تولى القاضى عبد العظيم بن يزيد بن يحيى بن يزيد بن هشام الخولانى من قرية غلجر من قرى إقليم غرناطة، قضاء دكالة، ثم قضاء سلجماسة[٢].

وقد تحدث ابن الخطيب فى كتابه الإحاطة عن الأندلسيين من أهل غرناطة فوصف أخلاقهم وعاداتهم فقال «أحوال هذا القطر فى الدين وصلاح العقائد أحوال سنية والنحل فيهم معروفة فمذاهبهم على مذهب مالك بن أنس»[٣].

ويستوقف نظرنا قوله «وصورهم حسنة وأنوفهم معتدلة وألوانهم زهر مشربة بحمرة، وألسنتهم فصيحة عربية يتخللها غرب كثير، وتغلب عليهم الإمالة وأخلاقهم أبية فى معانى المنازعات وأنسابهم عربية، وفيهم من البربر والمهاجرة كثير، ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشى بينهم الملف المصبوغ شتاء...»[٤]، ثم يستمر فى وصف الأندلسيين من أهل غرناطة فيقول «فتبصرهم فى المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة فى البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة»[٥] ثم يواصل ابن الخطيب حديثه فيتحدث عن نساء غرناطة فيصفهن بأنهن ذوات جمال «موصوف بالسحر وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب النشر وخفة الحركات ونبل الكلام وحسن المحاورة إلا أن الطول يندر فيهن»[٦].

---

(١) المراكشى: المعجب: ص ٢٢٨ وما بعدها، انظر عنان: دولة الإسلام فى الأندلس (عصر المرابطين): القسم الأول ص ٤٩٦.

(٢) ابن الزبير: أبو جعفر أحمد: صلة الصلة: ص ٣٤، القسم الأخير وهو ذيل للصلة البشكوالية فى تراجم أعلام الرباط، صححه وعلق عليه ليفى بروفنسال، الرباط ١٩٣٧.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٤.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٤ ـ ص ١٣٥، الملف المصبوغ هو الجوخ المنسوج من الصوف، انظر ابن الخطيب: اللمحة البدرية: ص ٣٨، Dozy: Diction: p 114.

(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٣٥.

(٦) ابن الخطيب: نفس المصدر: جـ ١ ص ١٣٩.

هذا وقد شارك الأندلسيون من أهل غرناطة بخبرتهم فى مختلف المناصب فى الدولة، فقد عين الأندلسيون فى أهم تلك المناصب مثل القضاء والفتيا كما سبق أن ذكرت بالإضافة إلى منصب الكتابة، فكان بلاط مراكش فى عهد على بن يوسف يضم طائفة من أقدر الكتاب الأندلسيين فى هذا العصر وكان من الطبيعى أن تعتمد الدولة اللمتونية التى نشأت فى بيئة من البداوة والتقشف فى شئون الكتابة على أقطاب البلاغة من الكتاب الأندلسيين وأن يكون أولئك الكتاب ألسنتها لدى الشعب الأندلسى الذى اعتاد على أساليب الكتابة الراقية(١).

وفى العصر الموحدى اتخذ الخلفاء الموحدون والسادة من الولاة سواء بالمغرب أو الأندلس أبلغ كتاب العصر من الكتاب الأندلسيين(٢).

وكما تأثر خلفاء الموحدين بعلمائهم وأدبائهم فقد تأثروا أيضا برجال الفن الأندلسيين ومهندسيهم ونخص بالذكر منهم مهندسين اشتركا فى تشييد معظم آثار بنى عبد المؤمن، وهما أحمد بن باسة عريف البنائين فى الأندلس، والحاج يعيش المالقى(٣) الذى اشترك فى بناء حصن جبل طارق(٤)، واستفاد الموحدون من ابن رشد الحفيد وابن طفيل الوادى آشى وابن جعفر الذهبى وغيرهم فى الطب والصيدلة(٥).

وهكذا نرى أن المرابطين والموحدين لم يستطيعوا أن يزاحموا الأندلسيين فى مراكز القضاء والفتيا والكتابة والحسبة وغيرها من الوظائف الهامة التى شغلها الأندلسيون دون منازع.

---

(١) مجهول: الحلل الموشية: ص ٤٩، عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين: ص ٤١٧.

(٢) عنان: المرجع السابق: ص ٣٦٣ عصر الموحدين.

(٣) ابن عذارى: «البيان المغرب: جـ ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ٩٧.

P. Antuna Melchor, Sevilla ysus monumentos Arabes, P.P. 131 - 133.

Torres Balbas, Arquitectos Andaluces de los Epocass Almoravidey Almohade; Al - Andalus, 1946, Face 1, P.P. 214 - 224.

(٤) عن ذلك انظر: عبد العزيز سالم: المغرب الكبير (العصر الإسلامى): ص ٨٣٥.

(٥) عن هؤلاء انظر: ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء: جـ ٢ ص ٦٦ ـ ٨٩.

أهل الذمة:

بجانب العنصرين البربرى والأندلسى أقام فى غرناطة خليط عجيب من أصول أسبانية[١] ممن احتفظوا بديانتهم (سواء المسيحية أو اليهودية) وعاشوا فى كنف الدولة الإسلامية وهؤلاء سموا بأهل الذمة[٢] كما أطلقت عليهم الروايات اسم الروم المعاهدة[٣] أو النصارى المعاهدين[٤] أو المعاهدين فقط[٥]، ويندرج تحت هذا اللفظ أيضًا

(١) لطفى عبد البديع: الإسلام فى أسبانيا: ص ٢٧، سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم من ٢٣٠، العبادى فى تاريخ المغرب، والأندلس ص ١١٧.

(٢) أهل الذمة: النصارى المعاهدون أو المستعربون بالأسبانية Los Mozarabes وهم النصارى الذين بقوا بعد الفتح الإسلامى فى الأندلس حيث سكنوا المدن والبقاع المفتوحة تحت حكم الدولة الإسلامية، وكانوا يكونون أقليات كبيرة فى القواعد الرئيسية مثل قرطبة وأشبيلية وطليطلة وغرناطة ويتمتعون فى ظل الحكومة الإسلامية باستقلال محلى، ويطبقون شرائعهم الدينية، ولهم قضاؤهم الخاص ولهم كنائسهم يزاولون شعائرهم الدينية، وكانوا فوق ذلك يتمتعون بنفوذ قوى ويحتل الكثير منهم مناصب عامة فى الجيش والحكومة، وقد أنشات الحكومة الإسلامية فى الأندلس - اعترافًا منها بأهمية الأقليات النصرانية - منصب القومس للنصارى ليكون مرجعهم الرئيسى فى شئونهم الروحية وكان القومس من الشخصيات ذات النفوذ، ولما نمت هذه الأقليات النصرانية وازدهرت، بدأت فى مناوأة الحكومة الإسلامية وتدبير الدسائس ضدها، وكانت عضد الثورات المختلفة فى المدن والمقاطعات الثائرة ولا سيما طليطلة وما يجاورها من المدن القريبة من حدود النصارى «وسوف نرى ما فعله المعاهدة من استدعائهم ابن رزمير لغزو غرناطة، ومن الغريب أنهم مع بغضهم للإسلام والحكومة الإسلامية كانوا يأخذون بسقط وافر من التقاليد الإسلامية وكانوا يتكلمون العربية ويستعملونها فى معاملتهم، ولبث النصارى المعاهدة على مر العصور شوكة فى جنب الإسلام، وفى تاريخ النصارى المعاهدين خصص العلماء الأسبان مصنفات كثيرة فى تاريخ المعاهدين منهم المستشرق Simonet الذى وضع مؤلفًا كبيرًا عنوانه.
Historia de Los Mozarabes de Espagne
عن النصارى المعاهدة انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٦ - ص ١١٤، ابن عذارى: البيان، جـ ٤ ص ٤٠.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٤٠، وسمى أيضًا المعاهدة بالروم البلديين.

(٤) مجهول: الحلل الموشية: ص٩٠ - ص٩١، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٦ - ص ١١٤.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٦٩ - ٧٣، ابن الخطيب: المصدر السابق: نفس الصفحات.

اليهود[١] الذين يسميهم ابن صاحب الصلاة فى كتابه المن بالإمامة «اليهود الإسلاميين»[٢] وهم اليهود الذين عاشوا فى ظل السيادة الإسلامية.

ولقد سكن أهل الذمة من النصارى واليهود فى سائر المدن الأندلسية[٣] كما يلاحظ انتشارهم الواسع فى أرياف الأندلس أيضاً[٤].

ومنذ عصر الطوائف تدفقت موجات كبيرة من اليهود إلى الجنوب حيث كان لهم شأن كبير فى مملكة غرناطة فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى[٥]، وصارت تضم أكبر جالية يهودية، فسميت بغرناطة اليهود[٦]، لكثرة اليهود النازلين بها، كما كشفت حملة ابن رزمير[٧] فى سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م والتى هاجم فيها الأندلس من الشمال حتى الجنوب وعاث فى أقطاره فساداً، فهى تدل على مدى انتشارهم الواسع وخاصة فى غرناطة[٨] فيذكر ابن عذارى «إن الأمير أبا طاهر - والى غرناطة - لما هم بثقافهم أعياه ذلك لكثرتهم وبعد أقطارهم»[٩].

كان لاستقرار أهل الذمة من اليهود والنصارى فى أرياف الأندلس وخاصة غرناطة أن

---

(١) ابن الخطيب: نفس المصدر: نفس الصفحات.
(٢) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨١.
(٣) ابن عذارى: البيان: جـ ٤ ص ٣٩ - ص ٤١ جـ ٤، قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ٥٠ - ص ٥٣، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ - ص ٩١، الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٣، ص ٢٤، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨١، وما بعدها.
(٤) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٢٣، ص ١٠٨، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٣٦، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٤٣ - ١٤٤.
(٥) الحميرى: المصدر السابق: ص ٢٣، التبيان: ص ٣٢.
(٦) الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣.
(٧) هو ألفونسو الأول ملك أراجون ويعرف فى الروايات العربية باسم ابن رزمير وكان صعب المراس حتى أنه لقب بالمحارب، انظر ابن عذارى: البيان: جـ ١ ص ١٠٨ - ص ١١٤، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ - ٩١، أمبرسيو هويثى ميراندا: على بن يوسف وأعماله فى الأندلس، مجلة تطوان، منشورات الجامعة المغربية، كلية الآداب، العدد ٣ - ٤، سنة ١٩٥٨ - ١٩٥٩، ص ١٧٢.
(٨) ابن الخطيب: نفس المصدر: جـ ١ ص ١٠٦ - ص ١١٤.
(٩) ابن عذارى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٧٠.

عملوا فى الزراعة والرعى والصيد(١)، وقد استفاد ألفونس السادس لقشتالى من النصارى المعاهدة في غرناطة فنقل عددًا كبيرًا منهم سنة ٤٨٧ هـ (١٩٠٤ م) لعمارة أرض طليطلة(٢).

وفى ذلك يقول ابن عذارى «واتصل النبأ بإذفونش ـ وقحه الله ـ وقد تجاوز فى نصف طريقة لنصرة لزريق، وبلغه هديته من نهب المحلة، فكره أن يفرق جمعه وينظف جيشه، فقصد أرض وادى آشى من نظر غرناطة، فتردد فى جهاتها، واكتسح ما ألقاه بها وحمل جملة من رعيتها المعاهدة لعمارة أرض طليطلة(٣).

كما عمل أهل الذمة وخاصة اليهود فى صناعة الذهب والفضة والنحاس وما يصاغ منها(٤)، ويؤكد هذا ابن يوسف الحكيم فيذكر: أن أهل الذمة وخاصة اليهود كانوا يشتغلون فى الصياغة والصيرفة(٥)، أما الخطط الإدارية مثل الكتابة والحجابة والوزارة فلم نسمع عن تولى ذمى لأى من هذه المناصب فى عصر المرابطين والموحدين على الرغم من تولى هذه الوظائف فى عصر ملوك الطوائف(٦).

ولكن تولى بعض الذميين أعمال الجباية فى عهد الأمير المرابطى على بن يوسف اذ يذكر ابن الأثير أن على بن يوسف استعمل جنده الرومى فى أعمال الجباية(٧)، ويتضح من

(١) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٣٢ ـ ص ١٠٨، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٤٣ ـ ص ١٤٤، ابن عذارى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٧١.
«حيث جلب النصارى المعاهدة الأقوات والعلوفات لجيش ألفونسو المحارب» انظر: ابن عذارى، المصدر السابق ص ٧٩.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٣٦.

(٣) ابن عذارى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٣٦.

(٤) Goitein, Jews and Arabs; P. 115.

(٥) ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة، تحقيق حسين مؤنس، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد: سنة ١٣٧٩ / ١٩٦٠، ص ١١٥ ـ ص ١١٦.

(٦) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٣٢.

(٧) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ٥٧٣، ابن عذارى: المصدر السابق: ص ٢٦ عن ذلك انظر: حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤١١، حركات: المغرب عبر التاريخ: ص ٢٢٩، ليفى بروفنسال: الإسلام فى المغرب والأندلس: ص ٢٢٧، ترجمة السيد عبد العزيز سالم، ابن عذارى: المصدر السابق: ص ٢٦.

هذا أن أهل الذمة استخدمهم المرابطون ثم الموحدون فى بعض فرق الجيش[١]، يقول ابن عذارى «وفى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة خرج تاشفين بعسكر كبير من لمتونة والحشم وزناتة لقتال الموحدين ومعه جمع من النصارى مع قائدهم الربرتير فبقى يحاربهم نحو شهرين، ثم رجع إلى مراكش»[٢].

بالإضافة إلى هذه المهن نجد أهل الذمة يقومون بالاشتغال بتدريس العلوم المختلفة والعمل فى مجال الطب مما جعل ابن عبدون ينهى عن عمل اليهود والنصارى فى هذا المجال فهم غير أمناء فى نقل العلوم، قال «يجب أن لا يباع من اليهود ولا من النصارى كتاب علم إلا ما كان من شريعتهم فإنهم يترجمون كتب العلوم وينسبونها إلى أهلهم وأساقتهم وهى من تواليف المسلمين[٣]، كما كان يشك فى نصيحتهم الخاصة للمرضى المسلمين «لا يترك طبيب يهودى أو نصرانى أن يجلس ليطيب المسلمين فإنهم لا يرون نصيحة مسلم إلا أن يطيبوا أهل ملتهم»[٤] ولذلك راعى ابن عبدون «ألا يعالج يهودى أو نصرانى[٥] مسلمًا».

وقد بلغ أهل الذمة قدرًا كبيراً من الثراء وخاصة اليهود مما دفع ابن تاشفين إلى فرض أموال كثيرة عليهم ليستعين بها فى دعم مركزه[٦]، يقول ابن عذارى «فيها أى سنة ٣٦٣ هـ افترض على اليهود ضريبة ثقيلة فى جميع طاعته اجتمع له فيها مائة ألف دينار عشرية نيف على ثلاثة عشر ألف دينار»[٧] وذلك يدل على ما كان يتمتع به أهل الذمة من ثراء كبير.

---

(١) ابن الأثير: المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة، ابن عذارى: البيان: جـ ٤ ص ٩٨، انظر حسن محمود قيام دولة المرابطين نفس المرجع والصفحة، أشباخ: جـ ٢ ص ٢٣٩ وعن استخدام النصارى المعاهدين فى العصر الموحدى وعصر عبد المؤمن بن على وابنه يوسف انظر أخبار المهدى: ص ١٢٧.

J.F.P.: Hopkins; Medieval Muslim; P. 69.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٩٨.

(٣) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة: ص ٥٧.

(٤) ابن عبدون: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) ابن عذارى: نفس المصدر: ٥٥.

(٦) ابن عذارى: البيان: جـ ٤ ص ٢٣.

(٧) ابن عذارى: المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة.

هذا وقد تأثرت فئة أهل الذمة بالتطورات السياسة التى طرأت على الأندلس كما سبق القول فبسيطرة المرابطين ومن جاء بعدهم من الموحدين تغيرت أوضاع أهل الذمة من النصارى واليهود، فبالنسبة للمعاصرين النصارى، فقد التزمت الدولة تجاههم بتعاليم الشريعة الإسلامية وهى أن يختاروا أحد أمرين: إما الدخول فى الإسلام، أو دفع الجزية[١] ومن الواضح أن أغلب هؤلاء النصارى رضى بدفع الجزية[٢].

هذا وقد اختلفت أوضاع أهل الذمة من المعاهدة فى عصر المرابطين والموحدين، عنها فى عصر ملوك الطوائف، حيث عاش هؤلاء المعاهدة فى ظل انتعاش اقتصادى لم يألفوه من قبل ولم يواجههم أى اضطهاد يذكر[٣]، فقويت شوكتهم وخاصة فى غرناطة[٤]، يقول ابن عذارى: واكتسبوا الجاه والمال واستطالوا على المسلمين[٥] وتعسفوا فى جباية الضرائب، ويقول ابن الكردبوس: إن ملوك الطوائف وكلوا أمور المسلمين إلى اليهود فعاثوا فيها عيث الأسود[٦] فكانت هذه العوامل سببًا فى بغضهم والثورة عليهم وخاصة فى غرناطة[٧].

وفى عهد الأمير على بن يوسف بن تاشفين قام النصارى المعاهدة فى غرناطة باستدعاء ابن رزمير عدو المسلمين وزينوا له اقتحام غرناطة[٨]، يقول ابن الخطيب: «ولما تحركت

---

(١) الماوردى: الأحكام السلطانية: ص ١٤٢، الريس: الخراج والنظم المالية: ص ١٢٢، صبحى الصالح: النظم الإسلامية: ص ٣٦٣.

(٢) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عصر المرابطين والموحدين: جـ ١ ص ١٧.

(٣) Levi Provencal, Histoire de L'Espagne Muslumane, 1 P.P. 80 - 81

(٤) ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ١١٤، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٣ ص ٢٦٤، عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٤٥.

(٥) ابن عذارى: نفس المصدر: نفس الجزء والصفحة.

(٦) ابن الكردبوس: الاكتفاء: ص ٧٨.

(٧) عن ثورة أهل غرناطة على اليهود ومقتل ابن التفريلة اليهودى انظر عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٥٤، ابن بسام: الذخيرة: جـ ١ قسم ٢ ص ٢٧٨ وما بعدها، المقرى: النفح: جـ ٤ ص ٣٢٢.

(٨) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١، ابن عذارى: البيان: جـ ٤ ص ٦٩ - ص ٧٠ «ابن رزمير هو الاسم الذى تطلقه الرواية الإسلامية على الفونسو الأول ملك اراجون (١١٠٥ - ١١٣٤) نسبة إلى اسم أبيه راميرو، وقد كان ملكًا مقدامًا وهو الذى افتتح سرقسطة من يد المسلمين فى سنة ١١٨ م وانتزع إلى جانبها باقى قواعد الثغر الأعلى، وفى سنة ١١٢٥ م (٥٩٨ هـ) خرج بقواته استجابة =

لعدو الله الطاغـية ابن رزمـيـر ريح الظهور، على عهـد الدولة المرابطيـة قبل أن يخص الله شوكته على افراغة بما هو مشهور، أملت المعاهدة[١] من النصارى لهذه الكورة إدراك الثره وأطمـعت فى المـملكة فخـاطبـوا ابن رزميـر من هذه الأقطار، وتوالت عليـهم كـتبـهم وتواتطرت رسلهم ملحة بالاستدعـاء مفعمة فى دخول غرناطة فلمـا أبطأ عنهم، وجهوا إليه زماما على اثنى عـشر ألفا من أنجاد مـقاتليهم فاستـأثروا طمعه وابتعـثوا جشعه واسـتفزوه بأوصاف غرناطة وما لها من الفضائل على سائر البـلاد وبفحصها الأفيج وكثرة فوائدها من القمح والشعير والكتان وكثرة المرافق.[٢]

فكانت هذه الأحـداث وموقف أهل الـذمة من المـسلمين سـبـبا فى أن دفـعت أميـر المسلمين على بن يوسف إلى تغـريب عدد كبير من النصارى إلى المغـرب الأقصى خاصة بعد أن عبر ابن رشد[٣] إلى أمير المـسلمين على بن يوسف وأفتاه بتـغريب هؤلاء النصارى وغيرهم ممن يتعاونون مع العدو[٤].

يقول صاحب الحلل الموشية «وفى سنة ٥١٩ هـ جاز القاضى أبو الوليد ابن رشد إلى مراكش فتلقاه أمير المسلمين على بن يوسف بالميرة والكرامة وبين له القاضى أمر الأندلس وما أصيـبت به من النصارى المعاهـدين بها وما جروه إليهـا وجنده عليها من اسـتدعاء ابن رزمير وتقـريته على المسلمين وإمـداده وما فى ذلك من نقض العهد والخـروج على الذمة فلقى نظره بالقـبـول وأفتـاه بتغـريبـهم وإجلائهم عن أوطانهـم وهو أحق ما يؤخـذ به فى

= لتـحريض النصـارى المـعاهدين إلى الغـزوة المـذكورة والتى يصـفـها كل من ابن عـذارى وابن الخطيب».

(١) المعـاهدة هم النصارى الذين شرحنا أحـوالهم فيمـا تقدم وسمـوا كذلك بسبب المـعاهدات التى ارتضى المسلـمون عقـدها معهم وسـمح لهم فيهـا أن يحتـفظوا بدينهم مقابـل دفع الجزية، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٨، هامش رقم ٤.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٨ ـ ص ١٠٩.

(٣) يذكر كل من ابن الخطيب: فى الإحاطة، وصاحب كتاب الحلـل الموشية أن جواز ابن رشد كان سنة ٥١٩ هـ بينمـا جعل ابن القطان جـواز ابن رشد إلى المغـرب ٥٢٢ هـ وهذا خطأ، انظر ابن عذارى: البيان: جـ ٤ ص ٧٢ هامش ٢.

(٤) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ ـ ص ٩١، ابن الخطيب: نفس المصدر: جـ ١ ص ١١٤.

عقابهم، ونفـذ عهده إلى جميع بلاد الأندلس بـإزعاج المعاهدين إلى ناحيـة مكناسة وسلا وغيرها من بلاد العدوة[١].

وقد ذهب بعض الكتاب أمـثال فليب حتى وكارل بروكلمـان إلى القول بأن أهل الذمة قد عاشوا فى كنف المرابطين فى جور وظلم واضطهاد[٢].

ولكن من الواضح أن دولة المـرابطين لم تقـف موقف العـداء من أهل الذمـة، ولم ينلهم جـور أو تعسف، فقـد حاول المـرابطون جاهدين عـدم الخروج عن منهج الشـريعة الإسلامية، ولم نجد فى سياستهم ما يشير إلى مثل هذا التـعسف وأن ما لحق بأهل الذمة من النصارى واليهود على أيدى المرابطين كان نتيـجة لموقف النصارى المعاهدين وخاصة أهل غرناطة من المـسلمين، فقد كان هؤلاء النصـارى لا يدخرون وسعًا فى الكيـد والتآمر على المسلمين وتحريض ملوك النصارى ضدهم ومـساعدتهم فى الإيقاع بالمسلمين، حتى إذا سنحت الفـرصـة وسـقطت طليطلة سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) وبعـدها سـرقـسطة سنة ٥١٢هـ/ ١١٨ م وتوالت انتصارات ألفـونسو المحارب، ظن هؤلاء أنه بوسـعهم أن يعملوا شيئًا لضـرب الأندلس الإسلامية، فبعثوا بـكتبهم ورسلهم المتوالية يلحون عليـه فى افتتاح غرناطة[٣]، وتقـديم المسـاعـدة له، فشـعـر عندئذ أن الظروف مـواتية له فـقـام بحملتـه المشهورة[٤] إذن تغريبهم إلى بلاد العدوة كان جزاءًا لهم على ما فـعلوا، فقد نقضوا العهد وذلك باتصالهم بالعدو، وجعلوا من أنفسهـم جواسيس يعملون لصالح العدو، فكان لا بد من إبعادهم عن مواطن الاتصال بالعدو ونقلهم إلى المـغرب ليكونوا تحت المراقبة، وهذا ما فعله أمير المسلمين وهو بمثابة إجراءً وقائى ضدهم حتى يأمن شرهم[٥].

---

(١) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ ـ ٩١.

(٢) فيليب حـتى: تاريخ العرب: ص ٧٠٤، ترجمة مبـروك نافع، الطبعة الثالـثة سنة ١٩٥٢، كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية: جـ ٢ ص ١٨٠، ترجـمة نبيه فارس ومنير البعلبكى، انظر أيضًا: S. P. Scott: History of the moorish Empire, P. 247.

(٣) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ ـ ٩١، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٨ ـ ١٠٩، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٧٢.

(٤) مجـهول: نفس المصدر والصـفحة، ابن الخطيب: نفس المـصدر والصفحـة، ابن عذارى: نفس المصدر والصفحة.

(٥) مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠، ابن عذارى: البيان: جـ ٤ ص ٦٩.

هذا وقد حاول دوزى أن يصور هدم كنيسة غرناطة بأنه اضطهاد حل بالمعاهدين علمًا بأن هذا العصر كان يشهد حربًا طاحنة فى المشرق أعلنها الصليبيون للاستيلاء على بلاد المشرق[١]، فى الوقت الذى واجه المسلمون فى الأندلس حربًا طاحنة من قبل نصارى أسبانيا الذين أصبحوا يتحينون الفرصة للقضاء على الدولة الإسلامية فى الأندلس، وكان سقوط طليطلة ضربة قاصمة للمسلمين هناك، وما جاء المرابطون إلاّ لحماية الأندلس من السقوط فى أيدى نصارى أسبانيا، فكان هدم كنيسة غرناطة ما هو إلاّ موقف رد به المرابطون على نصارى أسبانيا الذين حولوا مسجد طليطلة الجامع إلى كنيسة، وذلك رغم تعهد ألفونسو السادس بعدم التعرض لعقائد المسلمين ومساجدهم[٢]، وكذلك مسجد سرقسطة الجامع الذى حوله ألفونسو المحارب «ابن رذمير» إلى كنيسة[٣] فإذا كانت هذه هى معاملة النصارى للمسلمين فلا غرو أن يهدم المرابطون كنيسة غرناطة التى يصفها ابن الخطيب بأنها فريدة فى العمران والطراز[٤] ولم يفرق المرابطون فى معاملتهم أهل الكتاب سواء كانوا يهودًا أم نصارى، فقد فرضت الجزية على اليهود الذين يفضلون البقاء على دينهم، وربما فرضت عليهم جزية أكبر نظرًا لثرائهم، كما يذكر ابن عذارى[٥] أن فرض الضرائب لم يقتصر على اليهود فقط بل أن المرابطين قد فرضوا بعض المعونات على جميع فئات المجتمع[٦] نظرا لحاجتهم إلى الأموال، بعد أن اتسعت رقعة دولة المرابطين وزادت نفقاتها[٧].

---

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤١٩.

(٢) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤١٩.

(٣) عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين: ص ١٠١، القسم الأول.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ص ١٠٧.

(٥) ابن عذارى: البيان جـ ٢ ص ٢٣.

(٦) لجأ المرابطون إلى فرض ضريبة جديدة على أهل الأندلس، تسمى التعتيب وذلك لبناء أسوار جديدة للمدن وترميم المتهدم منها مثل أسوار غرناطة والمرية، انظر ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٧٠ وما بعدها.

(٧) كانت الضرائب أهم ما هاجم به ابن تومرت المرابطين حين ثار عليهم، عن ذلك انظر أعز ما يطلب ص ٢٦١ عن اشتداد الأزمة المسالمية فى أواخر عصر المرابطين، انظر ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ١٠٢.

ومما يدل على تمتع اليهود فى عصر المرابطين بالأمن والطمانينة أن علماءهم تمتعوا بحرية الكتابة والبحث والتأليف فقد نبغ منهم رجال وصل بعضهم إلى قصور الحكام، فقد ذكر ابن عذارى أن أبا عمر ينالة اللمتونى والى المرابطين على غرناطة «كان له كاتب يهودى الأعراق والأخلاق[١].

ومن الشعراء اليهود الذين نبغوا فى عصر المرابطين الشاعر موسى بن عزرا الهالك (٥٢٢ هـ) من أهل غرناطة[٢].

ولما قامت الدولة الموحدية، حملت الرعية على إقامة أركان الإسلام وتنفيذ أحكامه بصرامة وحزم بقصد خلق مجتمع إسلامى نقى[٣]، ولذلك رأى الخليفة عبد المؤمن بن على أن يحمى الشباب الموحدى من مخالطة اليهود والنصارى، شاربى الخمر وآكلى لحم الخنزير[٤]، فأصدر أوامره بأن يخير أهل الذمة من اليهود والنصارى بين اعتناق الإسلام أو الجلاء عن البلاد، يقول النويرى «وكان عبد المؤمن لا يداهن فى دولته ويأخذ الحق من ولده إذا وجب عليه، قال ولا مشرك فى بلاد لأنه كان إذا امتلك بلدًا إسلاميًا لم يترك فيه ذميًا إلا عرض عليه الإسلام، فمن أسلم سلم، ومن طلب المضى إلى بلاد النصارى أذن له فى ذلك ومن أبى قتل، فجميع أهل مملكته مسلمون لا يخالطهم سواهم[٥] ولهذا لم تنعقد عند الموحدين ذمة يهودى أو نصرانى»[٦].

وفى عهد الخليفة أبى يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن استمر موقف الموحدين من أهل الذمة حتى أن الخليفة أبا يوسف يعقوب ميزهم فى سنة ٥٩٥هـ/١١٩٩م بلباس معين، يقول المراكشى: «فى آخر أيام أبى يوسف أمر أن يميز

(١) ابن عذارى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٧٧.

(٢) محمد مجيد السعيد: الشعر فى عهد المرابطين والموحدين: ص ٥٤ ـ ص ٥٥.

(٣) إذا عرفنا أن المهدى ابن تومرت قد سفك الكثير من دماء أبناء القبائل لتمردهم، أو لشكهم فى مبادئه فلا عجب أن يقتل من يهمل فى تنفيذ أحكام الله ـ انظر ابن تومرت: أعز ما يطلب: ص ٢٥٤.

(٤) عيد على علام: الدولة الموحدية بالمغرب فى عهد عبد المؤمن بن على: ص ٢٩٣ ـ ص ٢٤٠، دار المعارف.

(٥) النويرى: نهاية الأرب: جـ ٢٢ مخطوط ص ٩٨، مطبوع جـ ٢٤ ص ٢٠.

(٦) المراكشى: المعجب: ص ٣٨٣، ابن عذارى: البيان: جـ ٤ قسم ٣ القسم الموحدى: ص ٢٠٥.

اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم وذلك بثياب كحلية وأكمام مفرطة السعة تصل الى قريب من أقدامهم، وبدلاً من العمائم كلوتات على أشنع صورة كأنها البراديع تبلغ إلى تحت آذانهم، فشاع هذا الزى فى جميع يهود المغرب، ولم يزالوا كذلك بقية أيامه وصدرا من أيام ابنه عبد الله إلى أن غيره أبو عبد الله المذكور، بعد أن توسلوا إليه بكل وسيلة واستشفعوا بكل ما يظنون أن شفاعته تنفعهم فأمر أبو عبد الله بلبسان ثياب صفر، وعمائم صفر، فهم على هذا إلى وقتنا هذا ـ وهو سنة ٦٢١ هـ[١] وتطبيقًا لهذه السياسة فإن كثيرين من اليهود والنصارى غادروا البلاد فرارًا بحياتهم[٢] فهاجر كثير من اليهود إلى صقلية والمشرق[٣].

وإذا نظرنا للدوافع التى دفعت المرابطين أيضًا لمثل هذا الموقف من أهل الذمة الذين وقفوا إلى جانب نصارى الشمال فى موقعة الزلاقة وحملة ابن رذمير[٤] ثم نجدهم فى العصر الموحدى يساعدون نصارى أسبانيا فيتجسسون على المسلمين لحساب ملوك النصارى، وكثيرًا ما أغروهم بحرب المسلمين وغزوهم، ومن هؤلاء نصارى قرطبة الذين هيأوا لألفونسو السابع ـ ملك قشتالة ـ احتلال قرطبة سنة ٥٤٠ هـ / واحتلال قلعة رياح سنة ٥٤١ هـ واحتلال ميناء المرية الإسلامى ٥٤١ هـ وذلك قبل أن يتمكن الموحدون من فتح الأندلس، أما اليهود فقد تآمروا مع ابن همشك على الموحدين وفتحوا له باب الربض

---

(١) المراكشى: المصدر السابق: نفس الصفحة: المعجب: ص ٣٨٣.

(٢) محمد بحر عبد المجيد: اليهود فى الأندلس: ص ٨٨، المكتبة الثقافية، عدد ٢٣٧، سنة ١٩٧٠م، حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب، والأندلس: ص ٣٦٨ وفى ذلك يقول القفطى: «ولما نادى عبد المؤمن بن على الكومى البربرى المستولى على المغرب فى البلاد التى ملكها بإخراج اليهود والنصارى منها وقدر لهم مدة وشرط لمن أسلم منهم بموضعه على أسباب ارتزاقه للمسلمين وعليه ومن بقى على راى أهل ملته فإما أن يخرج قبل الأجل الذى أجله وإما أن يكون بعد الأجل فى حكم السلطان مستهلك النفس والمال، ولما استقر هذا الأمر خرج المخفون وبقى من ثقل ظهره وشح بأهله وماله وأظهر الإسلام وأسر الكفر» القفطى (جمال الدين أبو الحسن على بن القاضى الأشرف يوسف): أخبار العلماء بأخبار الحكماء: جـ ١ سنة ١٣٢٦هـ، مصر ص ٢٠٩

(3) Goitein, Studies in Islamic History, P. 311.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٧ ـ ص ١٠٩، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ ـ ص ٩١.

بغرناطة ليلاً، فدخل ابن همشك مدينة غرناطة ليلاً وفتك بكثير من الموحدين واشتد في تعذيب المحاصرين[(١)].

نضيف إلى ذلك أن الموحدين ظهروا فى فترة كانت الحرب طاحنة بين الصليبيين والمسلمين وهى فترة الحروب الصليبية فنرى الرحالة ابن جبير يشيد بالإسلام عند الموحدين فيقول: «وليتحقق المتحقق، ويعتقد الصحيح الاعتقاد أنه لا إسلام إلاّ ببلاد المغرب لأنهم - أى المغاربة - على جادة واحدة كما أنه لا عدل، ولا حق ولا دين على وجه إلاّ عند الموحدين»[(٢)].

أما عن موقف الأندلسيين تجاه أهل الذمة فإنا نجد أن كتب الحسبة قد حددت تلك العلاقة فيذكر ابن عبدون أنه «يجب أن يمنع النساء المسلمات دخول الكنائس المشنوعة فإن القسيسين فسقة[(٣)]» كما يجب «أن لا يذبح يهودى لمسلم ويؤمر اليهود أن يتخذوا أوضاعًا لأنفسهم»[(٤)].

ويرى الجرسفى «أن يمنع أهل الذمة من الإشراف على المسلمين فى منازلهم والتكشيف عليهم ومن إظهار الخمر والخنزير فى أسواق المسلمين ومن ركوب الخيل بالسروج والذى بما هو من زى المسلمين»[(٥)].

كذلك يرى الجرسفى «بأن يمنع أهل الذمة من التزيى بما هو من زى المسلمين أو بما هو أبهى وينصب عليهم علمًا يمتازون به من المسلمين فى حق الرجال والجلل فى حق النساء[(٦)].

---

(١) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨١ وما بعدها «استطاع ابن دهرى صهر مشرف غرناطة أن يجمع حوله طائفة من اليهود المتظاهرين بالإسلام، وعليه اعتمد ابن همشك فى التآمر علو غرناطة، فإن المسيحيين أسهموا بدورهم فى محاولة الإجهاز على ظهور الموحدين، انظر المصد. السابق: نفس هامش ٥.

(٢) ابن جبير (أبو الحسن محمد): رحلة ابن جبير، القاهرة، سنة ١٩٥٥ م ص ٤٩.

(٣) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٤٨.

(٤) ابن عبدون: نفس المصدر، ص ٤٩ (٤) الجرسفى: ثلاث رسائل: ص ١٢٢.

(٥) الجرسفى: ثلاث رسائل: ص ١٢٢.

(٦) الجرسفى: نفس المصدر والصفحة.

كذلك يرى الجرسفى التشدد مع المسلمين الذين يقومون بخدمة أهل الذمة فقال «ويمنع المسلمين أن يحاولوا لهم كل ما فيه خساسة أو إذلال للمسلمين كطرح الكناسة ونقل آلات الخمر ورعاية الخنزير وشبه ذلك لما فيه من علو الكفر على الإسلام ويؤدب من فعل ذلك[١]».

كذلك يرى ابن عبدون «بضرورة قطع ضرب النواقيس فى بلاد الإسلام ومنع الأطباء اليهود والنصارى من معالجة المسلمين وضرورة مراقبة الكتب التى يبيعها اليهود والنصارى للمسلمين ما عدا كتب أهل ملتهم وضرورة حمل القسيسين على الزواج»[٢] ونستخلص مما سبق أن أهل الذمة من النصارى واليهود عاشوا فى ظل دولتى المرابطين والموحدين، وأنهم واجهوا تشدداً نتيجة الظروف والأحداث التى مرت بها البلاد وموقف أهل الذمة من المسلمين.

(١) الجرسفى: نفس المصدر والصفحة.

(٢) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٥٥ ـ ص ٥٧.

فئات المجتمع الغرناطى فى عصر المرابطين والموحدين

الفقهاء والشعراء وأهل العلم

احتل الفقهاء مكانة رفيعة فى المجتمع الأندلسى فى عصر المرابطين وخلفائهم الموحدين فالدولة المرابطية قامت على دعوة عبد الله بن ياسين الإصلاحية[1]، كما قامت الدولة الموحدية على أكتاف داعية دينى هو المهدى بن تومرت، الذى احتلت تعاليمه الدينية ركنًا هامًا فى حياة الموحدين[2].

---

(١) عبد الله بن ياسين كان من تلاميذ واكاك بن زلو اللمطى حتى مر به يحيى الجدالى الذى طلب من واكاك أن يرسل معه فقيهًا ليعلم قومه العلم فأرسل معه عبد الله بن ياسين وكان موصوفًا بالعلم فسار واستقر فى بلاد الصحراء، وأخذ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى استقامت للمرابطين بلاد الصحراء وما وراءها من بلاد المصامدة والقبلة، ثم خرج بالناس لجهاد برغواطة فغزاهم فى عهد أبى بكر بن عمر فقاتلهم حتى استشهد أثناء ذلك سنة ٤٥٠ هـ، انظر القاضى عياض، ترتيب المدارك، دار الحياة، بيروت، جـ ٤ ص ٧٨، عن دعوة عبد الله بن ياسين الإصلاحية انظر ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٢٦، ص١٢٧، ص ١٢٨، ص ١٢٩ وما بعدها، ابن الخطيب: أعمال الأعلام القسم ٣ ص ٢٢٨، السلاوى: الاستقصاء : جـ ٢ ص ٧ وما بعدها، ابن خلدون: العبر: جـ ٦ ص ١٨١، العينى: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان: جـ ١ ص ٢٣٢ (مخطوط).

(٢) هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المنعوت بالمهدى مؤسس دولة الموحدين وهو من جبل السوس الأقصى ببلاد المغرب، نشأ هناك ورحل إلى المشرق طالبًا للعلم فزار هناك العراق كما حج بيت الله الحرام وأقام بمكة وقتًا من الزمن درس فيها الحديث وأصول الفقه والدين، بدأ دعوته بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى مكة ثم رحل عنها إلى مصر فطرد منها وتوجه إلى المهدية ووصلها سنة ٥٠٥ هـ ومن المهدية انتقل إلى بجاية وهو ملتزم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ثم أخرج منها إلى ملالة - قرية قريبة من بجاية - وهناك التقى بعبد المؤمن بن على ومنها خرج مع بعض أصحابه إلى مراكش وفى مراكش جرت له مع فقهائها مناظرات فقهية ثم اضطر إلى الهروب من مراكش إلى أغمات ومنها إلى تينمل من بلاد السوس ومن هذه البلدة بدأت حركته تتخذ طابعا عسكريا، توفى فى تينمل سنة ٥٢٤ هـ ودفن فيها، ابن خلكان: وفيات الأعيان: جـ ٥ ص ٤٥٦، عن ظهور الموحدين انظر ابن القطان: نظم الجمان: ص ١١١، عن ابن تومرت ودعوته الإصلاحية، انظر المراكشى: المعجب: ص ٢٤٦ - ص ٢٥٥، النويرى: نهاية الأرب: جـ ٢٤ ص ٢٧٧ - ص ٢٨٩، السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ٨٨، المراكشى: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية: ص ٢، ص ٣.

من هنا كانت الشريعة هي القاعدة الأساسية التى ترتكز عليها الدولة فى سياستها وبالتالى فإن القائمين على شئون الدين والمشتغلين بعلومه احتلوا مكانة مرموقة فى المجتمع[١] سواء فى المغرب أو الأندلس، وأصبحوا يؤثرون فى الأحداث السياسية التى تمر بها البلاد، ففقهاء الأندلس هم الذين شرحوا أحوال الأندلس ليوسف بن تاشفين وضرورة الاستيلاء على الأندلس[٢] يقول الحميرى «وكان يوسف لا تزال تفد عليه وفود ثغور الأندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين بالله وبالإسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيستمع إليهم ويصغى لقولهم وترق نفسه لهم[٣]»، يقول الأمير عبد الله وهو معاصر للأحداث «وجعلوا - يقصد أهل الأندلس - فى شكاويهم فقهاءهم وسائط يقصدون نحوهم، منهم: الفقيه ابن القليعي قد صار خباؤه بتلك المحلة مغنطيسًا لكل صادر ووارد يجد السبيل إلى الطلب للقدر الذى قدره الله»[٤].

وعندما استدعى النصارى المعاهدة فى غرناطة ابن رذمير للاستيلاء عليها أفتى الفقهاء وعلى رأسهم أبو الوليد بن رشد بتغريب هؤلاء النصارى حتى يأمن شرهم[٥] فاحتل الفقهاء مكانة رفيعة فى المجتمع وسما قدرهم وعلت منزلتهم وحظوا بالتقدير والتكريم من جانب أمراء المرابطين «وكان - أى يوسف بن تاشفين - محبًا للفقهاء والعلماء والصلحاء مقربًا لهم صادرًا عن رأيهم متكرمًا لهم، أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طوال حياته»[٦].

وفى عهد الأمير على بن يوسف زادت منزلة الفقهاء والعلماء فى الدولة «واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمرًا فى جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء»[٧] ويذكر حسن محمود[٨] أن الفقهاء زادت مكانتهم فى الأندلس خاصة بعد قدوم المرابطين إليها

(١) المراكشى: المعجب: ص ٢٦٩.
(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ: جـ ١٠ ص ١٥١ - ١٥٢.
(٣) الحميرى: الروض المعطار: ص ٨٦.
(٤) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ١٠٩.
(٥) مجهول: الحلل الواشية: ص ٩٠ - ص ٩١.
(٦) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٣٧، ابن الموقت: السعادة الأبدية: جـ ٢ ص ٨٩، ابن القاضى: جزوة الاقتباس: ص ٣٤٣، السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ٥٥.
(٧) المراكشى: المعجب ص ٢٣٥.
(٨) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٤١٤.

وأصبحت فئة الفقهاء مرهوبة الجانب مسموعة الكلمة وقد سما قدر القضاة وتمتعوا بسلطان عظيم حين أتاح لهم ولاة الأمر السلطة المطلقة والحكم النافذ الذى لا يرد، فقد وقف القاضى ابن الفراء[١] قاضى المرية فى وجه يوسف بن تاشفين حين طلب منه المعونة على أهل المرية[٢]، يقول السلاوى «إن أمير المسلمين - يوسف بن تاشفين - طلب من أهل البلاد المغربية والأندلسية المعاونة بشىء من المال على ما هو بصدده من الجهاد وأنه كتب إلى قاضى المرية أبى عبد الله محمد بن يحيى - عرف بابن الفراء - يأمره بفرض معونة المرية، ويرسل بها إليه، فامتنع محمد بن يحيى من فرضها وكتب إليه يخبره بانه لا يجوز ذلك فأجابه أمير المسلمين «بأن القضاة عندى والفقهاء قد أباحوا فرضها، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرضها فى زمانه» فراجعه القاضى عن ذلك بكتاب يقول فيه: «الحمد لله الذى إليه مآبنا، وعليه حسابنا، وبعد، فقد بلغنى ما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخر عن ذلك، وأن أبا الوليد الباجى وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والأندلس أفتوه بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتضاها، فالقضاة والفقهاء إلى النار دون زبانية، فإن عمر اقتضاها فقد كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيره وضجيعه فى قبره ولا يشك فى عدله وليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بوزيره ولا بضجيعه فى قبره، ولا ممن لا يشك فى عدله، فإن كان القضاة والفقهاء أنزلوك منزلة فى العدل فالله تعالى سائلهم وحسيبهم عن تقلدهم فيك، وما اقتضاها عمر رضي الله عنه حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر من كان معه من الصحابة رضي الله عنهم، وحلف أن ليس عنده فى بيت مال المسلمين درهم واحد ينفقه عليهم، فليدخل أمير المسلمين المسجد الجامع بحضرة من هناك من أهل العلم، وليحلف أنه ليس عنده فى بيت مال المسلمين درهم ينفقه عليهم، حينئذ تجب معونته، والله تعالى على ذلك والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته»[٣].

---

(١) هو أبو عبد الله بن الفراء من فضلاء العصر فى الأندلس، وكان شاعراً مجيداً وهو من فضلاء المائة السادسة وكان يعلم بالمرية القرآن والنحو واللغة، وكانت فيه فطنة ولوذعية وذكاء والمعية ذكره ابن غالب فى فرحة الأنفس وذكره صفوان فى زاد المسافر ووصفه ابن الخطيب، انظر المقرى: نفح الطيب: جـ ٣ ص ٨٦.

(٢) السلاوى: الاستقصاء: جـ ٢ ص ٥٤، المقرى: نفح الطيب: جـ ٣ ص ٣٨٦ - ص ٣٨٧.

(٣) السلاوى: المصدر السابق: جـ ١ ص ٥٣، ص ٥٤.

وفى عهد الموحدين تمتع الفقهاء والعلماء بمنزلة سامية، فالدولة الموحدية قامت على أساس دعوة ابن تومرت الدينية كما سبق أن ذكرت ومن ثم كانت للفقهاء والعلماء بالإضافة إلى طلبة الموحدين مكانة مرموقة فى ظل الدولة الموحدية، فكان الخلفاء الموحدون يكرمون العلماء والفقهاء ويقدرونهم[١]، فالخليفة عبد المؤمن كان يقدر العلماء وينزلهم منازلهم اللائقة بهم[٢]، يقول المراكشى «وكان عبد المؤمن مؤثراً لأهل العلم محبّا لهم، محسنا إليهم يستدعيهم من البلاد إلى الكون عنده والجوار بحضرته، ويجرى عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم[٣]، وكان الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، حريصًا على مجالسة الفقهاء ومحادثتهم[٤]، فاجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله[٥].

كذلك نال الفقهاء والعلماء منزلة كريمة فى عهد الخليفة المنصور الموحدى، يقول ابن أبى زرع «وكان ـ أى المنصور ـ محبّا فى العلماء وقضاتهم صادراً عن رأيهم... يشهد جنائز الفقهاء والعلماء ويزورهم ويتبرك بهم... وأكرم الفقهاء وراعى العلماء والفضلاء وأجرى على أكثرهم الإنفاق من بيت المال[٦].

وهكذا نال الفقهاء والعلماء منزلة كبيرة فى ظل دولتى المرابطين والموحدين وامتلكوا الإقطاعات والأراضى الزراعية خاصة فى المدن الأندلسية ومن أشهر الأسر التى اشتغل أفرادها بالفقه والعلم والقضاء ونالوا شهرة عظيمة وإمتلكوا الإقطاعات الواسعة واتسعت

---

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ٢٠٤، السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ـ ص ١٣٠.

(٢) ابن أبى زرع: المصدر السابق: نفس الصفحة، ابن أبى زرع: «وكان ـ ابن عبد المؤمن بن على ـ سخيا كريم الأخلاق محبا فى أهل العلم والأدب مقربا لهم مشوقا لوفادتهم منفقا لبضاعتهم» ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص٢٠٤، عنان: عصر المرابطين والموحدين: القسم الأول، ص٤٠٢.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ٢٦٩.

(٤) ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ٢٠٨.

(٥) المراكشى: المصدر السابق: ص ٣١١.

(٦) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ٢٠٨.

مكاسبهم أسرة ابن أرسالية فى غرناطة[١] وبنو حسون فى مالقة[٢] وبنو الحسن فى مالقة أيضا[٣].

وكان إذا تولى أحد الفقهاء قضاء موضع أصبحت له الأموال العريضة[٤]، وقد جمع بعض الفقهاء بين خطتى القضاء والإدارة المالية، يقول ابن عذارى فى حديثه عن ابن أبى زهر وعلى بن يوسف قبل نكبته «أنه كان يولى من قبله حاكمًا يحكم من حاشيته، وصاحب المدينة من توليته، وشهود البلد بحكمه، وأمر المستخلص وأملاك السلطان جارية على نهيه وأمره بمدينة أشبيلية[٥] ونتيجة لما وصل إليه الفقهاء والعلماء من منزلة وسيطرتهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية أيضا ـ حقد الناس عليهم من هؤلاء الشاعر ابن البنى[٦] حيث هجاهم بقوله:

أهل الرياء لبستم ناموسكم ‏ ‏ ‏ كالذئب يدلج فى العاتم[٧]

ومن أشهر الفقهاء والعلماء الذين نالوا حظوة فى دولتى المرابطين والموحدين من أهل غرناطة، الفقيه أبو القاسم أحمد عمر بن يوسف بن ورد التميمى من أهل المرية وكان متمكنًا فى الأدب أيضًا وكذلك النحو وعلم التاريخ، كما كان متقنًا للتفسير وعلم الأصول،

---

(١) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة: جـ ٢ ص ٥٧٧، ابن الخطيب: أعمال الاعلام: طبعة ليفى بروفنسال، ص ٢٥٥.

(٢) ابن الأبار: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٤٢١.

(٣) النباهى: المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا: ص ١١٤، طبعة ١٩٤٨ م .

(٤) انظر أمثلة لذلك فى ابن سعيد: جـ ٢ ص ٧٢.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ٦٥.

(٦) هو أبو جعفر أحمد بن محمد المشهور بابن البنى من أهل جيان من جزيرة الأندلس وقد ذكره الفتح بن خاقان فى القلائد حيث وصفه بالإلحاد والزندقة: انظر ابن خاقان: قلائد العقيان: ص ٣٤٣ وكان العامة والخاصة من الناس تبتعد عن هؤلاء الفقهاء لما يثيرونه من مشاكل وتدخل فى أمورهم فها هو أبو بكر بن قزمان إمام الزجل فى الأندلس فى عصر المرابطين يذكر فى زجله أن من مزايا المسكن الذى يسكن فيه أنه لا يوجد فى هذا الحى مضايقات «فليس فيه فقهاء ولا حجاج وفيه أرامل جميلات، انظر الزجل» رقم ٨٧ ديوان ابن قزمان، ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٣٨٢، وأيضًا عبد العزيز الأهوانى: الزجل فى الأندلس، ص ٧.

(٧) المراكشى: المعجب: ص ٢٣٥، المقرى: نفح الطيب: جـ:

أهل الرياء لبستم ناموسكم ‏ ‏ ‏ كالذئب يدلج فى العاتم.

انتهت إليه رياسة الفقه المالكى، تولى القضاء فى غرناطة فظهرت كفايته وعدله وحسن سيرته، توفى بالمرية فى رمضان سنة (٥٤٠ هـ / ١٤٤٦ م[١]) وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المعافرى، وكان من الفقهاء والوزراء كما كان متمكنًا من الفقه والحديث، بارعًا فى الأدب ولى مستخلص غرناطة وأشبيلية أيام الأمير على بن يوسف فقام على إدارتها بكفاية وحزم، توفى سنة ٥٩٨ هـ (١١٢٤ م)[٢] ومنهم الفقيه الحافظ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربى، من أهل غرناطة، برع فى علوم القرآن والسنة وكان فقيهًا متبحرًا وأديبًا واسع المعرفة، متقدمًا فى فنون عديدة، وتولى القضاء بغرناطة والمرية وألف فى التفسير واشتهر بالمغرب والأندلس وألف كتابًا فى الأنساب وانتهى الينا من مؤلفاته «معجم شيوخه» وتوفى بلورقة سنة ٥٤٢ هـ / ١٩٤٧ م[٣] وكان فوق ذلك أديبا ينظم الشعر.

وأحمد بن حسن بن سيد الجراوى من أهل مالقة ويعرف بابن سيد، درس الحديث واللغة والأدب على أقطاب عصره وكان بارعًا فى اللغة وفى النحو وله حظ فى قرض الشعر، توفى ابن سيد سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م[٤].

ومن الفقهاء والمتكلمين أيضًا، صالح بن أبى صالح خلف بن عامر الأنصارى الأوسى من أهل مالقة، درس بها على أعلام عصره ثم رحل إلى تلمسان ثم إلى تونس، والمهدية وأخذ عن أقطابها سماعًا وإجازة، وكان فقيهًا متمكنًا من علم الكلام، توفى فى رمضان سنة ٥٨٦ هـ[٥].

ومحمد بن إبراهيم بن خلف بن أحمد الأنصارى من أهل مالقة أيضًا كان إمامًا فى الحديث، مقدمًا فيه، وبرع فى المعرفة بسرد المتون والأسانيد، وتميز الرجال، سمع من أبى بكر بن العربى وأكثر عنه واختص به، وعن أبى مروان بن بونه وغيرهم وكانت له فوق ذلك مشاركة فى اللغة، شديد التمسك بالعدل، مكرمًا لطلاب العلم، واستدعى فى أواخر

(١) انظر ترجمة فى الإحاطة (ابن الخطيب): جـ ١ ص ١٦٩ ـ ص ١٧١.

(٢) ابن بشكوال: الصلة ترجمة رقم ٦٤٩.

(٣) الضبى: بغية الملتمس (الملكية الأندلسية) ترجمة رقم ١١٠٣.

(٤) ابن الأبار: التكملة: طبعة القاهرة، سنة ١٩٥٦، ضمن المكتبة الأندلسية ترجمة رقم ١٨٢.

(٥) ابن الأبار: التكملة ترجمة رقم ١٨٨٧.

إيامه من الخليفة يعقوب المنصور إلى مراكش ليسمع بها فقصد إليها، ولكنه توفى بها بعد قليل فى شعبان سنة ٥٩٠ هـ ومولده بمالقة سنة ٥١١ هـ[١].

ومحمد بن أبى خالد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن... ابن محمد بن أبى زمنين من أهل غرناطة كان من ألمع فقهاء عصره وأخذ عن أبى مروان بن قزمان وأبى القاسم بن بشكوال، وغيرهم من أقطاب عصره، ولى قضاء غرناطة ثم قضاء مالقة وكان عارفًا بتاريخ من نزل بالأندلس قديمًا من العرب، حدث عنه جماعة ممن كانت لهم مكانة رفيعة فيما بعد، ومنهم أبو سليمان بن حوط الله وأبو القاسم الملاحى، وأبو الربيع بن سالم وغيرهم توفى مصروفًا عن القضاء فى شهر ربيع سنة ٦٠٢ هـ وكان مولده بغرناطة سنة ٥٣٣ هـ[٢].

هكذ أصبح الفقهاء طبقة تسيطر على مقاليد الأمور فى الدولة، وصاروا يتدخلون فى كل شئونها حتى أن بعضهم قاموا بالثورات فى وجه الموابطين لما أحسوا بعجز الدولة عن حماية الأندلس محاولين بذلك الاستقلال عن المرابطين، ومن أشهر هذه الثورات:

ثورة ابن أضحى بغرناطة

قامت هذه الثورة فى نفس الوقت الذى اشتعلت فيه الثورات ضد حكم المرابطين فى الأندلس وقد أشعل نيران هذه الثورة قاضى غرناطة أبو الحسن على بن عمر بن أضحى[٣]، ولكن المرابطين استطاعوا إخماد الثورة واستعادوا سيطرتهم على غرناطة[٤].

هذا وبالإضافة إلى الفقهاء والعلماء استخدم المرابطون والموحدون الكتاب الأندلسيين وقربوهم إليهم ونبغ فى تلك الفترة عدد من الكتاب والشعراء والأطباء وعلماء النبات والرياضة من أهل غرناطة نالوا مكانة رفيعة فى المجتمع حيث قربهم أمراء المرابطين وخلفاء الموحدين، ومن هؤلاء ابن الصيرفى يحيى بن محمد بن يوسف الأنصارى يكنى أبا بكر، ويعرف بابن الصيرفى، وكان من أعلام العصر المرابطى فى البلاغة والأدب

(١) ابن الأبار: التكملة ترجمة رقم ٥٩٦.

(٢) ابن الأبار: التكملة ١٥٣٠.

(٣) ولد ابن أضحى فى مدينة المرية ٤٩٢ هـ وولى فيها القضاء بعد قاضيها ابن الفراء، انظر ابن الأبار: جـ ٢ ص ٢١١.

(٤) انظر تفاصيل هذه الثورة فى ابن الأبار: الحلة السيراء: جـ ٢ ص ٢١١ ـ ص ٢١٤.

والتاريخ وكان من الشعراء المطبوعين كتب بغرناطة للأمير تاشفين بن على، وتوفى فى غرناطة سنة ٥٧٠ هـ[١].

وعلى بن عبد العزيز بن الإمام الأنصارى، سرقسطى الأصل سكن غرناطة وعاش بها، وكان من أهل البلاغة والفصاحة وزر للأمير أبى طاهر ثم ابن يوسف أيام ولايته لغرناطة ثم كتب من بعده لأخيه الأمير علي بن يوسف[٢].

ومن هؤلاء أيضًا أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد، من بنى سعيد العنسى سادة قلعة يحصب من أعمال غرناطة، وهو بيت من بيوتات الأندلس المشهورة، وينتمى إليه قواد ووزراء وقضاة وكتاب وشعراء ومنهم مؤلفو كتاب «المُغرب فى حلى المغرب» وشغف أبو جعفر بالأدب والشعر منذ ضغره فحفظ كثيرًا من شعراء القدماء ومدح الخليفة عبد المؤمن بن على وهو بجبل طارق سنة (٥٥٦ هـ / ١١٦١ م) وكانت هذه القصيدة بداية مجده الحقيقى، وعندما تولى غرناطة السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن بن على، استوزر أبا جعفر وحظى لديه ثم ساء ما بينهما بسبب تنافسهما فى حب الشاعرة الغرناطية الحسناء حفصة بنت الحاج الركونى[٣]، وأخذ السيد أبو سعيد يترقب الفرص لنكبته، وأبو جعفر يتحفظ كل التحفظ، وانتهى الأمر بأبى جعفر إلى أن عمل مع أخيه وبعض أقاربه على الانضمام إلى ابن مردنيش ولحق أخوه وأقاربه بقلعتهم فى بنى يحصب، ولكنه جبن وتأخر ثم فر إلى مالقة ليركب منها البحر إلى بلنسية ولكن عمال السيد اكتشفوا أمره وقبضوا عليه، فأمر بقتله صبرًا وكان مصرعه فى جمادى الأولى سنة (٥٥٩هـ/ ١١٦٤م)[٤].

أما أبو بكر بن قزمان أمير الزجل الأندلسى[٥] فيقول عنه ابن سعيد إنه كان فى أول

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة مخطوط الاسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٤١٥، ابن سعيد: المغرب: جـ ١ ص ١١٨ ـ ص ١١٩، ترجم له ابن الأبار فى التكملة ص ٧٢٣.

(٢) ابن الخطيب: نفس المخطوط لوحة ٣٣١.

(٣) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: جـ ١ ص ١٣٨ ـ ص ١٣٩، ترجم لها ابن دحية فى المغرب ص ١٠ وياقوت: معجم الأدباء جـ ١٠ ص ٢١٩، المقرى: نفح الطيب: جـ ٢ ص ٤٩١ ـ ص ٤٩٤، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٢١٤ ـ ص ٢١٨.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٢١٤ ـ ص ٢١٨.

(٥) ابن سعيد: المغرب: جـ٢ ص ١٠٠، ص ١٦٧ «الأهداب».

شأنه مشتغلاً بالنظم المعرب، فرأى نفسه تقصر عن أفراد عصره، كابن خفاجة وغيره فعمد إلى طريقة لا يضارعه فيها أحد منهم، فصار إمام أهل الزجل المنظوم بكلام عامة الأندلس[١].

خدم ابن قزمان فى شبابه المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس ونال لديه حظوة وجاها فلما انتهت دولتهم، عاد إلى قرطبة وتردد بينها وبين غرناطة، توفى سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م[٢].

وقد كان الشعراء يتفاوتون فى وضعهم الاجتماعى تفاوتا يجعلهم على وجه التقريب فى ثلاث طبقات، طبقة الشعراء الذين بلغوا أعلى المناصب[٣] مثل أبى جعفر أحمد بن عبد الملك سعيد من أمراء قلعة يحصب فى غرناطة[٤] وشعراء منتمون، أى يلزم الواحد منهم بلاط أحد الأمراء وينتمى إليه، ويأخذ منه رسمًا شهريًا (أو سنويًا) مقررا، أو جوائز غير موقوتة بوقت[٥]، وشعراء جوالون وهم الذين يطرفون على الأمراء مادحين متكسبين بأشعارهم وهم أكثر عددًا من الطبقتين السابقتين[٦].

وفى عصر المرابطين تراجعت منزلة الشاعر الاقتصادية والاجتماعية حيث لم يستطيع أن ينافس رجل السيف من الملثم والفقية والكاتب فأبعد الفقه الأدب حيث أصبحت الكلمة العليا للفقهاء[٧].

وفى ذلك العصر نجد ابن قزمان يعبر فى أزجاله عن مطالبه من قمح وشعير وخروف العيد[٨].

---

(١) ابن سعيد: المصدر السابق: جـ ٢ نفس الصفحات، انظر مقدمة ابن خلدون ص ٥٨٣.

(٢) راجع فى ترجمة ابن قزمان: قلائد العقيان: ص ١٨٧، طبعة القاهرة، ١٢٨٣ هـ، انظر عبد العزيز الأهوانى: الزجل فى الأندلس: ص ٦٦ وما بعدها.

(٣) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسى فى عصر الطوائف والمرابطين: ص ٨٢.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٢١٤ ـ ص ٢١٨.

(٥) إحسان عباس: نفس المصدر: ص ٨٢.

(٦) إحسان عباس: نفس المصدر: ص ٨٣.

(٧) انظر إحسان عباس: المرجع السابق نفس الصفحة.

(٨) انظر: عبد العزيز الأهوانى: الزجل فى الأندلس، ص ٦٦ وما بعدها، إحسان عباس: المصدر السابق: ص٢٦٨، سيأتى الحديث عن ابن قزمان فى الحديث عن الحياة الاجتماعية لطبقة الخاصة.

رجال الدولة:

القادة والأمراء.

تناولت فى الباب الأول كيف أن القيادة السياسية انحصرت فى يوسف بن تاشفين وبنيه من بعده، كذلك انحصرت تلك القيادة فى عصر الدولة الموحدية فى عبد المؤمن بن على وبنيه من بعده، ومن هنا أصبحت الأسرتان تتمتعان بالنفوذ والسياسة فى بلاد المغرب والأندلس.

وأصبحت قبيلة لمتونة تتمتع بمكانة مرموقة بين قبائل البربر لأن الطبقة الحاكمة تنتمى إلى هذه القبيلة، بالإضافة إلى قبيلة صنهاجة ومنهم جدالة ومسوفة ولمطة وقد أشار إلى ذلك صاحب الحلل الموشية بقوله «وبعث - أى يوسف بن تاشفين - سنة ٤٧٠ هـ إلى صحراء لمتونة ومسوفة وجدالة وغيرهم يعلمهم بما فتح الله عليهم من ملك المغرب وطاعة أهله ويؤكد عليهم فى القدوم إليه فوفد منهم جموع كثيرة ولاهم الأعمال، وصرف أعيانهم فى مهمات الأشغال فاكتسبوا الأموال وملكوا رقاب الرجال وكثروا بكل مكان وساعدهم الوقت والزمان وكثرت جموعهم وتوفرت عساكرهم»[١] هذا وقد تمتع أبناء أسرة يوسف بن تاشفين وبنيه بوضع السيادة فى المدن المغربية والأندلسية على حد السواء، يقول ابن خلدون: «ثم اقتسم - أى يوسف بن تاشفين - المغرب عمالات على بنيه وأمراء قومه وذويه»[٢].

فكان ينوب فى أغلب الأحيان عن أمير المسلمين فى الأندلس أمير من الأسرة المالكة أو من لمتونة عامة، فقد تولى حكم غرناطة من الأسرة الحاكمة تميم بن يوسف بن تاشفين وتاشفين بن على بن يوسف وسير بن الحاج[٣] وعبد الله بن مزدلى[٤].

(١) مجهول: الحلل الموشية: ص ٣٣.
(٢) ابن خلدون: العبر: جـ ٦ ص ١٨٥.
(٣) مجهول: نبذة تاريخية فى أخبار البربر: ص ٨٢، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٤٨، ص ٤٩، السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ٤٨.
(٤) ابن عذارى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٥٦.

واتبع الموحدون نفس السياسة حيث استأثر بنو عبد المؤمن بالخلافة وشغل بعض أفراد الأسرة منصب الوزارة[١].

وقد بلغت قبيلة كومية ـ وهى القبيلة التى ينتسب إليها الخليفة عبد المؤمن بن على ـ مكانة عظيمة وأصبحت من أعظم قبائل الموحدين واحتلت مكان الصدارة فى بلاد المغرب والأندلس، يقول المراكشى «ثم قبيلة عبد المؤمن تسمى كومية وهى قبيلة كبيرة وهى قبيلة كثيرة العدد جمة الشعوب لم يكن لها فى قديم الدهر ولا فى حديثه ذكر فى رياسة ولا حظ من نباهة، إنما كانوا أصحاب فلاحة ورعاة غنم وأصحاب أسواق يبيعون فيها اللبن والحطب وسوى ذلك من سقط المتاع فتبارك المعز المذل المعطى المانع، فأصبح القوم وليس فوقهم أحد ببلاد المغرب ولا تطاول أيديهم يد يكون عبد المؤمن منهم»[٢] هذا وقد تولى حكم غرناطة عدد من أبناء وأقارب الخليفة[٣].

يقول المراكشى: «وأقام عبد المؤمن بجبل الفتح مرتبًا للأمور ممهدًا للملكة، وأعيان البلاد يفدون عليه كل يوم، إلى أن تم له ما أراد من إصلاح ما استولى عليه من جزيره الأندلس»

فولى مدينة أشبيلية وأعمالها ابنه يوسف، وهو الذى ولى الأمور بعده، وترك معه بها أشياخ الموحدين وذوى الرأى والتحصيل منهم من يرجع إليه فى أموره، ويعول عليه فيما ينويه.

وولى قرطبة وأعمالها أبو حفص عمر إينتى، وولى غرناطة وأعمالها ابنه عثمان بن عبد المؤمن، يكنى أبا سعيد، وكان من نبهاء أولاده ونجبائهم وذوى الصرامة منهم، وكان محبًّا فى الأدب، مؤثرًا لأهله، يهتز للشعر ويثيب عليه، اجتمع له من وجوه الشعراء وأعيان الكتاب عصابة ما علمتها اجتمعت لملك منهم بعده»[٤].

---

(١) حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس: ص ٣٣٠، اتخذ عبد المؤمن بن على ابنه عمر وزيرا له، انظر المراكشى: المعجب: ص ٢٦٧.

(٢) المراكشى: المعجب: ص ٤٢٣.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ٤٢٣.

(٤) المراكشى: المعجب: ص ٢٩٣.

ومع اتساع رقعة الدولة المرابطية والموحدية وزيادة مواردها بدأ الأمراء والسادة ينفقون عن سعة فيذكر الدكتور حسن محمود أن هؤلاء الأمراء والسادة فد اندمجوا فى الحياة الاجتماعية فى الأندلس، هذه الحياة التى كانت قد بلغت شأنًا عظيمًا من الرقى والأبهة فى أواخر أيام ملوك الطوائف، وتألق نجم الحضارة فى الأندلس بصورة لم تكن معهودة من قبل، فتفوق أهل الأندلس فى الأدب والفن والفلسفة، فلما فتحت بلاد الأندلس التقت حضارتان أو لونان من ألوان الحياة الاجتماعية: لون أندلسى رفيع ولون مغربى صحراوى أقل رقيًا وتفوقًا وكان منطق الأشياء يقضى بزن تتغلب الحياة الأكثر رقيًا فتصرع الحياة الأكثر ضعفًا، وهذا هو ما حدث، فقد صارعت الحياة الأندلسية الرفيعة هذه الحياة الاجتماعية المغربية فتغلبت عليها وأثرت فيها، فقد استطاع الجيل الأول من هؤلاء الأمراء أمثال يوسف بن تاشفين وسير بن أبى بكر وعبد الله بن عائشة أن يقاوموا هذا التيار الجديد الوافد إليهم، ولكن هذه المؤثرات لم تستطع أن تصمد طويلا بعد وفاة يوسف، إذ تغلبت الحياة الأندلسية بمتعها وبهجته ومسراتها، ولم يكن من الممكن أن يقاوم المرابطون هذه المتع طويلا، فقد عاشوا فى ظلها وانغمسوا فى حياتها واضطروا أن يعيشوا كما كان الناس يعيشون فى الأندلس فكانوا يحيون حياة لا تختلف عن الحياة التى كان ملوك الطوائف يحيونها[1]، وفى العصر الموحدى نجد السادة الموحدين يحيون حياة اللهو والترف فها هو السيد أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن صاحب غرناطة يحيا حياة الترف واللهو[2]، فقد تنافس مع أبى جعفر بن سعيد من أمراء قلعة يحصب على حب الشاعرة الغرناطية حفصة الركونية.[3]

المرأة الغرناطية

واحتلت المرأة الغرناطية مكانة مرموقة فى المجتمع الغرناطى فى عصر المرابطين والموحدين وصارت لها مشاركة واضحة فى المجتمع، يقول ابن الخطيب «وحريمهم حريم جميل، موصوف بالسحر وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب النشر

(١) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤٢١ ـ ص ٤٢٢.
(٢) المقرى: نفح الطيب: جـ ٢ ص ٣٨٥.
(٣) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: جـ ١ ص ١٣٨ ـ ص ١٣٩، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٢١٤ ـ ص ٢١٨.

وحقة الحركات ونبل الكلام وحسن المجاورة إلا أن الطول يندر فيهن وقد بلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات والتنفيس بالذهبيات والديباجيات والتماجن في أشكال الحلى إلى غاية نسأل الله أن يغض عنهن فيها عين الدهر ويكفكف الخطب، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة وأن يعامل جميع من بها بستره ولا يسلبهم خفى لطفه بعزته وقدرته»(١).

وهنا نجد أن ابن الخطيب يصف نساء غرناطة وصفًا دقيقًا وهو شديد الإعجاب بهن، لا يكاد يأخذ على أوصافهن إلاّ ميلهن إلى القصر(٢).

ومن النساء اللائى ظهرن فى عصر المرابطين ثم الموحدين من نساء غرناطة نزهون القلاعية(٣) ومن الشواعر اللائى ظهرن فى عهد عبد المؤمن بن على، الأديبة الشاعرة المربية حفصة بنت الحاج الركونية الغرناطية(٤)، وقد مدحت الخليفة عبد المؤمن بن على(٥).

أما المرأة المرابطية فكانت تتمتع بوضع كريم فى القبيلة الصنهاجية لأن المرأة المرابطية كانت تشترك فى مجلس القبيلة وتشارك برأيها فى الأمور الهامة(٦). فكان المرابطون يستعمون للنساء ويوكلون أمورهم لهن(٧)، فكانوا يسمون الرجل باسم أمه،

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٩.

(٢) حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون: معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٧م - ١٣٧٦ هـ ص؟.

(٣) «فزهون القلاعية من أهل المائة الخامسة ذكرها الحجارى فى المسهب ووصفها بخفة الروح، والانطباع الزائد والحلاوة، وحفظ الشعر، والمعرفة بضرب الأمثال، مع جمال فائق، وكان الوزير أبو بكر بن سعيد أولع الناس بمحاضرتها ومذكراتها ومرسلتها» انظر ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ١٢١، وابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٤٢٦.

(٤) «كانت حفصة هذه تشتهر بالحسب والجمال والمال وكانت أستاذة بالإضافة إلى شهرتها الأدبية وقد طال عمرها حتى علمت نساء الخليفة يعقوب المنصور حفيد عبد المؤمن - توفيت بمراكش سنة ٥٨٦ هـ، انظر ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ١٣٨، ياقوت: معجم الأدباء: جـ ١٠ ص ٣١٩.

(٥) ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ١٣٨، المقرى: نفح الطيب: جـ ٤ ص ١٧١ - ص ١٧٢.

(٦) حسن محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٥٢.

(٧) النويرى: نهاية الأرب: جـ ٢٢ مجلد ٢ ص ٨٠، المراكشى: المعجب: ص ٢٤١.

فكان أبا عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين وهو أخو أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين، وكان من أعظم قادة المرابطين يعرف بابن عائشة[١]، وكذلك عبد الله ابن فاطمة من أبرز قادة المرابطين وهو الذى دخل فى كثير من المعارك بالأندلس وأحرز فيها عدة انتصارات وكان معروفًا بابن فاطمة[٢].

ويبدو أن المرأة كانت تتمتع بقسط وافر من الحرية فى عصر المرابطين سواء فى بلاد المغرب أو الأندلس حتى أنها كانت تختلط بالرجال فى الأماكن العامة والمناسبات المختلفة مما جعل ابن عبدون ينهى عن ذلك بقوله «لا يترك الشباب أيام العيد يجلسون فيها على الطريق لاعتراض النساء ويجد فى منع ذلك المحتسب والقاضى يجب أن يمنع السلطان أن يجلس على أفنية القبور لمراودة النساء ويتعاهدن بذلك كل يوم مرتين يفعل ذلك المحتسب»[٣].

كما يرى ابن عبد الرءوف «بمنع النساء من الوقوف على أبواب الدور لما فيه من الكشف وعدم الاستتار»[٤] كذلك كانت المرأة المرابطية تتمتع بنفس الحرية فى بلاد المغرب، مما جعل ابن تومرت يستنكر هذا الوضع فى أكثر من مكان[٥]، فعند نزوله بجايه فى عيد الفطر وجد اختلاط الرجال بالنساء فقام للتفريق بينهما بعصاة[٦]، يقول ابن القطان «ثم حضر ـ أى ابن تومرت ـ عيدًا فرأى فيه من اختلاط الرجال بالنساء والصبيان المتزينين المتكحلين ما لا يحمل فزجروهم وغير ذلك عليهم، فوقعت لأجل ذلك نفرة استطال فيها الشر وسلبت النساء حليها وقام الهرج فسأل العزيز عن سبب ذلك فعرف بأنه لا سبب له إلا الفقيه السوسى»[٧].

وفى عهد الموحدين لم تتمتع المرأة بمثل النفوذ والحرية التى تمتعت بها فى عصر

(١) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٨.
(٢) ابن القطان: المصدر السابق: ص ٨.
(٣) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٢٧.
(٤) ابن عبد الرءوف: ثلاث رسائل: ص ٣١١.
(٥) حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس: ص ٣٥٣.
(٦) البيذق: أخبار المهدى: ص ٥٢.
(٧) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٤١.

المرابطين فكان ابن تومرت يمنع اختلاط النساء بالرجال كما سبق أن ذكرت، فقد اتبع الموحدون أحكام الدين بشأن حماية المرأة وصيانتها إلا أن هذا الحد من الحرية لم يمنع الموحدين فى مناسبات مختلفة من إظهار تقديرهم واحترامهم للمرأة(١)، فقد اشتهر المنصور الموحدى بإنصافه للمرأة، يقول ابن خلكان فى صفات المنصور: «ويقف للمرأة والضعيف ويأخذ لهم بالحق»(٢) ونالت المرأة ابتداء من عهد عبد المؤمن بن على قسطًا وافرًا من التعليم مثل الأميرة زينب بنت يوسف بن عبد المؤمن التى درست علوم الدين واللغة، ونبغت فى علم الأصول، وكانت هذه الأميرة، عالمة صائبة الرأى، وقد استطاعت أن تدفع بالمرأة المغربية إلى ميدان العلم والمعرفة(٣).

---

(١) حسن على حسن: الحضارة فى المغرب والأندلس: ص ٣٥٦.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان: جـ ٦ ص ١٠.

(٣) ابن الأبار: التكملة: ترجمة ٢١٢٢ «من مناقب عبد المؤمن بن على أن جعل التعليم الابتدائى إجباريًا مفروضًا على كل مكلف من الرجال والنساء» ليفى بروفنسال: مجموع رسائل موحدية: ص ١٣١ ـ ص ١٣٧، هذا ولقد أثرت الحروب التى اتصلت فى تاريخ الأندلس بين المسلمين ونصارى أسبانيا ـ وخاصة منذ عصر المرابطين والموحدين وحتى سقوط الأندلس (غرناطة) فى أيدى نصارى أسبانيا ـ على المرأة وحياتها فقد زاد عدد الأرامل فى الأندلس زيادة ملحوظة عن أى قطر من الأقطار الإسلامية الأخرى.

عن تلك الظاهرة انظر ابن سعيد: المغرب: (زجل ابن قزمان) السالف الذكر، ص ٣٨٢، الزجل رقم ٨٧، عبد العزيز الأهوانى: الزجل فى الأندلس: ص ٧٠ ـ ص ٧١ هامش رقم ٢.

الحياة الخاصة لطبقة المترفين والأغنياء

إن ما وصلنا عن حياة طبقة الخاصة من المترفين والأغنياء يصوره لنا أدب هذا العصر الذى نحن بصدد دراسته، فأدب هذه الطبقة كان يصور حياتهم الاجتماعية المترفة تصويراً دقيقًا، فهم يقضون أوقات سهرهم فى لهو وفى مجالس الأنس وشرب الخمر وما يجرى فيها من مجون وخلاعة[١]، فلم يكن لأفراد هذه الطبقة من مشاغل سوى كل ما يرضى الشباب ويمتع مجالس الأدب[٢]، ويذكر ابن سعيد فى كتابه المغرب أنهم كانوا يخرجون إلى كروم العنب والتين فى مالقة يفرحون فيها ويمرحون هناك[٣]، قال ابن سعيد: «دخلت مدينة مالقة وأقمت إقامة أرضت الشباب وأمتعت مجالس الآداب وكان والدى يفضلها ويعجب بها ولا سيما فى أيام فزحهم وخروجهم إلى كروم العنب والتين، ولقد خرجنا إلى كرم أقمنا فيه مدة منفعته، فعددنا ذلك من أيام النعيم»[٤].

هكذا كان هؤلاء المترفون يقضون أوقاتهم، وتصور لنا حياة الأديب أبى جعفر بن سعيد[٥] من أمراء قلعة يحصب فى غرناطة تلك الحياة التى كانت تحياها تلك الطبقة، فنظرة هذا الأديب للحياة تتمثل فى حبه للحياة المترفة الخالية من المسئولية فهى لهو وخمر وملاح وصيد وقنص وقد عبر عن ذلك أكثر من مرة، فحين ثار والده «واستبد بأمر قلعة يحصب حين ثار أهل الأندلس بسبب صولة بنى عبد المؤمن بالملثمين اتخذه وزيراً، واستنابه فى أمور، فلم يصبر على ذلك واستعفى فلم يعفه والده وقال: أفى مثل هذا الوقت الشديد تركن إلى الراحة؟ فكتب إليه»[٦].

---

(١) حكمة الأوس: الأدب الأندلسى فى عصر الموحدين، مكتبة الخانكى، القاهرة.

(٢) ابن سعيد: المغرب: جـ ١ ص ٤٢٨.

(٣) المصدر السابق: جـ ١ ص ٤٢٣ ـ ص ٤٢٤.

(٤) المصدر السابق: جـ ١ نفس الصفحات.

(٥) سبق التعريف بـه، انظر ترجمته فى الإحاطة: جـ ١ ص ٢١٤ ـ ص ٢١٨، ابن سعيد: المصدر السابق: جـ ٢ ص ١٦٤.

(٦) مولاى فى أى وقت ... أنال فى العيش راحة
إن لم أنلها وعمرى ... ما إن أنا صباحة =

فلما قرأ الأبيات قال: لا ينفع الله بما لا يكون مركبا فى الطبع مائلة له النفس، ثم وقع على ظهر ورقته: قد تركنا سراح أنسك وألحقنا يومك بأمسك[١]، يقول المقرى.

«ولما رجع إلى عبد المؤمن وبايعه عبد الملك بن سعيد غمره إحسانا وبرا، وولى السيد أبو سعيد غرناطة فطلب كاتبا من أهلها فوصف له فضل أبى جعفر وحسبه وأدبه، فاستكتبه، فطلب منه أن يعفيه، فأبى إلا إن شرب أبو جعفر يوما مع خواصه، وخرج ثانى يوم إلى الصيد وكان اليوم ذا غيم وبرد ولما اشتد البرد مالوا إلى خيمة ناطور، وجعلوا يصطادون ويشربون على ما اصطادوا، فحمل أبا جعفر بقية السكر على أن قال يصف يومه ويستطرد بما فى نفسه[٢].

وهكذا كثر فى إنتاجهم الأدبى ما يعبر عن حياة هؤلاء المترفين من الخاصة حياة اللهو والخمر والطرب ومجالس الأنس ومطارحتهم الأشعار فى منتزهات الأندلس من بينها غرناطة، حيث عدد هؤلاء المترفون من الأدباء محاسن غرناطة فها هو ابن سعيد صاحب المغرب يصف وادى مالقة[٣]، وكان أصحاب الجاه الذين يحيون تلك الحياة ويجهرون

= وللملاح عيون تميل ... نحو الملاحة
وكأس رامى ما إن ... تمل منى راحة
فأعفنى وأقلنى ... مما رأيت صلاحه
ما فى الوزارة حظ ... لمن يريد ارتياحه

المقرى: نفح الطيب: جـ ٤ ص ١٧٩.

(١) المقرى: المصدر نفسه: جـ ٤ ص ١٨٠.

(٢) ويوم تجلى الأفق منه بتعنبر ... من الغيم لذنا فيه باللهو والقنص
وقد بقيت فينا من الزمس فضلة ... من السكر تغرينا بمنتهب الغرص
ركبنا له صبحًا وليلاً وبعضنا ... أصيلاً وكل إن شدا جلجل رقص
وملنا وقد نلنا من الصيد سؤلنا ... على اللذات والبرد قد قرص
فقل لحريص إنى مقيد ... بخدمته لا يجعل البار فى القفص

المقرى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ١٨٠ ـ ص ١٨١.

المقرى: نفح الطيب: جـ ٤ ص ١٨٠.

(٣) بوادى رية فإنى عرج فإنى ... رأيت الحسن عنه لا يميل
وهات الخمر صرفاء دون مزج ... بحيث الماء والظل والظليل

ابن سعيد: المغرب: جـ ١ ص ٤٤٣.

بشرب الخمر دون حرج أو خوف وكان آخرون منهم يتحرجون من شرب الخمر وإظهار ذلك مثل ابن سيد اللص الذى تحرج الجلوس فى مجلس شراب عند أبى جعفر بن سعيد[١]، وكان بعض السادة الموحدين لا يكتفون بالمجاهرة بشربها فحسب، بل يجبرون من يستحرم ذلك على شربها كالذى حدث للأديب الرحالة محمد بن جبير الذى استدعاه السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن، صاحب غرناطة لأن يكتب كتابًا عنده وهو على شربه، فمد يده إليه بكأس، فأظهر الانقباض وقال: يا سيدى ما شربتها قط، فقال: والله لتشربن منها سبعا، فلما رأى العزيمة شرب سبع كئوس، فملأ له السيد الكأس من دنانير سبع مرات وصب ذلك فى حجره[٢] ولم يكتف الشعراء بوصف الخمر وإنما جاوزوا ذلك إلى وصف كئوسها وزجاجتها ومجالس شرابها وامتزج شعرهم هذا بوصف الرياض والمتنزهات فهذا جودى بن جودى يصف لنا لهوه بين الحدائق والأزهار، ثم يصف الخمرة وإبريقها[٣].

وكان أبو الحسن رضى بن رضا المالقى (توفى ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م) ينهمك فى شرب الخمر حتى أنه لا يكاد يصحو منها، وكان يقول «أنى أمحق العمر سكرا»[٤].

كما كان هؤلاء الخاصة يتمتعون بالنزهة بالزوارق فى الأنهار وخاصة أنهار المرية فها

---

(١) المقرى: نفح الطيب: جـ ٤ ص ١٩٢ ـ ص ٢٠٣، انظر ترجمة ابن سيد اللص، المقرى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٢٠٣، انظر ابن سعيد: المغرب: جـ ١ ص ٢٥٢، ابن دحية: فى أشعار المغرب: ص ٢٠٠.

(٢) هو صاحب الرحلة المشهورة ولد سنة ٥٤٠ هـ ودرس الفقه والحديث بشاطبة ويقال إنه اضطر وهو يعمل مع عثمان بن عبد المؤمن إلى شرب الخمر فأزمع الحج إلى بيت الله ليكفر عنه خطيئته وقد رحل إلى المشرق مرتين: الأولى سنة ٥٨٧ هـ وهى التى كتب فيها رحلته والثانية سنة ٦١٤ هـ وتقدم فى صناعة القريض وصناعة الكتابة، وحمل عنه شعره فى الزهد وغيره وهو كثير مدون، توفى وهو ابن خمس وسبعين، انظر عنه المقرى: نفح الطيب: جـ ٢ ص ٣٨١ وما بعدها، ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ٣٨٤ هامش رقم ١، انظر ترجمة ابن جبير فى ابن الأبار التكملة لكتاب الصلة، ص ٥٩٨ طبعة مصر.

(٣)

شربنا وبرد الليل يطول صحبه	وأردية الشمس المنيرة تنتشر
وقد هفت ورق الحمام بدوحها	وكف الصبا زهر الحدائق تنتشر
مشعشعة رقت وراقت كأنما	يصاغ لها من صنعه المزج جوهر
إذا قهقه الإبريق قالوا تكلمت	كما أنها عن أعين المزج تنظر

ابن سعيد: المصدر السابق: جـ ٢ ص ١١٠.

(٤) ابن سعيد: المصدر السابق: جـ ١ ص ٤٢٦.

هو الشاعر أبو الحسين محمد بن سفر يقول فى وصف زوارق الأنهار وهى مملوءة بالفتية يتنزهون فيها ويلعبون[١].

وقد صورت الرسائل الأدبية وخاصة المراسلات الإخوانية جانبًا مهمًا من العلاقات الاجتماعية التى كانت تربط هؤلاء الخاصة بعضهم ببعض، فقد كان هؤلاء الخاصة ذوى الميول المتقاربة تربطهم أواصر المودة والمحبة، فكانوا يدعون بعضهم البعض لمجالس الأنس بأن يرسلوا دعوات أدبية مملوءة بالشعر أو النثر تدعو لمجلس أنس وتحث فيه على المجىء لهذا المجلس وتذكر ما سيتوفر فى تلك الأمسية من مباهج وسرور[٢] أو تشير إلى بعض النوادر التى حدثت فى تلك الأمسيات ومن هذه المراسلات الإخوانية الأدبية قصيدة صنعها بعض الأدباء وكانوا قد اجتمعوا بغرناطة منهم محمد بن غالب الرصافى الشاعر المشهور ومحمد بن عبد الرحمن الكتندى[٣] (توفى ٨٥٤ هـ / ١١٨٨ م) وغيرهما من الفضلاء والرؤساء، فأرادوا يومًا أن يخرجوا «لنجد أو لحور مؤمل» وهما متنزهان من أشرف وأظرف متنزهات غرناطة، ليتفرجوا ويصقلوا الخواطر بالتطلع فى ظاهر البلد، وكان الرصافى قد أظهر الزهد وترك الخلاعة، فقالوا: «ما لنا غنى عن أبى جعفر بن سعيد، اكتبوا له» فصنعوا له هذه الأبيات، وكتبوها له وجعلوا تحتها أسماءهم[٤] فركبوا إلى جنته وما زالوا بالرصافى إلى أن شرب لما غلب عليه الطرب، فجواب أبى جعفر بن سعيد فى هذه المراسلة يصور لنا واقع هذه الحياة التى كانت تحياها هذه الطبقة فهى حياة مترفة بعيدة عن التقشف والزهد والحرمان[٥].

(١) لو أبصرت عيناك زورق فتية ... يبدى بهم لج السرور مراحه
وقد استداروا تحت ظل شعاره ... كل يمد بكأس راح راحه
ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ٢١٢.

(٢) حكمة الأوسى: الأدب فى عصر الموحدين: ص ١٧٩.

(٣) انظر ترجمة الكتندى فى المغرب: جـ ٢ ص ٢٦٤ وابن الأبار: التكملة: ص ٥٣٥، وأدباء مالقة: ورقة ٢٧.

(٤) بعثنا إلى رب السماحة والمجد ... ومن ماله فى حلبة الظرف من ند
يسعدنا عند الصبيحة فى غد ... لنسعى إلى الحور المؤمل أو نجد
نسرح منا أنفسا من شجونها ... ثوت فى شجون هن سر من اللحد
المقرى: نفح الطيب، جـ ٣ ص ٥١٣

(٥) المقرى: نفح الطيب: جـ ٣ ص ٥١٣، ص ٥١٤، ص ٥١٥، وما بعدها.

الحياة الاجتماعية لطبقة العامة من أهل غرناطة

عادات أهل غرناطة

يذكر ابن الخطيب فى كتابه اللمحة البدرية وصفًا للعامة من أهل غرناطة وحياتهم الاجتماعية إذ يقول «فأحوال أهل هذا القطر فى الدين وصلاح العقائد أحوال سنية، والأهواء والنحل فيهم معروفة، ومذاهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة جارية»[١].

«وعادة أهل هذه المدينة (غرناطة) الانتقال إلى حلل العصير أوان إدراكه بما تشتمل عليه دورهم، والبروز إلى الفحوص»[٢].

وكان أهل غرناطة مضرب الأمثال فى النظافة، يبالغون فى العناية بنظافة أبدانهم وثيابهم ويكثرون من الاستحمام، «وفيهم من لا يكون عنده إلا قوت يومه فيطويه صائمًا ويبتاع صابونًا يغسل به ثيابه»[٣] وهم أهل تدبير واحتياط فى المعاش وحفظ لما فى أيديهم خوف ذل السؤال[٤].

وكانت عادة التسول من العادات المستقبحة عندهم يقول المقرى «وأما طريقة الفقراء على مذهب أهل الشرق فى الدروزه[٥] التى تكسل عن الكد وتحوج الوجوه للطلب فى الأسواق فمستقبحة عندهم إلى نهاية، وإذا رأوا شخصًا صحيحًا قادرًا على الخدمة يطلب، سبّوه وأهانوه فضلاً عن أن لا يتصدقوا عليه فلا تجد بالأندلس سائلاً إلاّ أن يكون صاحب عذر»[٦].

---

(١) ابن الخطيب: اللمحة البدرية: ص ٣٨، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٤.

(٢) «جمع فحص وهو المرج» انظر ابن الخطيب: نفس المصدر والصفحة هامش رقم ٢.

(٣) المقرى: نفح الطيب، جـ ١ ص ٢٢٠.

(٤) المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ٢٢٣.

(٥) الدروزة من الفارسية «درويزة» أى للكدية والشحذ (المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ٢٢٠ هامش رقم ١).

(٦) المقرى: المصدر السابق: جـ ١ ص ٢٢٠ وما بعدها.

وإلى جانب المتسولين كان هناك بعض القمارين والخمارين الذين يقومون باستدراج البعض للعب الورق أو بيع الخمر لهم للاستيلاء على ما معهم من نقود[١].

ويرى الجرسفى أن يمنع ذلك وينهى عنه[٢]، كما يرى الجرسفى أيضًا «منع السفلة والصبيان من الرش بالماء فى الأسواق والشوارع فى يوم المهرجان واللعب بالمقارع والعصى فى الشارع»[٣].

وفى يوم الجمع والأعياد يبدأ خروج النساء لزيارة المقابر فيتعرضون للمضايقات من جانب الشباب الذين تزدحم بهم الطرقات[٤].

وينهى ابن عبدون عن هذا بقوله «لا يترك الشبان أيام العيد يجلسون فيها على الطرقات لاعتراض النساء، ويجد فى منع ذلك المحتسب والقاضى، يجب أن يمنع السلطان أن يجلس على أفنية القبور لمراودة النساء، ويتعاهد ذلك كل يوم مرتين، يفعل ذلك المحتسب»[٥].

كما يرى ابن عبد الرءوف «بمنع النساء من الوقوف على أبواب الدور لما فيه من الكشف وعدم الاستتار»[٦].

كما نهى ابن عبدون عن دخول النساء المسلمات إلى الكنائس «فإن القسيسين فسقة»[٧] «كما يمنع الإفرنجيات من الدخول فى الكنيسة إلا فى يوم فضل، أو عيد فإنهن يأكلن ويشربن ويزنين مع القسيسين، وما منهم واحد إلا وعنده اثنتان أو أكثر يبيت معهن، وقد صار هذا عرفًا عندهم، لأنهم حللوا والحرام استحرموا الحلال»[٨].

وكانت الطرقات لا تخلو من الناس الذين يشغلون الطريق وطرح الأزيال، يقول ابن

---

(١) الجرسفى: ثلاث رسائل فى الحسبة: ص ١٢٣.
(٢) الجرسفى: ثلاث رسائل: ص ١٢٣.
(٣) الجرسفى: المصدر السابق: ص ١٢٤.
(٤) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة: ص ١٢.
(٥) ابن عبدون: المصدر السابق: نفس الصفحة.
(٦) ابن عبد الرءوف: نفس المصدر: ص ١١٣.
(٧) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٤٨.
(٨) ابن عبدون: المصدر السابق: ص ٤٨ ـ ٤٩.

عبد الرءوف: «يمنع الناس عن الجلوس على الطرق والأحداث فيها وعقد المصارع فيها من غير حاجة وإلا لمأمون خاصة. . . ويمنع عن طرح الأزبال والجيف وما أشبههما فى المحجات، فإن ذلك يضر بالديار»[1].

كما انتشر فى شوارع مالقة الكتبة ويسميهم «كتاب الشارع» «والناس مجتمعون حولهم لكتابة شكواهم وخطاباتهم وكان محرم عليهم كتابة سب أحد أو هجوه أو ما يتضمن سعاية للسلطان»[2].

ومن العادات التى انتشرت فى المجتمع الغرناطى عادة إهداء بواكير الفاكهة التى اشتهرت بها الأندلس مثل الرمان وحب الملوك (الكرز) والعنب وغيرها[3].

الحياة الاجتماعية المشتركة لجميع الطبقات

وبعد أن عرضنا للحياة الاجتماعية لطبقتى الخاصة والعامة فى غرناطة نعرض لحياة طبقة العامة والخاصة معًا وهى الحياة التى اشتركت فيها كل طوائف المجتمع الأندلسى عامة والغرناطى خاصة وهى الزواج وحياة الأسرة الغرناطية، الأعياد والمواسم والاحتفالات واللهو والطرب.

الزواج

يذكر ابن عبد الرءوف أن من شروط الخطبة اختيار الفتى لعروسه، فالاختيار عادة يتم بواسطة الأهل والأصدقاء أو يكون الفتى قد رأى الفتاة أو شاهدها، وأحيانا تتدخل الأمهات تدخلاً صريحًا فى اختيار العروس لأبنائهن وكان يقابل هذا التدخل أحيانًا بعدم الرضى من جانب الشاب[4].

ويذكر ابن سهل «أن فرائض النكاح ثلاثة، الولى والصداق وشاهدان، وسنته إظهاره والوليمة والدخان، والنكاح مندوب إليه لمن قوى عليه ولا يكون إلا بولى ذكر وصداق

---

(١) ابن عبد الرءوف: نفس المصدر: ص ١١١.

(٢) السقطى: فى أدب الحسبة: ص ٦٨.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: مخطوطة الاسكوريال: لوحة ٣١٠ - ٣٢٤.

(٤) ابن عبد الرءوف: ثلاث رسائل: ص ٧٩.

ولا حد لأكثره وأقله محدود وهو ربع دينار أو ثلاثة دراهم كيلاً أو ما قيمته أحدهما»[١] ولذلك يذكر ابن عبد الرءوف أنه «لا تنكح المرأة إلا بإذن وليها ولا يجوز النكاح بغير ولى»[٢].

ولقد كان الزواج يمر بكثير من الإجراءات حتى يتم من موجبات صحة النكاح وفى كيفية العقد وشروطه وفى الأولياء وفيمن تئول إليه الولاية فى غياب الولى الشرعى وفى حكم غيبة الأب عن ابنته البكر ثم الصداق وحكمه وقدره وجنسه وتأجيله وما إلى ذلك[٣].

ويذكر ليفى بروفنسال[٤] «أن فترة الخطبة والزواج كانت مصحوبة بمصروفات كثيرة فقد كان أجر المأذونين مرتفعًا وكان طالب الزواج يقوم بتأسيس مكونات جهاز العروس وملابسها، ثم تحديد ميعاد الزفاف وتستمر احتفالات الزواج أسبوعًا كاملاً فى منزل العروس تتلقى فيه تهانى نساء الأسرة والصديقات والأقرباء»[٤].

وقد كانت المهور مرتفعة القيمة من ذلك ما دفعه أبو عبد الله بن أبى وإبراهيم والى غرناطة من مهر للسيد أبى حفص للزواج من ابنته أثناء مقامه فى مراكش سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م[٥].

وكان عقد الزواج يتم فى المسجد، يقول التادلى «وكانت عامة أهل البلدان يعقدون أنكحتهم بالمساجد»[٦] وكان المغنون يشتركون فى إحياء حفلات الزواج ويرى ابن عبد

(١) ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام (المعروفة بالأحكام الكبرى): ورقة ٧٩، انظر نورة التويجرى: تحقيق المخطوط: ص ٤٥، ص ٢٨٣.

(٢) ابن عبد الرءوف: ثلاث رسائل: ص ٧٠.

(٣) ابن رشد القرطبى: الأندلسى: (ت ٥٩٥ هـ) بداية المجتهد ونهاية المقتصد: جـ ٢ تحقيق عبد الحليم محمد عبد الحليم: ص ٣ ـ ص ٢٥ طبعة ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ دار الكتب الإسلامية.

(5) Levi Provencal, L'Esp. M. V. 111, P. 403.

(٥) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٢٩٧، طبعة ١٩٦٧، كذلك حين عقد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قرانه على ابنة ابن مردينيش سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م وضع لها مهرًا قيمته ٥٠ ديناراً وقدم لها هدية قيمتها ألف دينار، انظر ابن عذارى: البيان المغرب: القسم الموحدى، طبعة تطوان، جـ ٤ ص ٢٢، ص ٢٣.

(٦) التادلى: التشوف: ص ٧٥.

الرءوف «أن يمنع اللهو كله على أنواعه فـى الأعراس وغيرها كالعود وغـيره إلا ما كان من الدف العربى الذى هو شبه الغربال خاصة»(١).

وذكر ابن عـبد الرؤوف أيضًا أنه على الـرجل الذى تزوج بأكثر من واحـدة «أن يسوى بينهما فى الملبس والطعام والمبيت ولا يفضل واحدة منهـما على صاحبتها إلا ما لا يستطيع العدل فيه مثل الجماع والمحبة وليتق الله فى ذلك»(٢).

وفى أثناء حفـلات الزواج كان العامـة من المدعوين يـضربون البوق والكيـر والمزهر والطنبـور والعود هذا إلى جـانب غناء المغنين والمـغنيات الذين كـانوا يطلقون حنـاجرهم بالغناء ابتـهاجًا بتلك المناسـبة وكـان يختلط الرجال بالنسـاء فى هذه الاحتـفالات ممـا دعا الجرسفى إلى منع ذلك(٣).

ووضحت كتب الحسبة أنه يجب أن يؤخذ سـلاح الشبان لدى إقبالهم إلى العرس قبل أن يشربوا(٤) وذلك منعا لحدوث أى مشـاجرات أو حوادث، وكان الحواة أحيـانًا يتقدمون موكب الزفاف ويرى ابن عبدون منع ذلك(٥).

هذا وقد اشتـهرت بعض المدن الأندلسية بجـمال نسائها مثل نسـاء غرناطة، يقول ابن الخطيب: «وحريمهم حريم جميل موصوف بالسحر وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب الشذا وخفة الحركات»(٦).

وقد كانت الظروف أحيانًا تفرق بين المحبين وتقضى على أحلامهم فى الزواج وتكوين الأسرة، من ذلك مـا حدث لجـعفر بن سـعيد، وقـد سبق الحـديث عنه، فقـد قتله والى غرناطة السيـد أبو عثمان الموحـدى بسبب منافسته لـه على حب الشاعرة الغرناطية حـفصة الركونية(٧).

(١) ابن عبد الرءوف: ثلاث رسائل.
(٢) ابن عبد الرءوف: المصدر السابق: ص ٨٠.
(٣) الجرسفى: ثلاث رسائل ص ١٢١.
(٤) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٥٤.
(٥) ابن عبدون: المصدر السابق: ص ٥١.
(٦) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٩، اللمحة البدرية: ص ٤١.
(٧) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغـرب: جـ ٢ ص ١٨٣، ترجم لها ابن دحية فى المطرب مصورة بدار الكتب المصرية ص ١٠، المقـرى: نفح الطيب: جـ ٤ ص ١٧١ ـ ص ١٧٢ ياقوت: معجم الأدباء جـ ١٠ ص ٢١٩ طبعة القاهرة.

الطلاق

وكما أن الزواج ظاهرة اجتماعية طبيعية كان الطلاق أيضًا إحدى الظواهر الاجتماعية الموجودة فى المجتمع، فابن عبد الرءوف يرى «بأن يؤدب من يحلف بالطلاق أو بطلاق الثلاث»[1] كما يؤمر الرجل أن لا يتخذ النكاح والطلاق والعتاق هزلاً ولا لعبًا، لقوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾[2] كما يؤدب «من شكتْ به امرأته، وعليها آثار ضرب مُبَرح على حسب ما يظهر عليها من ذلك، إلا أن يكون ضربه إياها على مضجعها، فلا يعرض لها بمكروه»[3].

كما يؤمر الموثقون أن لا يعقدوا مراجعة رجل طلق امرأته خُلْع[4] أو تمليك[5] وهى

(١) ابن عبد الرؤوف: ثلاث رسائل ص ٨٣.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٣١.

(٣) ابن عبد الرءوف: ص ٨٣.

«هذا وقد كان الزواج يمثل عبئًا على بعض الرجال العابثين ومن هؤلاء الزجال ابن قزمان، فلم يكن ابن قزمان من أولئك الناس يحبون البيت ويألفون حياة الأسرة، بل كان قلق الشخصية مسرفًا، محبًا للشراب وولعًا باللهو والعبث، وقد قص علينا أنه تزوج مرة ولكنه ضاق بالزواج وبالمرأة وبمسئولية البيت، وقد عبر عن هذا أحسن تعبير وأقواه، فى أسلوب يكاد يكون حديثًا صالحًا لكل عصر، انظر عبد العزيز الأهوانى: الزجل فى الأندلس: ص ٧٦، انظر زجل ابن قزمان فى ديوانه زجل من ١٤ ـ ٢٢، وانظر ابن سعيد: جـ ١ ص ٢٨٣.

ولم يكن هذا هو مبدأ كل الرجال فها هو الفقيه عبد الملك بن حبيب يحن إلى زوجته وبيته وأهله وأحس بالغربة أثناء سفره لأداء فريضة الحج فنادى:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بأكناف نهر الثلج حين يصوب

وحولى أصحابى وبنتى وأمها ... ومعشر أهلى، والرءوف مجيب

انظر عبد العزيز الأهوانى: المرجع السابق ص ٧٨.

(٤) طلاق الخلع «الخلع والفدية والصح والمبارأة كلها تئول إلى معنى واحد هو بذل المرأة العوض على طلاقها» انظر ابن رشد: بداية المجتهد جـ ٢ ص ٧٨ وما بعدها.

(٥) طلاق التمليك هو تفويض الطلاق إلى الزوجة وللرجل أن يجعل إلى المرأة طلاقها وذلك على وجهين: توكيل وتمليك ففى التوكيل له أن يرجع ما لم تطلق نفسها، وفى التمليك ليس له ذلك «انظر كتاب مواهب الجليل فى شرح مختصر أبى الضياء سيدى خليل، تأليف إمام المالكية فى عصره».

محمد بن عبد الرحمن المغربى (ت ٩٥٤ هـ) الطبعة الأولى ١٣٢٩ هـ، مطبعة السعادة.

حامل منه، وقد أثقلت أو دخلت فى ستة أشهر مـن حملها، لأنها مريضة ونكاح المريض لا يجوز[١] «كما يؤدب كل من حلف بالطلاق أو بطلاق الثلاث»[٢] كذلك «يؤمر الرجل ألا يكون محللاً لغـيره فإن فعل ذلك عـوقب هو والمرأة والبينة والذى عقـد النكاح إن علموا بذلك»[٣].

الزى الغرناطى

انتشر استخدام الملابس الصوفية بين سكان غرناطة فأصبح أكثر الناس يلبسون الأكسية الصوفية يقول ابن الخطيب «ولباسهم الغـالب على طرقاتهم الفاشى بينهم الملف المصبوغ شتاء»[٤] أمـا فى الصيف فكانوا يـرتدون أنواع الملابس المـخـتلفة من حـريرية[٥] وقطنية وكتانية[٦]، يقول ابن الخطيب أيضًا «والأردية الأفريقية والمقاطع التونسية والآزر المشقوقة فتبصرهم فى المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة، فى البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة»[٧].

وكان فصل الصيف يبدأ عندهم ابتداء من مـهرجان العنصرة الموافق ٢٤ يونيه من كل

(١) ابن عبد الرءوف: المصدر السابق: ص ٨٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٨٣.

(٣) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٤) ابن الخطيب: الإحـاطة جـ ١ ص ١٣٤ «الملف هو نسـيج من الصوف، انـظر الفصل الثـانى من الرسالة، وهو الـجوخ المنسوج من الصـوف» ابن الخطيب: نفس المـصدر والصفـحة، اللمـحة البدرية: ص ٣٨.

(٥) كانت المرية فى مـقدمة المدن التى تضع النسيج وخاصـة الحريرى بالإضافة إلى مالقـة ومرسية، انظر ابن غـالب: فـرحة الأنفس: ص ١٤ ـ ص ١٦، المـقـرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٨٧، طبعة سنة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٦٣ طبعة ١٩٦٧.

(٦) اشتهر إقليم غـرناطة بكثرة إنتاجه من الحرير والكتان وخاصة فـحص البيرة وفنيانة ووادى آشى، انظر الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٤، ص ١٤٣، ص ١٩٢، وهو ما ذكـره معاهدتها ترغيبًا لابن رذمير فى امتلاكها، انظر مـجهول: الحلل الموشية: ص ٩٠ ـ ص ٩١، وابن الخطيب: جـ ١ ص ١٠٩.

(٧) ابن الخطيب: المصدر السـابق: جـ ١ ص ١٣٤ (كما عرف أهل غرناطة نوعًا من الـقماش يعرف بالملبد ذو الألوان العجيبة) المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٨٧ «الملبد المختم نوع من القماش الحريرى كان يصنع فى غرناطة».

Dozy: Diction, P. 114

عام، وحتى أول أكتوبر، ثم يلبسون الملابس الصوفية الثقيلة والملونة بقية العام(١).

وقد استخدم العامة الملابس الكتانية نظراً لرخصها ومتانتها أما العمامة «فكانت لا تستعمل إلا نادراً ولا يلبسها إلا القضاة والفقهاء، وكان بعضهم يفضل عليها قلنسوة من الخز أثناء الصلاة وأثناء الدخول إلى الخلفاء والملوك»(٢) يقول ابن الخطيب «والعمائم تقل فى زى أهل هذه الحضرة إلا ما شاذ فى شيوخهم وقضاتهم وعلمائهم والجند المغربى منهم»(٣).

وأهل غرناطة يفضلون اللون الأبيض فى لباسهم(٤) على عكس المرابطين الذين اتخذوا السواد شعاراً لهم حين نادوا بسيادة العباسيين(٥)، لكن سرعان ما عاد الموحدون إلى اتخاذ البياض شعاراً لهم من جديد(٦).

أما أهل المرية فكانوا يلبسون الملابس الموشاة والديباج(٧) كما عرف أهل المرية لبس أنواع كثيرة من الثياب الفاخرة التى كانت تنتجها المدينة نفسها مثل «الديباج والسقلاطونى

(١) العمرى: وصف أفريقية والمغرب والأندلس: ص ٤٢.
(٢) العمرى: المصدر السابق: ص ٤٢، المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ٢٢٢.
(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٦، ابن الخطيب: اللمحة البدرية: ص ٣٩.
(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٥.
(٣) المراكشى: المعجب: ص ١٤٧، أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ الأندلس ص ١٠٠
(5) S.P. Scott: History of Moorish Empire, Vol, 2P. 180.
(٦) حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس: ص ٤٢٢.
(٧) ياقوت: معجم البلدان: جـ ٥ ص ١١٩، ابن غالب: فرحة الأنفس: ص ٢٨٤ «انتشرت هذه الصناعة فى مدينة المرية التابعة لإقليم غرناطة فتفوقت على قرطبة وأجادت هذه الصناعة إجادة تامة، انظر المصدرين السابقين نفس الجزء والصفحة.
كان أهل غرناطة شأنهم شأن الأندلسيين يعتنون بأزيائهم وملابسهم ويتأنقون وبلغ اهتمام الخاصة منهم أنهم كانوا يفضلون الأزياء المحكمة الصنعة من إنتاج المرية التى كانت تنتج أفخر الثياب وأغلاها، وكان بعضهم من الخاصة مثل ابن قزمان على دراية بأوصاف الثياب وأنواع التفصيل وأصناف النسيج وله جولات كثيرة فى الأسواق لاختيار الثياب كما يقول فى الزجل ٨٧ انظر عبد العزيز الأهوانى: الزجل فى الأندلس: ص ٧٢، ص ٧٣ وفى هذا الزجل يحدثنا ابن قزمان بأنواع الثياب ويحدثنا بألفاظ اصطلاحية قل أن نجدها فى كتاب آخر، انظر الزجل السابق: الأهوانى نفس المرجع والصفحة.

كنريد نلَبس فذ العيد — مَخْشوا جديد مشاكل
حَسَن التفصيل مَلح — واسع التربيع وكامل

والأصبهانى والجرجانى والستور المكللة والثياب المعينة والعتابى الفاخر»[١].

أما أهل مالقة فقد استخدموا فى أزيائهم الثياب المصنوعة من الحرير الموشاة بالذهب[٢].

وإلى جانب أهل إقليم غرناطة عاشت معهم أجناس أخرى كان لكل كل منهم زيّا خاصّا بهم سواء من البربر أو المرابطين أو الموحدين أو من أهل الذمة من النصارى واليهود.

فقد استخدم المرابطون الملابس الصوفية فى أزيائهم[٣]، أما ألوان ملابسهم فكانت متنوعة، ومن أهم الألوان المستخدمة فى ملابس المرابطين اللون الأسود، فكانت أعلامهم وملابسهم سوداء[٤] وإلى جانب اللون الأسود استخدم المرابطون عدة ألوان منها اللون الأصفر والأبيض[٥]، كما استخدموا الملابس الكحلية اللون[٦].

كذلك اتخذ المرابطون اللثام إذ كانوا يضعونه على وجوههم وصار هذا اللثام علامة

= وهو صاحب ذوق فى اختيار الألوان زيادة على خبرته بالأنواع فالثوب الأزرق يستلزم جبة خضراء، هذا وهو لا ينسى أن يخصص الأزرق بأنه سماوى والأخضر بأنه فستقى، انظر الأهوانى نفس المرجع ص ٧٤ والزجل رقم ٢٤.

(١) الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٤ «الديباج هو قماش من الحرير وهو نوع من الأقمشة الحريرية والقطنية المختلفة الألوان، انظر Dozy, Diction. P.P. 113 - 436

أما العتابى فينسب إلى حى عتاب فى بغداد حيث توجد مصانعه Dozy, Op. Cit. P. 110

(٢) المقرى: نفح الطيب: جـ ٣ ص ٢١٩، طبعة سنة ١٩٦٧، ابن سعيد: الجغرافيا: ص ١٤٠ «وفيها ـ أى مالقة ـ تنسج الحلل الموشية التى تجاوز ثمنها الآلاف ذت الصور العجيبة برسم الخلفاء فمن دونهم» انظر المصدرين السابقين نفس الجزء والصفحة.

(٣) الإدريسى: نزهة المشتاق: ص ٥٨.

(٤) S.P. Scott: History of Moorish Epire; Vol. 2, P. 180

سيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير: ص ٧١٧، أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس: ص ١٠٠، حركات: المغرب عبر التاريخ: ص ٢٣٦.

(٥) ابن القاضى: جذوة الاقتباس: ص ١٤٥.

(٦) ابن خلدون: العبر: جـ ٦ ص ٨٩.

مميزة لهم[١].

أصبح اللثام يشير إلى كبار رجـال الدولة وأبناء القبائل المرابطية، ومن هنا اتخذ بعض العامة اللثـام زيًا لهم للتمويه على الناس فأوجب ابن عبـدون «عدم لبس اللثام إلا أن يكون صنهاجى أو لمتونى أو لمطى»[٢].

أما الموحدون فقد استخدموا أيضًا الملابس الصوفية فكانت صنهاجة تستخدم الصوف ويحتزم أفـرادها بمآزر صوف كانوا يسمونـها «أسفاقس» وكانوا يتركـون رءوسهم عارية[٣]، ويبدو أن البـربر سواء من المرابطين أو الموحـدين بعد اتصالهم بأهل الأندلس وانفـتاحهم على حيـاة اللهو لم يتـعودوها فى بلادهم، أقـبلوا على ارتداء الملابس الحـريرية المطرزة وغالوا فى ذلك، ممـا دفع الخليفة المنصور المـوحدى إلى إصدار أمر ببـيع ما فى خزائن الدولة من هذه الحـرائر كما طالب الرعـية بالتخـفيف من ارتداء هذه المـلابس، يقول ابن عـذارى «ثم أمر ـ أى المنـصور المـوحدى (٥٨٠ هـ) ـ بقطع لباس الغـالى من الحـرير والاحتـزاء منه بالرسم الرقيق الـصغيـر ومنع النساء من الطرز الحـقبل وأمـر بالاكتـفاء منه بالسـاذج القليل، وأمر بـإخراج مـا كان فى المـخازن من ضـروب ثيـاب الحريز والديبـاج المذهب فبيعت منه ذخائر لا تحصى بأثمان لم تعرف ولم تستقصى»[٤].

أمـا الجنود فكانوا صنفيـن جند أندلسى وجند بربرى، يقـول ابن الخطيب «والأندلس

---

(١) الكبـرى: المغـرب فى ذكر بلاد أفـريقيـة والمغـرب: ص ١٧٠، حسن على حـسن: الحـضارة الإسلامية: ص ٤٣٨، ما زالـت قبائل الطوارق أو التوارجة فى صحراء الجزائر يسـتعملون اللثام، ويقال إنهم من قبـيلة ترغة إحدى قبائل الملثـمين، ويضعهم ابن خلدون فى كـتلة البربر البرانس التى تنتمى إليها صنهاجة، انظرّ البكرى: المغرب فـى وصف إفريقية والمغرب: طبعة دى سلان الجزائر ١٩١١ ص ١٧٠، ابن خلدون: العبر: جـ ٨ ص ٨٩ وما بعدها.

وقد اختلفت الآراء حول هذه العادة، وأغلب الظن أنهم أخذوها من زنوج أفريقيا المجاورين الذين استخدموا الأقنعة لدفع العين الشريرة عنهم انظر:

Ander Julian: Histoire de l"Afrique de Nord, P. 77, Paris, 1952.

(٢) ابن عـبدون ثلاث رسـائل: ص ٢٨ «أورد ابن تومرت فى كـتابه أعـز ما يطلب بابًا فـى وجوب مخـالفة المرابطين فى زيهم وتحريـم الاقتداء بهم» انظر ابن تومرت: أعـز ما يطلب: ص ٢٦٣، الجزائر، سنة ١٩٠٣.

(٣) ابن سعيد: نزهة الأقطار: جـ ١ ص ١١، الإدريسى: نزهة المشتاق: ص ٦٢.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤، القسم الموحدى، طبعة تطوان، ص ١٠٣ ـ ص ١٠٤.

منها يقودهم رئيس من القرابة أو حصى[(١)] من شيوخ الممالك، وزيهم فى القديم شبه زى أقتالهم[(٢)] وأضدادهم من جيرانهم الفرنج، إسباغ الدروع، وتعليق الترسة وحفا البياضات واتخاذ عُراص الأسنة وبشاعة قرابيس السروج، واستركاب حملة الرايات خلفه، كل منهم بصفة تختصّ بسلاحه، وشهرة يُعرف بها». [(٣)]

«والبربرى منه يرجع إلى قبائله المرينية والزناتية والتيجانية والمغراوية والعجيبة، والعرب المغربية إلى أقطاب ورءوس يرجع أمرهم إلى رئيس على رؤسائهم، وقطب لعُرفاهم، من كبار القبائل المرينية، يمت إلى ملك المغرب بنسب»[(٤)].

ويقول ابن غازى: إن الجند المرابطى كان يتزيا باللثام والغفارة القرمزية وهو نوع من الكساء والعمامة ذات الذؤابة[(٥)].

أما جنود الموحدين فقد أشار ابن صاحب الصلاة إلى نوع الثياب التى كانت توزع عليهم من قبل الخلافة ففى سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م وزع الخليفة عبد المؤمن بن على أثناء توجههم إلى غرناطة للقضاء على ابن همشك الثياب والكساء والعمائم والبرانس[(٦)].

وفى سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م وزع عليهم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن كسوة تامة لكل جندى وهى مكونة من غفارة وعمامة وكساء وقبطية وشقة[(٧)].

أما اليهود فقد حدد لهم المنصور الموحدى زيا خاصا بهم يتميزون به بين طوائف

---

(١) الحصى هو الرجل الوافر العقل، انظر الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٦، هامش رقم ١.

(٢) «المقصود هنا الذين يقاتلونهم».

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٦.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٦.

(٥) ابن غازى: الروض الهتون فى أخبار مكناسة الزيتون طبع حجر مغربى، ص ٦.
«الغفارة كساء يلبس فوق آخر وهو رداء واسع يلبسه الجنود عادة وما زالت كلمة غفارة تستعمل فى المغرب بمعنى السلهام. R. Dozy, Supplement aux Dictionnaires Arabes, 11 P. 218

(٦) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٢٢١ «البرنس كساء يكون غطاءً للرأس جزء منه متصل به وكانت مدينة نول فى القديم مركزًا مصورًا لاقتناء البرانس» انظر المصدر السابق: نفس الصفحة، هامش ٢، والإدريسى: نزهة المشتاق: ص ٦٠ و Dozy: Sup. T. 1 P. 79

(٧) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ٢٢٩ - ص ٣٠٠، جمع غفارة: كساء يلبس فوق آخر، انظر لسان العرب، والقبطية هى ثوب أبيض رقيق مستطيل الشكل، انظر ابن صاحب الصلاة: نفس المصدر والصفحة.

الشعب وذلك حتى يمكن التميز بينهم وبين غيرهم من المسلمين وخاصة بعد تظاهرهم بالإسلام(١).

يقول ابن عذارى «فجعل ـ أى المنصور الموحدى ـ لهم صفة كحداد ثكلى المسلمين أردان قمصهم طول ذراع فى عرض ذراع وبرانيس زرق وقلانس زرق وذلك فى سنة خمس وتسعين وخمسمائة المؤرخ ٥٩٥ هـ»(٢).

ويضيف الدكتور مصطفى الشكعة فى كتابه الأدب الأندلسى أن أزياء النساء كان طابعها الأناقة والنفاسة والإسراف(٣).

ويؤكد ابن الخطيب هذا المعنى بقوله عند الحديث عن نساء غرناطة «وقد بلغن من التفنن فى الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات، والتنفيس بالذهبيات والديبجيات والتماجن فى أشكال الحلى إلى غاية نسأل الله أن يُغض عنهن الدهر، ويكفكف الخطب، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة وأن يعامل جميع من بها بستره، ولا يسلبهم خفى بعزته وقدرته»(٤).

وهذا وقد استخدم أهل غرناطة الحُلى بأنواعها الذهبية والفضية(٥)، بالإضافة إلى الأحجار الكريمة التى كانت موجودة بكثرة فى الإقليم، يقول ابن الخطيب: «وحليهم فى القلائد والدمالج والشنوف والخلاخل الذهب الخالص، إلى هذا العهد، فى أولى الجدة واللجَيْنُ فى كثير من آلات الرجلين، فيمن عداهم، والأحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والنمرد ونفيس الجوهر كثير ممن ترتفع طبقاتهم المُستندة إلى ظل، أو أصالة معروفة موفورة»(٥).

---

(١) الزركشى: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية: ص ١١.
(٢) ابن عذارى: البيان: جـ ٤ القسم الموحدى تطوان ١٩٥٦ ص ١٨١.
(٣) مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسى: ص ٨٥.
(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٩.
(٥) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٨ ـ ص ١٣٩.

أما طعامهم «فالغالب عليهم القمح والفقراء يقتاتون الذرة العربية»[١].

وقد تـفنن سكان إقليم غرناطة فـى صنع كثـير من ألوان الطعـام المخـتلفة وصـارت مـوائدهم حافلة بالأنـواع المخـتلفة مـن الأطعمـة والحلوى وأصناف الفـواكه والأشـربة المختلفة وساعدهم على ذلك غنى البيئة الغـرناطية التى كانت حافلة بشتى أنواع الفاكهة[٢] والخضروات[٣]، يقـول ابن الخطيب: «وتـركب مـا ارتفع من هذه المـدينة من جـهـاتهـا الثلاث، الكروم البديعـة، طوقًا موقومًا. . . وهى ـ أى غـرناطة ـ ذوات الفواكه من اللوز والآجاص والكمثرى محدقة»[٤] بالإضافة إلى أنواع اللحوم المخـتلفة سواء الغنم أو الأبقار أو الطيور[٥]، وأنواع الأسماك المـختلفة[٦]، وأنواع التوابـل والأفاوية[٧] والتى استخدمها أهل غرناطة فى طعامهم.

هذا وشاع الترف[١] بين طبقـة الخاصة فى المـأكل فى ذلك العصـر الذى نحن بصدد

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٧.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: ص ١٢٠، عن فواكه غرناطة انظر الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣ ـ ص ٢٤، الإدريسى: نزهة المشتاق: ص ١٩٢.

(٣) يقول ابن الخطيب: إن غـرناطة «قد غصت الدكاكـين بالخضر الناعمـة والفواكه الطيبـة، والثمر المدخرة» ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١١٥ ـ ص ١١٦.

(٤) ابن الخطيب: نفس المصدر: جـ ١ ص ١٢٠.

(٥) يقول ابن الخطيب: إن غـرناطة «ذات بيادير فسيحـة ومصاب للحمـايم والدواجن ماثلة» انظر ابن الخطيب: نفس المصدر: جـ ١ ص ١٢٥.

(٦) أمدت مدينـة المنكب إحدى مدن إقليم غرناطة بأنواع كـثيرة من الأسمـاك حيث يكثر بهـا صيد الأسماك، انظر ابن الخطيب: نفاضة الجراب، نشر أحـمد مختار العبادى، ص ١٠٩، هامش ١، ص ٣٠٠ حاشـية ٦، الإدريسى: نزهة المـشتاق: ص ١٩٩، الحـميرى: الـروض المعطار: ص ١٨٦، البغدادى: مراصد الاطلاع: جـ ٣ ص ١٦٤، أما شلوبانيـة فهى وافرة الأسماك، أيضا ابن الخطيب: مشاهدات: نـشر العبادى ص ٨٠، الحمـيرى: المصدر السابق: ص ١٣٦، أمـا مالقة فكانت مسـتودعًا للأسماك المـالحة التى تعمل وتحـفظ فيها، انظر نفـاضة الجراب: ص ٢٨٦، هامش ٣، أما مـربلة فقد كـانت مركزًا عظيـمًا لصيـد الأسماك والسـردين، انظر ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٧٥، حاشية ٤.

(٧) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨.

دراستـه، وقد تفنن الأغنياء فى طـهو نوع واحد من الطيـور بطرق مختلفـة، فمثـلاً كانت الدجاجة تطهى بطرق عديدة بحسب ما يضاف إليها، فقد كانت تحمر بالجوز والزعفران، أو تحمـر باللوز المدقوق أو تحمـر بماء الكزبر الأخضـر أو بالصنوبر أو بالفستق، كمـا كانوا يشـوون بعض الحـيوانات الكـبيـرة مـثل الخراف والعـجـول ويضـعون بداخلهـا الطيـور المشوية[٢].

ولكن هذا الإسراف فى الطعام لم يكن موجـودًا فى مطابخ العامة من الناس، وخاصة الطبقات الفقـيرة التى لم تكن تستطيع عمل ذلك ووصل الحد ببعضـهم أنه كان يلتقط بقايا مطبخ الخلفاء والحكام والأغنياء ويتخذ منه طعامًا لهم[٣] يسد به رمقه، وبالإضافة إلى أنواع اللحـوم من العجـول والخراف والطيـور بأنواعهـا كان أهل غـرناطة يتناولون طعامـهم من الأسماك البحرية وخاصة المدن البحرية مثل المرية والمنكب ومالقة[٤]، فكانوا يعرفون من أنواع الأسماك والسردين الكثير بالإضافـة إلى أنواع القنطون والحوت الذى كان متوفرًا فى سواحل مالقة، ومن الأطباق المشهورة أيضا طبق (البلاجة) وهى تصنع من الأكباد ويوضع

---

(١) بلغ الترف فى المأكـل فى عصر الموحدين حـدا أنه صنع للسيد أبى العلاء بسـبته نوع من الأكل يسمى «عجل مشوى» وهو أن يؤخذ كبش فتى سمين مسلوخ ومنظف وبفتح بين فخذيه فتحًا عميقًا ويخرج جمـيع ما فى جوفه من أحـشاء برفق، ثم يدخل فى جوفه أوزة مـشوية وفى جوف الأوزة دجاجة مشوية، وفى جوف الدجاجة فرخ حمـام مشوى وفى جوف الفرخ زرزور مشوية وفى جوفه عصفور مـشوية أو مقلية، كل ذلك مشوية مـدهونة بالمرقة الموصوفة للشـواء ويخاط ذلك الفتح ويدخل الكبش فى التنور المـحمى ويترك حتى ينـضج ويحمر ويطلى بتلك المـرقة ثم يدخل فى جوف عجل قد أعد ويخاط عليه ويجعل فى تنور محـمى ويترك فيه حتى ينضج ويحمر ثم يخرج ويقدم».

انظر آويش ميـراندا: المطبخ الأسبـانى المغربى خـلال عصر المـوحدين: ص ١٤٣، هامش ٣، مجلة مـعهد الدراسـات الإسلاميـة، مدريد، سنة ١٩٥٧، ص ١٣٧ ـ ص ١٥٥، انظر مجـهول: الطبيخ فى المغرب والأنـدلس: ص ٢٠٠ معهد الدراسات الإسلاميـة مدريد ١٩٦٥ تحقيق هويش ميراندا المجلد الخامس ص ١٣٧ ـ ص ١٥٥، ٢٠٠.

(٢) مـجهـول: الطبيخ فى المـغرب والأندلس: ص ١٣٢، ص ١٥١، ص ١٥٢، صـحيـفة مـعهـد الدراسات الإسلامية، مدريد، سنة ١٩٦٥، تقديم حسين مؤنس.

(٣) مجهول: المصدر السابق: ص ٨١.

(٤) مجهول: المصدر السابق: ص ١٧٢ ـ ص ١٧٧.

عليها الزيت والكزبرة والخل والثوم وتوضع فى الطاجن وتطبخ[١].

كذلك يحشي مصران الخراف باللحم[٢]، كما كانت الكبد والقلوب تشوى داخل فرن من الطوب[٣].

أما الأجبان فكانت تصنع من لبن البقر والغنم والعنز والجاموس ولا تؤكل جبن المجوس لأن ذبائحهم لا تحل للمسلمين[٤].

وكانت التوابل تستعمل بكثرة فى مختلف أنواع الأطعمة وخاصة فى أنواع اللحوم سواء المطهوة أو المشوية أو المقلية، ومن أشهى التوابل التى استعملها أهل غرناطة الفلفل والزعفران[٥] والقرفة والكزبرة والسنبل والزنجبيل واللوز والدارصينى[٦] والكمون والكراوية، كما كانوا يضيفون الخل أيضا إلى معظم الأطعمة سواء كانت مشوية أو مطهية لكى تكسبها طعما ورائحة مقبولة[٧].

وكان الأندلسيون من أهل غرناطة شأنهم باقى الأندلسيين لا يستعملون السمن أو الزبد فى طعامهم إلا نادرا، كما كانوا يفضلون عليه الزيت، وكان الزيت يدخل فى معظم الأطعمة سواء كانت مقلية أو مطهوة، وإذا حدث واستعملوا السمن فكانوا يضيفون إليه الزيت تخفيفًا لحدته[٨].

وقد اشتهرت بعض عناصر السكان بأنواع معينة من الأطعمة فالبربر وخاصة قبائل

---

(١) السقطى: أدب الحسبة: ص ٣٩.

(٢) السقطى: المرجع السابق: ص ٣٦.

(٣) Levi Provencal, L'Esp. M. Vol. 111, P. 415

(٤) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٤٢.

(٥) اختصت بسطة إحدى المدن التابعة لإقليم غرناطة بالزعفران، انظر الإدريسي: صفة المغرب: ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٣١، حاشية ٩.

(٦) الدارصينى شجر له قشر يستعمل مسحوقه فى أخلاط التوابل والبهار، انظر ابن ماجه المحتسب: نهاية الرتبة: ص ٤٣.

(٧) مجهول: الطبيخ: ص ٤٠، ص ٧٩، ص ٨٠، ص ٨٢.

(٨) مجهول: الطبيخ: ص ؟.

لمتونة ومسوفة وغيرها من قبائل صنهاجة كانوا يأكلون لحوم الأغنام ويشربون ألبانها[١].

كما كان لهم طعام وطنى يشترك فيه كل قبائل البربر ويأكلونه فى المناسبات وهو طعام أساسى وهو مكون من كبش مضاف إليه الملح[٢].

وهناك بعض ألوان الطعان المنسوبة إلى بعض الفئات والأشخاص، ومن ذلك طعام الخاصة ويسمى بالصنهاجى والملوكى وهو مكون من لحوم البقر والغنم والدواجن ويستعمله الخاصة[٣].

كما كان الملوك والخاصة والرؤساء يأكلون أمخاخ ما يذبح من الطيور والحيوانات[٤].

كما كانت توجد بعض الأطعمة الخاصة باليهود منها الفروج اليهودى[٥] والحجلة اليهودية[٦].

وكان كثيرون من أفراد الطبقة الخاصة يقدمون تلك الأصناف منفردة أى صنفا بعد صنف، بدلا من وضعها كلها على المائدة، دفعة واحدة، وكانت تلك هى عادة الناس والحكام والأغنياء منذ الفتح حتى القرن السادس الهجرى[٧].

وكانت هناك تقاليد فى تقديم تلك الأطعمة، فكانت لا تقدم أصناف سهلة الهضم مع أخرى عسرة الهضم لأن ذلك يحدث التخمة وبعض أمراض المعدة، وكانوا يقدمون الأطعمة المخلوطة بالخل ثم الأطعمة الحلوة المذاق[٨].

كما كانت هناك بعض الأطعمة الشعبية مثل الحشيشة والعصيدة، وكانت تصنع من لباب الخبز أو القمح المجروش ويضاف إليها اللبن والعسل والزبد والقرفة والسكر[٩].

---

(١) مجهول: تواريخ مدينة فاس: ص ٢٧، البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية، ص ١٦٤.
(٢) البيذق: أخبار المهدى: ص ٧٣. (٣) مجهول: الطبيخ: ص ١٢١.
(٤) مجهول: المصدر السابق: ص ٢٤.
(٥) مجهول: نفس المصدر: ص ٣٥ ـ ص ٣٦.
(٦) مجهول: نفس المصدر: ص ٦٨.
(٧) مجهول: نفس المصدر: ص ٦ ـ ص ٨٥.
(٨) مجهول: المصدر السابق: ص ٧٦، ص ٨٢، ص ٨٥.
(٩) مجهول: الطبيخ: ص ١٩١ ـ ١٩٤.

الشراب

أما عن الشراب الذى كان يتناوله الناس فى غرناطة فكان أشهره الخمر وكان شراب الخمر شيئًا عاديًا فى حياة الخاصة والعامة، وقد رأينا كيف كان الخاصة يشربونها حيث كانوا يقضون أوقاتهم فى اللهو والنزهة والشراب، وكان الشعراء يقضون أوقاتهم فى اللهو، والنزاهة والشراب، وكان الشعراء والأدباء يشربونها لأنها تطلق النفس من عقالها وتزيد السرور، والأدباء المعدمون إذا ما تيسر لهم شربها فإنما يشربونها لنسيان الهموم والهرب من الأحزان[١].

وكان ذوو الجاه يشربونها دون تحرج أو خوف وكان البعض الآخر يتحرج فى شربها مثل السيد اللص فقد تحرج فى شرب الخمر فى مجلس شراب عند أبى جعفر بن سعيد[٢].

وكان بعض السادة الموحدين لا يكتفون بالمجاهرة فى شربها فحسب، بل يجبرون من يستحرم ذلك على شربها، كالذى حدث للأديب الرحالة محمد بن جبير[٣] عندما استدعاه أبو سعيد بن عبد المؤمن، صاحب غرناطة، لأن يكتب كتابًا عنده وهو على شربه، فمد يده إليه بكأس، فأظهر الانقباض: وقال «يا سيدى ما شربتها قط، فقال: والله لتشربن منها سبعا، فلما رأى العزيمة شرب سبع كئوس فملأ السيد الكأس من دنانير سبع مرات وصب ذلك فى حجره»[٤] على ما سبقت الإشارة إليه.

---

(١) حكمة على الأوس: الأدب الأندلسى فى عصر الموحدين: ص ١٩٢.

(٢) المقرى: نفح الطيب: جـ ٤ ص ٢٠٣، انظر القصة مفصلة فى الحديث عن الحياة الاجتماعية لطبقة الخاصة.

(٣) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جُبير، الكنانى صاحب الرحلة وهو من ولد صخر بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، أندلسى، شاطبى، بلنسى، مولده ليلة السبت عاشر ربيع الأول سنة أربعين وخمسمائة ببلنسية وسمع من أبيه ومن أبى عبد الله الأصيلى وأبى الحسن بن أبى العيشى وأخذ عنه القراءات وعنى بالأدب، فبلغ الغاية منه، وتقدم فى صناعة القريض والكتابة، انظر المقرى: نفح الطيب: جـ ٢ ص ٣٨١ ـ ص ٣٨٢، ابن الأبار: التكملة: ص ٥٩٨، والذيل والتكملة ص ٥٩٥، وابن الخطيب: الإحاطة: جـ ٢ ص ١٦٨، ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ٣٨٤، النجوم الزاهرة: جـ ٦ ص ٢٢١.

(٤) المقرى: نفح الطيب: جـ ٢ ص ٣٨٥، راجع ما سبق ص ؟.

ويقال: إن ابن جبير بعدما فرج من عنده أضمر أن يجعل كفارة شربه الج بتلك الدنانير.

ولم تخل مجالس اللهو والطرب من شرب الخمر حيث كان الفتيان الصغار يطوفون بأكواب الخمر على الحاضرين، وكان هذه مدعاة لقول الشعر والتغزل بهؤلاء الغلمان(١).

وكان عامة الناس لا يقدرون على شراء نبيذ العنب لأنه كان غالى الثمن فكانوا يصنعون أنواعًا رخيصة يستطيعون شراءها، مثل نبيذ العسل ونبيذ الذرة(٢).

ومن الأشربة المشهورة التى اتخذها البربر - وخاصة قبائل المصامدة شرابًا لهم - شراب اسمه الرب(٣).

وكان المصامدة يشربون أيضا شراب أنزيز وهو حلو وله تأثير شديد كالخمر(٤).

أما قبائل صنهاجة فكانوا ينقعون الزبيب فى الماء ويشربونه(٥) وقد ذكر صاحب كتاب الطبيخ السالف الذكر أسماء للمشروبات زادت عن ثلاثين نوعًا(٦).

---

(١) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: جـ ١ ص ٩٩، ص ٢٦٧، ص ٢٩٧، جـ ٢ ص ٢٩٤.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض: ص ٧٧.

(٣) مجهول: الاستبصار: ص ٢١١ «الرب هو الطبيخ الخاثر من عصير العنب، كما هو فى لسان العرب وقد كان شربه معهودًا أول الأمر إلى أن تنبهوا إلى أن مفعوله لا يختلف عن مفعول الخمر الحرام، فأصدروا الأوامر بمنعه، وهكذا فبعد أن كان الرب يقدم فى الاحتفالات الرسمية، وبعد أن كان يباع فى مكان خاص بمراكش (باب الرب) بعد ذلك صودر فى جميع أنحاء المملكة سنة ٥٨٠هـ ورجع الناس الى مبدأ ابن تومرت، مجهول: المصدر السابق: ص ٢١١، بروفنسال: رسائل موحدية: الرسالة ٢٨، ص ١٦٤، السلاوى: الاستقصا: ص ١٨٨، راجع أنواع الربويات: رب السفرجل، رب الرمان، رب التوت فى كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس: ص ٢٥٥.

Allain et Deverden: Les Portes Anciennes de Marrakech: Hesperis, T. 44, 1957 Page 121 - 123

والرب معروف إلى الآن فى أسبانيا ويعرف باسم Arrop، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٧١، ص ١٧٢.

(٤) الإدريسى: نزهة المشتاق: ص ٦٢، «هو عبارة عن عصير عنب حلو يطبخ على النار ويخلط بكمية مثله من الماء، انظر الإدريسى: نفس المصدر: ص ٦٣.

(٥) ابن سعيد: نزهة الأنظار: جـ ١ ص ١٠، انظر الإدريسى: نزهة المشتاق: ص ٥٩.

(٦) [illegible] الطبيخ فى المغرب والأندلس: ص٢٢١، ٢٣١، ص ٢٣٨، ص ٢٤٦ وما بعدها.

ومن الأشربة التى كان يقبل عليها الناس، شراب العسل مضاف إليه القرفة والزنجبيل وجوزة الطيب وهو ينفع فى التداوى من أمراض الكبد ويقوى المعدة وسائر أمراض الاستسقا كما يحلل البلغم، ويلين البطن(١).

أما شراب الجلاب وهو مصنوع من ماء الورد مضافًا إليه سكر ويستخدم لعلاج الأمراض السابقة وفى علاج بعض أمراض الحميات(٢).

أما شراب المصطكى فهو شراب مضاف إليه النعناع والسكر والعسل وهو إلى جانب علاجه لأمراض المعدة والكبد يهضم الطعام ويمنع القىء(٣).

أما شراب الورد الأخضر فكان يؤخذ من الورد الأخضر ويضاف إليه السكر وكان يستخدم كملين للإمساك(٤).

كما استخدم الناس أنواعًا من الشراب الفاتحة للشهية مثل شراب الورد اليابس وهو من نبات الورد اليابس ويصفى ويضاف إليه السكر ويستعمل كفاتح للشهية(٥).

وكان شراب البنفسج يؤخذ من نوار البنفسج الأخضر مضافًا إليه السكر وهو يستعمل بالإضافة لعلاج الحميات الصفراء والتلين وقطع العطش يستعمل فى علاج السعال اليابس(٦).

أما شراب التمر الهندى فكان يضاف إليه الماء والسكر ويطبخ ومن منافعه أنه يمنع الإسهال ويوقف القىء كما أنه فاتح للشهية كما أنه يذهب حرارة الفم(٧).

أما شراب الجزر فكان الجزر يؤخذ وتضاف إليه بعض المواد والعسل ويطبخ فى ماء دافئ ومن فوائده أنه يحلل البلغم(٨).

(١) مجهول: المصدر السابق: ص ٢٣٨
(٢) مجهول: نفس المصدر: ص ٢٣٩.
(٣) مجهول: نفس المصدر: ص ٢٣٩.
(٤) نفس المصدر: ص ٢٤١.
(٥) نفس المصدر: ص ٢٤٢.
(٦) مجهول: الطبيخ: ص ٢٤٢.
(٧) مجهول: المصدر السابق: ص ٢٤٦ ـ ص٢٤٧.
(٨) مجهول: نفس المصدر: ص ٢٤٧ ـ ص ٢٤٨.

أما شراب التفاح الحلو فكان يضاف إليه الماء والسكر وهو مهم فى علاج القلب[١].

وهكذا تعددت الأشربة وتنوعت.

المواسم والأعياد

كانت الأعياد فى غرناطة كثيرة ومتنوعة، نذكر منها الأعياد الدينية مثل عيدى الفطر والأضحى، وعيد المولد النبوى فى ١٢ ربيع، وموسم عاشوراء فى العاشر من المحرم، ثم هناك عيد العصير[٢]، ومع ما فى هذه الأعياد من الابتهاج والسرور إلا أنها أعياد مقتصرة، يقول ابن الخطيب: «وأعيادهم حسنة مائلة إلى الاقتصاد»[٣].

وكان أهل غرناطة شأنهم شأن المسلمين فى داخل الأندلس وخارجها يحتفلون بشهر رمضان وذلك بإقامة الحلقات الدينية[٤] والصلاة فى المساجد.

ومن المراسم الدينية فى الأندلس ليلة القدر ففى ليلة السابع والعشرين من رمضان توقد الشموع فى المساجد[٥]، ويحتفل المسلمون بهذه الليلة فيبتاعون الحلوى ويقدمونها[٦].

---

(١) مجهول: نفس المصدر: ص ٢٤٨.

(٢) يلاحظ أن كلمة عصير لم تطلق على عصير العنب فقط بل على التين الرطب أيضًا، راجع: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب والأندلس ص ٩٣ حاشية ٢.
ولابن قزمان تصوير لنزهات خلوية أيام العصير وهى الأيام التى كان يخرج فيها الأندلسيون إلى الحقول والأدوية، حيث يبيتون عدة ليال هنالك، وقد ذكرها الشعراء فى أشعارهم ونقل ابن بسام طرفًا منها وكان ابن قزمان يشارك فى هذه الأعياد حيث خرج فى رجال ونساء ومعهم آلات موسيقية يغنون ويرقصون ويعبثون ويستحمون فى النهر وقد ارتدى كل واحد منهم أجمل ما عنده.
انظر ديوان ابن قزمان الزجل رقم ٥٠، الأهوانى: الزجل فى الأندلس: ص ٩٩.
العصير هو الذى يسمى بالأسبانية Vendimia انظر الأهوانى: نفس المرجع والصفحة.

(٣) ابن الخطيب: اللمحة البدرية: ص ٤٠، الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٧.

(٤) أحمد بن القاسم (التادلى) كتاب المعزى فى أخبار مناقب الشيخ سيدى أبى يعزى رقم ١٢٤٩، دار الكتب ص ٧ مخطوط.

(٥) العمرى: مسالك الأبصار جـ ١ ص ٢١٤، تحقيق أحمد زكى باشا، القاهرة، سنة ١٩٢٤ م.

(٦) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ١٤٠.

كذلك ليلة عاشوراء حيث كان بعض الصالحين يعدون الطعام ويدعون الناس لتناوله احتفالا بهذه الليلة[1].

أما يوم الجمعة فهو عيد الأسبوع عند المسلمين عامة وكان أهل غرناطة يحتفلون فيه بإقامة الصلاة، يقول ابن الخطيب «فتبصرهم فى المساجد، أيام الجمع، كأنهم الأهار المفتحة فى البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة[2].

وكان الناس يهنئون بعضهم البعض ويقبلون على شراء الحلوى ولذلك يرى الطرطوشى أنه «من البدع اجتماع الناس بأرض الأندلس فى هذا اليوم على ابتياع الحلوى»[3].

ويرى ابن عبدون أنه لا يجب أن «يمشى الرجال والنساء فى أيام العيد على طريق واحد»[4].

أما الطرطوشى فيرى أيضًا أنه من البدع خروج الرجال جميعًا أو أشتاتًا مع النساء مختلطين للتفرج فى أيام العيد، ويخرجون للمصلى ويقمن فيه الخيم للتفريج لا للصلاة»[5].

أما عيد الأضحى الذى يأتى فى العاشر من ذى الحجة فقد كان فرصة للاحتفال والتأنق سواء فى الطعام أو الشراب أو الملبس، فيذكر ابن عبد الرءوف أن كل أسرة فقيرة أو غنية كانت تحرص على تقديم الأضحية خروفًا على الأقل وقد جرى التقليد على شراء الأضحية قبل النحر بيوم أو يومين[6].

---

(١) التادلى: التشوف: ص ٢٨٢.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٥.

(٣) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ١٤٠.

(٤) ابن عبدون: ثلاث رسائل: ص ٤٧.

(٥) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ١٤١.

(٦) ابن عبد الرءوف: ثلاث رسائل: ص ١١٠.

صور لنا ابن قزمان فى زجله (زجل رقم ٨، ٤٨، ٨٢، ٨٥، ٨٩، ٩١، ١١٨) كبش العيد وفرحة الناس وفرحته هو بكبش العيد وطرق طهيه كما يصور لنا منظرًا من مناظر المدن الأندلسية فى القرن السادس، لا يزال قائما حتى اليوم فى كثير من المدن الإسلامية، فقبل عيد الأضحى ببضعة =

وكان النحـر مادة للتفاخر بـين الأسر حيث يذكر الطرطوشى «أن الناس يتنـافسون فى الضحية للافتخار لا للسنة ولا لطلب الأجر بل لإقامة الدنيا»(١).

وكمظهر من مظاهر الاحتفال بالعيد، كـان الناس يلبسون الملابس الجديدة مع التجمل والتزين(٢).

كذلك شارك الغرناطيون إخوانهم المسيحيين فى أعيادهم مثل عيد ميلاد السيد المسيح وعيد العنصرة(٣) أو عيد سان خوان الذى يحتفل به فى أسبانيا فى ٢٤ يونيه وهو يقابل عيد النيروز فى الشرق الذى يحتفل به فى شهر سبتمبر(٤).

أما عيد الفصح فى ذكرى صلب المسيح عليـه السلام، وخميس أبريل يسمونه خميس العهـد، فيحـتفل به النصارى قـبل عيد الفـصح بثلاثة أيام، فكانوا يمـلأون إناءًا من الماء يرتلون عليه ثم يغسلون أرجلهم للتبرك كما فعل المسيح بتلاميذه فى مثل هذا اليوم ليعلمهم التواضع لبعضهم بعد أن أخذ عليهم العهد ألا يتفرقوا(٥).

كما أن هناك عـيدًا جماعيًا لأهل غرناطة عـامة وهو عيد العصيـر، الذى كان يقام عند جنى مـحصـول العنب وعـصـره، وهو المحـصـول الرئيس لأهل غـرناطة، فكان الأهالى

= أيام تسـاق الخراف من كل مكان إلى مـيادين تسـور بأخشـاب ثم يذهب الناس يوم منى إلى هذه الأسواق مزدحمين، يقبلون الخراف ويساومون البائعين، يدفعون ثمن مـا اعتزموا شراءه وينادون الحمالين، فيـرفع الواحد منهم الخروف على عنقه ويمضى به إلى بيت المشـترى، أما من فاتهم الشراء لفقرهم فينتظرون يومًا تقام فيه (فى الحارات) حفر تشوط فيها رءوس الخراف ويقبل الفقراء على شرائها، صورة لا تزال موجودة إلى اليوم فى بلاد المغرب، انظر الأزجال السابقة، الأهوانى: الزجل فى الأندلس: ص ٧٩ ـ ص ٨٠.

(١) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ١١٠.

(٢) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٤١، بروفنسال: نخبة تاريخية فى أخبار البربر: ص ٣٦.

(٣) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ١٤١.

(٤) Dozy: Supplement aux Dictionnaires Arabes, 11, P. 621

أحمد مختار العبادى: الأعياد فى مملكة غرناطة: ص ١٤٠، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد، ابن بسام: الذخيرة: جـ ٤ قسم ١ ص ٤٧.

(٥) الطرطوشى: الحوادث والبدع: ص ١٤١ حاشية رقم ٢.

يغادرون ديارهم وينتقلون إلى حقول الكروم حيث يقيمون عدة أيام لجمع المحصول[١]، يقول ابن الخطيب: «وعادة أهل هذه المدينة، الانتقال إلى حلل العصير أوان إدراكه، بما تشتمل عليه دورهم والبروز إلى الفحوص بأولادهم معولين فى ذلك على شهامتهم وأسلحتهم»[٢].

يطلق الثور أو بقر الوحش كما يسميه ابن الخطيب، ثم تطلق عليه كلاب اللان المتوحشة[٣] فتأخذ فى نهش جسمه وأذنيه وتتعلق بهما فى صورة القرط من آذانهما[٤].

وهذا العمل التمهيدى كان الغرض منه هو الحد من قوة الثور وتهذيب حركته وهو ما يقوم مقامه اليوم عمل رماة السهام Banderilleros وطاعن الرمح Picador وذلك تمهيداً للقاء المصارع الذى كان فارسا مغواراً يصارع الثور وهو على فرسه المدرب ثم يقتله فى النهاية برمحه[٥].

وقد استخدم الخاصة من الناس الصيد متعة لهم ووسيلة من وسائل اللهو فكانوا يخرجون فى نزهات لصيد طير الباز وهو نوع من الصقور فاهتموا به وقاموا بإعداده وتربيته حتى أنه ينسب إليه ربض باسمه عرف باسم ربض البيازين[٦].

---

(١) العبادى: الإسلام فى أرض الأندلس، مجلة عالم الفكر الكويتية، ص ١٠٧.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٨، اللمحة البدرية: ص ٤٠ «الفحوص» جمع فحص وهو المرج.

(٣) كلاب اللان وهى الكلاب المعروفة فى اللغة الانجليزية وواضح من اسمها أنها كلاب الثيران Bulldogs.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: لوحة ٤٤١ (نسخة الاسكوريال) مشاهدات لسان الدين بن الخطيب: نشر أحمد مختار العبادى ص ٦ حاشية ١، العبادى الأعياد فى مملكة غرناطة: ص ١٤٢.

(٥) العبادى: المصدر السابق: نفس الصفحة، ما زالت هذه اللعبة موجودة فى أسبانيا إلى اليوم وهو ما تشتهر به أسبانيا ضمن أماكنها السياحية فيأتيها السياح من كافة أنحاء العالم لمشاهدة آثارها ومناظر جنوب أسبانيا الخلابة، كان ذلك من رؤيتى الشخصية أثناء زيارة لى لأسبانيا سنة ١٩٨٢.

(٦) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤١، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٤ «هو من أكبر أرباض غرناطة ويقع فى شرق المدينة عن ربض البيازين انظر الباب الأول، العمرى: المصدر السابق، نفس الصفحة، القلقشندى: المصدر السابق نفس الصفحة.

ب أما الموسيقى والغناء فكانت تمثل عنصرًا هامًا فى الحياة الاجتماعية لإقليم غرناطة، فكان أهل غرناطة يعشقون الموسيقى ويميلون إليها[١]، يقول ابن الخطيب: «والغناء مدينتهم فاشى، حتى فى الدكاكين التى تجمع صنائعها كثيرًا من الأحداث كالخفافين[٢] ومثلهم[٣]».

هذا وقد برع أهل الأندلس فى العزف على كثير من الآلات الموسيقية وعلى الأخص القيثارة والدف والمزمار والطبلة والعود[٤]، بالإضافة إلى الآلات الوترية وهى كلها جوفاء والربط والرباب والقانون[٥]، ويذكر ليفى بروفنسال أن الفرقة الموسيقية تتكون من المغنى تصحبه فرقة فيها عواد أو زامر وطبلة صغيرة وصناجات فيبدأ المغنى بالغناء ثم يردد الحاضرون[٦] وراءه بعض المقاطع.

ومن أشهر الموسيقيين فى غرناطة أبو الحسن على بن الحمارة[٧] وهو ممن برعوا فى علم الألحان وعلمها واشتهر عنه «أنه كان يعمد للشعراء[٨] فيقطع العود بيده، ثم يصنع منه هودا للغناء، وينظم الشعر ويلحنه ويغنى به»[٩].

وكان المذهب المالكى من أشد المذاهب الفقهية تشددا فى منع وتحريم الآلات الموسيقية[١٠].

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٧، اللمحة البدرية: ص ٣٨ ـ ص ٣٩.

(٢) الخفافين: هم الذين يصنعون الخفاف ـ جمع خف، الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٧ هامش رقم ٤.

(٣) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٤) جمال محرز: الرسوم الجدارية الإسلامية فى البرطل بالحمراء: ص ٣١.

(٥) ابن خلدون: المقدمة: ص ٣٥٣.

(٦) بروفنسال: محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها: ص ٢٤، ترجمة عبد الهادى شعيرة، ما زالت هذه الطريقة فى الغناء موجودة فى أسبانيا حتى الآن فغناؤهم شرقى أقرب إلى الشرق من الغرب وقد شاهدت هذه الحفلات وطريقة الغناء أثناء رحلة إلى أسبانيا.

(٧) ترجم له الضبى فى البغية ص ٥١٧ وقال شاعر أديب مجيد خبيث الهجاء ص ٥١٧، المقرى: نفح الطيب: جـ ٤ ص ١٤٠، ابن دحية: المطرب: ص ١٠٩.

(٨) الشعراء: الروضة ذات الشجر، والأرض كثيرة الشجر، ابن سعيد: المغرب: جـ ١ ص ١٢٠ هامش ١.

(٩) ابن سعيد: المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة.

(١٠) يحيى بن عمر (أحكام السوق) تحقيق محمود على مكى صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، العدد ١ ـ ٢ مجلد ٤ ص ١١٩ هامش ٢.

فيرى ابن عـبد الرءوف «أنه يجب أن يمنع اللهو كله على أنواعه فى الأعـراس كالعود وغيره، إلا ما كان من الدف العربى الذى هو شبه الغربال خاصة وإن اختلف فى الكبر[١]».

وحافظت غرناطة على التراث الموسيقى الأندلسى حينمـا انحسر ملك المسلمين فيها، فيذكر ابن خلدون أن غرناطة أخذت تصدر الموسيقى الأندلسية إلى بلاد المغرب[٢].

وفى تونس يوجـــد إلى اليـوم لون من الغناء الـشـعـبى التـونسى يعـــرف باسم لحن غرناطة[٣].

(١) ابن عبد الرؤوف: ثلاث رسائل: ص ٨٣.

(٢) ابن خلدون: المقدمة: ص ٤٠٢، ص ٤٢٨.

الموسيقى الأندلسـية الموجودة الآن فى بلاد المغرب ما هى إلا رواسب موسـيقى زرياب القديمة، انظر العبادى: الأعياد فى مملكة غرناطة: ص ١٤٥.

J. Rifers: La Musica de las Caantigs, P. 57.

٣) العبادى: الأعياد فى غرناطة: ص ١٤٥.

الخاتمة

يقع إقليم غرناطة فى الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة الأيبرية، ويحدها شمالاً ولايات جيان وقرطبة وأشبيلية ومن الشرق ولاية مرسية ومن الغرب ولاية قادس وأرض إنتقيرة.

وكانت غرناطة تشتمل على ثلاث ولايات، غرناطة العاصمة وتقع فى وسط الإقليم، ومدينة مالقة وتقع على الساحل الجنوبى الشرقى لبلاد الأندلس، والمرية وتقع على الساحل الشرقى للأندلس بين إمارتى مالقة ومرسية.

كانت غرناطة حين افتتح العرب بلاد الأندلس - مدينة صغيرة من أعمال ولاية إلبيرة وقد سقطت غرناطة فى أيدى العرب عقب انتصارهم على القوط فى موقعة شريش فى رمضان سنة ٩٢ هـ / ٧٧١ م

وقد ازدهرت مدينة إلبيرة فى عهد الخلافة وأصبحت عاصمة الولاية، واستمرت كذلك حتى انهارت الخلافة الأموية فى الأندلس واستولى زعماء البربر على معظم قواعد الأندلس الجنوبية، فاتخذ بنو زيرى غرناطة عاصمة لهم، ثم حدث بعد ذلك أن تدهورت الأحوال السياسية فى الأندلس منذ عهد ملوك الطوائف وبدأت الجبهة النصرانية توجه الصراع ضد المسلمين وعجز ملوك الطوائف عن صد عدوان النصارى، فسقطت طليطلة إحدى قواعد الأندلس الكبيرة فى يد ألفونسو السادس وذلك سنة ٤٧٨ هـ - ١٠٨٥ م.

وكان للنكبة التى حلت بطليطلة أثر على المسلمين فى الأندلس، وشعر ملوك الطوائف وعلى رأسهم المعتمد بن عباد بخطورة الوضع فلجئوا إلى الاستعانة بالمرابطين وذلك منذ ٤٦٧ هـ - ١٠٧٤ م، فاستجاب يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين وعبر إلى الأندلس ثم ما لبث أن انتصر على جيوش النصارى الأسبان بقيادة ألفونسو فى معركة الزلاقة فى شهر رجب سنة ٤٧٩ هـ - ١٠٨٦ م ومنذ ذلك الوقت بدأ المرابطون يتطلعون للاستيلاء على الأندلس خاصة بعد أن وقفوا على أحواله وعلى مدى ضعف ملوك الطوائف وتفككهم، فاستبدت بيوسف بن تاشفين فكرة الاستيلاء على البلاد الأندلسية ووضع حد لأطماع النصارى.

ولقد ساعد يوسف بن تاشفين على الاستيلاء على الأندلس أن أغلب الشعب الأندلسى كان يتشوق للخلاص من حكم ملوك الطوائف بعـد أن أثقلت المغارم والضرائب كاهلهم، كذلك شجع فقـهاء المغرب والأندلس والمشرق أيضًـا يوسف بن تاشفين على خلع ملوك الطوائف، فـخرج يوسف بن تاشـفـين غازيًا لبـلادهم وتمكن من الاسـتيـلاء على مالقـة وغرناطة ثم على باقى البلاد الأندلسية وعزل جميع ملوك الطوائف ما عدا بنى هود.

ومنذ ذلك الحـين أصبـحت غرناطة شـأنها شـأن الولايات الأندلسيـة تابعة للحكـومة المركزية فى مراكش وزاد تدفق البربر على إقليمها.

ولقد أمـضى المرابطون أغلب فـترة حكمهم للأندلس فى جـهاد مسـتمر ضـد القوى النصرانيـة، ولكن لما بدأ الضعف يسرى فى جـسم الدولة المرابطية وظهر الـموحدون فى المغـرب وتنكر الأندلسيون لـهم واشتد ضعـف النصارى على الأندلس، فقـاموا بهجـمات متتالية على ممتلكات المسلمين وتوالت على الجيوش المرابطية الهزائم المتتالية.

ففـقدوا ثقة الناس وتحـرج موقفهم وكـانت هزائمهم فى الأندلس مـمهدة فعـلاً لأمر الموحدين بالمغرب الذين كانوا سببًا مباشرًا فى سقوط دولة المرابطين.

وقد كانت هذه الحركة على قدر كبير من الإحكام والتنظيم مما كفل لها الاستمرار إلى أن سقطت الدولة المرابطية وقامت على أنقاضها الدولة الموحدية ومؤسس هذه الدولة عبد المؤمن بن على الذى خلف داعية الموحدين محـمد بن تومرت، وقد واصل عبد المؤمن جهـادة ضد الدولة المرابـطية، فتـمكن من فتح وهران وتلمـسان سنة ٥٣٩ هـ ـ ١١٤٤ م وسقطت مدينة فاس فى أيدى الموحدين سنة ٥٤٠ هـ ـ ١١٤٥ م وبعد سقوط فاس أخذت القبائل تتوافد عليه كما أن عددًا من المـدن بعثت إليه بولائها، وبعد ذلك ضيق الموحدون الحصار على مراكش الذى استمر تسعـة أشهر واقتحم الموحدون المدينة وبذا تكون الدولة المرابـطية قد سـقطت نهـائيًا فى المـغرب ولكنهـا ظلت باقيـة بعض الوقت فى الأندلس، وأستطاع الموحدون بعد ذلك الاستيلاء على الأندلس.

وكانت الأندلس أيام المـرابطين تضم ست مقـاطعات: هى أشبـيلية وغرناطة وقـرطبة وسرقسطة وبلنسية ومرسية.

هذا وقد كانت البلاد الأندلسية تعتبر خلال العصر الموحدى، مثلما كانت عليه فى العهد المرابطى قطرًا من أقطار الدولة الموحدية وكانت تنقسم إلى عدة ولايات، هى ولاية الغرب، شلب وأحوازها بالإضافة إلى شنترين وأشبيلية وأحوازها وقرطبة وأحوازها وجيان وأحوازها وغرناطة وأحوازها والمرية وأحوازها وبلنسية والجزيرة، والجزئرة الشرقية قبل أن يستقل بها بنو غانية ومرسية وأعمالها.

وهكذا كانت أقاليم الأندلس خاضعة للحكومة المرابطية ثم الموحدية وفق سياسة منظمة، ومنذ عهد المرابطين وخلال عصر الموحدين ازدهر إقليم غرناطة كثيرًا ونما نموًا سريعًا وغدت له أهمية كبيرة بين أقاليم الأندلس وبرزت سماته الخاصة.

وغرناطة مدينة مستديرة الشكل تقع على سفح جبل شلير.

ويصف المؤرخ توروس بلباس غرناطة بأنها تشبه باقى المدن الأسبانية الإسلامية ـ بشوارعها الضيقة وميادينها القليلة الصغيرة ـ كما احتوت على أربعة أرباض كبرى.

وأول ما تلحظه فى غرناطة الأسوار التى كانت تحيط بالمدينة، أما الأبواب فكان للمدينة ثلاثة عشر بابًا.

امتازت غرناطة ـ شأنها شأن باقى المدن الأندلسية ـ بشوارعها الضيقة الملتوية وأزقتها المغلقة وميادينها القليلة.

أما عن نظام المنزل، فإنه لم يختلف عن نظام المنزل الإسلامى ذى الطراز المميز، فقد جرت العادة على أن يؤدى بابه إلى دهليز يتناسب مع حجم المنزل ويفضى هذا الدهليز إلى صحن المنزل الذى تلتف حوله الغرف.

وإلى جانب الدور والمنازل التى سكنتها العامة كانت توجد القصور الفخمة، التى حفلت بها غرناطة.

أما المتنزهات، فقد انتشرت فى غرناطة وأقاليمها المتنزهات والحدائق التى اتخذها الناس مكانًا للنزهة وللترويح عن النفس.

هذا ويعتبر المسجد من أهم العمائر فى المدن الإسلامية، لذا فقد أصبح بحكم أهميته الدينية والتعليمية من أهم المعالم الإسلامية.

أما الحــمامات فقد كــانت لها أهمية كـبرى فى الحياة الاجـتماعيـة فى الأندلس، وقد اشتهرت غرناطة بكثرة حماماتهـا، وكان الماء يجلب إليها من نهر حدرة الذى يشق المدينة، كما كثرت الحمامات أيضًا فى إقليم غرناطة مثل وادى آش ومالقة.

أما المقابر فكانت تقع خارج المدينة بجوار باب إلبيرة.

أما القناطر فقـد أقامها أهل غـرناطة على الأنهار الموجودة فى غرناطة مـثل نهر شنيل وحدرة ويوجد بغرناطة خمس قناطر.

هذا وقد تقدمت الحياة الاقتصادية فى إقليم غرناطة خلال عصر المرابطين والموحدين على أثر مـا أبداه المرابطون وخـلفاؤهم المـوحدون من حـرص على النهـوض بالمغـرب والأندلس فى شتى المجالات، فزاد الإنتـاج الزراعى والصناعى والتجارى وتدفقت الأموال وارتفع الدخل العام للبلاد.

وقد شهد إقليم غرناطة تقدمًا كبيرًا فى النشاط الاقتصادى بسبب طبيعة الإقليم ذاته وما تميز به من خصوبة أراضيه وكثرة أنهاره التى ساعدت على قيام زراعة ناجحة فى قرى ومدن الإقليم، بالإضافة إلى وفرة المادة الخام، فقامت صناعات كثيرة وازدهرت، هذا إلى جانب شبكة الطرق البـرية والبحرية التى ربطت قـرى إقليم غرناطة ومدنه، بعـضها ببعض، كـما ربطت الإقليم، بســائر أقــاليم الأندلس، إلى جــانب الطرق التى ربطت بين إقليم غـرناطة والعالم الخارجى.

ففى مجال الزراعة تمتع إقليم غرناطة، كما سـبق أن ذكرت بسطح متميز وتربة خصبة وأنهار مـتعددة ساعـدت على ازدهار الزراعة وقد توفـرت لإقليم غرناطة أيضًا المــادة الخام التى ساعدت على أزدهار الصناعة فى عصر المرابطين وخلفائهم الموحدين.

فقامت عدة صناعات أهمها صـناعة النسيج وصناعة السفن وصناعة بعض الأدوات من النحاس والحديد، بالإضافة إلى عدة صناعات أخرى.

وقد اشـتهر إقليم غـرناطة بإنتاجه الوفـير من المعـادن مثل الذهب والفضـة والحديد والرصاص والنحـاس وإلى جانب العوامل الطبـيعية السـابقة، التى تمتع بهـا إقليم غرناطة وساعدت على ازدهار كل من الزراعــة والصناعة كان للطرق التجارية أثر فى إنعـاش حركة

التجارة الداخلية والخارجية، فقد تمتع إقليم غرناطة بشبكة من الطرق البرية ربطت بين مدن الإقليم داخليًا وخارجيًا بالإضافة إلى الطرق البحرية، وكثرة موانى الإقليم كالمرية والمنكب ومالقة، التى كانت تخرج منها الأساطيل التجارية محملة بالبضائع آتية إليها بما تحتاجه البلاد فانتعشت التجارة الداخلية والخارجية.

وهكذا كان للعوامل الطبيعية أكبر الأثر فى إنعاش الاقتصاد وتقدمه فى إقليم غرناطة.

أما العوامل السياسية، فقد لعبت هى الأخرى دورًا هامًا فى ازدهار الاقتصاد فى بلاد المغرب والأندلس عامة وإقليم غرناطة خاصة، فقد أثرت سياسة أمراء المرابطين والموحدين فى ازدهار النشاط الاقتصادى سواء فى الزراعة أو الصناعة أو التجارة، فأسهموا فى رفع مستوى الإنتاج فى البلاد سواء فى المغرب أو الأندلس، فوفروا الأمن والطمأنينة للسكان وقضوا على الفتن والحروب ونقلوا الصراع إلى أرض نصارى أسبانيا، ووفروا لرعاياهم قدرًا كبيرًا من الأمان، وبالأمن والاستقرار الذى أشاعه المرابطون استطاع السكان استثمار الأرض ومضاعفة الإنتاج الزراعى.

وكان المزارعون هم أكثر الناس تضررًا بالاضطرابات والحروب الداخلية المستمرة قبل عهد المرابطين، فإذا نشبت حرب بين أميرين فإن من الوسائل المتبعة ضد الطرف الآخر حرق المزارع وتخريب البساتين.

وكذلك كان نصارى أسبانيا إذا أغاروا على البلاد الإسلامية لا يترددوا فى إحراق البساتين وإتلاف الزروع.

وما حدث للزراعة، حدث للتجارة، فقد استطاعت دولة المرابطين بعد أن نجحت فى التوحيد بين أقاليم المغرب والأندلس أن تقر الأمن والسكينة فى ربوعه كما سبق أن ذكرنا، ففى العصر المرابطى الأول، قبل معركة أقليش (سنة ٥٠١ هـ - ١١٠٨ م) استطاع المرابطون أن يحفظوا الأمن وأن يقروا السكينة، فسهروا على حماية الطرق وتأمين مسالكها وضبط الثغور وذلك بنقل الصراع إلى مناطق أسبانيا وبناء القلاع والحصون والأسوار حول المدن، مثل المرية وغرناطة وتشييد الرابطات والمحارس الساحلية فى غرناطة وغيرها من المدن الساحلية سواء فى بلاد المغرب أو الأندلس وذلك لحمايتها من الغارات البحرية التى كان يقوم بها الأعداء، فأمن المرابطون بأسطولهم البحرى حركة النقل فى البحر.

ولما قامت الدولة الموحدية، أولى الموحدون النشا الاقتصادى عناية خاصة وحاولوا توفير الأمن والاستقرار لأهل البلاد، فنقلوا الصراع كذلك إلى مناطق نصارى أسبانيا وبذلوا جهودًا كبيرة فى إقامة الخصون حماية للمزارع، ومع كل جهود الموحدين هذه فى حماية الأندلس بما فيها إقليم غرناطة ظل نصارى أسبانيا يوجهون اعتداءات مستمرة إلى كل بلاد الأندلس، ولذلك حرص الموحدون على عقد الصلح مع نصارى أسبانيا، رغبة فى تحسين النشاط الاقتصادى وتحقيق الأمن للسكان حتى يستطيعوا ممارسة أنشطتهم الاقتصادية المختلفة دون خوف من سلب أو نهب أو حرق لزروع ونسف لبساتين فازدهرت الزراعة فى المناطق الجنوبية مثل غرناطة ومالقة والمرية، كذلك اهتموا اهتمامًا عظيمًا بالأساطيل، فلقد وجه عبد المؤمن بن على عنايته نحو إنشاء وتعمير المراسى ودور الصناعة المنتشرة على طول السواحل المغربية والأندلسية، فاستطاع أن ينشئ أقوى أسطول فى البحر المتوسط.

هذا ولم تقتصر مهمة الاسطول الموحدى منذ عصر عبد المؤمن بن على على جهاد نصارى أسبانيا، بل أخذ على عاتقه أيضًا مهمة قمع حركة القرصنة التى كانت منتشرة بين المسيحين والمسلمين على السواء.

كذلك كانت سياسة الموحدين البحرية، تقوم على مبدأ احترام نواميس التجارة الدولية وضمان السلام والطمأنينة فى البحار.

وبعد ضم إقليم غرناطة إلى الدولة الموحدية عام ٥٥٧ هـ قام الخليفة عبد المؤمن بن على بتنشيط حركة التجارة فى إقليم غرناطة.

كذلك قطع الخليفة عبد المؤمن بن على جميع المغارم والقبالات والمكوس التى فرضها المرابطون من قبل، كذلك اهتم الخلفاء الموحدون بالتجار والصناع وأمناء الأسواق.

وهكذا تضافرت هذه العوامل مجتمعة على ازدهار الحياة الاقتصادية فى إقليم غرناطة وزيادة الإنتاج سواء فى الزراعة أو الصناعة أو التجارة.

ورافق هذا الازدهار الاقتصادى تحول كبير من حياة سكان المغرب والأندلس

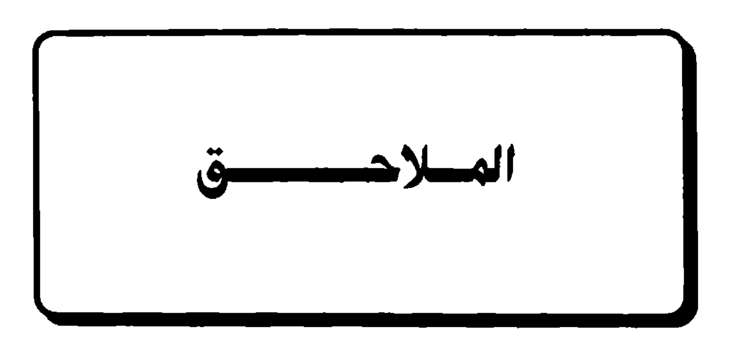
الاجتماعية بالإضافة إلى أن البربر من سكـان البلاد سواء فى المغرب أو الأندلس، اكتسبوا العلوم والمعارف والخبرات الفنية وأصبح كثـير منهم يمتهن مهنًا لم يألفها من قبل ومن ثم ظهرت النفرة والعداوة بين البربر والأندلسيين ولكن هذا لم يمنع الأندلسيين من اضطرارهم إلى التعامل والتعايش مع هذه الطبقة الجديدة بل تسابقوا لخدمتها وهجروا أوطانهم وذويهم إلى بلاد المغرب مركز الحكم والسلطان حفاظًـا على أموالهم ومكاسبهم ومراكزهم أو طلبا للمزيد.

ولقد بلغ من كثرة عـدد المسافرين من مدينة غرناطة أن سمى أحد أرباضـها الخارجية باسم حـوز الوداع، وهو المكان الذى اعـتاد فـيـه الغرناطيـون توديع أهلهم وذويهم قـبل رحيلهم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن سبب ازدهار البـلاد المغربية والأندلسية اقتصـاديًا وتفوقهما السياسى أمران بدأهما المرابطون وأتمهما الموحدون.

واستعراض النشاط الاقتصادى فى هذ البحث يوضح مجهودات المرابطين والموحدين فى هذا المجـال ومن التعـصب والتجنى أن نقـول أن المرابطين والموحـدين بخشـونتهم وسياستهم كانوا السبب فى انهيـار الحضارة الأندلسية، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن الأندلسيين أنفسهم كانوا سببًا رئيسيًا فى انهيار الحضارة الأندلسية وكان المنتظر من هؤلاء الأندلسيين أن يعيـشوا فى الأندلس فى تآلف تـحت ظل الدولة الإسلاميـة لكنهم لم يتخـلصوا من روح التعصب، وشهـد القرن الخامس والسادس والسابع الهـجرى صراعًا اجتماعـيًا بين العناصر الاجتماعيـة المختلفة التى لم تنصهر ولم تتجانس، أضف إلى ذلك طبيـعة البلاد الأندلسية بجبالـها ومجاورتها للنـصارى فإنها تساعـد الثوار باستمـرار، أضف إلى ذلك ضعف الروح العربية فقد اختفت العناصر العربية وحلت محلها العناصر الأندلسية وهم الجيل المهجن من آباء عرب وأمهات أسبانيات ذلك التهجين أفقد الأندلسيين حماسهم لأصالة عروبتهم ولغتهم العربية التـى بدأت هى الأخرى تنهزم أمام اللكنة العـامية، والسلطة الحاكمـة من البربر لم تتحمس لإصلاح الانهيار الاجتماعى الذى كـان يدب فى جسم البلاد الأندلسية وسرعان ما اغمسوا هم أنفسهم فى الترف وانصرفوا إلى الدعة واللهـو ومحاكاة الأندلسيين فى معيشتهم وطريقة حياتهم.

وغدت المرأة فى المجتمع الغرناطى أول المتأثرين، فتأثرت بالأسبانيات وقلدتها فى كثير من عاداتها وأخلاقياتها، كما كثرت البدع والخرافات فى حياة المجتمع الذى اعتمد فى مظاهر حياته على الترف والبذخ، وشهدت الأندلس الكثير من الأمراض الاجتماعية وخاصة ما شاع من الغناء واللهو وعكوف الناس على الملذات فانغمسوا فى شرب الخمر التى كانت منتشرة بين جميع فئات المجتمع أضف إلى ذلك الانحلال الاجتماعى الذى سرى فى المجتمع الأندلسى وأدى فى النهاية إلى ضياع الأندلس الاسلامية.


الملاحق

ملحــق (١)

هذه رسالة موجهة من على بن يوسف من محلته بظاهر قرطبة

خلال إحدى الزيارات، وهى عبارة عن وصية من السلطان لرعيته:

«كتـابنا أبقاكم الله وسلمـكم، وتولاكم وأكرمكم، ووقـاكم الأسواء وعصـمكم، من محلتنا يمنهـا الله بظاهر قرطبة ـ حرسهـا الله ـ فى يوم كذا من شهر كذا عـام كذا، ويتأدى إليكم من قـبل واليكم وخليـفتنا فـيكم أبى فلان أبقـاه الله، وهو النائب عنا فى تدبيـركم وإقامة أموركم، وسيـاسة صغيركم وكبيركم، ليس لأحـد معه فى ذلك بد، ولا مصدر ولا مورد، ولا مـقام ولا مقـعد، قد فـوضنا إليه فى ذلك كله، وأفردنا الـنظر فى دقه وجله، وكـثرة وقلة، وحكمناه فى جـميـعكم، يثـيب من استـحق الثواب، ويعـاقب من استـحق العقـاب، ويكرم أهل الإحسان، ويهين من أسـاء أشد الهوان، ويتـمسك منكم بمن أراد، ويسـرح من رأى تسريحـه، ويبعـد من كان سـبيله الإبعـاد، وما فـعل من ذلك كله فنحن فعلناه، وما قال فيه فكأنا نحن قلناه، ولا نوقف ما أمصناه، ولا نمضى ما وقفه وأباه، ولا نرى فى أحد منـكم إلا ما يراه، ولا نتولاه ـ كـائنًا ما كان ـ إلا أن يـتولاه، ولا نرضى من أقواله ما لا يرضاه، بلساننا يتكلم، وعما فى جناننا يترجم، وعلى ما يوافقنا يسدى ويلحم، وإلى ما يرضينا يمضى ويتقدم، فاسمعـوا وأطيعوه ولا تخالفوه» فلن يعدو وجه القصد ولا تعصوه، ولا تألوه انقيادًا وطاعة، ولا تدخروا عنه فيمـا يستعملكم فيه جهدًا ولا استطاعة، وإياكم والخوض فى أمر جعلنـاه إليه، واحذروا من تعقب ما صغر أو كـبر عليه، واضربوا عنه، ودعوا ما لا يعنيكم منه، وليرشد خياركم شراركم، وليبصر كباركم صغاركم، وحسبنا هذا إنذارًا لكم، وإنذراً إليكم، ولا عذر بعد، ولا يلم من تعدى إلا نفسه، وبالله التوفيق، والسلام عليكم[١].

---

(١) انظر: محمـود على مكى: وثائق تاريخية جديـدة عن عصر المرابطين، صحـيفة معـهد الدراسات الإسلامية ـ مدريد ـ المجلد السابع العدد ١-٢ ١٣٧٩هـ ـ سنه ١٩٥٩م.

ملحق (٢)

هذه رسالة موجهة من على بن يوسف من مراكش إلى أحد عماله،

يأمره أن يستشير أحد الفقهاء فى مختلف أمور الحكم:

«كتابنا أطال الله فى طاعته مدتك، وأدام بتقواه حرمتك، وأفاض نعمتك، وتولى توفيقك وعصمتك، من حضرة مراكش حرسها الله، وقد علمت محل ذى الوزارتين الأجل الفقيه الأفضل ولينا أيده الله بتقواه من صدق ولايتنا، ومكانه من حسن رعايتنا، وأنه ممن يستشفى برأيه، ويهتدى بهديه، ويستثمر النجح من سعيه، ويتعرف السداد فى رأيه، فينبغى لك أن تشاوره فى كل ما تأتى وتذر، وتورد وتصدر، وتقدم وتؤخر، فلن تعدم منه مشيراً نصيحًا، فامتثل فى ذلك عهدنا، ولا تتعدَّ فيه حدنا، وتوخَّ معه من مصالح البلد ما يحسن موقعه عندنا، ويقتضى شكرنا وحمدنا، إن شاء الله، والسلام[1].

(١) انظر: محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية - مدريد - المجلد السابع العدد ١-٢ ١٣٧٩هـ - سنه ١٩٥٩م ص ١٧٧.

ملحـق (٣)

رسالة موجَّهة من على بن يوسف إلى قاضى مالقه[1] فى ٥ ذى الحجة سنه ٥٢٣هـ.

(كتابنا كـتب الله أعمالك مبرورة، ومـساعيك مشكورة، وعـرَّفك الآلاء موفورة، من حضرة مراكش، حرسها الله، لخمس بقين من ذى الـحجة سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة، وان من رتب من الأمر حيث رتبت، وحسب من القيام بالمهـمات حيث حسبت، لم يسعه أن ينام عن قضــية تجرى ببلده، ولا أن تدركه غفـلة عن تفقد ما تحت يده، وقـد تجمعت الآن بهذه الحـضرة عصـائب الشاكين، وكـثرت أرفاع المـتظلمين، وكـان من أمورهم بيِّن ومشكل، (١٧٨) وفـيهم مـحق ومبطل، فلم يخل مـا كانوا يجيـئون به من قـول مزور، وباطل فى صورة الحق مـصور، وعندما التبس الكذب من ذلك بالصـدق، والتف المبطل بالمحق صددنا أرفاعهم عن الحصوص، وصرفنا دونها وجه القبول، وأوعزنا الى جماعتهم لما خفناه من تلبـيسهم فى الأمور، وشوبهم المباح بالمـحذور، بأنَّا لا ننظر لأحد منهم فى حق يدعيه، ولا أمر يوجـبه أو ينفيه، إلا بعد أن يأتى ببيان مـن قاضى بلده، وكتاب ينطق عن صحة ما بيده، فانصرفـوا وفى نفوسنا ـ علم الله ـ من قبلهم ما يشق حمله، ولا يخف مثله، فإنه لا يمكن إلا أن يكون فيهم الصـادق البر، والرجل المضطر، لكن الخير أردنا، والبر قصدنا، ولما كان هذا وجب أن نلتمس لأمورهم وجهًا يتوصل به إلى معرفة الصحيح من السقـيم، والمعـوج من القويم، فـوكلنا ذلك الى قضـاة البلدان، وألزمناهم القـيام به والفحص عنه مع الأعيان، لأن موضوع القضاء إنمـا هو لرفع المشكلات، وتمييز الحقائق من المتشابهات، والفصل بعـد التبرم فى الدعاوى والمنازعات، ومع هذا فنقول: إن هؤلاء الرافعين لو وجدوا فى بلادهم اشكاء، وألفوا عند مـتقلدى الأمور لرد ظلاماتهم وفاء، لما تجشموا إلينا بعد الشقة، ولا تحملوا نحـونا عظيم المشقة، ولولا أنَّا نخليهم من التعسف، وسوء التكلف، لشددنا فى جـهة القضاء عارضة الكلام، ولثقلنا عـليهم وطأة الملام، وقد قلدناك تقليدًا تامًّا أن تنظر بجهتك من شكاوى العـامة فى اللطيف والجليل، وسمناك القيام

---

[1] ابن محمد عبد الله بن أحمد بن عمر الـقيسى المالقى، ولد سنه ٤٥٦هـ وتولى قضاء مالقة وكانت وفاته سنه ٥٤٣هـ.

بالخفيف منها والثقيل، فتفقد مـا قبلك حق تفقده (٧٨ب) وتعهده أحفى تعهده، فإنك إذا أمعنت التطلع، وأدمنت إلى جـانب الرعية التلفت والتسمع، لم تشـذ عن علمك ما يجرى ببلدك لاجتماعه وانحصاره، وتقارب ما بين مسافاته وأقطاره، وإن حقًا على الجار أن يفرج ضغطة جاره، فاستكشف ـ وفقك الله ـ الأحوال وتعرَّف صورَها، واستعلم مع الرعية شأن الرعية وخـبرها، فكل ما رفعـته إليك من أحوالها، وتظلمت فـيه من عمَّالهـا، أجريته مع الحق كيف جـرى، وعممت بالنظر، ولم تخص قضـية دون أخرى، فكلٌّ بك مـعصوب، وأنت عنه محاسب وبه مطلوب، ومدار هذا الأمر اختيار الحكام الذين استنبتهم فى أقطارك القاصية، ونصبـتهم فى الجهات النائبة، فشرطهم الثقـة والديانة، والصون والأمانة، فإنهم إذا كانوا بهـذه الصفة جـرت أمورهم على سبـيلها القـاصد، وسيـرها الراشد، وأمنت فى جهات الرعـية والأحكام، وأمنًا بك فيها من اللبس والمـداخلة مع الأيام، فلا تقلد عملك إلا معروفًا بلطف النفس والعفاف، ونقـيًا يقنع بالكفاف، ويتنزه عن الإسفاف، وتحفَّظ من كل منهمـوم لا يشبع، ومسف لا يتورع، فـالحريص أصم أعمى لا يرى ولا يسـمع، وبعد توليك إياهم فأشرف عليهم إشرافًا يتـعقب أحوالهم، فمن رأيت منه جنفًا، أو نقص عليك من أطراف الحق طرفًا، صـرفته مذمـومًا، وأخرته ملومًا، فـتفقد هذا من أمـورهم، فإنك مضطر إليه فى الديانة، وفـيما يباشرونه من أمـور الرعية التى لا ترضى بهضمـها، ولا تقرُّ أحدًا عـلى ظلمهـا، ومما نعيـده (١٧٩) ونتقـدم إليك فيـه أمر اللوازم الجـارية هناك أن تتصفحهـا وتلمحها، فما لم يكن منها فى عهودنا مـوجودًا، ولا من قبلنا محدودًا، ولا فى مصالح المسلمين معدودًا، فـهو رد على كل وال رسمه، ومصروف على كل من ألزمه، لا يؤدى منه نقيـر، ولا يحمل منه فتـيل، وأى عامل من عمال الـرعية قامت الشـهادة عندك بتعديه، وعلمـت صحة استهـدافه وتصديه، فإنه أمره إلى صـاحب البلد مستعـمله ومولِيه وأشعره بما ثبت عندك فـيه، فإن غل يد أذيته، وأنفذ عزله عن رعيـته، وإلا فأخفف ذلك إلينا فى سائر مـا يتوقف لديك من الأمور التى تقصـر عنها يدك، وتنقطع دون النفوذ فـيها غايتك وأمدك، لينفذ من عندنا ما يقف منازعك عنده، ويـسهل لك كل صعب بعده، ومما تتفقده من أحوال الرعية ما يؤخـذ به الحاضر عن الغائب، ويطلب به الباقى بعد الذاهب، فهـذا الصنف أيضًا من الظلامات تبطله وترد حكمـه، وتعفى أثره ورسمه، وأمـر الزكوات

على تباينها فى الصفة، وأنواعها المختلفة، تجرى على موجب فريضتها، وتوقف على حد شريعتهـا، لا تحرف ولا تبدل، ولا تصرف عن جهتها ولا تعـدل، هذه ـ أعزك الله ـ أمثال مضـروبة، وهدايات منصوبة، وقوانين مـوضوعة، وأعـلام على طرق الحق مرفوعـة، قد تبرأنا إليك من وزرها، وتخـففنا بإسنادها إلى نظرك من إصرها، وفى أكثـرها كانت الأرفاع ترد، وعصائب المتظلمين تحـتشد، وأنت إذا كشفت غيبها ونفضت طرقـها، وأعطيتها من بحثك (٧٩ب) وتأملك حقها، ارتفعت الشـبهة، وانزاحت العلة، وتوفرت على المسلمين الرحلة، وهدأت الرعية وتفـرغت لأشغالها، ولزمت صالح أعمالهـا، فانظر فى هذه الأمثلة والجمل إلى أقصى ما ينقسم إليه أقسامها، وقفها على حد ما تقف عليه الشريعة وأحكامها، واكفنا ما استكفيناك، وانهض نهوض المسـتقبل بما حمَّلناك، وأى عذر لك وقد شددنا من أزرك، وعضـدنا من أمرك، وإن تطلَّعنا لوكـيد لمـا نجدده عندك من النفـوذ، هذه الوصايا الجامعة، والحجة المبالغة، وستبلغنا الأنهاء، ويتصل بنا الثناء، وبعد ذلك الثواب والجزاء، لا إله غـيره، والسـلام، أعزك الله ليـقرأ الكتـاب على الكافة بالـمسـجد، فـإن فيـه زجرًا للمعتدين، وأخذا فوق أيدى المسفـدين، وبلاغًا يحمله ويصيره الراكب ويتلقاه عن الشاهد الغائب إن شاء الله تعالى[1].

---

(١) انظر: محمـود على مكى: وثائق تاريخية جديـدة عن عصر المرابطين، صحـيفة معـهد الدراسات الإسلامية ـ مدريد ـ المجلد السابع العدد ١-٢ ١٣٧٩هـ ـ سنه ١٩٥٩م ص ١٧٠ - ١٧٤.

ملحق (٤)

رسالة كتب بها قاضى سرقسطة والجمهور فيها إلى الأمير أبى الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين حين حاصرها ابن رذمير وأستغلبها أعادها الله

من ملتزمى طاعة سلطانه ومستنجديه على أعداء الله ثابت بن عبد الله وجماعة سرقسطة من الجمهور فيها من عباد الله.

أطال الله بقاء الأمير الأجل، الرفيع القدر والمحل لحرم الإسلام يمنعه...[1] من كرب عظيم على المسلمين يزيحه عنهم ويدفعه.

كتابنا أيدك الله بتقواه، ووفقك لاشتراء دار حسناء، بمجاهدة عداه يوم الثلاثاء السابع عشر من الشهر المبارك شعبان، عن حال قد عظم بلاؤها وأدلهمت ضراؤها، فنحن فى كرب عظيم وجهد أليم قد جل العزاء وعظم الخطب، وأظلنا الهلاك والعطب، فياغوثاه! ثم ياغوثاه! إلى الله دعوة...[2] دعاه وأمله لدفع الضر ورجاه سبحانه المرجو عند الشدائد، الجميل الكرم والعوائد، وبالله ويا للسلام! لقد انتهك حماه، وفضت عراه! وبلغ المأمول من بغيته عداه، ويا حسرتاه على حضرة قد أشفت على شفى الهلاك طالما عمر بالإيمان وازدهرن بإقامة الصلوات، وتلاوة القرآن، ترجع مراتع للصلبان، ومشاهد ذميمة لعبدة الأوثان، وياويلاه على مسجد جامعها المكرم! وقد كان مأنوسًا بتلاوة القرآن المعظم، تطؤه الكفرة الفساق بذميم أقدامها، ويؤملون أن يدنسوه بقبيح آثامها، ويعمروه بعبادة أصنامها، ويتخذوه معاطن لخنازيرها ومواطن لخماراتها ومواخيرها، ثم يا حسرتاه! على نسوة مكنونات عذارى، يعدن فى أوثان الأسارى، وعلى رجال أصبحوا حيارى بل هم سكارى وما هم بسكارى، ولكن الكرب الذى دهمهم شديد والضر الذى مسهم عظيم جهيد، من حذرهم على بنيات - كن من الستر بخيار الوجوه - أن يروا فيهن السوء

(١) ناقصة فى الأصل.

(٢) ناقصة والغالب أنها (مؤمن).

والمكروه، وقد كن لا يبدون للنظار، فالآن حان أن يبرزن إلى الكفار، وعلى صبية أصفال قد كانوا نشئوا فى حجور الإيمان، يصيرون فى عبيد الأوثان أهل الكفر وأصحاب الشيطان.

فما ظنك أيها الأمير بمن يلوذ به بعد الله الجمهور بأمة هى وقايد هذه العظائم الفادحة، والنوائب الكالحة؟ هو المطالب بدمائها إذا أسلمها فى آخر ذمائها، وتركها أغراضنا لأعدائها، حين أحجم عن لقائها، فإلى الله بك المشتكى ثم إلى رسوله المصطفى، ثم إلى ولى عهدة أمير المسلمين المرتضى، حيث ابتعثك بأجناده وأمدك بالجم الغفير من أعداده نادبًا لك إلى مقارعة العدو المحاصر لها وجهاده، والذب عن أوليائه المعتصمين بحبل طاعته، والمتجملين السبعة الأشهر الشدائد الهائلة فى جنب موالاته ومشايعته، من أمة قد نهكهم ألم الجوع وبلغ المدى بهم من الضر الوجيع، قد برح بهم الحصار، وقعدت عن نصرتهم الأنصار، فترى الأطفال بل الرجال جوعا يجرون، يلوذون برحمة الله ويستغيثون ويتمنون مقدمك بل يتضرعون، حتى كأنك قلت فيها: اخسأوا فيها ولا تكلمون! وما كان إلا أن وصلت وصل الله برك بتقواه على مقربة من هذه الحضرة ونحن نأمل منك بحول الله أسباب النصرة بتلك العساكر التى أقر الله بهاؤها وسر النفوس زهاؤها، فسرعان ما انثنيت وما انتهيت! وارعويت وما أذنيت! خايبا عن اللقاء ناكصًا على عقبيك عن الأعداء، فما أوليتنا عنا بل أوليتنا بلاء، وعلى الداء داء، بل أدواء، وتناهت بنا الحال جهدًا والتواء، بل أذللت الإسلام والمسلمين واجترحت فضيحة الدنيا والدين!.

فيا لله ويا للإسلام! لقد اهتضم عرمه وحماه أشد الاهتضام! إذ أحجمت أنصاره عن إعزازه أقبح الإحجام، ونكصت عن لقاء عدوة وهو فى فئة قليلة وأمه رذيلة، وطائفه قليلة يستنصر بالصلبان والأصنام، وأنتم تستنصرون بشعائر الإسلام، وكلمة الله هى العليا ويده الطولى، وكلمة الذين كفروا السفلى، وإن من وهن الإيمان وأشد الضعف الفرار عن الضعْف، فكيف عن أقل من الصنف؟ فما قبح من بالصغار وسيم خطه الخسف، فما هذا الجبن والفزع؟ وما هذا الهلع والجزع؟ بل ما هذا العار والضبع؟ أتحسبون يا معشر المرابطين وإخواننا فى ذات الله المؤمنين أن سبق على سرقسطة القدر بما يتوقع منه المكروه والحذر أنكم تبلعون بعدها ريقًا، وتجدون فى ساير بلاد الأندلس ـ عصمها الله ..

مسلكا من النجاة أو طريقًا؟ كلا! والله ليسومنكم الكفـار عنها جلاء وفرارًا وليخرجنكم منها دارًا دارًا! فسرقسطة حـرسها الله هي السد الذى إن فتق فتـقت بعده أسداد والبلد الذى ان استبيح لأعداء الله استبيحت له أقطار وبلاد!.

فالآن أيهـا الأميـر الأجل! هذه أبواب الجنة قـد فتحت، وأعـلام الفتح قـد طلعت، فالمنيـسة ولا الدنيـة! والنار ولا العار! فأيـن النفوس الأبية؟ وأين الأنفـة والحمـية؟ وأين الهمم المرابطية، فلتقدح عن زنادها بانتضاء جدها وامتطاء جدها واجتهادها، وملاقاة أعداء الله وجهـادها، فإن حـزب الله هم الغالبون، وقـد ضمن تعـالى لمن يجاهد فى سـبيله أن ينصره، ولمن حامى عن دينه أن يؤيده ويظهـره، فى هذا أيها الأمير الأجل؟ ألا ترغب فى رضوانه واشتراء جناته بمـقارعة حزب شيطانه، والدفاع عن أهل إيمـانه؟ فاستعن بالله على عدوه وحـربه، واعمده ببـصيرة فى ذات الله إلى أخـوان الشيطان وحزبه، فـإنهم أغراض للمنايا والحتوف، ونهز للرماح والسـيوف، ولا ترض بحطة العار وسوء الذكر والصيت فى جميع الأمصار ولا تكن كمن قيل فيه:

يجـمع الجيـش ذا الألوف ويغـزو   ولا يرزا من الـعــدو فــتـــيــلا

ولن يسـعك عند الله ولا عن مؤمـن عذر فى التـأخيـر والارعـواء عن مناجزة الكفـار والأعداء، وكتـابنا هذا أيها الأميـر اعتذار تقوم لنا به الحـجة فى جميع البـلاد، وعند سائر العباد، فياسلامكم إيانا إلى أهل الكفـر والالحاد، ونحن مؤمنون، بل موقنون من إجابتكم إلى نصرتنا، وإعذاذك إلى الدفـاع عن حضرتنا، وأنك لا تتأخر عن تلبـية ندائنا ودعائنا إلى استنقاذنا من أيدى أعدائنا، فدفاعك إنما هو فى ذات الله وعن كلمه...[1] ومحاماتك عن الإسلام وحزبه، فذلك الفخـر الأنبل لك فى الأخرى والدنيا، ومورث لك عند الله المنزلة العليا، فكم تحيى من أمم، وتجلى من كروب وغم!.

وإن تكن منك الأخرى، وهى الأبعـد عن متانة دينك وصـحة يقينك فأقـبل بعسكرك على مقربة من سرقسطة ـ عـصمها الله ليخرج الجميع عنها ويبـرأ إلى العدو وقمة الله منها ولا تتـأخر ـ يكفـما كـان ـ طرفة عـين، فالأمـر أضيق والحـال أزهق فعـد بنا من المطل والتسويف قـبل وقوع المكروه والمخوف، وإلا فأنتم المطالبـون عند الله بدمائنا وأموالنا،

(١) ناقصة فى الأصل ولعلها (الحق).

والمسئولون عن صبيتنا وأطفالنا، لإحجامكم عن أعدائنا، وتثبطكم عن إجابة ندائنا، وهذه حال نعـيذك أيها الأميـر الأجل عنها، فإنها تحـملك من العار ما لم تحـمله أحدًا، وترثك وجمـيع المرابطين الخزى أبدًا، فالله الله اتقـوه وأيدوا دينه، وانصروه، فقـد تعين عليكم جهاد الكفار، والذب عن الحريم والديار، قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ الآية، وقد برئتم بإسلامنا للأعـداء من نصر الإسلام وعند الله لطف خفى، ومن رحمته ينزل الصنع الحفى ويغنينا الله عنكم، وهو الحميد الغنى!.

ومن متحملى كتابنا هذا، وهم ثقاتنا، تقب من كنه حالنا على ما لم يتضمنه الخطاب، ولا استوعبـه الإطناب بمنه وله أتم الطول فى الإصغاء إليهم واقتـضاء ما لديهم إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[١].

(١) انظر: حسين مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسى، ص ١٣٢ - ١٣٧.

ملحق (٥)

«رسالة من أمير المسلمين على بن يوسف إلى أهل الأندلس»

كتابنا أبقاكم الله، وأكرمكم بتقـواه، ويسركم لما يرضاه، ووفد حظوظكم من حسناه، يوم كذا من عام كذا، ويتأدى إليكم من قـبل واليكم، وخليفتنا فيكم، وهو النائب عنا فى تدبيركم، وبإقامة أمـوركم، وسياسة صغيركم وكبيـركم، ليس لأحد معه فى شىء من ذلك يد ولا مع مشهده إلا بادنه وإباحته مشـهد، قد فوضنا إليه فى ذلك كله، وأفردنا النظر فى دقه وجله، وكـثره وقله، ولن يألوكم نظرًا يصـلح لكم، وينجح أعمالكـم ويحسن به الله عقبـاكم ومآلكم، وهو بلساننا متكلم، وعمـا فى ضميرنا مترجم، وفى قـالب رأينا مفرغ، وعلى منواله مسد وملجم، ما أمضاه أمضينا، ومـا وقفه وقفناه، فاسمعوا منه فى ذات الله (٨ب) وأطيعوه، ولا تخالفـوه فيما يراه من مصالحنا ومصالحكم ولا تعـصوه، وما دعاكم إليه فابتدروه، ومـا حد لكم اجتنابه فاجتنبوه، وإيـاكم وما يسخطه من التشغيب عليـه فيما ينتحيـه، والفقيه الأجل القاضى أبو فلان يصـل فى ذات الله على سنن الحق يده، ويقصد مقـصده، وكذلك ألو الرأى من جـميعكم يكون مـعه جمـاعة، وعلى حبل ذراعـه طاقة، ويهدون إليـه ما يغـيب عنه من أمور سـائركم، ويطلعونه على مـا يخفى عليـه من أحوال أكابرهم وأصاغركم، حسـبنا هذا توصية، وتذكرة جامعة مستوفيـة، ولا حجة بعد لمن جار عن السنن، وخالف الواجب عليه المتعين، ولا يلم من خـالف عهدنا، وتعدى قصدناه إلا رأيه ونفسه الأمارة بالسوء، وبالله التوفيق والسلام[١].

(١) انظر: محمـود على مكى: وثائق تاريخية جديـدة عن عصر المرابطين، صحـيفة معـهد الدراسات الإسلامية ـ مدريد ـ المجلد السابع العدد ١-٢ ١٣٧٩هـ ـ سنه ١٩٥٩م ص ١٧٥، ١٧٦.

ملحق (٦)

رسالة من

الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن

إلى أخيه السيد أبي سعيد عثمان وأصحابه الطلبة بقرطبة، يوصى فيها بأن تجرى الأحكام وفقًا للعدل وتحرى الدقة، وألا يقضى فى أمر الدماء إلا بعد رفعه إلى الخليفة، من إنشاء الوزير الكاتب أبى الحسن بن عياش، ومؤرخه فى شهر رمضان سنة ٥٦١هـ.

(منقولة عن كتاب «المن بالإمامة» لابن صاحب الصلاة مخطوط أكسفورد لوحات ٧٩ب - ٨٢ب.

ونشرها العلامة جولدسيهر فى بحثه:

(Materialien zur Kenntniss der Almohaden Beweguug) P.134 - 138.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم والحمد لله وحده

من الأمير يوسف ابن أمير المؤمنين أيدهم الله بنصره، وأمدهم بمعونته، إلى الشيخ الأجل أخينا الأعز علينا، الأكرم لدينا، أبى سعيد وأصحابه، الطلبة الذين بقرطبة أعزهم الله، ودام كرامتهم بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فإنا نحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلى على محمد نبيه المصطفى ورسوله، ونرضى عن الإمام المعصوم المهدى المعلوم نجله وسليله، ونوالى الدعاء لسيدنا أمير المؤمنين القائم بأمره والداعى إلى سبيله، وإنا كتبناه إليكم أكرمكم الله بتقواه، وكلأ جانبكم وحماه، من حضرة مراكش حرسها الله، والذى نوصيكم به تقوى الله تعالى، والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه، وموالاة شكره على ما هدى أولياء أمره، وأنصار دعوته، وحماة كلمته، من صرف أعنة المحبة والاهتمام، وإحكام منابر الأحكام، فيما وكله إليهم من أمور الإسلام، إلى أن تجرى على السداد، وتنسق على سبيل الإرشاد، وتقيم على المهيع، وتمضى على المنهج، وتسير فى الواضح، وتهتدى على اللاحب،

ويسلك بها فى الجدد، الذى من سلكه أحمدت منه الآثار، وأمن عليه العثار، وارتضى له الإيراد والإصدار، فيكون العمل فيها على اليقين، الهادى إلى الصراط المستبين، المأمون فى سلوكه من المزلة والضلال، المرجو فى الاهتدا به حسن العاقبة وصلاح الحال، فنسأله تعالى جده عونًا من قبله على هذا الغرض العام الجدوى يصاحب، وتوفيقًا من لدنه فى هذا النظر الشامل المنفعة يجاور ويصاقب، وأنه أدام الله كرامتكم، لما كانت مبانى هذا الأمر العزيز أدامه الله على التقوى مؤسسة، وأوامره ونواهيه على الله ورسوله جرية مترقبة، وإليها فى الأخذ والتركة مستندة، وبمقتضياتها فى جميع الأحكام آخذة عاملة، إذ هى نور الحق وسراجه، وعمود الصدق ومعراجه وسبيل الفوز ومنهاجه، ورائد الثواب وبشيره، وقائد العقاب ونكيره، فمن ائتم بكتاب الله، الذى هو الإمام المنادى والحق الواضح البدى، وبسنة رسوله ﷺ، التى جعل العمل بها كالعمل بكتابه، والوقوف عند حدها كالوقوف عند حده، أمن من الغوائل، فى العاجل والآجل، وبلغ من السلامة فى الحالين إلى أقصى أمد الآمل، ولم يوجد للباطل إليه سبيلا، ولم يتمكن للشيطان أن يجد فى تضليله واستهوائه صرفًا ولا حويلا، فتوفرت الدواعى على الدعاء إليها، وحمل الكافة عليها، وأخذ الجميع بما يفقههم لديها، وقد أمر الله تعالى، من أمر الناس بطاعته، أن يحكموا بالعدل ويضعوا للعبد موازين القسط، فلم يكن لهم بد من امتثال أمره، والاستناد إلى حكمه، وكانت الوجوه التى تفضى إلى الحق، فى فصل قضايا العباد متنقبة، والطرق المؤدية إلى مغنى الصدق ومعناه ملتبسة ومتشعبة، فخرج فيها بنيات تخطئ الصراط المستقيم، وتضل الضلال البعيد، فصار إمضاءها من غير استناد إلى هذا الهدى المتبوع، والعلم المرفوع، خطرًا على ممضيها، وإنفاذها على غير هذا السنن غررًا على منفذيها، ولما كان الأمر كذلك، تعين ووجب وثبت وترقب، أن نخاطب جميع عمال بلاد الموحدين أعزهم الله، شرقًا وغربًا وبعدًا وقربًا، خطابًا يتساوى فيه جميعهم، ويتوازى فى العمل فيه كافتهم، بألا يحكموا فى الدماء حكمًا من تلقائهم، ولا يريقوها بباد أو رأى من آرائهم، ولا يقدموا على سفكها بما يظهر إليهم، ويتقرر فيما يروقه لديهم، إلا بعد أن تُرفع إلينا النارلة على وجهها، وتؤدى على كنهها، وتشرح حسب ما وقعت عليه، وتنتهى بالتوثق والبيان إلى ما انتهت إليه، وتقيد بالشهود العدول، المعروفين فى مواضعهم بالعدل

والرضا، الموجبين للقبول، وتكتب أقوال المظلومين وحججهم، وإقرارهم واعترافهم، وحجج الظالمين فى مقالاتهم واستظهارهم فى بياناتهم، مُعطًى كل جانب حقه، موفى كل قائد قوله، فتكون مخاطبتكم أعزكم الله، ومخاطبة من يتناول هذا الكتاب وتوجه إليه هذا القصد، خطاب من تَحَمَّل الشهادة ويؤدى فيها أمانة، على ما يجب من البيان الذى لا يعتوره التباس ولا يطمس وجهه إشكال، ويتوثقون فى المطلوبين بالدماء بسجنهم وتثقيفهم، ويتوكفون ما تصلكم به المخاطبة، فتقفون عند مقتضاه، ولا يعدلون عن شىء من معناه، مراقبًا كل منكم إلهه ومولاه، علمًا بأنه يعلم سره ونجواه، وأنه يسمعه ويراه، واعلموا وفقكم الله وأسعدكم، أن هذا الحكم عام فى جميع النوازل، التى أطلقت السنة فيها القتل وسنته، وحكمت به وشرعته، كمن قتل نفسًا وأقر بالقتل، أو شهد العدول عليه به، ومن بدل دينا وارتد عنه، ومن أتى الفاحشة بعد الإحصان، باعتراف أو دليل أو شهادة مقبولة، وما خير الأئمة فيه من قتل المحاربين والساعين فى الأرض بالفساد، والمتأملين أمر الله بالاستهزاء والعناد، سواء سُن ذلك كله أو وقع فيه ضرب يشاكله مجراه، واحد فى التوقف عن إمضائه، والتأخر عن تنفيذه، إلا بعد المطالعة، وتعرف وجه العمل من المجاوبة وكذلك وفقكم الله يكون التوقف فيما عدا المذكور من النوازل، التى يكون [فيها] أحكام دون النفوس من قتل الخطأ وديات الشجاج، وعقول الأعضاء، وأرش الجراحات، ووجه القصاص، والقطع فى السرقات، إلى غير ذلك من القضايا المشكلة فى الأموال وإطلاقها واستحقاقها، وفى الرقاب وإعتاقها واسترقاقها، وملتبسات المناكحات والمعاملات، وما أشبهها من الأمور التى الإقدام على الحكم فيه تهجم، والعمل فيها بغير استناد إلى ما يجب تسور، فتوقفوا أعزكم الله عن جميع ما فُسِّر لكم، ولو أخفه توقف الساعى فى نجاته، العامل لدنياه وآخرته، وقد ورد فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله من الخطر الوكيل، والوعيد الشديد، فى إراقة الدماء، واستباحة الأموال، واستحلال الحرمات إلا بوجه صحيح، لا يسلم إلا من طريق العصمة، ولا تهتدى إليه إلا أنوار الحكمة، ما يزع العقلاء، ويكف الألباء، ويحذرهم من سطو الله وعقابه، ويخوفهم من أليم عذابه، فعولوا على ما رسم فى هذا الكتاب، من التعريف بما يبطن وإنهاء كل ما ينزل، ليتصلكم من التوقيف، والبيان والتعريف، لما يظهر لكم به بركة الاقتداء، وتستبرق منه عليكم أنوار

الائتمـام والاهتداء، ويتراءى لكم به الحق في صـوره الصادقة، ومثـله المطابقة، ومناظره الموافقة، ومطالـعه المشرقة، بفضل الله ورحمـته، وملاك ما يسدد مقـاصدكم فى جميع أحوالكم، ويوجب لكم الرضـا فى كافة أقوالكم وأفـعالكم، تقوى الله فى السر والـجهر، وخفيته في الباطن والظاهر، وقـدع النفس عن هواها، وكبحها بلجام النهى عن الركض فى ميدان رداها، وطاعة أمره العظيم والجرى على سننه المـستقيم، فلذلك عصمة من الزلل، وتوفيق في القـول والعمل بفضل الله، وقـد وجب أكرمكم الله لهذا الكتـاب، بما انطوى عليه من الأغراض الشاملة المنفعة، العامة المصلحة أن يعطى حقه من الإشاعة والتشهير، ويهض مقتضاه إلى الصغير والكبير، ويجمع الناس لقراءته وتلقى مضمته، ويساوى فيه بين الغائب والشاهد، والبـادى والحاضر، بإسماع من حـضر ومخاطبة من غـاب، ممن يتعلق بنظركم ويدخل تحت عملكم، ليأخذ الجميع بقسطه من المـسرة، وتعرف بركته واستشعار عائدته، وأنسه بما أمر به هذا الأمر العزيز، من إفاضة العدل، وبسط الدعة والأمن، وإقامة أمر الله تعـالى على وجهه المـتعين، وسننه الواضح المـبين، إن شاء الله تعـالى، والسلام عليكم ورحمة الله وتعـالى وبركاته، كتب فى الثالث من شهر رمضـان المعظم سنة إحدى وستين وخمسمائة.

ملحق (٧)

رسالة

من الخليفة أبي يعقوب يوسف

إلى الطلبة الذين بغرناطة، يشير فيها إلى وصول بيعتهم مع أشياخ غرناطة، وينوه بولائهم ووفائهم، ويوصى بإكرامهم وبرهم.

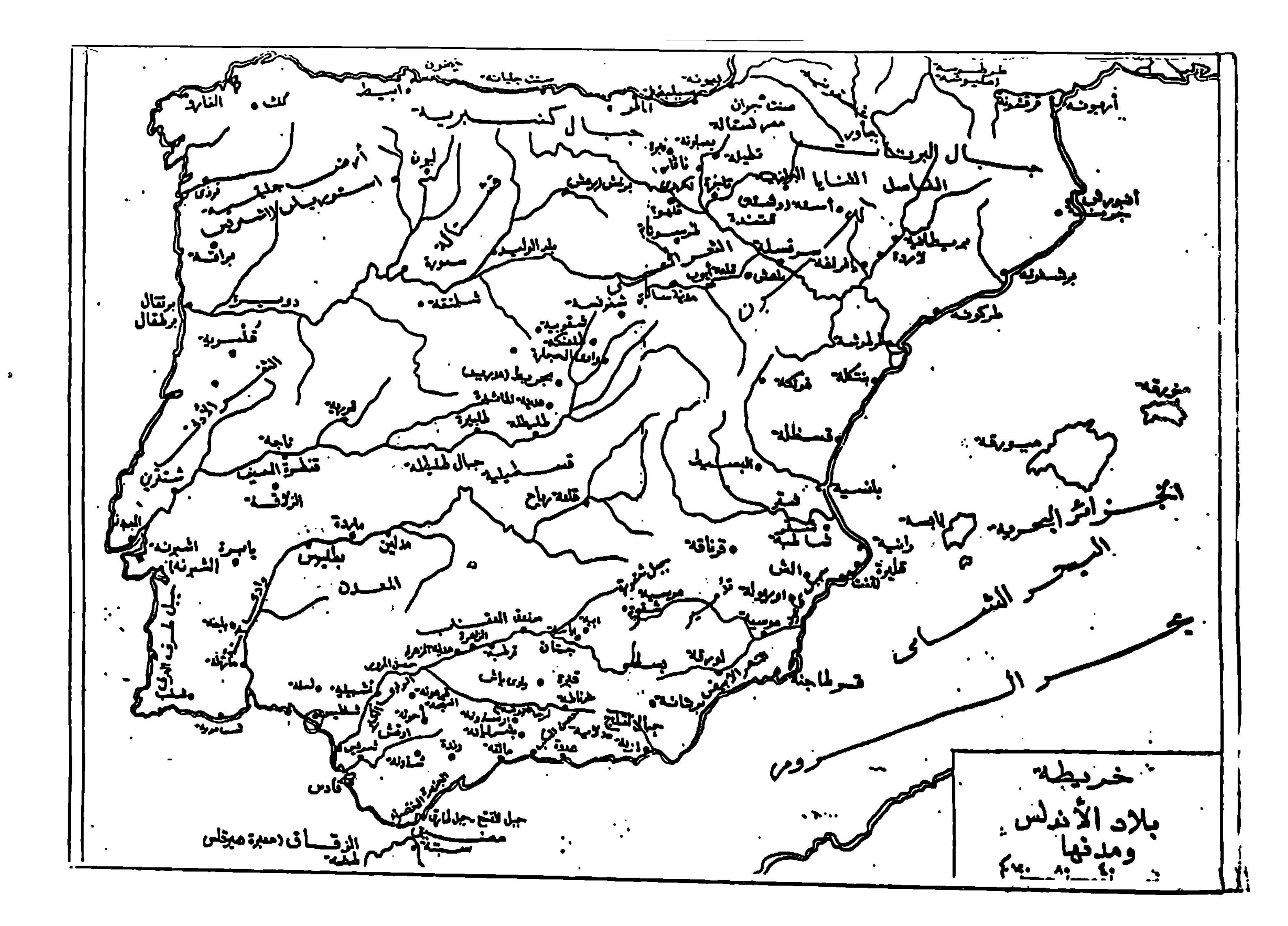
(منقولة عن كتاب «المن بالإمامة» مخطوط أكسفورد لوحة ١٠٥ ب)

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم

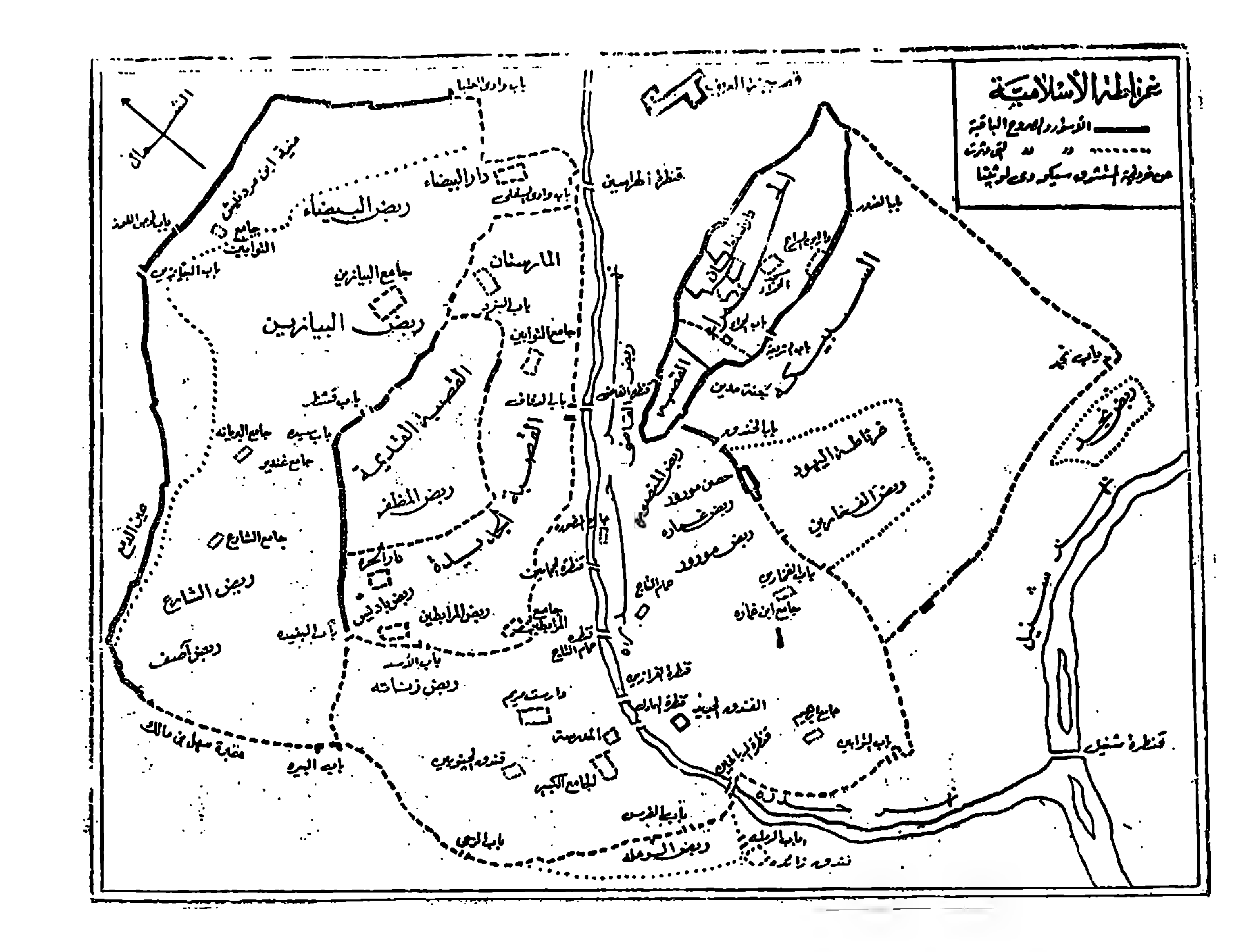
والحمد لله وحده، من أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أيده الله بنصره، وأعزه بمعونته إلى الطلبة الذين بأغرناطة أكرمهم الله بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله وتعالى وبركاته، أما بعد فإنا نحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلى على محمد نبيه المصطفى ورسوله، ونسأله الرضا عن الإمام المعصوب، المهدى المعلوم، القايم بأمر الله والداعى إلى سبيله، ونوالى الدعاء لصاحبه وخليفته الإمام أمير المؤمنين مسنى أمره العزيز إلى غاية تتميمه وتكميله، فإنا كتبناه إليكم أكرمكم الله بتقواه من حضرة مراكش حرسها الله والذى نوصيكم به تقوى الله والعمل بطاعته، والاستعانة به والتوكل عليه، وقد وصلنا كتابكم من عند الشيوخ من إغرناطة، حرسها الله والموحدين، وفق الله جميعهم، ووفقنا عليه، ورأينا ما تحملوه عن الموحدين بأغرناطة، حرسها الله وجيرانهم من انعقاد إجماعهم على ما أجمع عليه شيوخ أهل [الهدى] وأعيانهم من الأمر الذى أوجبوا على أنفسهم المبايعة عليه، وأعطاه صفقة اليد فيه، وقد وفقهم الله لما وفق إليه أهل أمره، وذوى العصمة من طايفته، الله تعالى يتقبل منهم عملهم ويعرفهم بركة ما التزموه، ويعينهم على القيام بواجبهم والوفاء بحقه وقد انصرف هؤلاء الأشياخ المذكورين بعد إقامتهم بهذه الحضرة ونيلهم بركاتنا، ما يجدون أثره فى أحوالهم (وسريان) الانتفاع به

نقلا عن محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس ـ عصر المرابطين والموحدين ـ القسم الثانى.

فى أقوالهم وأعمالهم، فاعرفوا لـهم حق وفادتهم ومكان وفادتهم أحملوهم خيرًا بهم على الرعـاية المتـصلة، والمـبرة الحـافلة المـشتـملة، إن شـاء الله تعالى، والله ولى عـونكم وصوبكم، لا رب غـيره، والسلام الـكريم العميم عليكم ورحـمه الله وبركـاته، كتب فى الثانى عشر من شوال عام ثلاثة وستين وخمس مائة.



خريطة
بلاد الأندلس
ومدنها
جبال البرتات
جبال كنتبرية
الثغر الأعلى
سرقسطة
برشلونة
طركونة
طرطوشة
بلنسية
دانية
مرسية
قرطاجنة
المرية
غرناطة
مالقة
جبال الثلج
قرطبة
جيان
إشبيلية
قادس
الجزيرة الخضراء
جبل الفتح جبل طارق
سبتة
الزقاق (معبرة هرقلس)
طليطلة
جبال طليطلة
قلعة رباح
مدينة سالم
شنتبرية
بطليوس
ماردة
باجة
شنترين
أشبونة
قلمرية
برتقال
المعدن
بحر الروم
البحر الشامي
الجزائر البحرية
ميورقة
منورقة
يابسة


غرناطة الإسلامية
الأسوار والصروح الباقية
من خريطة المستشرق سيكو دي لوثينا
الشمال
ربض البيضاء
دار البيضاء
جامع البيازين
ربض البيازين
المارستان
باب البيازين
جامع التوابين
القصبة القديمة
القصبة الجديدة
ربض المظفر
جامع الشريعة
ربض الشريعة
ربض آصف
ربض زناتة
المدرسة
الجامع الكبير
مقبرة سهل بن مالك
باب البيرة
باب الرملة
ربض الرملة
قنطرة شنيل
غرناطة اليهود
ربض الفخارين
باب الفخارين
ربض نجد
باب نجد
السبيكة


المصـــــادر

أولا: قائمة المخطوطات:

١- البرزلي: (أبى القاسم بن أحمد البلوى البرزلى)

جامع مسائل الأحكام مما نزل بالمفتين والحكام، الخزانة الملكية (الرباط) رقم ٤٨٨٤.

٢- التادلي: (أحمد بن القاسم بن محمد بن سالم بن عبد العزيز الهروى)

كتاب المعزى فى أخبار مناقب الشيخ سيدى أبى يعزى رقم ١٢٤٩ دار الكتب المصرية

٣- ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة، مخطوط الأسكوريال رقم ١٦٧٣.

رقم الحلل فى نظم الدول

مكتبة باريس الوطنية 5020

٥٠٢٠

٤- ابن رحال: (أبى الحسن على)

كشف القناع عن مسائل الصناع

الخزانة العامة الرباط مجموعة رقم ١٠٧٩ د.

٥- ابن أبى زرع: (أبو الحسن على بن محمد)

الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس

مخطوط دار الكتب الوطنية باريس ١٨٦٨

1868

٦- ابن أبى زمنين: (أبو عبد محمد)

كتاب قدوى الغازى، ورقة ٢٩، مخطوط رقم ٥٧٥ المكتبة الوطنية مدريد

٧- **ابن سهل:** (أبو الأصبغ عيسى)

ت ٤٨٦ هـ - ١٠٩٣م

الأعلام بنوازل الأحكام

المعرفة بالأحكام الكبرى

مخطوط بدار الكتب المصرية

٨- **السيوطى:** (عبد الرحمن بن أبى بكر)

ت ٩١١

البستان فى أخبار الزمان

مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٠٢٤

٩- **الشطيبى:** (محمد الشطيبى المغربى)

كتاب الجمان فى أخبار الزمان

مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٤١٦

١٠- **العينى:** (بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسن)

ت ٨٥٥هـ

عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان

مخطوط رقم ١٥٨٤ دار الكتاب

١١- **العمرى:** (ابن فضل الله العمرى)

ت ٧٤٨هـ

مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار

مخطوط دار الكتب المصرية

جـ ٢ قسم ١٦

١٢- **النويرى**: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد)

ت ٧٧٥هـ

نهاية الأرب فى فنون الأدب

مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٥٤٩

١٣- **مجهول**: الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية

دار الكتب الوطنية باريس 1873

١٨٧٣

١٤- **المقرى**: (أبى العباس أحمد المقرى التلمسانى)

ت ١٠٤١هـ

عرف الطيب فى أخبار ابن الخطيب

دار الكتب الوطنية باريس 1883

١٨٨٣

ثانيًا: المؤلفات العربية القديمة (المصادر)

١- ابن الأبار: (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى) ٣٢

ت ٦٥٨هـ - ١٢٦٠م.

- الحلة السيراء: جزءان تحقيق حسين مؤنس سنة ١٩٦٣

- التكملة لكتاب الصلة، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦، طبعة مدريد ١٨٨٨ - ١٨٨٩ تحقيق كوديرا.

- المعجم فى أصحاب أبى على الصدفى، تحقيق كوديرا وزيدين مجريط روخس سنة ١٨٨٥م.

٢- ابن الأثير: (على بن أحمد بن أبى الكرم)

ت ٦٣٠هـ - ١٢٣٨هـ

- الكامل فى التاريخ، بيروت ١٩٦٧ ومطبعة الاستقامة

٣- الإدريسى: (محمد بن عبد الله بن إدريس الشريف)

ت ٥٥٨ هـ - ١١٦٣م

- صفة المغرب وأرض السودان ومصر الأندلس

نشر دوزى ودى غويه، طبعة ليدن ١٨٦٦م

٤- الأشبيلى: (ابن العوام)

توفى آخر القرن السادس

- كتاب الفلاحة باعتناء بانكورى

مدريد ١٨٠٢م

٥- **الإصطخرى**: (أبو أسحاق إبراهيم بن محمد الفارس الإصطخرى المعروف بالكرخى)

ت فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى

«المسالك والممالك»

٦- **ابن أبى أصيبعة**: (موفق الدين أبى العباسى أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الصفدى الخزرجى)

ت ٦٦٧هـ - ١٢٧٠م

- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، نشر نزار رضا

بيروت سنة ١٩٦٥

٧- **ابن بسام**: (محمد بن أحمد بن بسام المحتسب)

ت فى القرن التاسع الهجرى

- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، تحقيق حسام الدين السامرائى

- مطبعة دار المعارف بغداد سنة ١٩٦٨م

٨- **ابن بسام**: (أبو الحسن على بن بسام الشنترينى)

ت ٩٤٢هـ - ١٥٣٥م

- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة

تحقيق إحسان عباس

- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة

القسمان الأول والرابع، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٩ - ١٩٤٥

٩- **ابن بشكوال**: (أبو القاسم خلف بن عبد الملك)

ت ٥٧٨هـ - ١١٨٢م

- الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقائهم وأدبائهم القاهرة سنة ١٩٦٦م

١٠- ابن بصال: (أبى عبد الله محمد بن إبراهيم بن بصال)

- كتاب الفلاحة تحقيق بيكروسا ومحمد عزيمان، تطوان، منشورات محمد مولاى الحسن ١٩٥٥

١١- ابن بطوطة: (أبو عبد الله محمد الطنجى اللواتى) ٧٧٩ هـ - ١٣٧٨

- تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

نشر وترجمة Defremary et sanguinette

باريس سنة ١٩٢٢م، وطبعة دار صادر بيروت سنة ١٩٦٧م

١٢- البغدادى: (صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى)

ت ٧٣٩هـ - ١٣٣٨م

مراسد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع

- ثلاثة أجزاء (القاهرة سنة ١٩٥٤)

١٣- البكرى: (أبو عبد الله بن عبد العزيز البكرى)

ت ٤٨٧هـ - ١٠٩٧م

- المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب نشر دى سلان سنة ١٩١١م

١٤- ابن بلقين: (عبد الله)

- التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بنى زيرى فى غرناطة نشرة ليفى بروفنسال، القاهرة دار المعارف سنة ١٩٥٥

١٥- ابن البناء: (أبى العباس المراكشى)

- رسالة فى الأنواء

١٦- **البيذق**: (أبو بكر الصنهاجى) (القرن السادس الهجرى)

- أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين

نشر ليفى بروفنسال سنة ١٩٢٨ باريس، طبـعة الرباط وطبعة دار المنصور سنة ١٩٧١.

١٧- **التادلى**: (أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن)

ت حوالى ٩١٧ هـ

- التشـوف إلى رجال التصوف، نـشره وصححـه أدولف فور سنة ١٩٥٨، الرباط

١٨- **التطيلى**: (ديوان الأعمى التطيلى)

١٩- **ابن تومرت**: (المهدى محمد بن عبد الله)

ت ٥٢٤ هـ

- أعز مـا يطلب، مشـتمل على جمـيع تعاليق الإمـام محمـد . . تومرت، الجزائر ١٩٠٣م

٢٠- **ابن تيمية**: الحسبة فى الإسلام، دمشق سنة ١٩٦٧

٢١- **ابن جبير**: (الحسين محمد بن أحمد)

ت ٤٥٦ هـ

- رحلة ابن جبير، بيروت سنة ١٩٥٩

- نشر حسين نصار القاهرة سنة ١٩٥٥

٢٢- **الجزنائى**: (أبو الحسن على)

- زهرة الآس فى بناء مدينة فاس سنة ١٩٢٢م - ١٢٤٠هـ

الجزائر طبع باعتناء الفريدبل

٢٣- **ابن حزم**: (أبو محمد على بن أحمد)

ت ٤٥٦ - ١٠٦٣م

ـ جمهرة أنساب العرب

ـ جمهرة ليفى بروفنسال ـ دار المعارف، تحقيق عبد السلام هارون القاهرة سنة ١٩٧١م.

ـ الرد على ابن النغريلة اليهودى

تحقيق إحسان عباس، القاهرة دار العروبة سنة ١٩٦٠

٢٤- **أبى الحسن**: (على ين يوسف الحكيم)

ألف كتابه فى القرن الثامن الهجرى

ـ الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة

تحقيق حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٥٨م

٢٥- **الحميرى**: (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العظيم)

ت ٨٦٦ هـ - ١٤٦١م

ـ الروض المعطار فى خبر الأقطار قطعة مأخوذة من كتاب صفة جزيرة الأندلس تحقيق ليفى برفنسال ـ القاهرة ١٩٣٧م

٢٦- **الحميدى**: (أبو عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله الأزدى)

ت ٤٨٨ هـ - ١٠٩٥م

ـ جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس

ضمن المكتبة الأندلسية سنة ١٩٦٦م

٢٧- **ابن حوقل النصيبى**: (أبو القاسم محمد بن على)

ت فى النصف الأخر من القرن الرابع الهجرى

ـ كتاب صورة الأرض

نشر مكتبة دار الحياة ـ بيروت

٢٨- ابن خاقان: (الفتح بن خاقان)

ت ٥٢٩هـ - ١١٣٤م

ـ قلائد العقيان فى محاسن الزمان ط ١ سنة ١٣٢٠هـ مصر

المطبعة العتيقة بتونس تقديم محمد العنانى

٢٩- ابن الخطيب: (لسان الدين بن الخطيب السلمانى)

ت ٧٧٦هـ - ١٣٧٤هـ

ـ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام

القسم الثانى تحقيق ليفى بروفنسال ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٥٦م

ـ أعمال الأعلام، القسم الثالث، تحقيق أحمد مختار العبادى ومحمد إبراهيم الكتانى، تحت عنوان «تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط» سنة ١٩٦٤م

ـ الإحاطة فى أخبار غرناطة ٤ أجزاء

تحقيق محمد عبد الله عنان القاهرة سنة ١٩٧٣م

ـ اللمحة البدرية فى الدولة النصرية.

ـ مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب (مجموعة من رسائله) نشر أحمد مختار العبادى ـ الإسكندرية سنة ١٩٥٨.

ـ نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب

نشر أحمد مختار العبادى ـ القاهرة سنة ١٩٦٧

ـ كناسة الدكان بعد انتقال السكان

نشو محمد كمال شبانة ـ القاهرة ١٩٦٦م

ـ رقم الحلل فى نظم الدول ـ تونس سنة ١٣١٧هـ

٣٠- ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد)

ت ٨٠٨هـ

ـ العـبر وديوان المـبـتدأ والخـبـر فى أيام العرب والعـجم والبـربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ٧ أجزاء.

ـ المقـدمة، طبـعة دار الشـعب، طبعة بيـروت سنة ١٩٧١، سنة ١٩٧٩ وطبعة الكشاف، منشورات مؤسسة الأعلى

٣١- ابن خلدون: التعريف برحلته شرقًا وغربًا، نشر محمد بن تاويت

٣٢- ابن خلكان: (أبى العباس أحمد بن خلكان)

ت ٦٨١ هـ

ـ وفيـات الأعيـان وأنباء أبناء الزمـان ٨ أجزاء طبـعة سنة ١٩٤٨ النهـضة المصرية.

٣٣- خليفة بن خياط: انظر تاريخ خليفة ابن خياط

٣٤- ابن دحية: (أبو الخطاب عمر ابن الشيخ الإمام أبى على)

ت ٦٢٣ هـ

ـ المطرب فى أشعار أهل المغرب جـ ١ الخرطوم سنة ١٩٥٤م

ـ المطر ب فى أشـعـار المغـرب، تحـقيق إبراهيـم الأبيارى، القـاهرة، المطبعة الأميرية سنة ١٩٥٤م.

٣٥- ابن أبى دينار: (محمد بن القاسم الرعينى القيروانى)

ـ المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس ط ١ تونس ١٢٨٦ هـ

٣٦- ابن رشد: (محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبى الأندلسى)

الشهير بابن رشد الحفيد المتوفى سنة ٥٩٥هـ - ١١٩٩م

ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد جزءان، راجع أصوله وعلق عليه عبد الحليم محمد عبد الحليم، طبعة دار الكتب الإسلامية سنة ١٩٨٣م - ١٤٠٣هـ

٣٧- ابن الزبير: (أبو جعفر أحمد) القسم الأخير، تحقيق ليفى بروفنسال

ـ وهو ذيل للصلة البشكوالية، الرباط، المطبعة الاقتصادية سنة ١٩٣٧

٣٨- الزجالى: (أبى يحيى)

عاش فى القرن السابع

ـ أمثال العوام فى الأندلس، قسم ٢ استخرجها وحققها محمد بن شريفة، فاس سنة ١٩٧١م

٣٩- ابن أبى زرع: (أبو الحسن على بن عبد الله)

ت ٧٤١هـ - ١٣٤٠م

ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط سنة ١٩٧٢م وطبعة الرباط تحقيق الهاشمى، الفيلالى سنة ١٩٣٦، ونسخة أخرى طبعة حجر دار الكتب، وطبعة أوبسالة باعتناء كارل بوجن تورنبرغ سنة ١٨٤٣م - ١٨٦٤م

٤٠- الزركشى: (أبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن إبراهيم اللؤلؤى)

ـ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تونس المكتبة العتيقة سنة ١٩٦٦م

٤١- الزهرى: (أبى محمد بن أبى بكر الزهرى)

ـ كتاب الجغرافيا

ت فى حدود ٥٥٦ هـ - ١١٦٠م

تحقيق محمد الحاج الصادق، دمشق المعهد الفرنسى بدمشق للدراسات العربية

٤٢- ابن أبى زيد القيروانى

ـ الرسالة: طبعة الجزائر

فصل فى غسل الموتى وتكفينهم وتحنيطهم.

٤٣- ابن سعيد: (محمود بن سعيد مقديش الصفاقس)

ت ١٢٢٨هـ- ١٨١٣م

ـ نزهة الأنظار فى عجائب التواريخ والأخبار، تونس ١٣٢١هـ

٤٤- ابن سعيد: (المغرب الأندلس)

ت ٦٧٣هـ - ١٢٧٤

ـ المغرب فى حلى المغرب «جزءان»

تحقيق شوقى ضيف

٤٥- ابن سعيد: الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربى، بيروت سنة ١٩٧٠م، طبعة الجزائر ١٩٨٢

ـ رايات المبرزين ـ نشر غرسيه غومس

٤٦- السقطى: (أبو عبد الله محمد بن أبى محمد السقطى المالكى الأندلسى)

ت ٦٣١هـ - ١٢٣٤م

ـ فى أدب الحسبة

نشر ج. س كولان، وليفى بروفنسال

٤٧- ابن سهل: (أبو الأصبع عيسى)

ت ٤٨٦هـ - ١٠٩٣م

ـ الأحكام الكبرى مخطوط الرباط

تحقيق نورة عبد العزيز التويجرى رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الأداب جامعة الملك سعود ـ الرياض

٤٨- ابن الشباط: (محمد بن على بن محمد بن الشباط المصرى)

ـ صلة السمط، استخرج قسمة الأندلس

أحمد مختار العبادى، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد، سنة ١٩٦٥م - ١٩٦٦م

مجلد ١٣، ٤١ سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨

٤٩- ابن شهيد: (أحمد بن أبى مروان عبد الملك بن أحـمد بن عبد الملك بن عمر ـ ابن عيسى بن الوضاح الأشجعى)

ت ٤٢٦هـ - ١٠٣٥م

ـ ديوان ابن شهيد الأندلس، تحـقيق يعقوب زكى، مراجعـة محمود على مكى، دار الكاتب العرب للطباعة والنشر بدون تاريخ القاهرة

ـ رسالة التوابع والزوابع

٥٠- ابن صاحب الصلاة: (عبد الملك)

ت نهاية القرن السادس الهجرى

ـ تاريخ المن بالإمامـة على المسْتضعفـين بأن جعلهم الله أئمـة وجعلهم الوارثين ـ السفر الثانى.

تحـقيق عـبد الهـادى التـازى ـ بيروت ط ـ بيـروت ١٩٦٤م وطبعـة سنة ١٩٧٩ الجمهورَية العراقية.

٥١- الضبى: (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة)

ت ٥٥٩هـ - ١٢٠٢م

ـ بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس.

المكتبة الأندلسية مصر سنة ١٩٦٧

٥٢- الطرطوشى: أبو بكر محمـد بن الوليد بن محمـد بن خلف الفهرى (٥٤١ هـ - ٥٢٠هـ - ١٠٥٩ - ١١٢٦م)

ـ الحوادث والبدع

تحقيق الطالبى تونس سنة ١٩٥٩م

٥٣- سراج الملوك الطبعة

ت ١٢٨٩هـ

٥٤- ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن

ت ٢٧٦هـ - ٨٨٩م

ـ كتاب فتوح أفريقية والأندلس، نشر الجزائر ١٩٤٨م

٥٥- ابن عبد الله: (محمد بن ابن عبد الله)

ـ مجموعة اليواقيت العصرية

مصر سنة ١٣٩٤هـ

٥٦- ابن عبد الرؤوف: (أحمد بن عبد الله)

ـ فى أدب الحسبة والمحتسب

(ضمن مجموعة ثلاث رسائل فى الحسبة)

تحقيق ليفى بروفنسال مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية القاهرة سنة ١٩٥٥م

٥٧- ابن عبدون:

ـ رسالة فى القضاء والحسبة

(ضمن مجموعة ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة)

٥٨- ابن عذارى المراكشى

ت فى أواخر القرن السابع الهجرى

ـ كتاب البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب

الجزء الأول والثانى تحقيق ج. س كولان وليفى بروفنسال دار الثقافة بيروت

الجزء الثالث تحقيق ليفى بروفنسال دار الثقافة ـ بيروت

الجزء الرابع تحقيق إحسان عباس، بيروت دار الثقافة سنة ١٩٦٧م

جزء ٤ قسم ٣ القسم الموحدى، تحقيق هويثى ميراندا ومشاركة محمد ابن تاويت ومحمد إبراهيم الكتانى معهد مولاى الحسن تطوان سنة ١٩٦٠

٥٩- **العذرى**: (أحمد بن عمر بن أنس العذرى المعروف بابن الدلائى)

ت ٤٧٨هـ - ١٠٨٥م

ـ نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع البستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، نشر وتحقيق عبد العزيز الأهوانى معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٦٥.

٦٠- **العمرى**: (ابن فضل الله): (شهاب الدين أحمد بن يحيى الكاتب الدمشقى العمرى)

ت ٧٤٨هـ - ١٣٧٤م

ـ مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار

ـ وصف أفريقية والمغرب والأندلس

تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب ـ تونس

٦١- **عياض**: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياش اليحصبى السبتى

ت ٥٤٤هـ - ١١٤٩م

ـ الأعلام بحدود قواعد الإسلام ـ تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ـ الرباط سنة ١٩٦٤م

٦٢- ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت)

٦٣- **ابن غازى:** (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن على)

ت ٩١٩هـ - ١٥١٣م

- الروض الهتون فى أخبار مكناسة الزيتون طبع حجر مغربى.

٦٤- **ابن غالب:** (محمد بن أيوب الأندلس)

ت فى القرن السادس الهجرى

- قطعة من كتاب فرحة الأنفس

تحقيق لطفى عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد ١ جزء ٢ سنة ١٩٥٥

٦٥- **الغبرينى:** (أبى العباس أحمد)

- عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة فى بجاية، الجزائر المطبعة الثعالبية ١٣٢٨ ع و ط. ١٩٧٠م تحقيق رابح بونار (مجموعة زخائر العرب)

٦٦- **ابن فرحون:** (برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد اليعمرى)

ت ٧٩٩ هـ

- الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب، القاهرة

مطبعة السعادة سنة ١٣٩١هـ - ١٣٩٦م

٦٧- **ابن القاضى:** (أحمد بن القاضى المكناس)

ت ١٠٢٥هـ - ١٦١٦م

- جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس ٢ قسم دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط ١٩٧٤م

- جذوة الأقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس طبعة حجر فاس سنة ١٢٠٩

٦٨- **القرطبى**: عريب بن سعد القرطبى

ت أواخر القرن الرابع

- تقويم قـرطبة، نشـرة مع ترجمة فـرنسيـة دوزى، ليدن، بريل الطبـعة الجديدة، سنة ١٩٦١.

٦٩- **القزوينى**: (زكريا بن محمد بن محمود القزوينى)

ت ٦٨٢هـ - ١٢٣٨م

- أثار البلاد وأخبار العباد

٧٠- **ابن القطان**: (أبو على حسين بن على بن القطان)

ت ٦٢٨هـ - ١٢٣٠م

- جزء من كتاب نظم الجمان، تحقيق محمود على مكى تطوان المغرب، المطبعة المهدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط سنة ١٩٦٤م.

٧١- **القلقشندى**: (أبو العباس أحمد)

- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا

القاهرة سنة ١٩١٣ الجزء الخامس

٧٢- **ابن القوطية**: (محمد بن عمرو بن عبد العزيز أبو بكر)

ت ٦٣٧

- تاريخ افتتاح الأندلس

تحقيق عبد الله أنيس الطباع - بيـروت سنة ١٩٧٥ وطبعة ربيرا مدريد سنة ١٨٦٨م

٧٣- **ابن الكردبوس**: أبو مروان عبد الملك

ت ٦٨١هـ - ١٢٨٣م

- تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط (محمد بن على)

استخرج قسمة الأندلسى أحمد مختار العبادى

(نصان جديدان)

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٧١م

٧٤- **الماوردى:** (أبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى الماوردى)

ت ٤٥٠هـ

- الأحكام السلطانية

القاهرة طبعة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠

مكتبة وطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

٧٥- **مجهول:** أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهما

E.Lafuente مجريط سنة ١٩٦٧م

٧٦- **مجهول:** الاستبصار فى عجائب الأمصار نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد

مطبعة جامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٨

٧٧- **مجهول:** مجموعة رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية

تحقيق ليفى بروفنسال، الرباط، المطبعة الاقتصادية سنة ١٩٤١م

٧٨- **مجهول:** الطبيخ فى المغرب والأندلس

- صحيفة معهد الدراسات الإسلامبة مدريد، تحقيق أمبروزيو أويثى ميراندا تقديم حسين مؤنس مدريد سة ١٩٥٥

٧٩- **مجهول:** الحلل الموشية فى ذكر الأخبار انمراكشية

مجهول من أهل القرن الثامن الهجرى

- تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة

دار الرشاد، الدار البيضاء، المغرب الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ - سنة ١٩٧٩م

٨٠- مجهول: نخب تاريخية جامعة لأخبار البربر فى القرون الوسطى المعروفة باسم مفاخر البربر جمعها ونشرها ليفى بروفنسال سنة ١٩٢٣م

٨١- المجيلدى: (أحمد سعيد)

ت ١٠٩٤هـ - ١٦٨٣م

ـ التيسير فى أحكام التسعير

تحقيق موسى لقبال الجزائر سنة ١٩٧٠م

٨٢- ابن منظور: (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى)

ت ٧١١هـ - ١٣١١م

ـ لسان العرب

طبعة مصورة عن طبعة بولاق ٢٠ مجلد المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر

٨٣- أبو المحاسن: (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى)

ت ٨٧٤هـ - ١٢٥٤م

ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٦م

٨٤- المراكشى: (عباس بن إبراهيم)

ـ الأعلام بمن حل مراكشى وأغمات من الأعلام

٨ أجزاء جـ ٣ سنة ١٩٦٣م

٨٥- المراكشى: (عبد الله المراكشى)

ـ الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة

٣ أسفار، السفر الأول تحقيق محمد بن شريفة، والسفران الرابع والخامس تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة ١٩٦٤ - ١٩٦٥، السفر الأول بدون تاريخ

٨٦- المراكشي: (عبد الواحد)

ت ٦٤٧ هـ - ١٢٤٩م

- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م

٨٧- المراكشي: (محمد الفتيحى)

- السعادة الأبدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، القاهرة، مطبعة مصطفى الحلبى سنة ١٣٤١هـ

٨٨- المقدس: (شمس الدين أبو عبد الله محمد)

ت ٣٨٧هـ - ٩٩٧م

- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ليدن سنة ١٩٠٦

٨٩- المقرى: (شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى التلمسانى)

ت ١٠٤١هـ ÷ ١٦٣٨م

- أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض

تحقيق مصطفى السقا وآخرون

القاهرة سنة ١٣٥٩هـ - سنة ١٩٤٠م

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب

تحقيق إحسان عباس ٨ أجزاء

بيروت سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م

- تحقيق محيى الدين عبد الحميد ١٣٦٩هـ - ١٩٤٩م

٩٠- **المقريزى:** (تقى الدين أحمد بن على)

ت ٨٤٥هـ - ١٤٤١م

ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جزءان بولاق سنة ١٢٧٠هـ

٩١- **ابن المؤقت:** (محمد بن عبد الله)

ـ السعادة الأبدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية

جزءان ـ طبع حجر مراكشى سنة ١٢٣٥هـ

٩٢- **الناصرى:** (أبو العباسى أحمد بن خالد الناصرى)

ت ١٣١٥هـ

ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدار البيضاء سنة ١٩٥٤م

٩٣- **النباهى:** (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسين)

ت ٧٧٦هـ

ـ تاريخ قضاة الأندلس، المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا

نشر ليفى بروفنسال ط ١ دار الكاتب المصرى سنة ١٩٤٨م

٩٤- **النويرى:** (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد)

ت ٧٣٣هـ

ـ نهاية الأرب فى فنون الأدب

الجزء الرابع والعشرون

تحقيق حسين نصار

المجلس الأعلى للثقافة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب

٩٥- **ابن الوردى:** (سراج الدين بن حفص بن عمر أبى الفوارس)

ت ٨٦١هـ - ١٤٥٧م

ـ كتاب خريدة العجائب وفريدة الضرائب نشر ليدن سنة ١٨٢٣هـ

٩٦- **الونشريشي**: (أبى العباس أحمد بن يحيى)

ت ٩١٤هـ - ١٠٨٥م

ـ المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس ١٢ جزء مطبعة الشافعة بدون تاريخ، فاس

٩٧- **ياقوت**: (أبو عبد الله)

ت ٦٢٦هـ

٥ أجزاء طبعة طهران ١٩٦٥

٦ أجزاء طبعة ١٨٦٦ - ١٨٧٣

٨ أجزاء فى أربع مجلدات طبعة القاهرة سنة ١٩٠٦

٩٨- يحيى بن عمر

ت ٢٨٩هـ - ٩٠١م

ـ أحكام السوق

تحقيق محمود على مكى

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد العدد ٢ مجلد ٤ مدريد سنة ١٩٥٦.

ثالثًا: المراجع العربية الحديث:

١- إبراهيم حركات:

- المغرب عبر التاريخ ط الدار البيضاء الطبعة الأولى ١٩٦٥م - ١٣٨٤هـ طبعة دار السلمى

- النظام السياسى والحربى فى عهد المرابطين، الدار البيضاء، منشورات مكتبة الوحدة العربية دون تاريخ

٢- أمارى: (مشيل)

- المكتبة العربية الصقلية

- ليبسك سنة ١٨٧٥م

٣- أمبرسيو هويثى ميراندا

- على بن يوسف وأعماله فى الأندلس، بحث نشر فى مجلة تطوان الجامعة المغربية، كلية الآداب، العدد ٣ - ٤، ١٩٥٨ - ١٩٥٩م ص ١٥٣ - ص ١٧٦.

- واقعة اقليش ومصرع الأمير شانجة، مجلة تطوان، العدد الثانى سنة ١٩٥٧م

- المطبخ الأسبانى خلال العصر الموحدى مجلة معهد الدراسات مدريد المجلد الخامس سنة ١٩٥٧.

٤- إحسان عباس

- الجانب السياسى من رحلة ابن العربى إلى المشرق، مجلة الأبحاث الجامعة الأمريكية بيروت سنة ١٩٦٣م

- الأدب الأندلسى فى عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٨م

٥- أحمد مختار العبادى.

- الأعياد فى مملكة غرناطة مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد المجلد الخامس عشر سنه ١٩٧٠م

- دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس الإسكندرية طبعة سنة ١٩٦٨م.

- فى تاريخ المغرب والأندلس طبعة سنة ١٩٧٨م.

٦- بروفنسال: (ليفى)

- محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها.

٧- توروس بلباس

- الأبنية الأسبانية الإسلامية

- مجلة معهد الدراسات الإسلامية العدد الأول سنة ١٩٥٤م

٨- جمال سرور

- تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجرى القاهرة سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

٩- جمال محرز:

- الرسوم الجدارية الإسلامية فى البوطل بالحمراء

١٠- چوليان: «شارل أندريه»

- تاريخ أفريقية: ترجمة عوض أباظة سنة ١٩٦٨م

١١- الجيلالى: عبد الرحمن بن محمد:

- تاريخ الجزائر العام جزءان ط ٢ ١٩٦٥م بيروت

١٢- حسن إبراهيم حسن

النظم الإسلامية

١٣- حسن أحمد محمود

ـ قيام دولة المرابطين مكتبة النهضة سنة ١٩٥٧

١٤- حسن حسنى عبد الوهاب

ـ ورقات من الحضارة العربية فى أفريقية قسم ٢ تونس ١٩٦٦

١٥- حسن على حسن

ـ الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين والموحدين مكتبة الخانكى ـ مصر سنة ١٩٨٠م

١٦- حسين مؤنس

ـ الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٦٧م

ـ الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين وسقوط سرقسطة فى أيدى النصارى سنة ٥١٢هـ/ ١١٨م مع أربع وثائق جديدة مجلة ـ كلية الآداب، القاهرة، المجلد ١١ جـ٢ ديسمبر سنة ١٩٤٩ ص ٩١ - ص ١٤٣

ـ سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم فى الأندلس صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد المجلد الأول، العدد الثالث سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م ص ٩٧ - ص ١٤٠.

ـ نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين للموحدين، سنة ٥٢٠هـ - ٥٤٠هـ مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٥٥ المجلد الأول العدد الثالث.

ـ تطور العمارة الإسلامية فى الأندلس كلية الآداب جامعة فؤاد الأول.

ـ فتح العرب للمغرب

١٧- حكمة على الأوسى

ـ الأدب الأندلسى فى عصر الموحدين مكتبة ـ الخانكى القاهرة

١٨- رابح بونار

المغرب العربى تاريخ وثقافة ـ الجزائر سنة ١٩٦٨م

١٩- ذكى محمد حسن: فنون الإسلام، ط (١) سنه ١٩٤٨م النهضة المصرية

٢٠- شكيب أرسلان: الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية، بيروت ١٣٥٨هـ

منشورات دار مكتبة الحياة، الجزء الثالث

٢١- شوقى أبو خليل

الزلاقة:

دار الفكر، دمشق طبعة سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٢٢- صبح الصالح

النظم الإسلامية

٢٣- ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية للدول الإسلامية طبعة سنة ١٩٦١ لأنجلو المصرية

٢٤- عبد الرحمن الحجى

التاريخ الأندلسى، من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة ٩٢هـ - ٨٩٧هـ/ ٧١١م - ١٤٩٢م دار القلم، دمشق، بيروت، دار القلم الكويت، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ - سنة ١٩٧٩م

٢٥- عبد الله على علام

ـ الدعوة الموحدية بالمغرب (القاهرة سنة ١٩٦٤م)

ـ الدولة الموحدية بالمغرب فى عهد عبد المؤمن بن على

مطابع دار المعارف مصر سنة ١٩٧١م

٢٦- عثمان الكعاك

الحضارة المغربية فى حوض البحر المتوسط

٢٧- عز الدين موسى

النشاط الاقتصادى فى المغـرب الإسلامى فى القرن السادس الهجرى دار الشروق سنة ١٩٨٣م

٢٨- على محـمد حـمودة: تاريخ الأندلس السـياسى والعـمرانى والاجـتمـاعى، دار الكتاب العربى بمصر طبعة ١ سنة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م، طبعة ١٣٨٠ - ١٩٦١م

٢٩- فيـليب خورى حـتى: تاريخ العرب المطول، الجـزء الثانى الطبـعة الرابعـة سنة ١٩٦٥م

٣٠- مبارك الميلى

- تاريخ الجزائر العام فى القديم والحديث جـ ٢ مطبعة الجزائر ١٣٥٠هـ

٣١- محمد الفاس

- أصول الأعلام الجغرافية الأندلسية مجلة البينة عدد يونيو سنه ١٩٦٢م

٣٢- محمد المنونى

- العلوم والآداب والفنون على عصر الموحـدين تطوان المطبعة المصرية ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م

٣٣- محمد بحر عبد المجيد

- اليهود فى الأندلس، المكتبة الثقافية عدد ٢٣٧، سنه ١٩٧٠م

٣٤- محمد مجيد السعيد

- الشعر فى عهد المرابطين والموحدين بالأندلس: منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية.

٣٥- محمد طرطوشة:

ـ نظرية ابن خلدون فى الاقتصاد والقـرآن مجلة الفكر (تونس) العدد ١٥ طبعة سنه ١٩٦٧م

٣٦- محمد عبد الله عنان

ـ دولة الإسلام فى الأندلس

ـ عصر الطوائف

ـ عصر المرابطين والموحدين

ـ الآثار الأندلسية الباقية

ـ نهاية الأندلس

٣٧- محمد عبد الهادى شعيرة

ـ المرابطون وتاريخهم السياسى ط ١ سنه ١٩٦٩م القاهرة

٣٨- محمد كمال شبانة

ـ يوسف الأول سلطان غرناطة

٣٩- محمد ولد دادة

ـ مفهوم الملك فى المغرب

ـ بيروت، دار الكتاب اللبنانى ـ دار الكتاب المصرى سنه ١٩٧١م

٤٠- محمود على مكى

ـ وثائق تاريخية جديدة، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد

٤١- المرير

ـ الأبحاث السامية جـ٢ تطوان سنه ١٩٥٢م

٤٢- مصطفى الشكعة

- الأدب الأندلسى

٤٣- مصطفى الهمشرى

- الأعمال المصرفية فى الإسلام.

٤٤- مورينو

- الفن الإسلامى فى أسبانيا

٤٥- موسى لقبال

- الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب

٤٦- ناجى معروف

- المدخل فى تاريخ الحضارة العربية الطبعة الأولى بغداد سنة ١٣٧٩م

٤٧- نعمة العزارى:

أبو بكر الزبيدى النحوى وآثاره فى النحو واللغة النجف سنه ١٩٧٥م.

٤٨- يوسف أشباخ

- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين

- ترجمة محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية القاهرة سنه ١٩٥٨م ١٣٧٧هـ.

رابعا المراجه الأجنبية

1. Abbady: (Ahamd Mujtar Al Abbady)

- El Reiño de Granada en la Epóca de Muhammed v (Madrid 1973)

2. Aly Mohamed Fhamy.

- Muslim sea power in the Eastern Mediterranean from the seventh to the tenth century. A.D. 1950.

3. Amariom M.I.: Diplomi arabi del archivio fiorentio, V.I. Firenze, le Monnier, 1863.

4. Bel. A.,: Contribution a l'étude des dirhrems de l'époque almohade, d'aprés un groupe important de ces monnaies récemment découvert `a Tlemcen Hespéris, 1933, Tome XVI, pp 1 - 68.

5. Brelvi: Islam in Africa. Lahor 1964.

6. Budgett-Meakin: The Moorish Empire. London, 1899.

7. Bosch villa, J.: historia de Marruecos los Almoravides, Tetuan, Instituto General Franco, 1956.

8. Codero, F. : Decadencia y Desparición de los Almor `avides en Espana, Zarogoza, 1899.

9. Dozy, R.: Histoire de musulmanes d'Espagne, 4 x : Leyde, Brill, 1861.

- Historia Abbadidarum, 2 v., leyed, Brill, 1946.

- Recherches sur l'hitoire et l'littérature de l'Espagne pendant le moyen âge, leyde Brill, 1881.

- Supplement aux Dictionnaires Arabes, 2, v. Leyde, Brill, 1881.

- Dictionaire De 'Tailloe' des voms des Vetements chez les Arabesm Amesterdam, 1845.

10. Gayangos "Pascual de Gayangos":

- The history of the Mohammedan dynasties in Spain.

Extracted by Ahamad at Mappari. 2 vols. London 1840 - 1843.

11. Gomez. "G" Elogio del Islam espanol, resala fi Fadl al Andulus.

12. Goitein, :S.D." Jews and Arabs: Their contacts through the Ages, New York; Schocken, 1955.

- Studies in Islamic History and Institutions, Leiden, Brill, 1968.

13. Heyd (w)

- Histoire du comm erce du Levant au Moyen Age, 2 v.,

(leipzig, v 1, 1923); v. 2, 188.

14. Hopkins, "J.F.p."

- Medieval Muslim Government of Barbary until the six century of the Hijra, London 1963.

15. Julien, "A", Histoire de l'Afrique du Nord, paris 1951. (Jusoú `a la conquête arabes)

- 1952 (depuis la conquete arabes)

16. Lafuente: "M"

- Historia General de Espana. 1899.

17. Lane-poole- "S" The Moonish in Spain, London, (1867)

- Catalogue of the collections of oriental coins, London, 1897.

18. Lambert: "Elie":

-: Les mosquees de type andalous en Espagne et en Afrique du Nord, Al-Andalus, vol. XIV: 1949.

19. Laviox (H)

- Catalogues des monnaies musulmanes de la Bibliotheque Nationale: Espagne et Afrique, Paris 1861.

20. Levi-provençal,

- La peninsula Iberique du Moyen-Age d'aprez le Kitab Ar-Rawd al Mitar d'Ibn Abd al Munim al Himyari (leiden 1938).

- le voyage d'Ibn Battuta dans le royaum de Granada (1939),

Melange offierts a william Marçais. Paris (1950)

- Inscriptions Arabes d'Espagne, paris (1931)

- L'Espagne Musulmane au xieme Siecle Paris (1951).

- Una cronica de Abd Al Rohoman III Al Nasir. Madrid Granada 1950.

21. Du Mas-Latri, L., traité de paix et de commerce et documents divers concermant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique seprentrionale au moyen-âge, Paris, 1965.

22. Massignon, "1" le Maroc dans les premieres annees du XVI siécle, Alger, 1906.

23. Melchor, "Antuna, "P"

    - Sevilla y sus monumentos arabes, El-Escorial, 1930.

24. Miranda "Huici"

    - La invasion de los Almoravides y la batalla de Zallacam (Hespéris 1953).

25. Pidal (u) The cid and his Spain London 1934.

26. Prescott: (William H.):

    - History of the reign of ferdinand and Isabella the catholic. (London 1895).

27. Ribera "J"

    - La Musica de las cantigas

28. Scott, "S.P." History of Mooris Empire.

29. Simonet: "F." J. Historia de los Mozarabes de Espana, Madrid, 1903.

    - Description del reino de Granada bajo la dominacion de los Naseritas. "Madroid 1860".

30. Terrasse (Henri):

    - Histoire du Maroc. Casablanca 1951.

31. Torres Balbas., "Leopoldo"

    - Arquitectos Andoluces de las epocas Almoravide y Almohade Al-Andalus 1946.

32. Vives, preioto, La reforma N ummimtica de los Almohades, Madrid 1915.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــــــوع	الصفحة

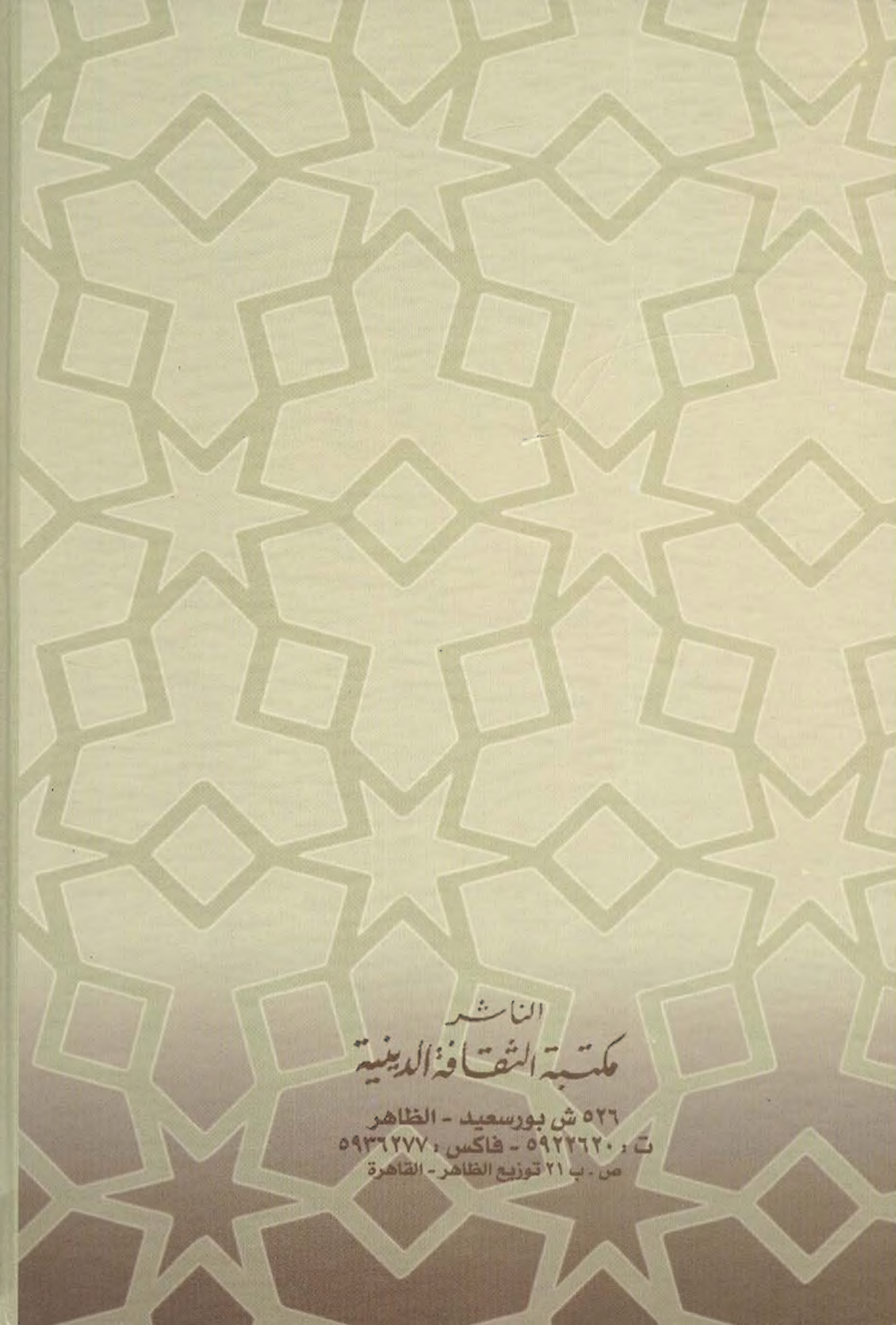
الموضـــــــــوع	الصفحة

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر

ت : ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧

ص. ب ٢١ توزيع الظاهر ـ القاهرة


الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر
ت : ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧
ص . ب ٢١ توزيع الظاهر - القاهرة